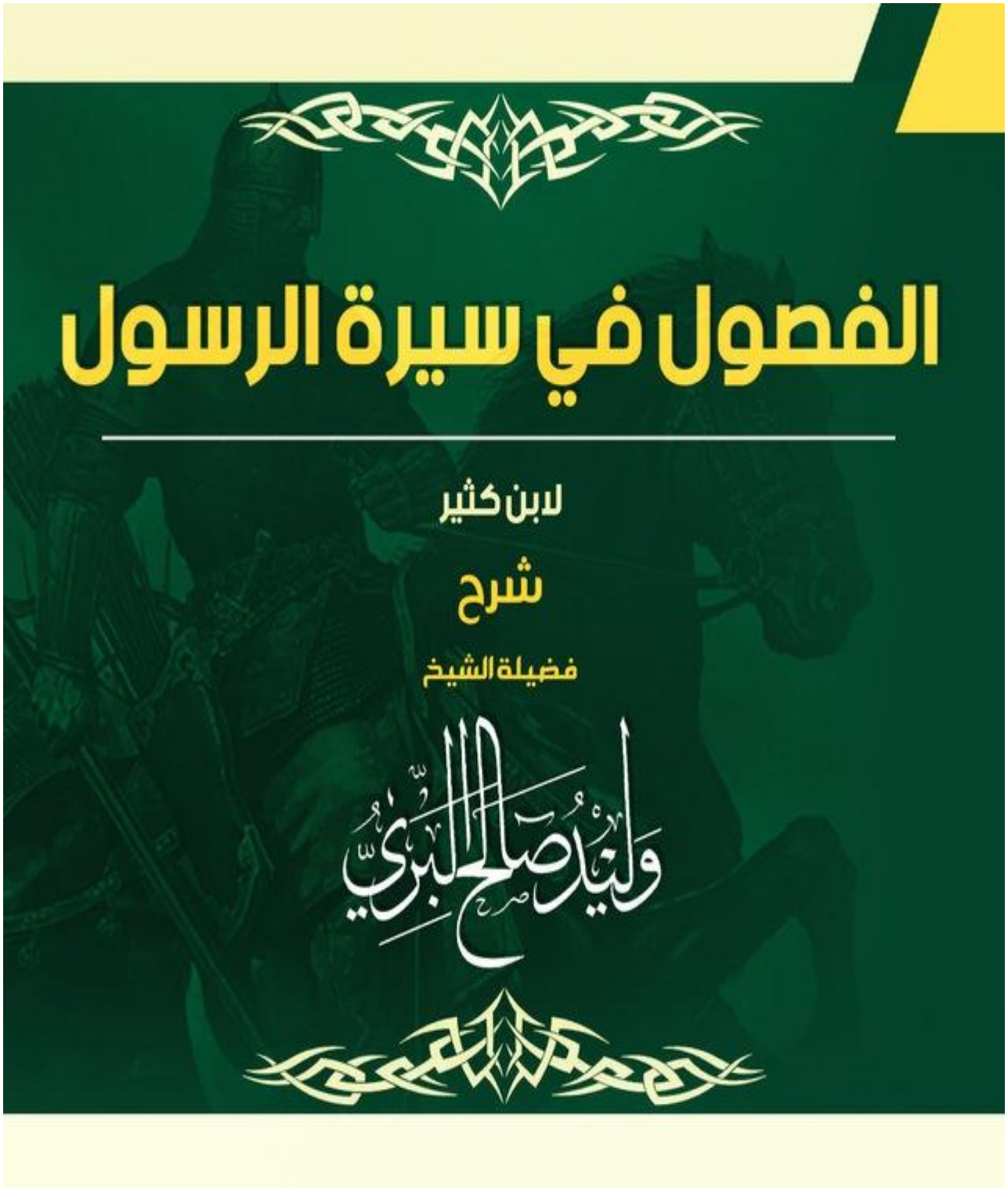

هذه المادة هي تفريغ صوتي للمحاضرات ولم تُراجَع من قِبَل الشيخ

وهي للمدارسة فقط

الجزء الأول

فهرس الموضوعات

مقدمة..... 2

فصل: ذِكْرُ نَسَبِهِ ﷺ..... 53

فصل: نَسَبُهُ ﷺ بَعْدَ عَدْنَان..... 69

فصل: وِلَادَتُهُ وَرَضَاعُهُ وَنَشْأَتُهُ..... 80

فصل : مَبْعَثُهُ ﷺ..... 112

فصل: فِتْنَةُ المُؤْمِنِين مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَالهِجْرَةُ إِلَى الحَبَشَةِ..... 137

فصل: مُقَاطَعَةُ الْمُشْرِكِينَ لِبَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ..... 156

فصل: عَامُ الحُزْنِ وخُرُوجُ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ..... 163

فصل: الإِسْرَاءُ وَالمِعْرَاجُ وَعَرْضُ النَّبِيِّ ﷺ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ..... 169

فصل: حَدِيثُ سُوَيْدِ بْنِ الصَّامِتِ، وَأَنَسِ بْنِ رَافِعٍ، وَإِسْلَامُ إِيَاسِ بْنِ مُعَاذ..... 191

فصل: بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الأُولَى وَالثَّانِيَةِ..... 196

فصل: هِجْرَةُ رَسُولِ الله ﷺ..... 220

فصل: دُخُولُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْمَدِينَةَ..... 261

فصل: اسْتِقْرَارُهُ بِالْمَدِينَةِ..... 263

فصل: مُوَادَعَةُ الْيَهُودِ، وَالْمُؤَاخَاةُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَفَرْضُ الزَّكَاةِ..... 267

فصل: فَرْضُ الْجِهَادِ..... 275

فصل: غَزْوَةُ الأَبْوَاءِ..... 282

فصل: غَزْوَةُ بُوَاطٍ..... 289

فصل: سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ إِلَى نَخْلَةَ، وَالْقِتَالُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ..... 293

فصل: تَحْوِيلُ الْقِبْلَةِ ، وَفَرْضُ الصَّوْمِ وَزَكَاةِ الْفِطْرِ..... 302

فصل: غَزْوَةُ بَدْرِ الْكُبْرَى..... 312

فصل: عِدَّةُ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا 350
فصل غَزْوَةُ بَنِي سُلَيْمٍ 353
فصل غَزْوَةُ السَّوِيقِ 355
فصل: غَزْوَةُ ذِي أَمَرٍ 358
فصل: غَزْوَةُ بُحْرَان 358
فصل: غَزْوَةُ بَنِي قَيْنُقَاعَ 359
فصل: قَتْلُ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ 364
فصل: غَزْوَةُ أُحُدٍ 370
فصل: غَزْوَةُ حَمْرَاءِ الأَسَدِ 419
فصل: بَعْثُ الرَّجِيع 432
فصل: بَعْثُ بِئْرِ مَعُونَةٌ 441
فصل: غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ 456
فصل: غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ، أو غزوة نَجْدٍ 467
فصل: غَزْوَةُ بَدْرِ الثَّالِثَةَ 484
فصل: غَزْوَةُ دُومَةِ الْجَنْدَلِ 485
فصل: غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ – أو: الأَحْزَابِ 487
فصل: غَزوةَ بَنِي قُرَيظة 523
فصل: قَتْلِ أَبِي رَافِعٍ سَلَامِ بنِ أَبِي الْحُقَيْقِ 539
فصل: غَزْوَةُ بَنِي لِحْيَانٍ 544
فصل: غَزْوَةُ الْغَابَةِ – أَوْ: ذِي قُرُد 545
فصل :غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَزَوَاجُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنْ جُوَيْرِيَة، وَقِصَّةُ الإِفْكِ 548

المحاضرة الأولى

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد،، اليوم إن شاء الله بعون الله نفتتح درس جديد؛ في السيرة النبوية الشريفة، ونسأل الله عز وجل أن يثبت علينا هذا الخير، وأننا دائمًا نحسن الظن بربنا عندما نبدأ في درس وفي كتاب، نسأل الله عز وجل أن يمن علينا بإتمامه، والإستفادة منه. فنسأل الله عز وجل – في شروعنا في هذا الدرس الجديد – أن يرزقنا فيه أولًا الإخلاص، وأن تكون النية فيه التقرب إلى الله عز وجل بتعلم هذا العلم، والعمل به، ونيل رضا الله عز وجل، وأن يثبت لنا هذا الخير، وأن يبارك لنا فيه ويزداد.

والكلام إن شاء الله في هذا الدرس عن السيرة النبوية؛

مقدمة

- السيرة النبوية من أعظم المواد التي لابد أن نقرأ فيها ونتعلمها وندرسها. الأمم قاطبة؛ كل الأمم تجدها تهتم بأخبار القادة والزعماء والتواريخ، وهي تؤرخ لها وتكتب وتحاول أن تثبت تواريخها وزعمائها وقادتها، وتتكلم عنهم حفاظًا على إرثها، يعطوه هذا إرث لكل أمة. فلا عجب أن يهتم المسلمون بتاريخهم، ولابد أن تعرف الأجيال الحالية واللاحقة ما حدث في القرون السابقة، وما حدث في الأزمنة القديمة، وما حدث مع خير البشر؛ وهو نبينا صلى الله عليه وسلم، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم.
- وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، حياته ومعرفة أحواله لم يهتم بها أهل الإسلام فقط، بل اهتم بها الكفار أيضًا في دراستها؛ أي كثير من غير المسلمين ممن أعجبهم الإسلام، حتى وإن لم يسلموا، تجدهم درسوا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا يحرصون على قراءة هذه السيرة والنظر فيها، إما بهدف الإعجاب بها، أو بهدف حتى نقدها، أو بيان ما فيها من أمور غير صحيحة، لكن كانوا يهتمون بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم.
- وحقيقة دراسة السيرة النبوية هي ليست كدراسة سيرة بطل من الأبطال مثلًا، أو قائد من القادة! لا النبي صلى الله عليه وسلم – وإن كان هو طبعًا خير البشر وهو أفضل الزعماء والقادة وهو بطل الأبطال – لكنك لا تقرأ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ولا تتعلمها لأجل المعرفة فقط كما يظن كثير من الناس، أنك بتقرأ لمجرد لتعرف ماذا حدث، أو لإشباع رغبتك في الاستطلاع، أو أنك تريد أن تزيد الرصيد المعرفي لك في أنك بتتعرف على السيرة وتقرأها !
- لا ليس هذا المراد ولا الهدف الصحيح من دراسة السيرة النبوية، يجب أن تكون دراسة السيرة النبوية لها أهداف واضحة، وأن تكون دراسة السيرة النبوية – سواء من يدرسك أو أنت بنيتك في الدراسة أو طريقتك في القراءة والتدريس – أن تربط السيرة النبوية بمقاصد الشريعة

وتربطها بأحوال المتعبدين، أيضًا وأنت تدرسها تبحث عن الهدى المستقيم والصراط المستقيم، أنك تريد في دراستك للسيرة كغيرها من العلوم مرضاة رب العالمين.

- لأن السيرة أصلًا هي مصدر من مصادر التشريع؛ كما سنبين أن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم هي تطبيق لما نزل عليه من الوحيين؛ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم هي تطبيق لما جاء في القرآن، ولما جاءت به السنة، تطبيق حي حدث في زمان معين بوقائع معينة.
- فمن يدرس هذه السيرة؛ لابد أن يدرك القارئ للسيرة النبوية أهمية هذه السيرة من الناحية التربوية، ومن ناحية التشريعية، وأحكام الشرائع، ومن ناحية الإجتماعية (اجتماع المجتمع والأمور الاجتماعية)، ومن الناحية الإدارية، ومن الناحية السياسية أيضًا، لأن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم هي تطبيق عملي لنصوص الوحي في كافة نواحي الحياة.
- ولذلك على المرء وهو بيقرأ أن يعي ذلك جيدًا، ولا يقرأ هكذا لمعرفة أخبار وتواريخ وتسلية؛ قصص ! لا، السيرة تقرأ وتدرس حتى يُستَخرج منها كنوز، ويُستفاد من العبر التي فيها.
- ومن متابعة السيرة وتتبع ما فيها، فأنت بتنال خيرًا كثيرًا، لأنك بتتبع ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم من أقوال وأفعال، وأيضًا سنأتي حتى في شمائل النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته الخُلُقية والخَلْقية، كل هذه لها فوائد عظيمة من دراستها وتتبعها.
- فالسيرة حقيقة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم سيرة عطرة مليئة بالكنوز والدروس والعبر، لكن لا يدركها إلا من تعلمها بهذا القصد.

ما هو القصد التي تتعلم به السيرة؟

- قصد الاتباع لصاحبها؛ وهذه نية لا بد أن نستحضرها جميعًا ونحن ندرس السيرة؛

وهي عدة نوايا:

- طبعًا النية الأولى: الإخلاص لله عز وجل في ذلك، والتقرب بالدراسة هذه لله، وأن تريد رضا الله وطاعة الله بدراسة السيرة وتعلم ما فيها، كباقي العلوم، لكنها من الأهمية بمكان وأنت

تدرس السيرة أن تدرسها بقصد الإتباع لصاحبها؛ وهو النبي صلى الله عليه وسلم، وبقصد التربية على مقاصدها التي مقصود بها.

- لذلك السيرة ليست قصص! لا، السيرة مادة تربوية سلوكية تبني الشخصية السوية الكاملة، وتُقوَّم السلوك المعوج.
- وأنا قاصد أن أركز على هذه النقاط في الدراسة للسيرة، لأن كثير من الشباب، بل من الناس، يدرس السيرة على أنها قصص وحكايات ومعرفة التواريخ فقط! وليست دراسة السيرة لذلك.
- بل أن الاهتمام بالسيرة كان دأب العلماء والدعاة والمربيين، كل منهما في بابه لابد أن يهتم بالسيرة؛
  - من أراد أن يكون مربيًا لابد أن يهتم بالسيرة ويدرسها حتى يستطيع أن يكون مربيًا؛
  - من أراد أن يكون داعيًا لابد أن يرجع للسيرة ويتقن السيرة ويعلم كيفية الدعوة؛
  - من أراد أن يكون عالمًا فلابد له من الإطلاع على السيرة، كل في بابه.

فالمُرَبّي؛ سينظر لكيفية تربية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه، كيف لما يدخل عليه الشاب ويقول للنبي صلى الله عليه وسلم: [**ائذن لي في الزنا**] والصحابة يجلسون حول النبي صلى الله عليه وسلم كادوا يفتكون به. فانظر كيف يربي النبي صلى الله عليه وسلم هذا الشاب، فقال: " أترضاه لأمك؟ لأختك؟ لخالتك؟ لعمتك؟ يبين له، وقال "وكذلك الناس لايرضاهم لبناتهم"، ثم يرشده إلى ما يفعله. فانظر إلى التربية من النبي صلى الله عليه وسلم وكيف ربَّى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه.

فهذا الذي يريد أن يربي النشأ لابد له من دراسة السنة ومعرفة ما فيها حتى يستطيع أن يستخلص كيفية تربية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه، سواء من مكة؛ من بداية البعثة، إلى وفاته صلى الله عليه وسلم.

الداعية؛ الذي يريد أن يدعو الناس إلى دين الله عز وجل، وأنت تدعوهم إلى الخير وإلى الصلاح لابد أن تدرس السيرة، حتى تعلم:

- كيف كانت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم في مراحل حياته للناس؟
- كيف دعا في مكة وكيف كان يدعو الكفار الأصليين، وكيف يدعو حتى العصاة عندما يريد أن يرشدهم إلى الحق؟
- كيف دعا بعد ذلك وانتقل بدعوته من مكة إلى المدينة؟
- كيف كان يتعامل مع اليهود والنصارى والمشركين في دعوتهم؟

فمن أراد أن يكون داعيًا، لا يتأتى له ذلك إلا بالرجوع إلى السيرة، ودراسة كيفية الدعوة، وطريقة وأسلوب ومنهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة.

ومن أراد أن يكون عالمًا أو طالب علم؛ لابد له من دراسة السيرة، لأن السيرة كما سنبين هي ترجمة لما نزل من الآيات وأحاديث. ففيها ما فيها من الأحكام؛

- كيف فعل النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الأنفال، وفي الأحزاب، وفي أحد؟
- كيف فعل في الغنائم؟
- كيف فعل في أحكام الجهاد؟
- كيف فعل في المرأة التي جاءت وظاهر منها زوجها؟
- كيف حدث في مسألة الزنا وتطبيقه للحدود والرجم وقاطع يد السارق؟

كلها تجدها في السيرة من مواقف النبي صلى الله عليه وسلم. فالعالم أيضًا لابد له من دراسة السيرة حتى يستطيع أن يراجع الأحكام ويستخرج من هذه السيرة الأحكام الشرعية التي هي جاءت ترجمة كما قلنا وتطبيقًا لما نزل في الكتاب ومن السنة.

فالسيرة حقيقة دراستها تجب بصفة عامة، سواء على العلماء والدعاء والمربين، بل وعلى عموم المسلمين أيضًا، لأن كما سنبين دراسة السيرة لها أهمية عظيمة جدًا للناس عمومًا، وللخاصة كما بينا.

فالسيرة منهج عظيم في دراسته، وهذا الذي لو نظرنا وتتبعنا كيف تعامل الصحابة مع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ستجد أنهم بهذا التعامل وصلوا إلى هذه المرتبة العالية بعد ذلك.

علي ابن الحسين بن زين العابدين قال: "كنا نُعلَّم مغازي النبي صلى الله عليه وسلم كما نُعلَّم السورة من القرآن".

إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص – رضي الله عن سعد بن أبي وقاص ورحم الله محمد واسماعيل – قال: " كان والدنا يحفظنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعدها علينا" ، ويقول : " هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكراها". يذكرهم بغزوات النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة ويقول لهم هذه مآثر أباءكم من الصحابة و أجدادكم فلا تضيعوها؛ أي تحفظوها وتتنقلوها وتنقلوها أصالة.

فكان هذا تعامل الصحابة مع من بعدهم في نقلهم للسيرة لهم.

لكن جيل الصحابة رضوان الله عليهم، ثم التابعين حقيقة والذين يلونهم أيضًا، هم أرقى أجيال الأمة، هم أقواها كما نعلم، علمًا وفضلًا وأثرًا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: [خيرُ القرونِ قرْني, ثمَّ الَّذين يلونَهم, ثمَّ الَّذين يلونَهم]. فالصحابة والتابعين وتابعي التابعين حقيقة هم أكثر الناس علمًا وعملًا وأثرًا.

فكانوا حقيقة قادة، كانوا سادة، كانوا معتزين بمنهجهم ومؤثرين في غيرهم بهذا المنهج. لأنهم هم الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة ابتداء، فاعتزوا بهذا المنهج؛ بهذه الأحوال والوقائع التي عاصروها مع النبي صلى الله عليه وسلم.

فحققوا السيرة النبوية في أنفسهم، ثم نقلوها لمن بعدهم من التابعين. فكانت لهم الريادة في كل الميادين، وكانت الأمة الإسلامية في وقتها من أعلى الأمم، ومكّن الله عز وجل لهذه الأمة في وقتها، ففتحت الفتوحات حتى صرنا على مشارف أوروبا، بل دخلنا قرب باريس ودخلنا في أندلس – التي هي الآن أسبانيا – وغير ذلك شرقًا وغربًا وكانت الريادة للأمة في هذا الوقت ونشروا فيها العدل، ونشروا فيها الإسلام، ونشروا فيها الأمن في كل مكان، ونشروا أخلاق المسلمين، كما قلنا بلاد أندونيسيا فُتحت ليست بالقتال، بل فتحت فقط بأخلاق التجار المسلمين؛ نزلوا أندونيسيا يتاجرون والناس كانوا على شرك، ولم يكونوا على توحيد، ولما وجدوا من أخلاق أهل الإسلام فدخلوا في الإسلام.

وهذا كله هو حقيقة لو تجدوا تطبيق لمنهج النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته. ونحن الأمة الآن أحوج ما يكون إلى هذا المنهج، نحن في أشد الحاجة إلى دراسة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، والاعتزاز بهذه السيرة، وأن نرفعها إلى مكان الصدارة والريادة، حتى يتحقق لنا القيادة، فإن أردنا القيادة والريادة، وإن أردنا أن يعود لنا هذا التمكين، فلابد لنا من العودة لدراسة السيرة دراسة صحيحة أيضًا، لأن الله عز وجل وصف هذه الأمة بالخيرية:

- { كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمران: 110].
- وقال في آية اخرى: {مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَـٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} [الحج: 78]

كيف نكون شهداء على الناس؟ شهداء على الناس أي ننقل لهؤلاء الناس هذا المنهج الرباني. هذا الذي حدث مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، السيرة وغير ذلك.

طبعًا النبي صلى الله عليه وسلم هو خاتم الرسل، وقد أُنزلت عليه الرسالة، {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} صلى الله عليه وسلم، عنه وهو الذي قال فيه الله عز وجل: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ

لَفِي ضَلَٰل مُّبِين} [الجمعة: 2]. فالرسول صلى الله عليه وسلم هو مبلغ، هو معلم الكتاب، وهو مبلغ الوحي إلى عباد الله عز وجل؛ إلى أصحابه وإلى من جاء من بعده، وهو الذي زكى النفوس بهذا الوحي، وهو الذي نقى القلوب من الضلالات وغيرها ومن الأهواء ومن الانحرفات.

وهذا كله ظاهر في سيرته؛ كيف أن صلى الله عليه وسلم طبَّق ما نزل في آيات القرآن، وكيف فعل ذلك.

فحتى نكون نحن شهداء على الناس، لابد أننا نحقق هذا المنهج في أنفسنا، ثم ننقله للناس ونبلغه للناس. لذلك كان على الأمة أن تعود إلى دراسة هذه السيرة العطرة، وتطبقها، ثم تنقلها للناس بعد ذلك بكاملها، كما نقلت إلينا بكاملها، حتى تتحقق السيادة والريادة لهذا الجيل، كما حُقِّق السيادة والريادة للجيل الأول، وطُبِّق في ذلك، فهم كانوا يطبقون السيرة تطبيقًا عمليًا، وما كانوا يقرؤون ويتنادرون ويجلسون في مجالس يذكروا بعضهم: هل تذكر الغزوة كذا، أو تذكر المكان! لا، ما كانوا يجلسون ليتسامرون هكذا، بل كانوا يطبقون هذا تطبيقًا عمليًا لنصوص القرآن والسنة.

وهذه من أهم الأمور، **ومن ثمرة تعلم السيرة النبوية** أنك كما قلنا تتابع ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وتطبق ما طبقه النبي صلى الله عليه وسلم، حتى يظهر لنا جيلًا؛ هو جيل النهضة، جيل التمكين، الذي يفتح الله عز وجل به، ويكون له الريادة كما كان لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان معه من التابعين.

دراسة السيرة لها ثمار ولها أهمية كبيرة ولها منافع كثيرة، قبل أن أدخل فيها نُعَرِّج عليها بقدر ما نستطيع، لنستحضر فائدة وثمار السيرة.

ما هو تعريف السيرة؟

سنحاول تناول السيرة ليس سردًا فقط، بل كيف نستنبط كما استنبط علماؤنا من هذه القصص والأحوال أمور كثيرة، ما نستطيع أن نستنبط منها ونتعلم ما فيها ونبرزها لأن هذه لها أهمية، كما قلت دراسة السيرة: استخراج ما فيها من أمور اجتماعية وسياسية وإدارية ودينية وحياتية، وهذه كلها مما حدث مع النبي صلى الله عليه وسلم في حياته، وأيضًا ما حدث من الصحابة، وإن كنا معنيين بدراسة الكتاب الذي معنا سنبينه بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم فقط إلى وفاته.

معنى السيرة في اللغة:

لها أكثر من معنى؛

1-السيرة هي الطريقة في الشيء؛

2- أو هي السنة؛ لأن قالوا أنها أصلًا جاءت من معنى: (سار- يسير- سيرًا) ففيه معنى السير، أي فيه معنى الطريقة أو السنة، لأن السنة تجري أيضًا؛

3- الهيئة؛ فممكن أن تكون بمعنى ذلك؛

4-والبعض قال أيضًا بمعنى: أحاديث الأوائل، لقوله تعالى: {سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ} [طه: 21] ، فبعض أهل العلم في التفسير قالوا: يقصد بها هنا: حدَّث أحاديث الأوائل.

فإذن كل هذه مفردات لمعنى السيرة، أن نقول هي الطريقة، هي الهيئة، هي السنة، هي أحاديث الأوائل، كل هذه معاني مفردات السيرة.

معنى السيرة في الاصطلاح:

السيرة لها عدة اصطلاحات؛

1-لو نظرت لمعنى السيرة عند المحدثين مثلًا؛ **عند علماء الحديث:** يُقصَد بها طريقة النبي صلى الله عليه وسلم.

2-**عند علماء العقيدة والأصول أو التاريخ:** يقصدون بالسيرة: أخبار النبي صلى الله عليه وسلم ومغازيه. أي عندما تتكلم عن السيرة عند علماء التاريخ يقصد بما حدث في زمان النبي صلى الله عليه وسلم سلم كأخبار والتاريخ الموجود أصالة.

لو أردنا أن نعرف السيرة اصطلاحًا نقول:

هو دراسة حياة النبي صلى الله عليه وسلم بأخباره، وأخبار أصحابه على الجملة.

وممكن لو أردنا أن نزيد تفصيلًا: وبيان أخلاقه، وصفاته، وخصائصه، ودلائل نبوته، وأحوال عصره.

كأنه تفصيل بعد الإجمال. أي وأنت تدرس الحياة: بيان أخلاقه، وخصائصه، ودلائل نبوته، وأحوال عصره، كل هذا يدخل في دراسة السيرة. فممكن أن تقول بأن السيرة النبوية: كل ما يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم وأحوال عصره وأحوال أصحابه، كل هذا ممكن تقوله في معنى السيرة.

نريد أن نسلط الضوء على فوائد تعلم السيرة.. لماذا نحن نحرص على تعلم السيرة؟ وما الاستفادة من أن نتعلم السيرة؟

حقيقة، عدة نقاط اجتهد فيها العلماء، وكل واحد أدلى بدلوه وتصور، لكن هناك نقاط أساسية، أو أمور أساسية لا يختلف عليها أحد:

1-نقول من أهم أسباب أو من أهم ثمار تعلم السيرة هو **تقوية الإيمان واليقين في قلوب المسلمين**

- وهذه من أعظم الآثار، أو الفوائد، أو الثمرات أو أسباب الإهتمام بدراسة السيرة هو: تقوية الإيمان واليقين في قلوب المسلمين، وأنه مهما تكالبت عليهم الأمور وتقَوَّى عليهم الشيطان، فإن لهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، ولهم في الصحابة الكرام أيضًا الأمثلة العملية.
- قال تعالى: {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَة} [الأحزاب: 21]، فأشد الناس ابتلاء هم الأنبياء، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، وأكثر الأنبياء ابتلاء هو النبي صلى الله عليه وسلم. فأنت مهما مَرَّ عليك من ابتلاء، ومهما مَرَّ عليك من ضيق، ومهما مَرَّ عليك من حزن أو هم أو غم، فلا يمكن أن يكون مثل ما مَرَّ على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أيضًا.
- بل حتى أصحابه، كما جاء في حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: **[شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة...]**
- وهذا كان في مكة قبل الهجرة – قال: **[ألا تستنصر لنا؟!]** . إن شاء الله لما ندخل في تفاصيل السيرة تتصوروا كيف كانت الشدة على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في مكة؛ خرج بدين جديد، كما يقال، في وسط قوم كلهم كفار يعبدون الأصنام، وهو يريد أن يدعوهم إلى التوحيد، وليس معه لا قوة ولا منعة ولا شيء، ويخرج عليهم بهذا الأمر، وعُذِّب من عُذِّب من أصحابه كثيرًا وأوذوا، حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم أوذي.
- فيأتي خباب بن الأرت وقال:**[شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة ، فقلنا : ألا تستنصر لنا ؟!، ألا تدعو لنا]** أي ادعو ربنا واستنصر لنا الله عز وجل يرفع عنا ما نحن فيه.

- انظر ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم تربية؛ فهو يربيهم، **فقال صلى الله عليه وسلم: [قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض فيُجعل فيها ، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه لكنكم تستعجلون].**
- النبي صلى الله عليه وسلم يقول لهم في هذا: "لكنكم تستعجلون"، ثم بيّن لهم أعظم ما هم عليه، أن الرجل كان يؤتى به في من كان قبلكم، يحفر له حفرة، يوضع في الحفرة، يأتي بالمنشار، يقسم بالمنشار نصفين، ويفصل لحمه عن عظمه ما كان يرده ذلك عن دينه شيء.
- فهم يسألون النبي صلى الله عليه وسلم أن يستنصر لهم فبيَّن لهم أن الذي أنتم فيه، مع أنه شدة ما بعدها شدة، لكن أين أنتم مِن مَن كان قبلكم! ومع ذلك كانوا يمسكون على الدين.
- والحق أنها تربية، لأن الصحابة مسكوا على هذا الدين وما رجعوا. لكن انظر لتربية النبي صلى الله عليه وسلم لهم، لما جاءوا يطلبون النصر منه، لم يقل لهم: أنتم مساكين، أنتم ضعفاء، أنتم كذا، إن شاء الله ستحتملوا ! لا، أراد أن يقَوِّي ما عندهم أكثر، افآتاهم بمثل أعظم؛ أن القرون التي قبلكم كانوا أشد منكم في ذلك وكانوا بيتحملوا، ثم بين لهم يقينًا أن الله سيتم هذا.
- هذه من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم والنبوئات وتصبيره لهم، أن الله سيتم هذا الأمر بخير، وقد أتمه الله عز وجل على النبي صلى الله عليه وسلم حتى مات وقد انتشر الإسلام في ربوع الجزيرة، ثم خرج بعد ذلك إلى بلاد العالم بالكلية.

- فأنت عندما تدرس هذه السيرة، يقوى في قلبك الإيمان، وتعلم إن النبي بيربي أصحابه ، وإن مررت عليه أنت في زمنك، فما دمت على الحق ومستمسك بالدين، فلا تخشى شيء، ولا تخاف من شيء، وتثبت على ذلك. وهذا يتأتى لنا بدراسة السيرة.

2–من الأمور الهامة في دراسة السيرة أيضًا **أنك تقف على كثير من الأحكام الفقهية؛**

- كما سيأتي معنا هي السيرة سرد لأمور حدثت مع النبي صلى الله عليه وسلم، فكما ستجد فيها أحكام تربوية، ستجد أحكام فقهية.
- فأنت عندما تدرس السيرة بتتعرض لأحكام فقهية بتستنبطها أو تتعلمها من المواقف التي تُنقَل لك في السيرة.
- وكم من أحكام الفقهية حدود؛ ومعاملات، ونكاح، وعقود، وأشياء طبعًا في الصلاة، وغير ذلك، وفي الحج.
- رحلة الحج للنبي صلى الله عليه وسلم هي كلها بتدرس في كتب الحج في الفقه، قال : [خذوا عني مناسككم]، فكان الصحابة يصفون كل ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في الحج. فأحكام الحج كلها أُخِذَت من رحلة الحج للنبي صلى الله عليه وسلم.
- فدراستك أيضًا للسيرة النبوية تساعدك فقهيًا، لأنك بتُثَبِّت عندك المواقف التي حدثت بآثارها، وأحاديثها، أو آياتها، فتستطيع أنك أيضًا تستنبط الأحكام الفقهية.
- لأن النبي صلى الله عليه وسلم في سيرته كان له أكثر من شخصية كما يسمونه، وهناك كتاب ماتع جدًا اعتقد لابن القيم، بيتكلم في شخصيات النبي صلى الله عليه وسلم؛ أي النبي صلى الله عليه وسلم لما كان نبيًا، ولما كان قائدًا للجيش، ولما كان ولي أمر للمسلمين، ولما كان أبًا يزوج ابنته، ولما كان زوجًا ماذا فعل، ولما كان داعية، ولما كان حكمًا، ولما كان قاضيًا مثلًا، وهكذا.
- فتجد هناك شخصيات للنبي صلى الله عليه وسلم تستطيع من خلال السيرة أنك تستنبط منها أيضًا أحكام في ذلك.

- لذلك كثير ما تجد أن السيرة كاشفة لكثير من أسباب نزول الآيات؛ أي تجد آيات في القرآن، فإذا كنا في السيرة تجد هذا الموقف حدث كان سببًا في نزول آية كذا، فتجد أن السيرة تكشف لك أسباب النزول التي يتكلم عنها المفسرين في أسباب نزول الآيات، أنها تكون بسبب أحداث غزوة معينة، أو واقعة معينة، أو غير ذلك.

فهذه تستطيع وأنت بتدرس السيرة تستفيد من ذلك؛ بأنك تتعلم وتضبطها مع التفسير، بأنك بتعلم أسباب نزول بعض الآيات عن طريق معرفتك بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا.

3- من أهمية دراسة السيرة أنك بتتعرف على فضل الصحابة رضوان الله عليهم؛

- أنك وأنت بتدرس السيرة لابد أنك ستتعرف على الصحابة، ففيها معرفة فضل الصحابة، وكيف أن الصحابة جاهدوا مع النبي صلى الله عليه وسلم؛ جاهدوا بلسانهم، وجاهدوا بسنانهم، وكيف كانت صحبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم، وكيف تطبيقهم لهذا النهج بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا، وأنهم استمروا على هذه الطريقة.
- فأنت عندما تدرس السيرة بتتعرف على الصحابة، وتعرف فضل الصحابة، ويزداد عندك حبك للصحابة رضوان الله عليهم لما ترى مواقف الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم في كل موقف تفصيليًا، فهذا يزيدك حبًا للصحابة، وهذا منهج أهل السنة والجماعة كما كنا نتكلم الأسبوع الماضي في "لماذا نحن أهل السنة والجماعة؟" لأن أهل السنة والجماعة أولًا هم أهل الجماعة لأنهم عدَّلوا وقبلوا كل الصحابة رضوان الله عليهم، ولم يقدحوا في صحابيّ؛ كل الصحابة عندنا عدول، كل الصحابة عندنا أهل قبول؛ قَبِلنا كل الصحابة. وهذا الفرق بيننا وبين غيرنا الذين سبوا بعض الصحابة، والذين كَفَّروا بعد الصحابة، والذين يتكلمون في الصحابة هم ليسوا من أهل الجماعة، وليسوا من أهل السنة. أما أهل السنة والجماعة هم الذين علموا حق الصحابة وفضلهم فقبلوهم.

- لذلك السيرة تساعدك على ذلك وتعلم فضل الصحابة وكيف كان حالهم مع النبي صلى الله عليه وسلم.

4-بدراسة السيرة أيضًا تعلم أنك بتدرس سيرة رجل ليس عاديًا؛ وهو النبي صلى الله عليه وسلم؛

- فأنت بتدرس تاريخ أعظم مخلوق خلقه الله عز وجل على ظهر هذه الأرض منذ خلق آدم عليه السلام إلى يوم القيامة.
- قال تعالى لما أراد أن يزكي النبي صلى الله عليه وسلم قال: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيم} [القلم: 4]. وطبعًا هنا (على خلق عظيم) لها أكثر من تفسير؛ بعضهم أخذوه على الأخلاق، وتفسير آخر وهو تفسير صحيح أيضًا: وإنك لعلى دين عظيم؛ الخلق هنا بمعنى الدين، أي أنك على خلق عظيم وأنك على دين عظيم، أو أنك لعلى خلق عظيم أيضًا بأخلاقك وشمائلك، وغير ذلك.

5-وأنت عندما تدرس سيرة النبي صلى الله عليه وسلم أنت تعلم بأنك لن تدخل الجنة إلا خلف النبي صلى الله عليه وسلم. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: [كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ، قالوا : يا رسول الله ومن يأبَى ؟! ، قال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى] فأنت عندما تعرف سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وتقتدي به وتتتبعه، فأنت قد ضمنت أنك خلف النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة بإذن الله تعالى.

بل كانت السعادة كل السعادة في اتباعك لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَة لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرا } [الأحزاب:21] ، وقال تعالى: {وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ} [النور: 54] . وأنت لن تتأتى لك الطاعة له والهداية إلا بمعرفة سيرته صلى الله عليه وسلم.

6-**أيضًا معرفة السيرة بتساعدك كثيرًا على الفهم الصحيح لآيات القرآن**؛ لأن كثير كما قلت من الآيات جاءت أو نزلت عن طريق أحداث حدثت ووقائع في السيرة، فأنت من خلال دراستك للسيرة بتستطيع أنك تفهم ذلك.

7-**من الأمور الهامة أيضًا في دراسة السيرة أنك تعتبر سيرة النبي هو الميزان**- وانتبهوا لهذا الكلام لأنه هو هذا الأصل الذي لابد أن نحيا عليه بعد ذلك- **فهو الميزان الذي تقيس به كل ما يكون في حياتك**.

- سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وهدي النبي صلى الله عليه وسلم هو الميزان الذي يُوزَن به كل ما جاء بعده.
- ذكر ذلك سفيان بن عيينة وهو عالم من علماء الحديث، قال عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **[هو الميزانُ الأكبر، فعليه تُعرضُ الأشياء، فما وافقها فهو الحق ، وما خالفها فهو الباطل]**.
- لماذا نقول هذا الكلام وهي مسألة مهمة، فأنت عندما ترجع لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وما حدث في وقته من أحداث ووقائع وتعامله معها، كان بيتعامل معها كـ ((**بَشَر**)) بشر اعتراه الشدة، والأذى، والضيق، والسرور، ومواقف حدثت له فتعامل معها ببشرية.
- صحيح أنه كان مؤيد في بعض الأحيان بمعجزات وكرامات، لكنه تعامل في زمانه (23 سنة البعثة)، أنه بشر.
- لماذا أنا أؤكد على أنه بشر؟ المنهج الذي عندك هذا – وهو السيرة- منهج بشري؛ أي بشر، نزل عليه هذه الامور وتعامل معها- صحيح أنه بوحي وهو هذا الذي معنا والوحي معنا-وهو تعامل بهذا الوحي، فجاهد، وانتصر، وفي بعض الأحيان لم ينتصر، دعا، ووقع في الصلح، وفعل كذا وكذا وكذا، أحداث ووقائع.
- لماذ أنا أقول (بالبشرية)؟ لكي ما يأتي أحد يقول لك: لا، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان معه وحي. نعم هو الوحي الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم هو معنا الآن،

فالوحي موجود؛ الكتاب موجود والسنة موجودة، الفارق أن النبي صلى الله عليه وسلم طبَّق الوحي الذي نزل عليه.

- فلما تأتيك الأحداث التي هي موجودة الآن، أو كانت موجودة من عصور سابقة، أو تأتي إلى قيام الساعة، فأنت عندك تجربة، وهي ليست تجربة قابلة للخطأ! لا، تجربة ربانية بوحي مؤيد عالج فيها النبي صلى الله عليه وسلم كيف يتعامل مع الكفار، كيف يتعامل مع المسلمين، كيف يدعو العصاه، كيف يقيم الحياة الإجتماعية في المدينة، كيف يقيم الحياة السياسية، كيف يقيم الحياة الإقتصادية، كيف يطبق شرع الله، كيف يدير مجتمع الأسواق. كل هذا تعرَّض له النبي صلى الله عليه وسلم في الثلاثة وعشرين سنة مع الصحابة، وخرجت الأحكام والمواقف والعبر من النبي صلى الله عليه وسلم.
- فأنت عندك الآن ميزان. فعندما يأتيك في أي زمن من الأزمنة اللاحقة بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وفي زماننا، ومستقبلًا، فترجع لهذا الميزان.
- فتعرف في الإقتصاد ماذا تفعل، في الشرع، في الحياة الإجتماعية ماذا تفعل، لأن عندي الآن دراسة تمت كاملة، وما مات النبي صلى الله عليه وسلم إلا وقد اكتمل كل شيء.
  - قال الله عز وجل: {ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ} [المائدة: 3]. فالدين اكتمل ولا يوجد شئ ناقص، والنبي صلى الله عليه وسلم في حياته كلها – لو نظرت للسيرة كما سيأتي – كل الأمور التي تعرض لها ما تجد مسألة من المسائل أو واقعة من الوقائع إلا وقد تعرض إليها، ورأينا كيف تعامل معها.
  - فأصبح عندنا هذا هو الميزان، كلما يأتي موقف نرجع للميزان، وتزن به، هذا الموقف افعل فيه كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم. لو ما فعلته، أكون خالفت الميزان.
  - لذلك من أهمية دراسة السيرة أنك عندما بتستخلص منها العبر والأحكام والمواقف التي تعرض لها النبي صلى الله عليه وسلم وفعلها، ستقول فعلها وهو بشر، فأنا بشر

صحيح، لكن الفارق أن النبي صلى الله عليه وسلم مؤيد ومعه معجزات، وقد تكون كرامات.

- هل ممكن تأتيك المعجزات والكرامات؟ ممكن تأتيك، وطبعًا المعجزات انتهت لكن الكرامات موجودة. **إذًا متى ستأتيك الكرامات؟** عندما تسير على الطريق.
- النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الأحزاب، وطبعًا اجتمع أهل الشرك كلهم، واليهود خذلوه في غزوة الخندق، وهو يحفر الخندق، وهم محاصرين لا يستطيعون حتى أن يذهبوا لقضاء الحاجة، وجاءت صخرة كبيرة ولم يستطع الصحابة أن يكسروها، فذهبوا للنبي صلى الله عليه وسلم يطلبوا منه أن يعاونهم، فضرب بالمعول، وهم يحفرون الخندق ثم قال (الله أكبر.. فتح كسرى)، وضرب ثانية: (الله أكبر.. فتح الروم). ويكبرون الصحابة ويؤيدونه، والمنافقين طبعًا يقولون" انظروا محمد ماذا يقول لأصحابه، يبشرهم بكنوز كسرى والروم، ولا أحد يستطيع منهم أن يذهب لقضاء حاجته).
- هذه الكرامة التي جاءت للنبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس والكفار بيحاصروه وهو لا يفعل شيء؟! أم الكرامة جائت له وهو قد أخذ الأسباب الشرعية لدفع هذا البلاء؟ فيحفر في الخندق، ويضع خطة عسكرية، ويجهز الناس، وحتى هذه الطوبة لا يستطيعوا كسرها، والنبي صلى الله عليه وسلم بتأييد من الله يضرب عليها فينكسر الحجر الكبير، ويُبَشَّر بمعجزات تأتي بعد ذلك.
- هذه البشرى... بماذا ترتبط؟ مرتبطة بالأسباب التي يأخذها شرعًا.
- لذلك أهل الإيمان كبَّروا، لأنهم يصدقون الله ورسوله، وأهل النفاق قالوا بماذا بيبشرهم وهم لا يستطيعوا أن يتحركوا من الخندق!
- فالأمر ليس لك، الأمر من عند الله عز وجل، لكن أنت ملزم بالأخذ بالأسباب.

- فالكرمات سستأتيك ستأتيك، حتى ما أحد يقول لك: (هذا زمن كان كله كرامات ومعجزات). لا، فالتجربة موجودة عندك، وهي ليست تجربة ما يصح أن نقول تجربة، هي سيرة النبي صلى الله عليه وسلم موجودة عندك.
- فنَفِّذ ما كان في السيرة في حياتك، وسيأتيك التأييد كما جاء التأييد للنبي صلى الله عليه وسلم والصحابة من الله عز وجل، كما وقف النبي صلى الله عليه وسلم يدعو في ليلة بدر، ثم بعد أن نزل من الدعاء، مشي إلى القوم، وقال هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، قبل أن تقوم المعركة. ومع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم كان مُجَهِّز أنه سيقاتل. وطبعًا هو لم يخرج للقتال أولًا كما سيأتي معنا، بل خرج للعير، لكنه أخذ، فجاءه أيضًا التأييد من الله.
- فلابد أن نعلم بأن هذه السيرة هي دراسة ندرسها لنطبقها، وأما التأييد سيأتيك لكنك عليك أن تستيقن بالله عز وجل، تستيقن كما استيقن الصحابة في النبي صلى الله عليه وسلم، وتستيقن أنت وتحسن الظن بالله وأنت تباشر الأسباب، فستأتيك الكرامات، ويأتيك النصر من عند الله عز وجل.
- وهذا في كل الحياة، فالمسألة ليست في القتال فقط، فحتى في حياتك، في اجتماعياتك، في تجارتك، في زواجك، في عبادتك، فالسيرة هي المعيار، هي الميزان لك في ذلك. لذلك دراسة السيرة وهدي النبي صلى الله عليه وسلم ميزان توزن به الأعمال.

8-أيضًا دراسة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم حقيقة من الأمور التي تزيد حبك للنبي صلى الله عليه وسلم؛

- فمع الفارق، أنت عندما تحب أحد من أهل الدنيا وتقرأ في سيرته، فكل ما تقرأ عنه أو تسمع له بتزداد حبا له، فالنبي صلى الله عليه وسلم كل ما أنت تقرأ وتدرس سيرة النبي صلى الله عليه وسلم – مع الفارق – فحبك للنبي صلى الله عليه وسلم عبادة،

وتؤجر عليه، بل هو من أعظم العبادات؛ يقول النبي صلى الله عليه وسلم: [لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين]، فلما سمع عمر رضي الله عنه، قال: (لأنت يا رسول الله أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي)، فقال: ((لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك))، فقال له عمر: فإنك الآن والله أحب إليَّ من نفسي، فقال: ((الآن يا عمر)).

- فنحن حبنا للنبي صلى الله عليه وسلم ليس له مقابل، بل مقدم على كل شئ من حب المخلوقين. وطبعًا حب الله عز وجل هو الحب الأعظم من كل شئ، ولكن حبك للنبي صلى الله عليه وسلم عبادة تؤجر عليها.
- فالنبي صلى الله عليه وسلم ما قَبِل، قال: (لا يؤمن أحدكم)، فمن تمام الإيمان حبك للنبي صلى الله عليه وسلم.
- لذلك دراستك للسيرة ستزيدك من حب النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا لوحده أجر، وهذا لوحده فضل.
- لذلك نقول "زيادة الإيمان"... لماذا؟ ستأتي زيادة الإيمان من دراستك للسيرة، فزيادة الإيمان بسبب حبك للنبي صلى الله عليه وسلم، بل هي تقوّي القلب. فهذه أيضًا من فوائد دراسة السيرة.

فهذه فوائد عرَّجْنا عليها بقدر ما نستطيع.

مصادر السيرة:

1-لا شك **القرآن الكريم** بيّن لنا بعض سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، فهناك آيات تبين والله عز وجل يتكلم فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم؛

- قال تعالى: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيما فَـَٔاوَىٰ ، وَوَجَدَكَ ضَآلّا فَهَدَىٰ ، وَوَجَدَكَ عَآئِلا فَأَغْنَىٰ} [الضحى: 6-8]؛يتكلم عن النبي صلى الله عليه وسلم في سيرته.
- وأيضًا تكلم بآيات عند نزول الوحي: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ، قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلا ، نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ، إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلا ثَقِيلًا} [المزمل: 1-5]،هذا قبل نزول الوحي
- ثم بعدها: قوله تعالى: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنذِرْ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ} [المدثر: 1-3]
- ثم تكلم أيضًا القرآن عن قصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش رضي الله عنها بعد أن كانت زوجة لزيد بن حارثة، ثم زوّجها الله عز وجل لما نزلت الآيات: {فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْد مِّنْهَا وَطَرا زَوَّجْنَـٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَج فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرا} [الأحزاب: 37].

فتجد في القرآن آيات تبين وتظهر لنا بعض سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

- وطبعًا سورة الأحزاب، وسورة الأنفال، وبعض آيات في آل عمران تبين لك كثيرًا عن بعض الغزوات.
- يبين لك بعض الأسئلة التي سأل عنها الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم: مثل قوله تعالى: {وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيل□ا} [الإسراء: 85] .
- ثم أيضًا جاءت حادثة الإفك؛ التي حدثت في حق عائشة رضي الله عنها وأرضاها، وفي سورة النور الله أنزل آيات في ذلك؛ عشرة آيات في سورة النور.

فتجد القرآن من مصادر السيرة.

2-**ثم <u>السنة النبوية</u>**؛ أيضًا حوت كثيرًا، أو هي جُل السيرة حقيقة وتفاصيل السيرة تجدها في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه ما رواه النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه، أو رواه عنه أصحابه رضوان الله عليهم؛

- **مثال:** قال [ما بعثَ اللَّهُ نبيًّا إلَّا راعيَ غنَمٍ، قالَ لَهُ أصحابُهُ: وأنتَ يا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ: وأَنا كُنتُ أرعاها لأَهْلِ مَكَّةَ بالقَراريط].

فكان يتكلم النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه ويبين بعض السيرة له، وكان الصحابة يُظهرون لنا وينقلون لنا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذا أصل أصيل حقيقة، السنة.

3-<u>ثم بعد ذلك الكتب المؤلفة في السيرة</u>؛

إذًا عندك مصدر أول (القرآن)، ثم (السنة) لتعرف سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، لأن بعض العلماء يقول لك أن تدرس السيرة عن طريق كتب السنة؛ فعندك الصحاح؛ (البخاري ومسلم)، وكتب السنن، فتجد فيهم كتب داخل الأحاديث تخص شمائل النبي صلى الله عليه وسلم، وصفاته الخُلُقية والخَلْقية وبعض السير التي فيه، فممكن أن تدرسها عن طريق كتب السنة المعتمدة. ثم <u>ممكن أن تدرس السيرة – وهذا المصدر الثالث – من خلال الكتب المؤلفة في السيرة</u>.

من يعلم بداية التأليف في السيرة؟

هناك كلام أنه بدأ في عهد معاوية، التأليف الفعلي، واستمر حتى عصر التابعين ومن بعدهم . والبعض يقول أن أول من بدأ هو عمر بن عبد العزيز؛ في زمان عمر بن عبد العزيز بدأ التأليف الفعلي عام 101فيما أذكر. لكن البعض يقول أنه بدأ في زمن معاوية رضي الله عنه،

ولكن المؤكد أن عمر بن عبد العزيز في زمانه كان هناك تأليفًا في 101 من بداية تأليف السيرة.

هذه المصادر عمومًا؛ مصادر السيرة، وطبعًا الكتب منها: سنتكلم عن الكتاب الذي معنا، والذي نحن إن شاء الله بصدد الدراسة منه، فنحن ما زلنا في المقدمة نتكلم عن السيرة، وأهمية السيرة، ودراسة السيرة.

هناك نقطة حقيقة أحتاج أن أبينها، فما نستطيع أن نغادر الكلام في مسألة السيرة ولا نسقط بعض الامور على ما نعيشه أو ما ظهر من المشاكل التي تعاني الأمة حقيقة منها في هذا الزمان – وأنا أقول (حقيقة) ،لأن ظاهرًا قد لا تجد الذي أقوله. لكن حقيقة وإن فتشت ستجد أن الذي نقوله صحيحًا.

فلا شك أن هناك تخاذل، وهناك تفريط في الإقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم، لكن في أي شيء؟ في (الضروريات)؛ في المقاصد الكبرى.

وانتبهوا لما أقول، فأنا أقصد شيء معين.

- نحن عندنا في الشريعة، هناك ضروريات، وهناك حاجات، وهناك تحسينيات. والأصل أننا نقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم في كل شيء. لكن الناظر لحال المسلمين تجد أن هناك تخاذل وتفريط في الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الضروريات والمقاصد الكبرى، مع أننا بنقتدي به في التحسينيات كثيرًا.
- فـ (التحسينيات) ليس فيها جهد، وليس فيها تضحية، وليس فيها بلاء.

- أما متابعة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته في (الضروريات والمقاصد الكبرى) هي التي فيها الاقتداء الحقيقي، وهي التي فيها الجهد، جهد وجهاد النفس حقيقة، وغير ذلك.
- فالبعض يقول البيئة الالتزامية موجودة، والناس بتعبد ربنا، المساجد بتصلي التراويح، – وطبعًا الفروض الخمسة لا تجد غير صف أو شيء ! وهذا اقل الجهاد في الضروريات، وهو أنك تحرص على الصلاة في المسجد مثلًا لتظهر الشعيرة– لا، ليس هذا هو التمكين فقط !
- **فالتمكين** أنك تتبع النبي صلى الله عليه وسلم في أركان الإيمان، في الضروريات، عند الفتن والابتلاءات، عندما يحتاج الأمر إلى جهاد حقيقي في النفس أو جهاد خارج النفس عندما يخص الأمر المقاصد الكبرى لهذا الدين.
- فكيف أنت ستضحي لقيام هذا الدين وتضحي لتعلو؟! مثلما قال النبي صلى الله عليه وسلم لخباب بن الأرت في الحديث الذي بدأنا به، لما قال: (ألا تستنصر لنا؟!) فقال أن الرجل كان يؤتى به ويشق نصفين ما يصده عن دينه.
- ودعونا نكون فقط منصفين لأن البعض يعلم لماذا نحن أحيانًا يتأخر علينا أو نشتكي من أنه لا يوجد نصر أو تمكين أو عزة، مع أنه بيظهر لنا أن هناك دين، والتزام، وغير ذلك. لكن عندما تتحقق في المسألة، تجد أننا بنأخد التحسينيات الظاهرة، أما المجاهدة المجاهدة وإدراك النبي صلى الله عليه وسلم فيما فعله وفي الضروريات فنحن بنبعد عن هذه المسألة.
- **ولذلك لماذا نحن نقول دراسة السيرة؟** لأن دراسة السيرة ستجعلك تدرس كل ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم في كل موقف. وليس أن تأخذ جزء وتترك أجزاء أخرى!
- صحيح أن المسألة دائرة على الاستطاعة والقدرة، لكن أيضًا قلت لك أنه كان (بشرًا)، وأنه كان معه وحي، فنحن ما علينا غير أننا ننفذ. فالرسول صلى الله عليه وسلم ما كان عليه إلا أنه حفر الخندق، أنه ضرب بالمعول، ثم بُشِّرَ وفُتِحَ له بعد ذلك، وأنه علم

الصحابة في مكة التوحيد، فغرز في قلوبهم التوحيد، فلما انتقلوا ونشروا، نشروا التوحيد وصدوا الشرك بالكلية.

- فهنا المقصد؛ أن نقول أن عندنا مشكلة أخرى بتتفرع عن المشكلة التي تكلمنا عنها؛ أننا بناخذ بعض التحسينيات، والتي أراها: (الدين اللي عاجبني)! أي، لو كان مظهر، لو كان بعض الأشياء لو كان أذهب للعمرة، سأصلي، سأحفظ بعض القرآن، لكن أين باقي الدين الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم؟! علينا أن ننفذه بالكلية.
- وهذه مسألة مهمة جدًا وستُظهرنا ونحن بندرس السيرة، وستُظهر لك ونحن بندرس السيرة أن الموقف هذا لماذا لا نفعل كذا؟ والموقف هذا لماذا فعل كذا؟ لماذا بناخذ بعض المواقف وباقي المواقف لا نأخذها ولا نتعامل معها؟

القضية الأخرى والمشكلة في ذلك أن نتيجة الذي قلناه الآن تحوَّل كثير من المسلمين – وأنا أقول في الازمنة المعاصرة– من التوكل إلى التواكل، وإلى الإرجاء، وإلى العجز مع التعامل فيما يصيب الأمة.

- فهم أصالة لم يأخذوا السيرة كاملة، وأخذوا ما يريدونه فقط، فما زالت الأمة بتبتلى، وهناك صعوبات؛ سواء على مستوى المجالات الموجودة.
- فالمفترض أنه لو كان بيطبق السيرة سيتعرض، ويدخل، ويطبق. لكن لأنه هو الآن لا يريد أن يفعل ذلك، أو ليس عنده القدرة، أو عنده تخاذل في التطبيق هذا، فتجده أنه بدلًا من أن يتوكل على الله ويفعل، لا، فهو يتواكل، يدَّعي التواكل، والعجز.
- ومنهم الذين تدروشوا؛ الذين ذهبوا عنده القبور وأصحاب القبور وظلوا عندهم هناك فقالوا نذهب للقبور ونأخذ من أصحاب القبور، ونقول لهم أي شئ فيساعدونا. فدخلوا في القبوريين، ودخلوا في البدع، والأمور الشركية، وغير ذلك.

- ومنهم بدلًا من أن يفعل ذلك، قال لك: "ليس عندنا حيلة"، يريد أن يجعل العجز ليس عنده، ولكن عند غيره، فيلقي اللوم على أي طرف آخر. فيقول لك: "أصل العدو الخارجي"، "أصل الضعف الموجود عندنا"، "أصل العمالة"، "أصل المنافقين"، "أصل كذا"، فهو يريد أن يُصَدِّر تخاذله في التطبيق بأنه يلقي اللوم على غيره وهو لا يفعل شيء.
- لكن أنت ممكن أن تقول هذا الكلام لو أنت متوكل على الله، ويقابلك معوقات ومنغصات، فتقول: "نعم أوقع الأمة المنافقين والذين يخذلوا أهل الإيمان هم المنافقين وغير ذلك" لكن وأنت بتسير، وأنت بتطبق.
- لكن بعض هؤلاء أرادوا الإرجاء وغيره لما عجزوا، وما استطاعوا، وما أرادوا أن يجاهدوا حق الجهاد، وهذا اختبار للإيمان؛ بأنك عندما تبتلى، كيف ستطبق؟
- فالناس بتفتن، مثل شخص عنده ضائقة مالية، وهو يعلم أن الربا حرام، لكن يقول لك: "ماذا أفعل؟" فيأخذ قرض ربوي. فالله عز وجل ضَيَّق عليك ليرى هل أنت فعلًا بتقيم الشرع أم لا؟ لا، فأنت ضُيِّق عليك في الرزق، أو عليك دين، أو ما عندك مال كثير، فتحتمل وتأكل بالحلال، لكن ما تذهب إلى الربا وتأخذ الربا ! لأنك لو أخذت بالربا فأنت تحارب الله عز وجل. فأنت لابد أن يحدث لك ذلك، والله عز وجل بيختبرك ليعلم ماذا تفعل. هذا مثال.
- أو شخص آخر لا يستطيع الزواج، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: [يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فإنَّه أغَضُّ لِلْبَصَر وأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، ومَن لَمْ يَسْتَطِعْ فَعليه بالصَّوْمِ فإنَّه له وِجَاءٌ]. فهو يقول: "لا أنا غير مستطيع" فيذهب ليفعل الفاحشة! فأنت فعلت كبيرة من الكبائر، والله ابتلاك نعم في هذا الأمر، قد تكون أنت تحتاج إلى الزواج، لكن ما استطعت، فعندك مخرج شرعي، وعندك أنك تصبر حتى يرزقك الله عزوجل بالزيجة الصالحة. لكن أنك تقول أنا لا أستطيع فأذهب أفعل ذلك كذا وكذا !
- فهذه ابتلاءات، وهذه مستويات، أنا أتكلم اجتماعي، أخلاقي، اقتصادي، سياسي، وغير ذلك، فأنت بتتعرض لهذه الابتلاءات والمحن حتى تُختبر: أنت حقًا متبع لسيرة النبي صلى الله

عليه وسلم ولشرع النبي صلى الله عليه وسلم أم المسألة عندك هوى! هنا شرع وهنا ليس بشرع !

- فظهرت هنا طائفة أصبحت كل ما تتكلم عن: "نريد عزة الأمة"، "نريد علو الأمة"، "نريد تطبيق كذا وكذا"، يقول لك: "ليس عندنا قدرة"، "ليس عندنا كذا"، "نحن مكبلين"، فهذا نوع من الإرجاء والعجز والتواكل.
- وهذا موجود في الأمة الآن، أنه يُخَذِّل الناس، أنه ترك السيرة، ولم يأخذ من السيرة إلا ما أراد فقط أن يأخذه منها.
- وهذه حقيقة مسألة أخرى أيضًا تحتاج لمعالجة والانتباه إليها على مستوى الجيل ككل، أو مستوى التدريس الذي يحدث. فهذه مسألة حقيقة نحتاج أن نبينها إن شاء الله أو نتدبرها ونحن بنتدارس السيرة النبوية.

لذلك أنا أريد أشير هنا إلى نقطة أيضًا مهمة؛ وهذه ليست لها علاقة بدرسي هنا فقط، بل حتى من أراد أن يقرأ السيرة منفردًا:

كيف تقرأ السيرة؟

- كيف أنك تقرأ؟ فليست قراءة السيرة أنك تأتي بكتاب وتقرأه كما تقرأ قصة، أو تقرأ شيء وتستمتع به والأمر ينتهي ! لا، فقراءة السيرة النبوية حتى تستفيد منها استفادة حقيقية تحتاج لنظام واضح المعالم وأنت بتدرس السيرة:

1- لابد تراعي وأنت بتقرأ السيرة النبوية أو وأنت بتدرسها، **أنك بتقرأ سيرة من أُنزل عليه وحي**.

- فأنت معتقد أن هداية هذا الوحي وأن السيرة مستمدة من هذا الوحي. فالنبي صلى الله عليه وسلم {وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ}.
- فأنت مستصحب وأنت بتقرأ السيرة أن هذه هداية الوحي ومستمدة منه. فإياك أن تظن وتشك في ما تقرأ ! سنتكلم أنك تقرأ كتب صحيحة وآثار صحيحة لكن لا تعرضها على عقلك. وطبعًا العقل لا إشكال فيه أنك تتدبر، لكن أنا أقصد أنك بتستصحب وأنت بتقرأ السيرة الوحي الذي أنزل على صاحب هذه السيرة، وهداية الوحي له.

2-الأمر الثاني وأنت بتقرأ السيرة – وهذه مهمة جدًا – **أن تأخذ في اعتبارك خلود هذه الرسالة**، أن هذه الرسالة خالدة إلى قيام الساعة إلى أن يبعث الله عز وجل الناس جميعًا **وأنها خاتمة للأديان كلها**.

- فلا تقرأ السيرة وأنت تظن أن هذا من 1400 سنة، ونحن الآن بعد 1400 سنة ! لا، أنت لابد أن تقرأ السيرة وأنت تعتقد خلود هذه الرسالة، وأن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم التي تقرأها هذه والتي حدثت من 1400 سنة ما زالت تحدث وستتكرر، وأنت عليك أن تعالجها نفس المعالجة إلى قيام الساعة، أيًا كنت في أي زمن من الأزمنة.

3-وأنت بتقرأ السيرة بتعلم أن هناك مقاصد عامة للشرع؛

- وقد بينها العلماء لا أريد أن أكرر لأن عندنا دورة في المقاصد – فتعلم أن الشرع نزل لحفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ المال، وحفظ العِرض والنسب، وحفظ العقل.
  - فدائمًا تعلم أن كل أحكام الشريعة لها مقاصد تحافظ على دينك؛ إما بوجود أو بزيادة الدين، وعدم اضمحلال الدين.
  - كذلك الشريعة جاءت لحفظ النفس؛ البقاء على النفس والمنع من الإعتداء عليها.
  - والشريعة جاءت للحفاظ على العقل، ومنع ما يخرب العقول.
  - وجاءت للحفاظ على العِرض والنسب والنسل، وأيضًا منع ما يلوث هذه الأنساب والأعراض.

– وجاءت للحفاظ على أموال الناس، على المال وتنمية المال ومنع الإعتداء عليه.

- فأنت لابد وأنت بتدرس أيضًا السنة؛ وأنا بتكلم عن قراءتك للسنة، أن تكون مطابقة وموافقة لمقاصد الشريعة عمومًا، أي عندما تأتيك قصص وأحداث، تعلم بأن الشريعة لها مقصد في حفظ الدين، ولها مقصد في حفظ النفس، ولها مقصد في كذا، فمؤكد أن الذي حدث في هذه الأوقات هو يوافق ما كان يريده الشرع. وهذه تجعلك وأنت بتقرأ أن تستشعر معك مقاصد الشريعة دائمًا.

4- عصمة النبوة وحفظ الرسول صلى الله عليه وسلم من الخطأ في البلاغ عن الله؛

- أيضًا لابد وأنت بتقرأ السيرة تعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معصومًا، نعم هو يعتريه ما يعتري البشر في الأمراض، أو في النسيان، لكن في البلاغ وفي أحكام الشرع هو معصوم ولا يخطئ في البلاغ. فلابد أنك تعتقد ذلك، وتكون وأنت بتقرأ السيرة مستشعر معك هذا الأمر.

5-لابد من سلامة النقل؛

- لذلك لا تقرأ في السيرة لأي أحد، لابد أن تتأكد من سلامة النقل؛ أي أن هذه النقولات المنقولة منقولة بأسانيد صحيحة ثابتة إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

6-وأنت بتقرأ في السيرة لابد من دراية العقل؛

- ما المقصود بدراية العقل؟ أي لا شك أنك بتعرض بعض الأمور أن العقل يقبلها، أي أن هناك أمور غيبيات نعم حدثت، لكن ليس المستحيلات، باستثناء طبعًا الكرامات والمعجزات، فيكون الذي تقرأه مقبول من العقل.
- فلا يمكن تظن مثلًا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد فعل شيئًا من الأمور الشركية في حياته أو في سيرته! فهو جاء بالتوحيد. فلو رأيت شيء يلمح إلى ذلك مثلًا أو ينقل

بخطأ فلابد أن العقل لا يقبله، لأن النبي صلى الله عليه وسلم جاء بالتوحيد ويدعو للتوحيد، فلايمكن أن يُتَصور أن هناك شيء في السيرة هكذا. فلو جاء فهذا معناه أن هذا الكلام لابد فيه خطأ في النقل او خطأ في الصياغة.

- فهذه معالم وأنت بتقرأ في السيرة تستحضرها، وهذه مهمة جدًا.

وهذه المعالم الأساسية، لكن يضاف عليها وأنت بتقرأ أو ونحن بندرس – لأن بعض الناس بيدرسوا السيرة ويريدوا أن يطبقوا – فأنت بتدرس السيرة للاستفادة – فتحتاج وأنت بتدرس قبل أن تأخذ واقعة معينة أو قصة معينة في السيرة وتريد أن تطبق، (فهذه مرحلة أخرى، فالدراسة مرحلة، والمرحلة الأخرى أنك تطبق على الواقع أو تستبط من السيرة أحكام للواقع)، فهذه أيضًا:

أولًا: لابد وأنت بتدرس أن يكون عندك دقة في قراءة الواقع الذي تقيس عليه؛

- فالبعض يدرس شيء؛ بعضهم يدرس الكتاب اليوم، فيأتي غدًا يرى أنه أصبح متقن فبيطبق. وهذه الكارثة أننا احنا بنستعجل دائمًا.
- فالهدف من دراسة السيرة أننا نتعلم، ونستخرج أحكام وغايات ومعاني ونطبقها في زمننا.
- إذًا أول شيء إذا أردت أن تطبق: فالدقة في قراءة الواقع الذي عليه الناس؛ لابد وأنت بتقرأ تقرأ متجرد، وليس عندك ميل وهوى! فهذا دين، لابد أن يكون عندك تجرد من الهوى وليس تجرد من المشاعر.
- المشاعر هذ كلنا بنشعر بها، لكن الهوى هو الذي يجعلك تحيد عن الحق.
- فالدين ليس عاطفة! الشرع لا يُطَّبق بالعاطفة! هذا دين الله أنزله علينا.
- فلو كان عاطفة، فما كان ليأتي عمر رضي الله عنه عندما جاء النبي صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر وأراد أن يستشير أبو بكر وعمر ماذا نفعل في الأسرى؟

- **فأبو بكر قال:** نفديه بنونا وبنوا أعمامنا، وما معناه (أقاربنا)، أي نفديهم بالمال ولعل ده يؤلف القلب أو شي وهما من جلدتنا؛
- **فقال عمر:** لا يا رسول الله، بل مَكِّن عليّ من عُقيل – أخوه ليقتله – ومَكِّني من كذا من الخطاب أقتله، مَكِّن فلان من كذا فيقتله، ليعلم الله أن ليس في قلوبنا شيء.

- فالنبي صلى الله عليه سلم مال إلى قول أبو بكر، فنزلت الآيات تؤيد عمر، والله عز وجل كأنه يعاتب النبي صلى الله عليه وسلم.
- وأبو بكر رضي الله عنه لم يكن في قلبه شئ، لا، لكن أبو بكر نظر للمصلحة أنه عدمان يدفعوا المال يأخذوه ويستعينوا به من الناحية الإقتصادية، وأنه ممكن أن يكون سبب في أن الناس تسلم.
- عمر رضي الله عنه جانب آخر، وكله اجتهاد. ولا تظن أن في رقة في قلب أبو بكر! لا ، أبو بكر **بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم،** عمر رضي الله عنه لم يستطع أن يقف على قدميه ويبلغهم بوفاة النبي، فقال "لكن ذهب إلى ربه، كما ذهب موسى" ومن قال أنه مات "فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم قائلين بموته"، فجاء أبو بكر رضي الله عنه وقال له: " اجلس يا عمر" فقام في الناس أبو بكر رضي الله عنه وقال: "من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ومن كان يعبد محمد فإن محمد قد مات"، {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُول قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْۚ} [آل عمران: 144]. قال عمر: وكأني لم أسمع هذه الآية من قبل. فمن الذي ثبّت؟ أبو بكر.
- **أبا بكر عندما سمع أن العرب ارتدوا** قال: [واللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَن فَرَّقَ بيْنَ الصَّلَاةِ والزَّكَاةِ، فإنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، واللَّهِ لو مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ علَى مَنْعِهَا]، فقاتل الناس، فكان أبو بكر شديد في المسألة. فالمسألة ليست لين قلب ولا شئ.
- فأبا بكر رضي الله عنه نظر لمصلحة، وعمر رضي الله عنه نظر لمصلحة أخرى.

- أراد عمر رضي الله عنه أن يبين أن القلوب لا تهوى... فنحن في الفصل؛ نحن في إيمان. فمعركة بدر لها ما لها، ستأتي إن شاء الله في السيرة، لذلك، النبي صلى الله عليه وسلم لما قال **لحاطب ابن أبي بلتعة** لما أراد ان يفعل ما فاعل في مسألة الجاسوسية، وأراد عمر رضي الله عنه لما قال له: [يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق] قال: [يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر فقال افعلوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم]، فبكى عمر رضي الله عنه، وقال [الله ورسوله أعلم]، ووقف، لماذا؟ لأن هذا من أهل بدر.
- **فأراد عمر رضي الله عنه أن يبين ويظهر لله عز وجل – وهو أعلم بالقلوب – أنه لا تأخذنا في القلوب شئ تجاه قومنا ولو كانوا كفار طالما الدين بيقول ذلك.**

فهذا الذي نقصده؛ أنك لابد وأنت تقيس، فتقيس المسألة بتجرد. لذلك من أهم الأشياء: **الدقة في قراءة الواقع الذي عليه الناس.**

فيجب أن تقرأ الواقع الموجود، وهذا علم، ثم عندما تقرأ الواقع تضبطه، فتستطيع أن تقول حينئذ سأطبق على الواقع هذا بالرجوع إلى السيرة. فأول شئ فأنت تحتاج لذلك.

ثانيًا: أنك حتى تحيط بالواقع، قد تحتاج متخصصين؛

ففي المسألة التي نحن مشغولين بها كلنا الآن حقيقة مسألة ((المقاطعة))؛

- أنت الآن تريد أن تفتي فيها؛ قلنا نعم أصل أصيل عندنا حقيقة أن لابد من إعانة المسلم على الكافر، وفي الحرب لابد أنك أيضًا لا تعين الكافر في حربه.
- فهذا أصل عندنا، والإعانة هذه قد تكون إعانة بالسلاح، أو بالمال.

- فالنبي صلى الله عليه وسلم لما خرج في بدر، فهو ما خرج أصلًا للقتال، ولكن خرج لعير قريش التي كانت قادمة من الشام؛ قوافل وفيها تجارة، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ليأخذ القوافل، ويُحكِم عليهم اقتصاديًا.
- فهي كانت إما حرب اقتصادية يأخدها، أو تعويضًا لما اخذوه من النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين قبل ما يخرجوا من مكة حيث كانوا قد أخذوا منهم أموالهم.
- فخرج للعير – ولم يكن خرج لقتال – **والعير هذه اقتصاد.**
- إذًا الاصل عندنا في الشرع بأننا نمنع العدو الكافر من أن يزداد اقتصاده فالمقاطعة عندنا أصل بنسير عليه.
- اولًا أنا لا أعطي فتوى، أنا أفهمك فقط مسألة كيفية تطبيق الواقع.
- إذًا ضابط الفتوى ستكون أصلًا بالقيام على ماذا؟ أني بمنع العدو من أن يستفيد من الأموال حتى لا يقوى.
- فأصبح الذي أحتاجه في الفتوى أن أثبت وأتأكد من أن الذي سأفعله هذا سيضعف العدو.
- طبعًا ستأتي وتقول: أنه هناك مصالح وهناك مفاسد، مصالح المسلمين الذين يتاجروا وهم من يملكون شركات وبضائع وأشياء ومصانع، وهناك مفاسد عظيمة وهو أن الكافر بيتقوى بهذه الأموال وبيقتل المسلمين.

فأقول لك **هنا في هذه الحالة: فإن دفع المفسدة مقدم على جلب المصلحة؛** فلو مؤكد أن الذي سأفعله هذا سيدفع قتل المسلمين والتعدي عليهم وإباحة دمهم، فهذا أكيد مقدم على حتى مصالح المسلمين في بلاد المسلمين الذين سيحصلوا منها على أموال.

- فهنا دفع المفسدة في التعارض مقدم على جلب المصلحة، لأن المفسدة الحالية أعظم بكثير، فالمفسدة الآن واقعة، فهذا واقع الذي نتكلم عنه؛ وهو القتل، وهو استباحة الدماء والقضاء على شوكة أهل الإسلام الموجودين في المكان الفلاني مثلًا.

- فأصبح هناك مفسدة عظيمة، ونعم هناك مصلحة للتجار، فأنا هنا احتاج لماذا؟ أن أثبت أن المقاطعة هذ ستخسره فعلًا أموال، وأن المقاطعة هذه ستجعله يضعف، وإلا لو لم تجعله يضعف، فأكون بذلك لم أحقق الذي أريده، وبالتالي لو فعلتها سأُضعف المسلمين الذين منعت التعامل معهم ولن أضعف الكافر! فتصبح المقاطعة هنا لا تجوز.
- ولكي أعرف ذلك، فأنا أحتاج لمتخصص، فالمسألة ليست شرعية فقط، **فأحتاج لمتخصص في الإقتصاد.**
- وهذه الذي كنت أقصدها، لأنك لكي تحيط بالواقع، أحيانًا تحتاج لمتخصصين، فأنا ممكن أن محتاج لأحد يقول حقًا: لو أنا منعت كذا كذا كذا اقتصاديا، هل هذه ستؤدي فعلا إلى أنه هو يمتنع عنه المال، أم أنا الذي أفعله هذا اقتصاديا غير صحيح؟
- أنا أعطيك مثال هنا وليست فتوى حاليًا؛ فأنا أعطيك مثال على أنك أيضًا لابد أن تحيط بالواقع؛ فأحيانًا تحتاج لمتخصصين يحيطوا لك بالواقع حتى تبين.

ثالثًا: تحليل الواقع هذا بدقة وموضوعية؛

- فالمسألة ليست حمية، لازم دقة وموضوعية في إصدار هذه الحكم الموجود، أيا كان سواء يخالف هوايا أو يميل لهوايا، فأنا لا أحكم بالهوى، أنا أحكم بميزان شرعي موجود. فهذا يحتاج أنك انت تحلل الواقع بدقة وموضوعية.
- فهنا: (تفسر) فبعد ما أصبح عندك الواقع، فتذهب للسيرة، فتأخذ من السيرة وأحداث السيرة النبوية أصالة التي درستها، فتأخذها وتطبق.
- فلماذا عندما ذكرت لك أصل المقاطعة قلت لك ماذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم في البدر وأنه خرج للعير؟ فإذًا أنا عندي أصل وأبدأ أنقل للواقع، وبعد ما أضبط الواقع، أرى في الواقع ما يقابله في السيرة أو في الشرع وأبدأ بناء عليه أطبق.

إذًا أولًا أنا درست السيرة دراسة صحيحة بالضوابط التي ذكرناها، وعندما أردت أن تطبق السيرة طبقتها بالضوابط التي ذكرناها، فهنا يظهر لك أأنك حقيقة بتقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم صحيح، وأنك بتتبع السيرة تتبع صريح.

وهذه مراحل في الدراسة يصل إليها بعد ذلك الذي درس وأتقن، فيستطيع أن يذهب إلى الثمرة التي أتكلم عنها الآن.

هذه كانت من المباحث المهمة التي أردت أن أبينها.

مازال معنا في المقدمة ما يسمى بالنطاق الزمني للسيرة النبوية؛

فبعثة النبي صلى الله عليه وسلم هي خاتمة الرسالات.. صحيح؟

هل عندكم دليل أن هذه هي آخر رسالة؟

الدليل: {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَد مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ} [الأحزاب: 40]؛

- إذًا البعثة المحمدية هي خاتمة الرسالات، ولأنها خاتمة الرسالات فليست هناك رسالة، وطبعًا حدثت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، لكن أنت بتتكلم عن الخلود إلى قيام الساعة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم نزل للعالمين جميعًا.
- كل الأنبياء كانت بتنزل لقومه فقط، فينتهي القوم أو يموت النبي فيأتي نبي آخر لقومه، أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد قال تعالى:{وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَة لِّلْعَـٰلَمِينَ} [الأنبياء: 107]؛ وقال الله عز وجل: {قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف: 158].
- إذًا النطاق الزمني للسيرة لا يتوقف، وتطبيقها لا يتوقف.

- وطبعًا النطاق الزمني، كما سيأتي معنا في تقسيم أنواع السيرة، هو وقت سيرة النبي صلى الله عليه وسلم من بعثته الصحيح، فالسيرة النبوية التي نعتد بها في الشريعة هي التي من أول البعثة إلى الوفاة؛ 23 سنة، لكن حقيقة لما تنظر فإن زمان السيرة في التطبيق إلى قيام الساعة.
- وطبعًا السيرة من حيث النطاق المكاني هي ما حدث مع النبي صلى الله عليه وسلم في مكة والمدينة، والأماكن التي قد تواجد فيها في وقت حياته؛ **هذه هي السيرة المكانية.**

ولما نتكلم عن السيرة كتقسيم عام عمومًا؛ أي لما تنظر لها من حيث الزمن :

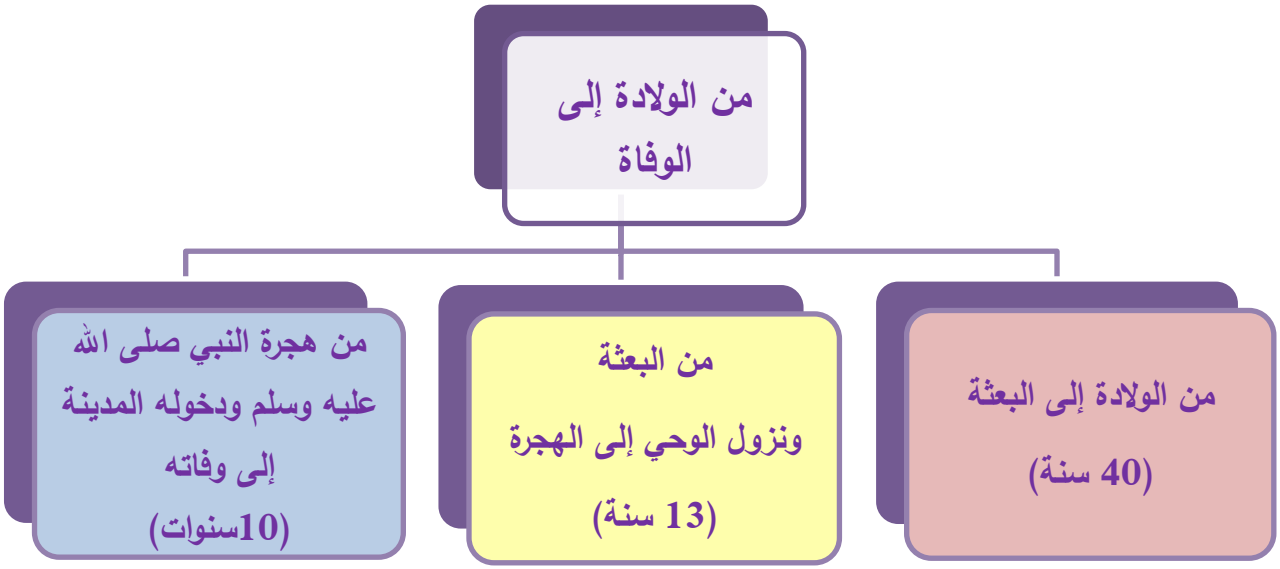
من الولادة إلى الوفاة
من الولادة إلى البعثة (40 سنة)
من البعثة ونزول الوحي إلى الهجرة (13 سنة)
من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ودخوله المدينة إلى وفاته (10سنوات)

1-**<u>من الولادة حتى البعثة</u>**: وهي 40 سنة، وهذه عادة التي يتكلم فيها بيأتي بحال العرب قبل البعثة، وحال الجزيرة العربية، وما كانوا يفعلونه، إلى غير ذلك، ويتكلم عن البيت العتيق، ومكة وكيف بناه ابراهيم واسماعيل عليهما السلام، والزمن هذا كله، وهذه الأحداث الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فيها ليست كثيرة.

2- **من البعثة ونزول الوحي إلى الهجرة**: ونزل عليه الوحي في غار حراء، وهذه 13 سنة، وهذا يسمى (**العهد المكي**)، وهذا عهد التأسيس والدعوة، وفيه نزول القرآن الذي يسمى القرآن المكي. فهناك آيات مكية وآيات مدنية، وستجد عندما تدرس في علوم القرآن أنه يوجد سمت وخصائص للآيات المكية عن الآيات المدنية.

فدائمًا ما تجد **الآيات المكية** فيها التوحيد، وفيها نبذ الشرك، وفيها الإيمان وأركانه، وتأتي **الآيات المدينة** فيها الكثير من الشرائع؛ مثل الصلاة والصوم والحج وأمور أخرى، والمعاملات. وتجد في **مكة** دلائل التوحيد؛ صفات الله عز وجل، وكشف الشرك، والرد على المشركين وما يدعيه المشركين، وفيه آيات البعث والنشور، لأنهم بعضهم كانوا وقتها ينكروا البعث والنشور، وينكروا الجزاء، والآيات الخاصة باليوم الآخر. كل ذلك ستجده في صفات الآيات في العهد المكي؛ الثلاثة عشر سنة الأولى. وطبعًا فيه حادثة الإسراء والمعراج أيضًا.

3-**من وصول النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة** (على الراجح لو قلنا الثاني عشر من الربيع. وهم أرخوا التاريخ الهجري من بداية الهجرة. والذي بدأ التاريخ الهجري هو عمر بن الخطاب) و**إلى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم**، وهذه الفترة عشر سنوات، وهذا يسمى: (**العهد المدني**)، وهو عهد البناء، والجهاد، وانتشار الدعوة، والغزوات. وبلغ عدد الغزوات 30 تقريبًا، وأما لو قلنا السرايا والبعوث فحوالي 70 سرية وبعثة.

فهذا العهد انتشر فيه الإسلام في أرجاء الجزيرة العربية، وطبعًا حدث فيه بعد ذلك فتح مكة ونزل فيه تشريعات كثيرة جدًا.

وتم فيه بناء الدولة أو المجتمع الإسلامي إداريًا، وسياسيًا، واقتصاديًا، واجتماعيًا، كل هذه الأمور حدثت في عشر سنوات فقط في المدينة.

إذًا هذا تقسيم لو قلنا السيرة من ناحية التقسيم المرحلي (الزمني)، فعندما تقرأ أي سيرة تجد هذه التقسيمات الثلاثية.

والبعض قسم السيرة بالموضوع؛ حسب موضوعاتها

بعض العلماء تكلموا وقسموها ثلاثة أقسام:

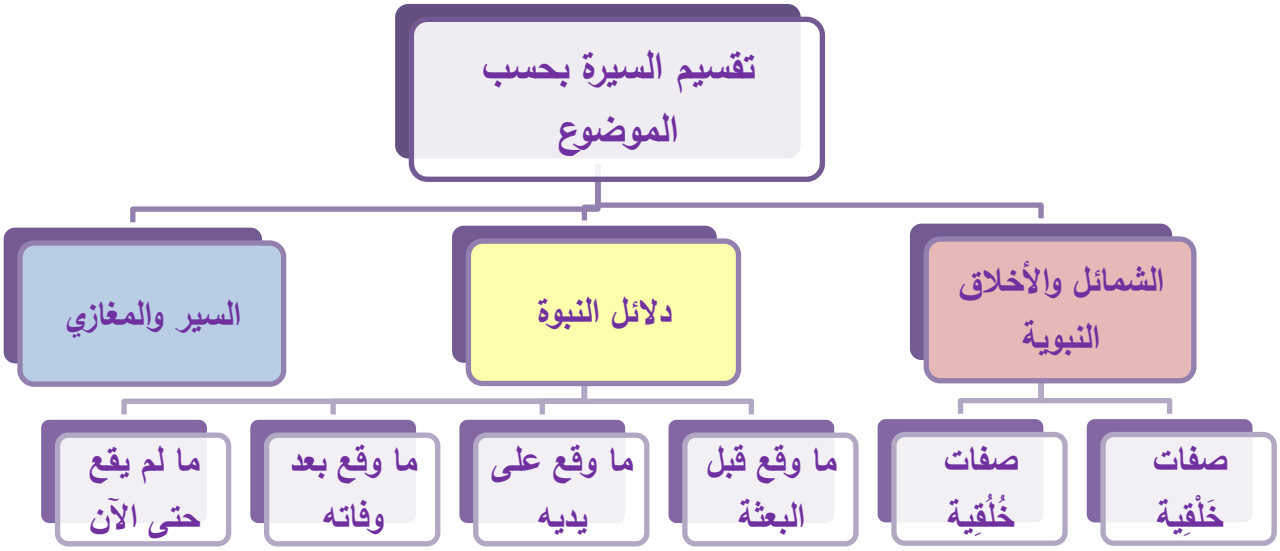

القسم الأول: ويسمونه الشمائل والأخلاق النبوية؛

وهذا يدخل فيه الخصائص التي اختص بها النبي صلى الله عليه وسلم عن باقي الرسل، وهما نوعين: صفات خُلُقِية، وصفات خَلْقِية:

الصفات الخَلْقِية:

- أي الصفة التي خلق الله عز وجل بها النبي صلى الله عليه وسلم، من حيث الجسم، لونه، الشعر، تفاصيل الوجه، كيف يجلس، كيف يمشي، كيف ينام، كيف يتكلم، كيف يلبس، كل هذه تسمى الصفات الخَلْقِية، وهذا طبعًا هدفنا في السيرة التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم، تأسي بالجلوس، بالمشي، بالكلام، تأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأيضا معرفة صورة النبي صلى الله عليه وسلم فنحن لم نراه لكن

نُقِل لنا ولله الحمد فعندما تقرأ كأنك رأيت النبي صلى الله عليه وسلم، بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم. فأنت تحاول أن تعلم هذه الصورة.

- وطبعًا من الفضل لو رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، وهي رؤية حقيقية، وهذه مميزة عندما تعرف وصفه، فلو جاءك في المنام فالنبي صلى الله عليه وسلم قال: [من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي] فالشيطان ممكن أن يتمثل بأي حد ويشبه عليه بإنه هو إلا النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذه خصيصة للنبي صلى الله عليه وسلم.
- لذلك البعض يأتي لك ويقول أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فيقول لك رأيت نور، وشئ منور، وشعرت أنه هو النبي صلى الله عليه وسلم، فتقول له: لا، لكي ترى النبي يجب أن ترى وصف النبي صلى الله عليه وسلم الذي ذُكِر في السيرة، فأنت بذلك قد تكون رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فعلًا، ولو رأيته فتكون قد رأيته حقًا، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الشيطان لا يتمثل بي.
- فهذا إذًا القسم الأول أنك تعرف الصفات الخَلْقِية للنبي صلى الله عليه وسلم.

النوع الثاني من القسم الأول يسمى الصفات الخُلُقِية:

- وهي أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، والآداب التي كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه كثيرة جدًا، مثل الشجاعة، الكرم، ،...

عائشة رضي الله عنها كانت تقول: [كانَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أجْوَدَ النَّاسِ بالخَيْرِ، وأَجْوَدُ ما يَكونُ في شَهْرِ رَمَضَانَ، لأنَّ جِبْرِيلَ كانَ يَلْقَاهُ في كُلِّ لَيْلَةٍ في شَهْرِ رَمَضَانَ، حتَّى يَنْسَلِخَ يَعْرِضُ عليه رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ القُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كانَ أجْوَدَ بالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ]، فكان يتصدق ويكثر من الصدقة في رمضان.

- فترى مثلًا الكرم، الشجاعة، الحياء، العفو، الحِلم، اليُسر. فكل هذه من الصفات التي فيها أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا النوع خاص بالصفات الخُلُقِية في القسم الأول الخاص بشمائل النبي صلى الله عليه وسلم.
- ولما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلُق النبي صلى الله عليه وسلم قالت: [كان خلقه القرآن] وقالت في رواية: [كان قرآنا يمشي على الأرض] .
- فأنت عندما تدرس السيرة هنا في القسم الأول هذا بتتعرف أيضًا على أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا **للتأسي به**، لأنه هو القدوة في ذلك كما بينا حتى لا أكرر في ذلك.
- هو الذي قال عنه الله عز وجل: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيم} [القلم: 4]. وهنا البعض قال إن الخلق هنا يقصد به أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، وقلنا إن هناك تفسير آخر لابن عباس: "وإنك لعلى دين عظيم – وهو الإسلام".

القسم الثاني وهو دلائل النبوة:

- وأنت بتدرس أيضًا في السيرة ستأخذ دلائل النبوة، وهي حقيقة التي تدلك على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم.
- **لماذا هي مفيدة؟** لأنك بتحتاجها وهي من أهم أقسام السيرة ومن أنفعها في تقوية الإيمان.
- **ما المقصود بدلائل النبوة؟** بترى المعجزات التي أيد الله عز وجل بها النبي صلى الله عليه وسلم، والكرامات، وهذه تزيدك من محبة النبي صلى الله عليه وسلم، وتزيد من الإيمان في القلب، وتزيدك من تصديق ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم.

- وأنت كلما أحد معاه كرامة، تشعر أنه مؤيد، فلما ترى الدلائل وتتعلم وتقرأ في دلائل النبوة وتعلم المعجزات التي أيد بها الله عز وجل النبي صلى الله عليه وسلم، **يزداد اليقين في القلب؛**
  - **أولًا:** بالخالق وقدرة الله عز وجل، لأن هو الذي أيد النبي صلى الله عليه وسلم؛
  - **ثانيًا:** لما ترى ذلك، تعلم بعِظَم هذا الدين الذي أنزله الله عز وجل؛
  - **ثالثًا:** تعلم فضل النبي صلى الله عليه وسلم، وأن الله عز وجل اختار النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيده بذلك، وهذه منقبة وفضل للنبي صلى الله عليه وسلم، فيزاد حبك للنبي صلى الله عليه وسلم؛
  - **رابعًا:** أنه بيزاد يقينك، أن الله هو المؤيد لهذا الدين، فأنت ليس عليك كما قلنا في أول المحاضرة إلا أنك تأخذ بالأسباب، والكرمات تأتيك ستأتيك.

ما في وقت من الأوقات على مر التاريخ الإسلامي كله كان المسلمون في كثرة وفازوا، بل كانوا دائمًا في قلة ويؤيدهم الله. ويوم ما كانوا في كثرة ابتلاهم الله يوم حنين: {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ} [التوبة: 25] ، فظنوا أنهم لن يهزموا من كثرة، فبعدما حدث فتح مكة ودخل كثير مع النبي صلى الله عليه وسلم في الدين، وذهب بهم عشرة آلاف في حنين وأول مرة يكونوا كثير، فاغتروا أنه بالكثرة، فابتلوا في حنين في أول الأمر وتقهقروا إلا النبي صلى الله عليه وسلم وبعض الصحابة، ثم كتب الله عز وجل النصر، ليبين لهم أن المسألة ليست في الكثرة: {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا } [التوبة: 25] .

فأنت لا تظن أبدًا أن أهل الإيمان والحق دائمًا في كثرة. فالأصل: {وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ} [الأنعام:116]. **فأهل**

الحق دائمًا هم في القلة، لكن القلة هذه ربنا بيؤيدها بالإيمان الحق واتخاذ الأسباب الصحيحة. فالله ينزل كراماته عليهم كما أنزلها على النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة في بدر، فهم كانوا 300 والكفار 1000 في أول غزوة، والملائكة نزلت تقاتل معهم

وما زالت الملائكة تنزل وتقاتل مع أهل الإسلام وأهل الجهاد الذين هم أصحاب العقيدة الصحيحة يؤيدون من الله عز وجل.

- فأنت هنا بدلائل هذه النبوة بتستصحب هذه الدلائل وأنت تطبق في حياتك سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.
- فالدلائل كما قلنا مهمة، ولها قسم طبعًا في دراسة السيرة، نحن فقط بنقسم السيرة.

ودلائل النبوة أربعة أقسام:

1- **ما وقع قبل البعثة**؛ وهو ما يسمى بشارات الأنبياء التي حدثت في الأزمنة السابقة،

- ومنها **الكاهن**، عندما ذهب النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير مع أبو طالب في الشام وخرج له كاهن مخصوص من النصارى، ولم يكن يخرج أبدًا، فخرج عندما كان النبي صلى الله عليه وسلم قادم، وكانت السحابة تظلله، فسأل عنه الكاهن، فكأنه علم بأنه سيكون له شأن؛
- أو بعض **الأحجار** التي كانت تسلم على النبي صلى الله عليه وسلم في مكة؛
- وأيضًا **قصة شق صدر النبي** صلى الله عليه وسلم. فهذا كله كان قبل البعثة، عندما شق صدره ونزل الملكين وغسلوا القلب وأخذوا ما فيه من حظ الشيطان إلى غير ذلك.

2-ما وقع على يديه؛

- وهو **نزول الوحي بالقرآن** والنبي صلى الله عليه وسلم لا يعرف القراءة ولا الكتابة، فالنبي كان أُمِّي لا يقرأ ولا يكتب ومع ذلك نزل عليه الوحي؛
- وأيضًا ينبع **الماء من أصابعه** صلى الله عليه وسلم؛
- **ودعاءه في الماء القليل** فيكثر ويشربه الجند جميعًا؛
- أيضا **انشقاق القمر لنصفين** لما طلبت قريش أن يروا ذلك: { ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ} [القمر:1] إلى آخر الآيات، فالله عز وجل أيده بذلك أيضًا؛
- وأيضا **لما أخبره الله عز وجل بمصرع القوم في بدر**، لما كان في ليلة بدر ودعا ثم خرج وقال هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان.

فهذه كلها ما وقع على يدي النبي صلى الله عليه وسلم فيها.

3-ما وقع بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم ستقع بعد وفاته؛ منها ما وقع، ومنها من لم يقع إلى الآن،

- مثلًا النبي صلى الله عليه وسلم **تنبأ بفتح القسطنطينية**، ثم فتحت عن طريق محمد الخامس – أحد السلاطين العثمانيين – وقال (فلنعمَ الأميرُ أميرُها ولنعمَ الجيشُ ذلك الجيش)؛
- بل هو **تنبأ بفتح القسطنطينية ثانيًا وفتح رومية**، وهذه لم تحدث إلى الآن – نسأل الله ييسرها – ولا بد ستحدث قبل قيام الساعة أن الرومية ستفتح أيضًا، وهذه من نبؤات النبي صلى الله عليه وسلم،
- وأيضًا **تنبأ لسراقة بأنه سيلبس سواري كسرى**، تنبأ له وهو بيهاجر النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة مع أبو بكر، لما أوقفه سراقة وكان يلحق به القصة المشهورة في الهجرة –ستأتي – فقال له أنه سيرتدي وسيلبس سواري كسرى، فيدور الزمان حتى زمان عمر في الخطاب وتفتح البلاد ويؤتى السواري

لعمر بن الخطاب في المدينة، ثم يأتي بسراقة، وانظر إلى عمر رضي الله عنه ماذا فعل مع سراقة..

أتى بسراقة فقال له: (سواري كسري) فلبسهم سراقة، ثم بعد أن لبسهم قال له عمر اخلعه، قال له: كيف؟ لقد وعدني النبي صلى الله عليه وسلم بسواري كسرى، قال عمر: النبي صلى الله عليه وسلم وعدك بلبس سواري كسرى وقد لبستهما، هما لبيت مال المسلمين، وأخذهم منه مرة ثانية. فعمر رضي الله عنه فقيهًا، فقال "هما لبيت مال المسلمين" النبي صلى الله عليه وسلم وعدك بأنك ستلبس سواري كسرى لكن لم يملكك سواري كسرى، فأخذهم من سراقة.

لكن انظر لنبوءه النبي صلى الله عليه وسلم، ثم حدثت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

وغير ذلك من النبوات التي قد تنبأ بها.

4- **ما لم يقع حتى الآن**؛ فهناك نبوات وقعت، وهناك نبوات لم تقع، وهذا القسم الرابع في دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخبل أنه سيقع مستقبلًا؛

- ومنها طبعًا **علامات الساعة الكثيرة التي لم تخرج الكبرى**؛ مثل يأجوج ومأجوج، الخسوف الثلاثة بالمشرق والمغرب وجزيرة العرب، خراب يثرب أيضًا، خروج الدابة، السباع التي ستتكلم، والنار التي ستخرج من عدن، وفتح قسطنطنية الثاني وفتح روما كما بينا، فهذه كلها لم تحدث إلى الآن.

وطبعًا من فوائد معرفة دلائل النبوة: زيادة الإيمان والتصديق، وزيادة المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم كما بينا.

هذه حقيقة كلها كانت مقدمة عن السيرة، أردت فقط أن نقدم لها اليوم، لكن إن شاء الله سندرس **كتاب الفصول في سيرة الرسول**، وهذا الكتاب كتاب **للإمام الحافظ ابن كثير** عليه رحمة الله تعالى، وهذا من الكتب حقيقة الهامة، وابن كثير له طبعًا أكثر من كتاب، له كتاب البداية والنهاية، وله في التاريخ أيضًا، وله في السيرة هنا كتاب الفصول في سيرة الرسول، وهذا الكتاب حقيقة من الكتب الهامة في دراسة السيرة لأنه يتميز أن مؤلفه ابن كثير هو محدث ومعتني بالحديث والآثار، ولذلك تجد في كتابه تحقيق للأحديث والآثار التي وردها.

وعندما تقرأ السيرة من محدث غير أن تقرأها من غير محدث، لأنه يكون معتني جدًا بصحة الآثار وثبوتها.

وابن كثير من الحفاظ، فكان هذا الكتاب حقيقة من الكتب الهامة في دراسة السيرة، هو وكتاب زاد المعاد طبعًا لابن القيم، وهو حقيقة في كتابه (الفصول) هذا الذي سندرسه يحاكي طريقة ابن القيم في زاد المعاد في التأليف.

وهو طبعًا: **الإمام العالم أبي الفداء اسماعيل ابن عمر ابن كثير الشافعي**

نكتفي بالمقدمة اليوم لكي لا تختلط بالكتاب

المحاضرة الثانية

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كلام الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد،، على موعد مع السيرة اليوم، وشرح كتاب (الفصول في سيرة الرسول) صلى الله عليه وسلم للحافظ ابن كثير عليه رحمة الله تعالى. الأسبوع الماضي دخلنا في المقدمة في السيرة، وهذا الأسبوع إن شاء الله نبدأ في أول الكتاب بإذن اله تعالى. نسأل الله عز وجل أن ييسر لنا وأن ينفعنا بهذا العلم، وأن يجعلنا نعمل به. أذكركم بإخلاص النية لله عز وجل في تعلم هذه العلوم جميعًا، وهي أن نبتغي مرضاة الله عز وجل، والتأسي في هذا العلم بالنبي صلى الله عليه وسلم: {لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَة} [الأحزاب: 21]، فنتعلم هذه السيرة، ونستخرج منها ما نستطيع من أمور.

نبدأ بالمقدمة:

قال الإمام العالم العلامة أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الشافعي رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم، حسبي الله وكفى، الحمد لله والسلام على عباده الذين اصطفى، الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من أخلص له قلبه، وانجابت عنه أكدار الشرك وصفا، وأقرَّ له بِرِقِّ العبودية، واستعاذ به من شر الشيطان والهوىَ، وتمسك بحبله المتين، المُنَزَّل على رسوله الأمين محمد خير الورى، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الحشر واللِّقا، ورضي الله عن أصحابه وأزواجه وذريته وأتباعه أجمعين، أولي الأبصار والنهى.

أما بعد:

فإنه لا يجمل بأهل العلم إهمال معرفة الأيام النبوية، والتواريخ الإسلامية، وهي مشتملة على علوم جَمَّة، وفوائد مهمة، لا يستغني عالم عنها، ولا يُعذر في العروِّ منها.

وقد أحببت أن اعلق تذكرة في ذلك، لتكون مدخلًا إليه، وأنموذجًا، وعونا له وعليه، وعلى الله اعتمادي، وإليه تفويضي واستنادي، وهي مشتملة على:

1- ذكر نَسَب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛

2-وسيرته؛

3-وأعلامه؛

4-وذكر أيام الإسلام بعده إلى يومنا هذا.

مما يمس حاجة ذوي الأرب إليه، على سبيل الإختصار- إن شاء الله تعالى

- هذه القطعة هي المقدمة عند الإمام ابن كثير، وقد بدأ الكتاب بالبسملة وقوله: "**حسبي الله وكفى**" وهذه موجودة في بعض النسخ، وغير موجودة عند بعض النسخ، ولكن **البسملة** كما هي عادة علماؤنا في التصنيف، يبدأون اقتداءا بالله عز وجل في كتابه بدأ: بـ "بسم الله الرحمن الرحيم"، واقتداءا بالنبي صلى الله عليه وسلم عندما كان يرسل رسله إلى الملوك والقياصرة يدعوهم إلى الإسلام، فكان يبدأ بـ "بسم الله الرحمن الرحيم". وهذا الأصل في فعله الكُتاب والعلماء في تصانيفهم وكتاباتهم البداية بالبسملة.
- وهنا ذكر بعد البسملة: "**حسبي الله وكفى**"، وهنا كأنه وافق الإمام ابن القيم في زاد المعاد أيضًا لما بدأ كتابه قال: "حسبي الله وكفى"، وكأنه يحاكي الإمام ابن القيم في كتابه زاد المعاد في هذه البداية.
- ومعلوم أنه اشترك ابن القيم وابن كثير في بعض شيوخهم؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية – فهو شيخ لهما – وإن كان الحافظ ابن كثير له شيخ آخر، وهو الإمام المزي رحمه الله صاحب كتاب "تهذيب الكمال" وقد تزوج ابن كثير إبنة الإمام المزي فكان له أيضًا قُربة – للمزي– فأخذ منه علوم كثيرة واستفاد منه بالحديث تحديدًا طبعًا. وابن كثير كان له شأن في علوم الحديث وغير ذلك.
- ولذلك من ميزة هذا الكتاب قلنا بأن مؤلفه ابن كثير، وهو من أهل الحديث، فكان يراعي فيه ضبط الأسانيد، وغير ذلك، مما يقويه على غيره من كتب السيرة.
- هنا بدأ بـ "**بحسبي الله**" وكثير من الناس يفهم معنى "حسبنا الله ونعم الوكيل" – والعوام خاصة – يظنها هي من مقام الدعاء على الغير، وهذا ليس بصحيح. فـ "حسبي الله" ممكن أن تقال في مقام دفع البلاء، والبعض استخدمها في مقام الدعاء على الأشخاص وهي ليست لذلك. وهذه الكلمة طبعًا جاءت في الكتاب في أكثر من موضع: {ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ} [آل عمران: 173]، أي كافينا الله؛ الله الذي يكفينا سبحانه وتعالى، ولذلك هي تقال في مقام

دفع البلاء، أو حتى في "مقام طلب النعماء" أيضًا؛ أي طلب التوفيق والسداد. قال تعالى: {وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ} [التوبة: 59]، أي كافينا الله؛ الله هو الذي سيؤتينا ويوفقنا ويسددنا ويساعدنا.

- إذًا ممكن أن تقال في مقام الإيتاء من الفضل؛ أي أن تسأل الفضل من الله، أو في مقام دفع البلاء إن أراد ذلك.
- فقول الإمام ابن كثير هنا كأنه يقول: (بسم الله الرحمن الرحيم وحسبي الله) أي كأنه هنا يطلب التأييد والتوفيق والسداد من الله عز وجل، ويطلب الكفاية في تأليفه لهذا الكتاب والانتهاء منه وتقبله عند الله عز وجل بذلك.
- قال: **(وكفى)**: "حسبي الله وكفى" أي لا أحد حسيب إلا الله، لا أحد يُطلب منه ذلك إلا الله عز وجل، قال "حسبي الله وكفى"، من كان الله حسبه كفاه ... كفاه من كل شر، وكان له حافظًا ومعينًا وموفقًا ومسددًا، قال تعالى: {أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ} [الزمر: 36]، بلى.
- ثم قال بعد ذلك: **(الحمد لله والسلام على عباده الذين اصطفى)**. هنا بعد ذلك ذكر الحمد، والحمد لله عز وجل، وهو ذكر أوصاف المحمود مع المحبة والتعظيم، وهذا بخلاف المدح.

ما الفرق بين المدح والحمد؟

1- المدح: أنت ممكن تمدح أحد وتكتب له أبيات شعر وكلام وأنت كاره له، كما كان الشعراء يفعلون مع السلاطين يمدحونهم بأبيات ليأخذوا المال؛

2- لكن الحمد غير ذلك، فالثناء هو ذكر أوصاف المحمود، لكن معه محبة وتعظيم، وهذا لا تكون إلا لله، لذلك الحمد لا يكون إلا لله، فالحمد عباده وهو أيضًا لا يكون إلا لله.

- الحمد لله على أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى، والحمد لله على نعمه وألائه.
- وأعظم نعم الله عز وجل هي ((نعمة التوحيد)). فهنا قال الإمام: الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

- ثم قال: **(حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى)**.
- ثم ذكر الشهادتين: **(وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من أخلص له قلبه، وانجابت عنه أكدار الشرك وصفا)**: هنا يُفرد شهادة من أخلص قلبه؛ أي أن الشهادة بلا إله إلا الله لابد أن يكون فيها إخلاصًا للدين أصالة، قال تعالى: {وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ} [البينة: 5]، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: [مَن قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ، مُخْلِصًا مِن قلْبِه دخَلَ الجنَّةَ]، فلابد من شرط الإخلاص في التوحيد، فمن أصول قبول العبادة: (الإخلاص والمتابعة) كما هو معلوم.
- فقال: **(شهادة من أخلص له قلبه، وانجابت عنه أكدار الشرك وصفا)**: أي إنجلت وابتعدت أكدار الشرك. ولذا لابد مع التوحيد أن يُنفَى الشرك؛ لا يجتمع التوحيد مع الشرك الأكبر، وإن كان ممكن يدخل شرك أصغر وهذا يخالف التوحيد ولا شك أنه على خطر عظيم، لكنه لمن حقق التوحيد لابد أنه يصفى له من أكدار الشرك ويبتعد عنها.
- قال: **(وأقرَّ له برِقِّ العبودية)**: أي معترفًا بذله وخضوعه وعبوديته لله عز وجل.
- قال:**(واستعاذ به من شر الشيطان والهوىَ، وتمسك بحبله المتين، المُنَزَّل على رسوله الأمين محمد خير الورى، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الحشر واللِّقا، ورضي الله عن أصحابه وأزواجه وذريته وأتباعه أجمعين، أولي الأبصار والنهى)**، وهذا كله ثناء على النبي صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه وعلى آله وعلى أصحابه أجمعين.
- ثم قال: **(أما بعد)** أراد أن يبين الهدف من هذا الكتاب.
- قال: **(فإنه لا يجمل بأهل العلم إهمال معرفة الأيام النبوية، والتواريخ الإسلامية، وهي مشتملة على علوم جَمَّة، وفوائد مهمة، لا يستغني عالم عنها، ولا يُعذر في العروِّ منها)**، وهنا يقصد أن هذا الباب باب عظيم شريف، كما قلنا في المقدمة الأسبوع الماضي، وأن هذا الباب نحن جميعًا في حاجة ماسة إلى دراسته، ومعرفته، وتدبره، وهو باب سيرة النبي صلى

الله عليه وسلم، من أول نسبه، ومولده، إلى أيامه، وما فعله إلى وفاته، وأيضًا يمتد بعد ذلك إلى سيرة الصحابة رضوان الله عليهم.

- فقال: أن السيرة **(مشتملة على علوم جمّة)**، انظر، يقول السيرة مشتملة على علوم جمّة لأنك من السيرة ممكن تستخرج أحكام شرعية أصلًا، تستخرج كما قلنا مواقف وعبر ودراسات، تستخرج أسباب نزول لبعض الآيات كما بينا، فقال: **(مشتملة على علوم جَمَّة، وفوائد مهمة، لا يستغني عالم عنها)**، أي لا يمكن للعالم أن يستغني عن السيرة ولايقرأ في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك طلاب العلم. **(ولا يُعذر في العروِّ منها)**، أي لا يعذر أن يكون عاريًا عن ذلك، فالعرو هنا من العاري، يكون عاريا عن الشيء أي كأنه يقول: "لا يعذر للعالم – وبالتالي طالب العلم– أن يكون عاريًا عن معرفة السنة والسيرة ودراساتها، فلا يعذر في ذلك".
- ثم قال: **(وقد أحببت أن أعلق تذكرة في ذلك)**، إشارة هنا إلى ما سيأتي معنا في الكتاب، أي تأليفي لهذا الكتاب، لكن هو قال ((تذكرة)) ليبين لك أن الكتاب ليس متوسع، ولكن كتاب مختصر. لأن ابن كثير رحمة الله عليه، طبعًا له كتب في التوسع وله كتب في الاختصار، عنده (البداية والنهاية)، وعنده هنا مختصر في السيرة وهو الذي معنا (الفصول).
- قال: **(لتكون مدخلًا إليه، وأنموذجًا، وعونا له وعليه)**، أي هذا الكتاب يعاون العالم وطالب العلم مدخلًا في دراسة السيرة، وإلا لو أراد التوسع وهناك أيضًا كتب أخرى في التوسع في السيرة.
- وقال: **(وعلى الله اعتمادي، وإليه تفويضي واستنادي)**، ثم هو يبين هنا بأن عمله كله اعتمادا على الله عز وجل، توكلًا عليه، تفويضًا إلى الله، استنادًا إلى الله عز وجل، لأن التوفيق والسداد لا يكون إلا من عند الله.
- وكأن هذه التذكرة التي ألفها الحافظ ابن كثير يريد أن يبين لنا أنها شيء مختصر في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

- طبعًا هنا توجد **بعض الملاحظات الإيجابية** ستجدونها في هذا الكتاب، مثل:

1- حسن الصياغة من الحافظ ابن كثير فقلمه قلم رفيع في صياغته لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ويعرض السيرة بأسلوب علمي، فهي ليست قصص، ولكن أسلوب علمي يذكر الوقائع والأحداث دون الدخول في صياغات أدبية، أو قصصية، أو شيء. وهذه مهمة، فهو يعرض لك السيرة وبما أنه أيضًا مُحَدِّث فهو عنده جانب علمي يظدره في ذلك، فيهتم بذكر الحوادث والوقائع مع توثيقها وعرضها دون تنميق أو تنسيق في العبارة، أو غير ذلك.

2-فيه أيضًا كما سيأتي معنا – وهذه طبعا أرجح في كل من يكتب في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم – ستجد في قلمه نوع من العاطفة الجياشة، ويكتب طبعًا عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة، وتظهر فيه نوع من الصدق، ولا نزكي على الله أحدًا، والتأثر ببعض المواقف، كما سيأتي معنا.

وهذه أعتقد أن لابد من يتعرض للسيرة ويكتب فيها، خاصة لو كان من أهل العلم الثقات، فتجد ذلك في كتابته.

3-فيه طبعا حسن الترتيب، ترتيب الحافظ، وممكن أن تجد كثير من المشابهة بين هذا الكتاب وكتاب (زاد المعاد) في طريقة الترتيب أيضًا بينه وبين ابن القيم في بعض الأمور.

4-اعتمد على الأسانيد الصحيحة، لأن صنعته الحديث.

5-لم يأت بحشو ولا استطراد ولا تطويل، حتى لا يخرج عن المختصر ويكون طويلًا فهو اعتمد على ذلك أيضًا.

6- تظهر في قلمه مكانة ابن كثير العلمية، وهو عالم جليل، فيظهر في كتابه قدره العلمي، سنبينه، لأنه طبعًا له كتابات أخرى، ومنها من أهم الكتب في هذا المجال

(كتاب البداية والنهاية لابن كثير) وهو كتاب مشهور جدًا، وكتاب له مكانة عند أهل العلم.

فصل: ذِكْرُ نَسَبِهِ ﷺ

قال رحمه الله تعالى:

ذكر نسبه صلى الله عليه وسلم

هو سيد ولد آدم:

أبو القاسم محمد، وأحمد، والماحي الذي يُمْحَى به الكفر، والحاشر الذي يَحشُرُ الناس، والعاقب الذي ليس بعده نبي، والمقفِّي، ونبي الرحمة، ونبي التوبة، ونبي الملحمة.

هنا بدأ بذكر أول شيء؛ نسب النبي صلى الله عليه وسلم فبدأ قال:

- هو **(سيد ولد آدم)**، ولا شك بأن النبي صلى الله عليه وسلم هو أفضل المخلوقات عند الله عز وجل، هو سيد ولد آدم ولا فخر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم [أنا سيد ولد آدم ولا فخر].
- ونسب النبي صلى الله عليه وسلم هو أشرف الأنساب بشهادة المسلم والكافر، وسيأتي معنى حديث هرقل مع أبي سفيان لما ذهب أبو سفيان لهرقل وكان أبو سفيان رضي الله عنه وقتها كافرًا، فسأله هرقل عنه وما هو نسبه فيكم؟ قال: أشرف الأنساب وأفضلنا نسبًا. فأقر أبو سفيان حتى في حاله لأن هذا الحق، فالنبي صلى الله عليه وسلم هو من أفضل الأنساب كما سيأتي معنا، من أفضل أنساب العرب، فاختُص بذلك، فشهد له بهذا النسب أهل الإسلام ومن قبلهم أهل الكفر.

- فقال: (هو سيد ولد آدم **أبو القاسم**)، هذه كنيته، لذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال: [تسمَّو باسمي ولا تكتنُوا بكُنيتي]، أي ممكن أحد أن يسمي أولاده محمد، أو يسمى هو محمد، لكن الكنية هذه للنبي صلى الله عليه وسلم "أبو القاسم"، إلا لو أحد أنجب ولد وسماه القاسم، فهو أبو القاسم حقيقة، نسبًا، هذه ليس فيها شئ، لكن هي ليست كنية.
- فقال: (**وأحمد، والماحي الذي يُمحى به الكفر**)، فالنبي صلى الله عليه وسلم جاء ليمحي الكفر ويُظْهِر الإسلام.
- وهو (**الحاشر الذي يحشُر الناس**)؛ أي الناس جميعًا يُحشَرون تحت لواء النبي صلى الله عليه وسلم.
- (**والعاقب أي ليس بعده نبي**)؛ العاقب أي هو الآخر؛ آخر شيئ ليس بعده نبي.
- (**والمقفى**)؛ وهو الذي قفى من قبله من الرسل؛ أي كان خاتم الرسل، صلوات الله عز وجل على الرسل جميعًا.
- (**ونبي الرحمة**)؛ الذي بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين.
- (**ونبي التوبة**)؛ والذي بعثه الله عز وجل للناس ليتوبوا، وينيبوا، ويرجعوا الى الله عز وجل.
- (**ونبي الملحمة**)؛ ملحمة: أي القتال؛ أي هو النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يقاتل لإعلاء كلمة لا إله الا الله.

وهنا بين مسألة: أن أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ليست أعلام بلا أوصاف؛ أي أعلام وأوصاف، فممكن أن يكون اسمك كريم وأنت أبعد عن الكرم، لكن كريم هذا علم، فلما نقول كريم فنعلم أن هذا كريم. عمر، ومحمد، وعبد الرحمن كلها أعلام؛ أي اسم يُنادَى به، لكن لا يُشترط أن اسمه كريم فهو كريم، سعيد فهو سعيد، لا يشترط. فهذه في الأسماء التي هي أعلام فقط. أما النبي صلى الله عليه وسلم فاسماؤه أعلام وأوصاف. أي لما يقال هو محمد، إذًا هو فيه كثرة الحمد، الماحي، أي يُمحي به الكفر ليظهر الإسلام، نبي رحمة، إذًا هو اسمه هكذا وله المعنى. إذًا هو

الاسم والمعنى له في هذه الاسماء كلها، فهي ليست فقط أسماء أعلام يُنادى بها، بل هذه لها معاني كما بينا.

ومن أراد أن يستفيد أكثر عن أسماء النبي صلى الله عليه وسلم، **فابن القيم في زاد المعاد** أفرد فصلًا في النهاية لمعاني أسماء النبي صلى الله عليه وسلم، سيجد هناك تفصيلًا أكثر من ذلك طبعًا في هذا الباب.

وهنا طبعًا الأسماء التي ذكرها ابن كثير ليست من عند نفسه، كلها جاءت في السنة، كما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيحين، حديث جبير ابن مطعم رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: [إنَّ لي أسْماءً، أنا مُحَمَّدٌ، وأنا أحْمَدُ، وأنا الماحِي الذي يَمْحُو اللَّهُ بيَ الكُفْرَ، وأنا الحاشِرُ الذي يُحْشَرُ النَّاسُ علَى قَدَمِي (وفي لفظ: على عَقِبِي) وأنا العاقِبُ]. وهذه كلها لو تتبعت السنة ستجد أحاديث تثبت هذه الأسماء.

لماذا لم يذكر طه ويس؟

لأنها ليست من أسماء النبي، بل هي من الحروف المقطعة.

ثم يبدأ في ذكر النسب، وسنحتاج أن نُرَقِّم أجداد النبي صلى الله عليه وسلم، فسيأتي الآن معنا ذكر النسب الى عدنان – حوالي عشرين جد– فكنا بدلًا من ذكرهم أسماء بعد ذلك، سنذكرهم الجد الأول، الثاني، الثالث، الرابع،...

ما الهدف من ذلك؟

لأنه سيأتي بعد ذلك إلتقاء النبي صلى الله عليه وسلم مع كثير من الصحابة في النسب، فيقول مثلًا أبو بكر رضي الله عنه يلتقي به في النسب في الجد الخامس، وعمر رضي الله عنه يلتقي به في

الجد السادس، خالد بن الوليد يلتقي في الجد كذا، سعد، وهكذا. فلكي تعرف أين التقوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في النسب، تحتاج لذلك، لتعرف بعد ذلك أين التقى النبي صلى الله عليه وسلم خاصة مع الخلفاء الأربعة، والعشرة المبشرين بالجنة، وغير ذلك.

ابن عبد الله، وهو: أخو الحارث، والزبير، وحمزة، وأبي طالب – واسمه: عبد مناف– وأبي لهب – واسمه: عبد العزى ، وعبد الكعبة وهو المقوّم –، وقيل : هما اثنان ، وحَجل –واسمه المغيرة –، والغيداق – وسمي بذلك: لكثرة جوده ، وأصل اسمه: نوفل. وقيل : إنه حَجْلٌ، وضرار، وصفية، وعاتكة، وأروى، وأميمة، وبَرَّة، وأم حكيم –وهي البيضاء– . هؤلاء كلهم أولاد عبد المطلب] .

- لو تلاحظوا دائمًا سيذكر ابن الكثير في النسب، يأتي بالجد للنبي صلى الله عليه وسلم، ثم يأتي بإخوة الأب (أي أعمام النبي صلى الله عليه وسلم هنا)، ثم يأتي بالجد وإخوة الجد أيضًا.

لماذا هنا يأتي بالاخوة ويذكرهم؟ لأن سيجتمع أنسابهم مع بعض الصحابة في إخوة الجد، فلذلك هو بيذكر الإخوة لتتبع الأنساب بعد ذلك.

- وهنا ذكر – رحمه الله تعالى– والد النبي صلى الله عليه وسلم، وهو: **(عبد الله بن عبد المطلب)**. وعبد الله بن عبد المطالب له قصة. ثم ذكر إخوانه بعد ذلك، وهم أعمام النبي صلى الله عليه وسلم.
- **أولًا: عبد الله؛** وهو أبو النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يسمى الذبيح الثاني.
  - لأن النبي صلى الله عليه وسلم سُمِّيَ (وليس هو الذي قال، لم يرد فيه حديث) لكن قال هو ابن الذبيحين.
  - و(عبد الله) أبو النبي صلى الله عليه وسلم – له قصة. فقد نذر المطلب أن لو وهبه الله عز وجل عشرة أبناء ذكور أن يذبح واحد منهم. فكان (عبد الله) هو العاشر،

فأراد أن يفي بالنذر، فاقترع بين الأبناء. فوقعت القرعة على (عبد الله)، وكان (عبد الله) محبوب جدًا في قريش في قومه، فقالوا: كيف تذبحه؟ فأشار عليه واحد من العرّافين كان جالس عند زمزم، فقالوا أن يعمل أقداح، ويضع عشرة من الإبل ثم يقترع، فلو وقعت على الإبل، فيكون العشرة فداء (لعبد الله)، ولو وقعت على (عبد الله) فيزيد عشرة آخرين، فكل مرة كان يضع تقع على عبدالله، إلى أن وصل للمائة ووقعت على المائة، ففدى (عبد الله) بذبح مائة ناقة. لذلك يقال أن (عبد الله) هو اذزبيح الثاني. لذلك قالوا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ابن الذبيحين، لأن الذبيح الأول هو اسماعيل عليه السلام.

- وسنأتي للكلام بأن الراجح هو (اسماعيل) عليه السلام خلافًا لما يقال عند أهل الكتاب، أنه اسحاق، هذه سنبينها إن شاء الله.
- وطبعًا هو وُلِد للمطلب بعد ذلك بعد عبد الله ، (حمزة) ووُلِد (العباس). لأن حمزة والعباس كانوا قريبين من سن النبي صلى الله عليه وسلم، بل أصلًا حمزة رضع مع النبي صلى الله عليه وسلم. وطبعًا (عبد الله) كما سيأتي معنا – أبو النبي صلى الله عليه وسلم – مات في خمسة وعشرين، مرض ومات في مكة وعنده خمسة وعشرين سنة. والصحيح أنه – كما سيأتي معنا في ولادة النبي صلى الله عليه وسلم– مات والنبي صلى الله عليه وسلم في الحمل، أي أمه كانت في حملِه

- **ثم ذكر أعمام النبي صلى الله عليه وسلم.**

قال: **(وهو أخو الحارث)**. وقد اختلفوا في عدد أعمام النبي صلى الله عليه وسلم، فبعضهم قالوا اثنى عشر عم، وبعضهم قالوا عشرة، وبعضهم قالوا تسعة، فهي محل خلاف. لكن أربعة من أعمامه فقط أدركوا بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، والبقية ماتوا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم. والأربعة: اثنين على الإسلام، واثنين على الكفر:

- (أبو لهب): وهو من ألد أعداء النبي صلى الله عليه وسلم، ونزلت فيه سورة كاملة هو وامرأته: {تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَب وَتَبَّ} [المسد: 1] إلى آخر الأيات.
- (أبو طالب): وكان من أكثر مناصري النبي صلى الله عليه وسلم، وسيأتي الكلام عنه أيضًا، فكان من أكثر مناصري النبي صلى الله عليه وسلم حتى موته، وكان يدعمه، ويناصره، ويدافع عنه، وهو الذي أخذه وكفله بعد موت جد النبي صلى الله عليه وسلم– كما سيأتي أيضًا في ولاداته وكفالته– فكان في كفالة أبو طالب حتى مات أبو طالب، وقد بقي حيًا بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى عشر سنوات؛ أي قرابة قبل الهجرة، لكنه مات على غير الإسلام ومات على ملة أبيه عبد المطلب.
- ثم الإثنين من أعمام النبي صلى الله عليه وسلم الذين قد أسلموا وهم: (حمزة)؛ و(العباس).

و(حمزة) طبعًا كان حبيبًا لقلب النبي صلى الله عليه وسلم جدًا، وحزن عليه في قتله في أُحُد، و(العباس) أيضًا بعد ذلك أسلم قبل فتح مكة، وكانت أعمارهم قريبة من عمر النبي صلى الله عليه وسلم؛ بينهم وبين عمر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أو أربع سنوات، وقلنا أن (حمزة) رضع مع النبي صلى الله عليه وسلم من مولاة أبي لهب (ثوبية)، حتى أن بين حمزة والعباس وبين أبو النبي صلى الله عليه وسلم –(عبد الله)– واحد وعشرين سنة في العمر، لكن (عبد الله) توفي – كما سيأتي معنا– وعنده خمسة وعشرين سنة. ولذلك (العباس) و(حمزة) قريبين جدًا من عمر النبي صلى الله عليه وسلم.

ذكرنا أعمام النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال:

عبد المطلب واسمه: شيبة الحمد على الصحيح، ابن هاشم، واسمه: عمرو وهو أخو المطلب – وإليهما نسب ذي القربى–، وعبد شمس، ونوفل. أربعتهم: أبناء عبد مناف أخي عبد العُزى، وعبد

الدار، وعبد، أبناء قصي،– واسمه: زيد–، وهو أخو زهرة، (ابني) كلاب أخي تيم، ويقظة أبي مخزوم، ثلاثتهم: أبناء مرة أخي عديٍّ، وهصيص، وهم أبناء كعب أخي عامر، وسامة، وخزيمة، وسعد، والحارث، وعوف، سبعتهم أبناء لؤي أخي تيم الأدرم ابني غالب أخي الحارث، ومحارب، بني فهر أخي الحارث ابني مالك أخي الصَّلت، (ومخلد، ابني) النضر أخي مالك، وملكان، وعبد مناة، وغيرهم، بني كنانة أخي أسد، [وأسدة]، والهُون، بني خزيمة أخي هُذيل، ابن مُدركة – واسمه: عمرو–، وهو: أخو طابخة– واسمه: عامر–، وقمعة، [و] ثلاثتهم أبناء إلياس، أخي الناس– وهو: غيلان والد قيس–، (كلاهما)، كلاهما ولد مضر أخي ربيعة،– وهما الصريحان من ولد إسماعيل، وأخي أنمار، وإياد، وقد تيامنا، أربعتهم أولاد نزار أخي قضاعة– في قول أكثر أهل النسب، كلاهما (أبناء) معد بن عدنان]

كل الذي ذكره هذا هو نسب النبي صلى الله عليه وسلم إلى عدنان؛ عشرين جد للنبي صلى الله عليه وسلم، لماذا توقف عند عدنان؟ لأن إلى هنا هذا النسب متفق عليه بين العلماء؛ فلا يوجد خلاف في هدا العدد، ثم (من بعد عدنان إلى اسماعيل) هو الذي فيه اختلاف بين العلماء، بعضهم قال أنهم "أربعين" جد، وبعضهم قال "سبعة، وبعضهم قال "واحد وأربعون"، أو "ثلاثة وأربعون"، فاختلفوا فيه من بعد عدنان إلى اسماعيل عليه السلام. فهو ذكر المتفق عليه الآن في الكتب، وهذا أيضًا الذي وقف عنده (ابن القيم في زاد المعاد) عندما ذكر النسب؛ أيضًا وقف إلى (عدنان) وقال أن هذا الذي اتفق عليه العلماء، ثم بين الإختلاف بعد ذلك.

هؤلاء أجداد النبي صلى الله عليه وسلم إلى عدنان، وعددهم عشرون جد للنبي صلى الله عليه وسلم.

الجد الأول: **عبد المطلب؛**

- واسمه كما قال ابن كثير (شيبة الحمد). قالوا لُقِب بشيبة الحمد لكرمه وجوده؛ أي كان كريم وجواد.
- وبعضهم قال (شيبة) فقط بدون "الحمد"، تجدوه في بعض الكتب اسمه شيبة فقط. بعضهم قالوا أن في رأسه كان شيبة، فسمي شيبة لذلك.
- و(عبد المطلب) هذا لقب له؛ ليس بإسم.
- وحتى لا نتفرع، ذكر ابن كثير في (البداية والنهاية) سبب تسميته بهذا اللقب. (يُرجَع لها لو أراد التوسع لكن ما نحتاج إليها، حتى لا نتوسع بدون فائدة. لكن ابن كثير ذكر ذلك في البداية والنهاية، في تلقيبه بعد المطلب أن له قصة.

الجد الثاني: **هاشم؛**

- وهو اسمه (عمرو) لكن لقبه (هاشم). قيل لهشمه الثريد مع اللحم، فقد حدثت مجاعة في بعض السنين، فكان هو يأتي بالثريد مع اللحم، وهو من أنفس الطعام، وحتى الآن موجود، وهو دسم. فقيل لهشمه الثريد مع اللحم في سني المجاعة، أي كان في سنوات المجاعة يخلط هذا ويعطيه للناس، فلقب هاشم لذلك.
- قال: **(وهو أخو المطلب – وإليهما نسب ذي القربى–، وعبد شمس، ونوفل. أربعتهم: أبناء عبد مناف)؛**
- **ذي القربي:** هم آل النبي صلى الله عليه وسلم، لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: [إنما بَنُو الْمُطَّلِبِ وَبَنُو هَاشِمٍ شَيْءٌ وَاحِدٌ].؛ أي بنو المطلب وبني هاشم جعلهم النبي صلى الله عليه وسلم شيئًا واحدًا، وقال هم لم يفترقوا لا في جاهلية ولا في إسلام، فهؤلاء هم "ذي القربى" الذي يقصدهم.

الجد الثالث: **عبد مناف؛**

- عبد مناف هو أبو المطلب، وعبد شمس، ونوفل، وهاشم.
- قال: **(وهو أخي عبد العزى وعبد الدار وعبد أبناء قصي)؛**
  - (عبد العزى) منهم (خديجة) رضي الله عنها؛ فـ (عبد العزى) كأنه أخو جد النبي صلى الله عليه وسلم الثالث، ذلك ستجتمع **(خديجة) رضي الله عنها** في الجد الرابع، لأن (عبد مناف) أخو (عبد العزى) و(عبد الدار) و(عبد أبناء قصي) أخوات، لهم أب؛ الذي سيأتي وهو (قصي). فكأن نسب النبي صلى الله عليه وسلم يجتمع مع نسب (خديجة) رضي الله عنها في (قصي)؛ الجد الرابع، لأن (خديجة) رضي الله عنها من أجدادها (عبد العزى) الذي هو أخو جد النبي صلى الله عليه وسلم الثالث وهو (عبد مناف) وأبوهم كما سيأتي (قصي).
  - وأيضا **(الزبير بن العوام)** رضي الله عنه من نفس نسب (خديجة) رضي الله عنها.

إذًا (خديجة) رضي الله عنها، والزبير رضي الله عنه يجتمعان مع النبي صلى الله عليه وسلم في الجد الرابع (قصي).

الجد الرابع: **(قصي)؛**

- واسمه (زيد). و(قصي) لقب أيضًا، لأنه قال: "قصي واسمه زيد". وبعضهم قالوا لقب بـ (قصي) لأنه كان قاصيًا عن قومه في قضاعة؛ أي ترك قومه وجلس عند قضاعة فترة، لأن بعد ذلك جده سيجمعهم. ثم قالوا رجع إلى مكة وبعد أن رجع جمع قريشًا في مكة؛ أي كانت متفرقة.
- قال: **(أخو زهرة، (ابني) كلاب)**

- و(زهرة) هذه منها أم النبي صلى الله عليه وسلم؛ فكأنها تشترك مع نسب النبي صلى الله عليه وسلم؛ مع (عبد الله) أبو النبي صلى الله عليه وسلم في الجد الخامس.
- وهنا أيضًا من (زهرة) **(سعد بن أبي وقاص)**. فـ (سعد بن أبي وقاص) يجتمع هنا مع النبي صلى الله عليه وسلم –كما سيأتي– في الجد الخامس، لأنه من (زهرة) أيضًا.
- وأيضًا **(عبد الرحمن بن عوف)**. وهذا يبين لك أن أفاضل الصحابة اشتركوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في النسب، لكن اشتركوا في أجداد متأخرة، ليسوا كأعمام النبي صلى الله عليه وسلم. لكن قلنا أن (سعد بن أبي وقاص) و(عبد الرحمن بن عوف) هنا من بنو زهرة، إذًا سيشتركون مع النبي صلى الله عليه وسلم في الجد الخامس – الذي سيأتي الآن معنا– وهو (كلاب).
- وفائدة أنه ذكر الإخوة لكل جد حتى يبين لك نسب الصحابة، وهذه ممكن أن تعرفها عندما تقرأ وتجد الكاتب يقول لك: "وعبد الرحمن بن عوف يشترك مع النبي صلى الله عليه وسلم في نسبه في بني كذا". فأنت الآن عندما يكون معك الشجرة ستستطيع أن تتصور من الصحابة من الذي اشترك في نسب النبي صلى الله عليه وسلم، ومن الذي لم يشترك.

الجد الخامس: **كلاب**؛

- وقال: **(كلاب أخي تيم، ويقظة أبي مخزوم، ثلاثتهم: أبناء مرة)**
  - من (تيم) **(أبو بكر الصديق)** رضي الله عنه، إذًا (أبو بكر الصديق) يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم السلام في الجد السادس **(مره)**، لأن (كلاب) أخو (تيم) فعندما تريد أن تُنَسِّبَه تأتي بالجد الذي يليه.

- ومن (مخزوم) **(خالد من الوليد)** رضي الله عنه، من بني مخزوم، خالد سيف الله المسلول، فاشترك مع النبي صلى الله عليه وسلم في الجد السادس.

الجد السادس: **مرة؛**

- قال: **(أبناء مرة أخي عديٍّ، وهصيص، وهم أبناء كعب)**؛
  - من بني (عدي) (عمر بن الخطاب) ويشترك مع النبي صلى الله عليه وسلم في الجد السابع، وايضًا ابن عمه (سعيد بن زيد) رضي الله عنه.

الجد السابع: **كعب؛**

- قال: **(كعب أخي عامر، وسامة، وخزيمة، وسعد، والحارث، وعوف، سبعتهم أبناء لؤي)**.

الجد الثامن: **لؤي؛**

- قال: **(لؤي أخي تيم الأدرم ابني غالب)**

الجد التاسع: **غالب؛**

قال: **(غالب أخي الحارث، ومحارب، بني فهر)**

- من بني الحارث صحابي أيضًا من العشر المبشرين بالجنة هو **(أبو عبيدة عامر بن الجراح)**.

الجد العاشر: **فهر؛**

قلت لكم أن تضعوا خط على (فهر)، وعلى (النضر أخي مالك)

- فهنا يوجد خلاف بين العلماء في من هو أبو (قريش)؟ فهناك قول عند بعض العلماء وذكر ابن كثير القول الأول والثاني؛

- القول الأول: أن كثير من أهل العلم ينسبون قريش كلها إلى **(فهر بن مالك)**، أي أن (فهر ابن مالك) هو أبو قريش.
- القول الثاني: عند أهل العلم أيضًا – لكن أقل كثرة في قوله– أنه الجد الثاني عشر وهو **(النضر بن كنانة)**. فبعض أهل العلم قالوا أن جماع قريش عنده. وسيأتي الكلام هذا إن شاء الله في الكتاب معنا سيذكره الحافظ ابن كثير، ويبين الخلافات فيه.

الجد الحادي عشر: **مالك؛**

- قال: **(مالك أخي الصَّلت، ومخلد)**، وبعضهم يقول (يخلد)، فتجدوا في بعض الكتب (مخلد) أو (يخلد)، حتى ابن كثير نفسه في (البداية والنهاية) ذكره بـ (يخلد)، وهنا ذكره بـ (مخلد)، والإثنين شخص واحد.

الجد الثاني عشر: **النضر؛**

- وقلنا (النضر ابن كنانة) بعضهم قال هو أبو قريش أو هو جماع قريش عنده.

الجد الثالث عشر: **كنانة**

الجد الرابع عشر: **خزيمة؛**

- قال: **(خزيمة أخي هُذيل)**
  - ومن (هديل) **(عبد الله بن مسعود)** "الهدلي"، فهنا يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في الجد الخامس عشر؛ لأن (هديل) أخو (خزيمة)، ويجتمعان في (مدركة).

الجد الخامس عشر: **مدركة**

الجد السادس عشر: **إلياس؛**

- قال: **(إلياس، أخي الناس– وهو: غيلان والد قيس–، (كلاهما)، كلاهما ولد مضر)**

الجد السابع عشر: **مضر**؛

- قال: **(أخي ربيعة،– وهما الصريحان من ولد إسماعيل، وأخي أنمار، وإياد، وقد تيامنا)**

ومعنى " تيامنا" أي: قصدوا جهة اليمن، وسكنوا فيها.

الجد الثامن عشر: **نزار**؛ أخي قضاعة.

الجد التاسع عشر: **معد**

الجد العشرون: **عدنان**

وهنا قد انتهينا من نسب النبي صلى الله عليه وسلم المتفق عليه إلى (عدنان).

ثم قال بعد ذلك:

فجميع قبائل العرب ينتسبون إلى من ذكرت من أبناء عدنان.

وقد بين ذلك الحافظ (أبو عمر) النَّمري في كتاب "الإنباه بمعرفة قبائل الرواة" بيانًا شافيًا رحمه الله تعالى.

وقريش على قول أكثر أهل النسب: هم الذين ينتسبون إلى (فهر بن مالك بن النضر بن كنانة) وأنشدوا في ذلك :

قُصَيّ لَعَمْرِي كان يدعى مُجَمِّعًا به جَمع الله القبائل من فهر

لو تذكروا (قصي) قلنا أنه كان قَصَى عن قريش وذهب لقضاعة، ثم رجع فجَمَّع قبائل قريش.

قُصَيّ لَعَمْرِي كان يدعى مُجَمِّعًا: فهو يريد أن يقول أمهم كانوا متفرقين فجمعهم؛ فكانوا في بطون؛ (في أماكن) ثم جمعهم مع بعض ليتحدوا كقبيلة تظل في مكان واحد، فهو سُمِّي (مجمعا) لذلك.

به جَمع الله القبائل من فهر: يريد أن يقول أن كأن (فهر) أصل قريش.

كأنه يريد أن يرجح هنا بهذا البيت أن العرب بتقول أو أهل الانساب أن كل بطون قريش أصلها كلها ترجع لـ (فهر).

وقيل : بل جماع قريش هو النضر بن كنانة ، وعليه أكثر العلماء والمحققين

قلت في أول الكلام أكثر علماء الأنساب على أن أصل قريش جماعة من (فهر). لكن ابن كثير يقول هنا: (وقيل: بل جماع قريش هو النضر بن كنانة). ومعنى ((وقيل)) أن هذا قول مضعف عند أهل الأنساب. لكن هو قال: (وعليه اكثر العلماء والمحققين)، فكأنه ثبت عند العلماء والمحققين؛ – ممكن بالأدلة أو الآثار أو شيء – على أنه النضر ابن كنانة.

واستدل على ذلك بالحديث:

فائدة ابن كثير أنه عندما يذكر، فهو يُحَدِّث

الذي ذكره أبو عمر بن عبد البر– رحمه الله تعالى–، عن الأشعث بن قيس رضي الله عنه قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد كندة فقلت : [ألستم منا يا رسول الله؟!] قال : [لا، نحن بنو النضر بن كنانة، لا نقفو أمنا، ولا ننتفي من أبينا].

وقد رواه ابن ماجه في "سننه" بإسناد حسن، وفيه: فكان الأشعث يقول: لا أوتى برجل نفى رجلًا من قريش من النضر بن كنانة إلا جلدته الحد.

وقيل: إن جماع قريش: إلياس بن مضر بن نزار.

وقيل: بل جماعهم: أبوه مضر.

وهما قولان لبعض أصحاب الشافعي، حكاهما أبو القاسم عبد الكريم الرافعي في "شرحه" (وجهين وهما) غريبان جدًا.

فأما قبائل اليمن: كحمير، وحضر موت، وسبأ، وغير ذلك، فأولئك من قحطان ليسوا من عدنان.

وقضاعة فيها ثلاثة أقوال:

قيل: إنها من العدنانية.

وقيل: قحطانية.

وقيل: بطن ثالث، لا من هؤلاء، ولا من هؤلاء. وهو غريب، حكاه أبو عمر وغيره.

- لما انتهى ابن كثير رحمه الله من ذكر نسب النبي صلى الله عليه وسلم إلى جده عدنان العشرون، قال: **(أن جميع قبائل العرب ينتسبون إلى من ذكرت من أبناء عدنان)**؛ إذً قبائل العرب كلها ترجع لعدنان؛ ويسمون "العرب العدنانية". وذكر الأجداد التي ذكرناها لكم. ثم ذكر بعد ذلك الخلاف في مسألة أصل قريش– في كتاب الحافظ أبو عمر النمري– فقال:
  - **القول الأول:** "الجد العاشر ينتسبون إلى فهر ابن مالك، وكل من كان من ولد فهر ابن مالك ينتسب إلى قريش، ومن لم يكن من ولد فهر فليس بقرشي. هذا على القول الأول، لذلك أنشد البيت الذي ذكرناه: (قصي لعمري كان يدعى مجمعا .... به جمَّع الله القبائل من فهر). و(قُصي) هو ابن (كلاب) الجد الرابع للنبي صلى الله عليه وسلم، فهو جمَّعهم جميعًا وأجلسهم عند الحرم.
  - **القول الثاني:** والذي عليه أكثر الفقهاء والمحدثين: أن جماع قريش للنضر ابن كنانة، وهو الجد الثاني عشر، وهذا اللي رجحه ابن كثير في (البداية والنهاية)، واستند للحديث الذي ذكره ابن عبد البر، على أن النبي صلى الله عليه وسلم ((**لما جاءه الأشعث بن قيس رضي الله عنه قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه**

وسلم في وفد كندة فقلت : [ألستم منا يا رسول الله؟!] قال : [لا، نحن بنو النضر بن كنانة، لا نقفو أمنا، ولا ننتفي من أبينا].)) والحديث عند ابن ماجه، وعند مسند الإمام أحمد، وذكره الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة أيضًا.

فقال: **(لا، نحن بنو النضر بن كنانة، لا نقفو أمنا، ولا ننتفي من أبينا)**؛ (لا نقفو أمنا): أي: لا نتبع نسب أمنا. ف "قفى الشئ": أي: "تبعه" { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ} [الإسراء: 36]؛ أي تتبع. (ولا ننتفي من أبينا) فنحن نتبع نسب أبينا، فهو يريد أن يقول: "لا نترك النسب الذي للآباء وننتسب إلى الأمهات" لأن أم النبي صلى الله عليه وسلم تجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في الجد الخامس. فهو يريد أن يقول: لا ننتسب لنسب الأمهات، بل ننتسب إلى الآباء، وهذا يبين لك أن النسب أصله في الأب. وعند العوام يقول لك أنك هتدعي يوم القيامة بأمك؛ نعم هي لها أصل، لكن الصحيح أن النسب للأب.

قال تعالى: { ٱدْعُوهُمْ لِـَٔابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ} [الأحزاب: 5]؛ آية صريحة، وهذا يدل على أن النسب للآباء وليس للأمهات بحال من الأحوال.

فذكر هذا القول وهو الراجح والله أعلم في هذه المسألة.

- ثم ذكر بعض الأقوال نمر عليها لبعض أصحاب الشافعي؛ ذكر بعض الأجداد الآخرين على أنهم الأصل في ذلك، لكن هذه من الأقوال الضعيفة في المسألة.
- ثم قال: **(وقضاعة فيها ثلاثة أقوال: إنها من العدنانية)**؛ وهذا القول الأكثر، أنها تنتسب لعدنان. فالجد الثامن عشر (نزار أخي قضاعة)، فهذا معناه أن (قضاعة) عدنانية؛ أي من نسب عدنان أيضًا؛ من العرب العدنانيين أصالة.

- **(وقيل قحطانية)**: أي ليست عدنانية، **(وقيل بطن ثالث لا من هؤلاء ولا من هؤلاء)**، وهذا قول غريب؛ أي الذي قال ذلك من أهل العلم.
- هذا النسب إلى عدنان، لأنه سيعقد بعد ذلك نسبًا آخر في ذلك.
- المُلاحظ أن بعض أجداد النبي صلى الله عليه وسلم سلم اشتهروا بالألقاب، وليس بالأسماء. فلو لاحظت هو يقول اللقب ثم يذكر: واسمه (كذا).
  - كما قال مثلًا: هاشم هذا لقب، عبد المطلب لقب وليس اسم، وقصي أيضاً لقب، وأن الألقاب لها معنى؛ ترجع لمعاني. هذه كلها فوائد بنأخدها من المسألة.
- إذًا ممكن أن يلقب الشخص بشيء يفعله، بصفة كان مشهور بها، وهذا موجود إلى الآن حتى في زماننا، أن بعض الناس بتلقب بأشياء بيفعلونها.
- هذه القطعة تبين لك دقة (ابن كثير) في ذكر النسب؛ أنه ذكر النسب وإخوان كل جد للنبي صلى الله عليه وسلم.
- وكثير من العلماء الذين ذكروا نسب النبي صلى الله عليه وسلم وقفوا كما وقف (ابن كثير) أولا عند عدنان، فـ (ابن القيم) فعل ذلك، و(البخاري) أيضًا في الصحيح فعل ذلك، ولعل هذا الإتفاق يساعد على حفظ النسب إلى عدنان.

فصل: نَسَبُهُ ﷺ بَعْدَ عَدْنَان

سنأخذه لكن مرورًا، لأن قلنا أن هذا فيه خلاف.

وهذا النسب الذي سقناه إلى عدنان لا مرية فيه ولا نزاع، وهو ثابت بالتواتر، والإجماع، وإنما الشأن فيما بعد ذلك، لكن لا خلاف بين أهل النسب وغيرهم من علماء أهل الكتاب:

أن عدنان من ولد إسماعيل نبي الله، وهو: الذبيح على الصحيح من قولي الصحابة والأئمة. وإسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن عليه أفضل الصلاة والسلام.

وقد اختلف في كم (بينهما أبًا) على أقوال:

فأكثر ما قيل: أربعون أبًا.

وأقل ما قيل: سبعة آباء.

وقيل: تسعة.

وقيل: خمسة عشر. ثم اختلف في أسمائهم.

وقد كره بعض السلف والأئمة الانتساب إلى ما بعد عدنان.

ويحكي عن مالك بن أنس الأصبحي الإمام– رحمه الله–: أنه كره ذلك.

قال الإمام أبو عمر بن عبد البر في كتاب "الإنباه": [و] الذي عليه أئمة هذا الشأن في نسب عدنان، قالوا: عدنان بن أدد، بن مقوم بن ناحور، بن تيرح، ابن يعرب، بن (يشخب)، بن نابت، بن إسماعيل، بن إبراهيم خليل الرحمن، بن تارح– وهو آزر–، بن ناحور، بن (شاروخ)، بن (راعوا)، بن (فالح)، بن عيبر، بن (فالخ)، ابن أرفخشذ، بن سام، بن نوح، بن لامك، بن متوشلخ، بن أخنوخ– وهو: إدريس النبي عليه السلام فيما يزعمون–. والله أعلم.

وهو أول بني آدم أُعطي النبوة بعد آدم وشيث. [وأول من] خط بالقلم.

ابن (يزد) بن مهليل، بن قينن، بن يانش، بن شيث، بن آدم عليه السلام.

هكذا ذكره محمد بن إسحاق بن يسار المدني صاحب "السيرة النبوية" وغيره من علماء النسب.

وقد نظم ذاك أبو العباس عبد الله بن محمد الناشئ المعتزلي في قصيدة يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أوردها الإمام أبو عمر وشيخنا في "تهذيبه"، وهي قصيدة بليغة أولها :

مدحت رسول الله أبغي بمدحه وفور حظوظي من كريم المآرب

مدحت امرءًا فاق المديح موحدًا بأوصافه عن مبعد ومقارب

فجميع قبائل العرب مجتمعون معه في عدنان؛ ولهذا قال الله تعالى: { قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ } [الشورى: ٢٣].

قال ابن عباس– رضي الله (تعالى) عنهما–: " لم يكن بطن من قريش إلا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة".

وهو صفوة الله منهم.

كما رواه مسلم في "صحيحه": عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [إن الله (اختار) كنانة من ولد إسماعيل، ثم اختار من كنانة قريشًا، ثم اختار من قريش بني هاشم، ثم اختارني من بني هاشم].

وكذلك بنو إسرائيل: أنبياؤهم وغيرهم يجتمعون معه في إبراهيم الخليل– عليه الصلاة والسلام– الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب، وهكذا أمر الله سبحانه بني إسرائيل على لسان موسى عليه السلام، وهو في التوراة– كما ذكره غير واحد من العلماء ممن جمع بشارات الأنبياء به صلى الله عليه وسلم–: أن الله تعالى قال لهم ما معناه: (سأقيم لكم من أولاد أخيكم نبيًا كلكم يسمع له، وأجعله عظيماً جدًا).

- هذا الجزء ذكر فيه الحافظ نسب النبي صلى الله عليه وسلم من بعد (عدنان)، وكأنه يقول أن العلماء كرهوا ذكره لما فيه من الخلاف، واتفقوا على ذكر النسب إلى (عدنان)، وإن كان هو قد جاء به وبين بأن هذا النسب الذي ساقه إلى (عدنان) لا مرية فيه ولا نزاع، وما بعد (عدنان) إلى (إسماعيل) هذا الذي فيه الخلاف بين العلماء.

- ثم قال عن (**إسماعيل**) عليه السلام (**وهو الذبيح على الصحيح من قوله الصحابة والأئمة**)
  - القول الصحيح عندنا – نحن أهل الإسلام– أن الذبيح كان (إسماعيل) عليه السلام، وهذا كما قال عند علماء الصحابة والأئمة والتابعين.
  - والذي يُنقَل في التوراة عند اليهود وبعض أهل الكتاب أن الذبيح عندهم (اسحاق) فهذا الكلام باطل لا يصح، لأن قد جاءت الأدلة من الكتاب تشير إشارة واضحة على أن الذبيح كان (إسماعيل) وليس (إسحاق).
  - كما جاءت الآيات في سورة الصافات، قال تعالى: { فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ، وَنَـٰدَيۡنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ، قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ، إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَـٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ، وَفَدَيۡنَـٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٍ، وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡـَٔاخِرِينَ، سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ، كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ، إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ} [الصافات: 103-111]. إلى هنا، القصة، ثم في الآية التي تليها قال: { وَبَشَّرۡنَـٰهُ بِإِسۡحَـٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ} [الصافات: 112]، فقال العلماء: "بشارة الله عز وجل لـ (إبراهيم) شكرًا له على صبره على ما أُمِر به وهو ذبح (إسماعيل) ولابد أن يكون الذي بُشِّرَ به آخرًا غير الأول". لأنه كيف سيُبَشَّر بـ (إسحاق) وهو يذبحه! فهو هنا دلت الآيات أن الذبيح كان (إسماعيل)، والمُبَشَّر به كان (إسحاق).
  - لكن ممكن أن يُشكَل عليك، لأنه يقول البعض بأن البشارة الموجودة هي بشارة على النبوة، أي لا يمنع أن الأول كان (إسحاق)، والبشارة على أنه سيكون نبيًا، {وَبَشَّرۡنَـٰهُ بِإِسۡحَـٰقَ نَبِيّٗا }.
  - هنا كيف يكون الرد؟ نقول: (البشارة وقعت على المجموع)، أي على ذاته، ووجوده وأن يكون نبيًا. أي أنه بُشِّرَ بأنه سيكون هناك (إسحاق) وإن لم يكن موجودًا، وأن يكون أيضًا نبيًا. انظر إلى الآية: {وَبَشَّرۡنَـٰهُ بِإِسۡحَـٰقَ نَبِيّٗا }، جاءت نبيًا منونة نصبًا على الحال (مقدر)؛ أي كأنه مقدر نبوته، فكأن النبوة تابعة، فلا يمكن أن تكون البشارة على التابع ولا تكون على الأصل، فكأن البشارة على الذات؛ على وجود

(إسحاق) نفسه أنه سيبشر به، وعلى كونه سيكون نبيًا بعد ذلك. بمعنى آخر: إذا وقعت البشارة على كونه نبي، فمن باب أولى تكون البشارة على وجوده. ففي هذا رد.

- لكن أيضًا في آية أخرى لما جاء رسل (لوط) لـ (إبراهيم)، فـ (إبراهيم) عليه السلام خاف، فقالوا في الآيات: { قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ، وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ} [هود: 70-71]. قالوا: لما بشر الله عز وجل (سارة) زوجة (إبراهيم) بـ (إسحاق) ومن وراء (إسحاق) (يعقوب) أيضًا، دل ذلك على أنه ليس الذي كان في الذبح.
- وعمومًا لو أردتم الإستفاضة، فهناك كتب لذلك، ولكن يكفينا المقام هنا لنبين كما قال الشيخ أن (إسماعيل) هو الذبيح، حتى لو قرأتم في أي شيء آخر يقول لك أن (إسحاق) هو الذبيح، فهذا كلام غير صحيح عند أهل السنة أو عند الصحابة والتابعين.

- ثم قال: **(وقد اختلف في كم بينهما أبًا على أقوال: فأكثر ما قيل: أربعون أبًا، وأقل ما قيل: سبعة آباء، وقيل: تسعة، وقيل: خمسة عشر)**.

وقد بين وجه كره السلف والأئمة الإنتساب إلى ما بعد عدنان، ونقل ذلك عن الإمام مالك بن أنس– إمام دار الهجرة، إمام أهل السنة في زمانه في المدينة –وأنه كان يكره ذلك.

- ثم ذكر كما نقلنا قصيدة المدح المعتزلي في النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه نمر عليها.
- قال: **(فجميع القبائل العربية مجتمعون مع النبي صلى الله عليه وسلم في عدنان)**.
- ثم ذكر قول ابن عباس: **(لم يكن بطن من قريش إلا ولرسول صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة)**.
- قال: **(وهو صفوة الله منهم)**: أي من قريش، وقلنا إن نسب النبي صلى الله عليه وسلم هو أشرف الأنساب على الإطلاق وأفضلها، كما قال ابن القيم أيضًا في زاد المعاد: (هو خير

أهل الأرض نسبًا على الإطلاق، فلنسبه من الشرف أعلى ذروة وأعدائه كانوا يشهدون له بذلك) كما بينا في حديث أبو سفيان من قبل.

- ثم ذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم: [إن الله اختار كنانة من ولد إسماعيل، ثم اختار من كنانة قريشًا، ثم اختار من قريش بني هاشم، ثم اختارني من بني هاشم].
- ثم بيّن لنا نبوءة النبي صلى الله عليه وسلم في كتب التوراة، بأن الله عز وجل قد بيّن لبني إسرائيل أنه سيجعل لهم نبيًا من نسل أبيهم، فلو قلنا أنه يرجعون لـ (يعقوب) و(إسحاق)، و(إسماعيل) هو أخو (إسحاق)، فمن نسل أبيهم (إبراهيم)، أو أخوهم؛ "أخو إسحاق".
- ثم قال: **(سأقيم لكم من أولاد أخيكم نبيًا كلكم يسمع له، وأجعله عظيماً جدًا)**، وهذا الذي يبين شرف النبي صلى الله عليه وسلم، واليهود كانوا يعلمون أنه سيخرج نبي، لكن كانوا يظنون أنه سيخرج منهم، فهم يعلمون بأنه لن يخرج منهم لكن حسدوا العرب على ذلك وحسدوا قريش.

ثم قال:

ولم يولد من بني إسماعيل أعظم من محمد صلى الله عليه وسلم، بل لم يولد من بني آدم أحد، ولا يولد إلى قيام الساعة أعظم منه صلى الله عليه وسلم.

فقد صح أنه قال : [أنا سيد ولد آدم ولا فخر، (آدم) فمن دونه من الأنبياء تحت لوائي].

وصح [عنه] أنه قال: [سأقوم مقامًا يرغب (إلي آدم [و] الخلق كلهم حتى إبراهيم)]

وهذا هو المقام المحمود الذي وعده الله تعالى، وهو الشفاعة العظمى التي يشفع في الخلائق كلهم؛ ليريحهم الله بالفصل بينهم من مقام المحشر، كما (قد) جاء مفسرًا في الأحاديث الصحيحة عنه صلى الله عليه وسلم.

وأمه صلى الله عليه وسلم: آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة.

- هنا أتى بمناقب النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر أنه لم يولد من بني إسماعيل أعظم من محمد صلى الله عليه وسلم، بل لم يولد من بني آدم أحد –كما قال– أفضل من النبي صلى الله عليه وسلم، فهو أفضل عباد الله عز وجل، وهو أفضل خلق الله؛ سيد ولد آدم أجمعين، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: [أنا سيد ولد آدم ولا فخر، (آدم) فمن دونه من الأنبياء تحت لوائي].
- وهذا الحديث لما قال النبي صلى الله عليه وسلم:[أنا سيد الناس يوم القيامة] حديث صحيح، عندما يأتي الناس ويقفوا في الموقف ويطول بهم الموقف، فيأتون إلى (إبراهيم)، على أنه هو أفضل الأنبياء؛ هو أبو الأنبياء، فهو من أولي العزم من الرسل.

تكليف من الشيخ للطلبة للإجابة عليه خلال المحاضرة القادمة:

من هم أولي العزم من الرسل؛ ما ترتيبهم من حيث الأفضلية؟ مع الدليل؟

- هنا كلام مهم جدًا عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم: [سأقوم مقامًا يرغب إلي الخلق كلهم حتى إبراهيم]؛ لأنه دلالة أن افضل الأنبياء بعد النبي صلى الله عليه وسلم (إبراهيم)، وطبعًا هو من أولي العزم من الرسل.
- قال: **(وهذا هو المقام المحمود)**، وهنا يبين أن النبي صلى الله عليه وسلم قد وعده الله عز وجل: {عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاما مَّحْمُودا} [الإسراء: 79].
  - والمقام المحمود: هو مقام الشفاعة العظمى؛ وهو أن الناس في الموقف يقفون وينتظرون خمسين ألف سنة. أتدرون خمسين ألف سنة كيف يكون حال الناس فيه، والشمس تدنو من الخلائق قدر ميل؟! تكون قريبة جدًا ولا ظل إلا ظل العرش – نسأل الله أن يظلنا جميعًا بظل العرش– وهذا من كرم الله عز وجل في ذلك اليوم؛ يوم يظل الله عز وجل يوم لا ظل إلا ظله؛– سواء ظل العرش أو ظل الله على خلاف ذلك– لكن يقفون يومًا مقداره خمسين ألف سنة.

- أي مقدار بهذا اليوم يداني ما أنت تعانيه في حياتك، في عبادتك، أو في طاعتك، أو في جهدك في شيء؟ لأن لو نقف نصف ساعة في الصلاة زيادة أو ساعة، أو لو أطال بنا الإمام في صلاة فريضة حتى؛ في الفجر أو العشاء، فقرأ مثلًا صفحة أو صفحين، أو وجه، أو شيء، تجد الناس تتململ، أو يقفوا فقط على شيء يشترونه لا يستطيعون.
- إذًا كيف سيكون الحال بنا ونحن نقف خمسين ألف سنة، يوم مدته خمسين ألف سنة؟ كم حياتك في الدنيا؟ ستين! سبعين! تسعين! مائة سنة! كيف ستقارن مائة سنة تحياها في الدنيا بوقوف يوم مقداره خمسين ألف سنة؟ كيف سيكون حالك في هذا اليوم؟ حقًا نحن في غفلة شديدة؛ في غفلة عن هذا اليوم. نقرأه ونتدارسه ونسمع خمسين ألفًا، هذا رقم كبير، والمصيبة ليست في ذلك، المصيبة نحن كيف سيكون حالنا في هذا الإنتظار؟
- وكل في شدة، الناس جميعًا سيأتوا، حتى يأتوا بالأنبياء، والأنبياء لن يستطيعوا أن يفعلوا شيء من شدة هول هذا اليوم، وكل واحد سيحيل على غيره حتى يأتون إلى النبي صلى الله عليه وسلم. موقف عظيم جدًا. فيه ما فيه من النصب، والتعب، والشدة، والهول، والكرب ما الله به عليم.
- فالناس يذهبون إلى الأنبياء يطلبون الشفاعة؛ أن الله عز وجل يقضي بين العباد؛ أي تعبوا من الإنتظار فيطلبون الشفاعة أن الله عز وجل يبدأ في فصل القضاء حتى ينتهي هذا الإنتظار.
- فيذهبون إلى (آدم) عليه السلام فيعتذر ويقول اذهبوا إلى (نوح)، فيذهبون إلى (نوح) فيعتذر، فيحيلهم إلى (إبراهيم) عليه السلام، فيعتذر ويحيلهم إلى (موسى)، فيعتذر ويحيلهم إلى (عيسى)، فيعتذر ويحيلهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: أنا لها، فيذهب فيخر عند العرش ساجدًا تحت عرش الرحمن،

ويحمد الله عز وجل بمحامد، ويثني على الله عز وجل بما هو له أهل، ويعلمه الله عز وجل في هذا الموطن محامد كثيرة يحمد بها الله عز وجل، ثم يجئ الله عز وجل بعد ذلك للفصل بين الخلائق، كما قال تعالى: { وَجَاءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا، وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ} [الفجر: 22-23].

- تأتي الملائكة مع الله صفوف وراء صفوف مطولة، تطوق بكل الخلائق، والناس في أرض المحشر، ويجيء الله عز وجل للفصل بين الخلائق، فهذا هو المقام المحمود الذي يغبط الأنبياء على ذلك النبي صلى الله عليه وسلم.

- قال: **(وهذا هو المقام المحمود الذي وعده الله تعالى، وهو الشفاعة العظمى التي يشفع في الخلائق كلهم؛ ليريحهم الله بالفصل بينهم من مقام المحشر، كما جاء مفسرًا في الأحاديث الصحيحة)**، طبعًا كل هذا مذكور.
- ثم ختم هذا الفصل بعد ذلك بذكر أم النبي صلى الله عليه وسلم، وهي: **آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة**. و(كلاب) هو الجد الخامس للنبي صلى الله عليه وسلم، واشتركت مع نسب النبي صلى الله عليه وسلم مع أبيه في الجد الخامس.
- بعد ذلك سينتقل إلى ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم.

جزاكم الله خيرًا، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

المحاضرة الثالثة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كلام الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد،، على موعد مع شرح كتاب (الفصول في سيرة الرسول) للحافظ ابن كثير عليه رحمة الله تعالى. وقفنا عند فصل: (ولادة النبي صلى الله عليه وسلم)، وقبل الدخول في الفصل كان عليكم تكليف الأسبوع الماضي: من هم أولي العزم من الرسل؛ ما ترتيبهم من حيث الأفضلية؟ مع الدليل؟

بعد المدارسة وسماع إجابات الطلبة: أجاب فضيلة الشيخ:

جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ فَقالَ: [يا خَيْرَ البَرِيَّةِ فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: ذَاكَ إبْرَاهِيمُ عليه السَّلَامُ].

- فهذا الحديث هو الذي أشكل، لما قال: [يا خَيْرَ البَرِيَّةِ] فقال له [ذاك إبراهيم]، فكأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول على إبراهيم (خير البرية)، فهذا هو الأقوى في الإشكال ما بين (إبراهيم) والنبي صلى الله عليه وسلم.
- فنقول لو هو (خير البرية) خُصِّصَ بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: [أنا سيدُ ولدِ آدمَ]، فأصبح كأن (إبراهيم) هو خير البرية إلا النبي صلى الله عليه وسلم هو أفضل منه.
- فقلنا بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم بـ [أنا سيدُ ولدِ آدمَ]، ثم (إبراهيم) [خير البرية]، فظل (إبراهيم) هو خير البرية عليه السلام. فالإتفاق أن النبي صلى الله عليه وسلم ثم (إبراهيم).
- ثم لكي نكون منصفين، هناك خلاف بين العلماء في مسألة ما بعد (إبراهيم) والنبي صلى الله عليه وسلم. فهم اتفقوا على تقديم (موسى) على (عيسى)، لأن (موسى) كان في السماء السادسة، و(عيسى) في السماء الثانية، والله أعلم، فقالوا الترتيب في الإسراء يدل على أن (موسى) أعلى، وأن (موسى) أيضًا هو أصل أنبياء بني اسرائيل، حتى (عيسى) جاء مُكَمِّل بعد ذلك. فقالوا بتقديم (موسى) على (عيسى)، هنا يوجد اتفاق بينهم.
- الإشكال في (نوح) عليه السلام؛ بعضهم جعل (نوح) بعد (إبراهيم) على أنه أول الرسل وجلس فترة طويلة يدعو، فجعلوه بعد (إبراهيم) وقبل (موسى)، فجعلوا (نوح) الثالث.
- وبعضهم جعلوا (موسى) و(عيسى) لا فرق بينهم. والبعض أيضًا قال أن (نوح) و(موسى) و(عيسى) ليس هناك تفضيل بينهم، وجعلوا الأفضلية بين (محمد) صلى الله عليه وسلم و(إبراهيم) عليه السلام.
- والبعض قال –وهذا الأغلب– أنهم جعلوا (موسى) بعد (إبراهيم)، ثم (عيسى) ثم جعلوا (نوح) في الخامس.
- وتظل المسألة خلاف، لكن المتفق عليه تقديم النبي صلى الله عليه وسلم، ثم (إبراهيم) هذا محل اتفاق، والأوقع –والله أعلم– أن المسألة ما بين (نوح) و(موسى)؛ بمعنى هل (نوح) هو الثالث أم (موسى)، لكن يوجد أفضلية لـ (موسى) على (عيسى) نعم هذا أتفقوا عليه أيضًا.

- هذا ملخص للمسألة، وبعض العلماء يروا بأنه لا حاجة أن نستفيض فيها ويحدث فيها تنازع أو شئ، بل كلهم: {تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ} [البقرة:253] فنحن نأخذها فقط من باب المذاكرة والمدارسة، لكنها ليست محل نزاع أصالة.

ندخل في درس اليوم؛

فصل: وِلاَدَتُهُ وَرَضَاعُهُ وَنَشْأَتُهُ

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول.

وقيل: ثامنه.

وقيل:عاشره.

وقيل: لثنتي عشرة منه.

وقال الزبير بن بكار: ولد في رمضان. وهو شاذ. حكاه السهيلي في" روضه".

وذلك عام الفيل، بعده الخمسين يومًا.

وقيل: بثمانية وخمسين يومًا.

وقيل: بعده بعشر سنين.

وقيل: بعد الفيل بثلاثين عامًا.

وقيل: بأربعين عامًا.

والصحيح: أنه ولد عام الفيل. وقد حكاه إبراهيم بن المنذر الحزاميّ شيخ البخاري، وخليفة بن خياط، وغيرهما إجماعًا.

- هذه الجزئية خاصة بولادة النبي صلى الله عليه وسلم، وهنا الحافظ – رحمة الله عليه– عقد هذا الفصل ليبين تاريخ ولادة النبي صلى الله عليه وسلم؛ وهناك اتفاق على أمور، وهناك اختلاف.

الإتفاق:

1-**أنه ولد يوم الاثنين**؛ هذا محل اتفاق بين العلماء وبين أصحاب السير، وهذا بنص حديث النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل على صومه ليوم الإثنين فقال: [ذَاكَ يَوْمَ وُلِدْتُ فِيهِ وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فيه].

- ابن عباس– رضي الله عنهما– له رواية قال عن النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا اليوم الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم (الإثنين)، وقال اليوم الذي أُنزِل عليه، واليوم الذي هاجر فيه من مكة، واليوم الذي وصل فيه الى المدينة، واليوم الذي توفي فيه النبي صلى الله عليه وسلم، حتى قال: [وُلِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، وَاسْتُنْبِيَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، وَتُوفِي يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، وَخَرَجَ مُهَاجِرًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ]، فكأن هذا كله حدث يوم الإثنين كما قلنا أنه ثبت في حديث صحيح مسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الإثنين فقال: [ذَاكَ يَوْمَ وُلِدْتُ فِيهِ وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فيه].

- إذًا **صوم يوم الإثنين** له علتان، أو له حكمتان، أو له فائدتان، أو له ثمرتان:

أنه اليوم الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم، واليوم الذي أُنزِل عليه، لكن الصوم قال: (أن هذا يوم ولدت فيه، ويوم ترفع فيه الأعمال، فأحب أن ترفع الأعمال وأنا صائم). فأصبح صوم الإثنين فيه أجران أنه لو انتوى فيه المرء كما قال النبي صلى الله

عليه وسلم قال: (يوم ولدت فيه، وقال يوم ترفع فيه الأعمال) – بخلاف يوم الخميس الذي كان يصومه النبي صلى الله عليه وسلم وقال هو يوم ترفع فيه الأعمال أيضًا– لكن كان صوم يوم الإثنين آكد من صوم يوم الخميس، لأن فيه فائدتان كما بين النبي صلى الله عليه وسلم. فبإتفاق العلماء أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد يوم الإثنين.

2–**وأيضا اتفقوا على الشهر الذي ولد فيه؛ وهو شهر الربيع**، واتفقوا– إلا في الخلاف الشاذ الذي نقله ابن كثير على أنه كان في عام الفيل.

الإختلاف

- اختلفوا في أي يوم من شهر ربيع ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الذي نقله، وهذه محل خلاف، وإن كان الجمهور على أنه الثاني عشر. لكن هناك أصح من قول الجمهور، حديث رواه الإمام مالك في الموطأ على أنه ولد في الثامن من ربيع الأول، والحديث صحيح. لكن هذا محل خلاف حقيقة، لكن المتفق عليه يوم الإثنين، والشهر، والعام.
- **وتفضيل النبي صلى الله عليه وسلم في صوم يوم الإثنين يبين لك منقبة أو فائدة:** أن يحرص المرء على أن يصوم هذا اليوم، وفيه دلالة عن أن الإحتفال الحقيقي بمولد النبي صلى الله عليه وسلم يكون كما هو أرشدنا إليه؛ وهو صوم يوم الإثنين، وليس الإحتفال بيوم في العام على مولده. فمن أراد أن يستن بسنة النبي صلى الله عليه وسلم فينتوي صوم يوم الإثنين كمان انتوى النبي صلى الله عليه وسلم أنه يوم ولد فيه ويوم ترفع فيه الأعمال.
- فكان السلف يحرصون على صوم يوم الإثنين والخميس، والإثنين آكد كما قلت في ذلك. وهذه سنة، فمن أراد أن يعظم النبي صلى الله عليه وسلم وأن يتبعه فليستن بسنته في صوم يوم الإثنين.

- وليس كما فعل من فعل بعد ذلك لتخصيص يوم للإحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم في العام، فهذا مخالف لسنة النبي صلى الله عليه وسلم لأنه لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يفعله الصحابة، ولا السلف الصالح.
- والعجب أنك تجد هؤلاء الذين يريدون أن يحتفلوا ما تجده حتى صائمًا يوم الاثنين! فأنت تدعي أنك تريد أن تحتفل بالنبي صلى الله عليه وسلم، لكن هو يحتفل بخلاف الصوم؛ بالإحتفالات والأكل وغير ذلك، ولو أراد لأحتفل بكل إثنين من الأسبوع بالنبي صلى الله عليه وسلم، ويصوم وينتوي ذلك، فهذا هو التعبير الصحيح على محبة النبي صلى الله عليه وسلم، فليست محبة النبي صلى الله عليه وسلم أقوالًا هكذا، بل لابد أن تكون محبته مطابقة للسنة.
- وأكثر الناس حبًا للنبي صلى الله عليه وسلم الصحابة، ومع ذلك لم تجد الصحابة كانوا يحتفلون بيوم للنبي صلى الله عليه وسلم في مولده، ولا من جاء من بعدهم من التابعين وغيرهم من تابعي التابعين. أرجع للعشر المبشرين بالجنة والخلفاء الأربعة ما تجد في سيرتهم احتفالًا بمولد للنبي صلى الله عليه وسلم، ولا يمكن أن تقول أن هذا الأمر فات الصحابة، لأن حب النبي صلى الله عليه وسلم متأصل عندهم، لا يمكن أن تقول بأنهم لا يحبون النبي صلى الله عليه وسلم، أو أنت تدعي محبتك أكثر منهم ! هذا كذب، لا يمكن أن تدعي محبتك أكثر من محبة الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم، والمواقف كثيرة تبين لك كيف كان الصحابة يقدرون النبي، وينصرونه، ويحبونه، ويتبعون كل شيء كان يفعله. فالصحيح بأنك إن أردت أن تعظم النبي صلى الله عليه وسلم حقًا وتحتفل به فلتصم يوم الإثنين.
- وليس هذا كما ظن البعض الذين قاسوا قياسًا فاسدًا بأن من السنة أن المرء يحتفل بيوم ميلاده قياسًا على النبي صلى الله عليه وسلم أنه بيصوم يوم الإثنين ليحتفل بيوم ميلاده! وهذا قياس فاسد، لأن حتى النبي صلى الله عليه وسلم كان يحتفل بالصوم، وهل الذي

بيحتفل بيوم ميلاده يحتفل بالصوم! فهو بيحتفل بالحلويات والرحلات والحفلات والأمور الأخرى. فهذا ليس قياسًا، هذا قياس فاسد أن يقيس على أن النبي صلى الله عليه وسلم احتفل بيوم مولده، فإذًا من السنة أنك تحتفل أنت أيضًا بيوم مولدك!

- ارجع إذًا لكيف احتفل النبي صلى الله عليه وسلم بيوم مولده، ومولد النبي صلى الله عليه وسلم ليس كيوم أي أحد من البشر أصالة، فالطريق إلى ذلك أنك تفعل ما فعله النبي النبي صلى الله عليه وسلم. وأما الاجتماع في هذا اليوم بالمدائح والأشعار والغناء والطعام وغير ذلك هذه من الأمور المحدثة المبتدعة ما أنزل الله عز وجل بها من سلطان.

قال: **(لليلتين خلتا من ربيع الأول)**، هذا قول، **(وقيل: ثامنه)**، قلنا هذا قول له دليل عند موطأ مالك، **(وقيل:عاشره، وقيل: لثنتي عشرة منه)**.

- وقلنا الأربع أقوال كلهم اتفقوا على أن مولد النبي صلى الله عليه وسلم في ربيع الأول، والقول الشاذ الذي حكاه ابن كثير: **(وقال الزبير بن بكار: ولد في رمضان. وهو شاذ. حكاه السهيلي في" روضه")**. وهو كتاب اسمه "الروض الأُنُف" في السيرة، وهذا القول كما نقل ابن كثير قوله شاذ.
- إذًا المتقرر في ولادته أنه يوم الإثنين، والشهر بيناه؛ ربيع الأول، لكن أي يوم في ربيع الأول؟ هو الذي فيه الخلاف الذي بيناه الآن. وقلنا الجمهور على الثاني عشر، والإمام مالك عنده حديث حقيقة رواه عن محمد ابن جبير ابن مطعم في الموطأ والحديث صحيح، وهذا تابعي، لكنه صححه أصحاب التاريخ واعتمدوا هذا القول وبعض الحفاظ قاله حقيقة، لكن الجمهور على الثاني عشر عمومًا. فهذه خلاصة ما سبق في مسألة مولد النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال: **(وذلك عام الفيل)**؛

- وعام الفيل السنة التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم. ولا شك أنه معلوم أن عام الفيل فيه واقعة حدثت عظيمة جدًا؛ والتي حدث فيها قدوم أبرهة الحبشي إلى مكة، أراد أن يهدم بيت الله عز وجل، بيت الله الحرام، وحدثت القصة المشهورة التي نزلت فيها الآيات: قول الله تعالى: { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَـٰبِ ٱلْفِيلِ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ، تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ} [الفيل: 1-5].
- وكانت العرب دائما تؤرخ بالأحداث المهمة، فلم يكن هناك التاريخ الذي هو الآن بالأرقام، فكانوا يؤرخون بالأحداث الهامة. لذلك سموه (عام الفيل) لأنه كان فيه حدث عظيم؛ أراد أبرهة أن يهدم الكعبة، فالله عز وجل خسف بأبرهة وجيشه الأرض.
- فقالوا أن النبي صلى الله عليه سلم ولد في هذا العام. ونقل ابن كثيير عدة أقوال:
  - قال **(بعده لخمسين يومًا)**، فقال أنه فى هذا العام لكن بعد الحادثة هذه بخمسين يومًا.
  - وبعضهم قال: **(بثمانية وخمسين يومًا)**.
  - والبعض قال كما نقل الحافظ: **(بعده بعشر سنين)**، وهذا أبعدهم حقيقة
  - وقيل: **(بعد الفيل بثلاثين عامًا)**.
  - وقيل: **(بأربعين عامًا)**.
- والصحيح– كما قال ابن كثير–: **(أنه ولد عام الفيل. وقد حكاه إبراهيم بن المنذر الحزاميّ شيخ البخاري، وخليفة بن خياط، وغيرهما إجماعًا)**؛ أي عدّ ذلك إجماعًا أنه ولد في عام الفيل.
- وبعض العلماء قالوا أن حادثة الفيل التي حدثت كانت توطئة، ودائمًا العلماء عندما ينظروا ويحللوا، فبعضهم بيعتمدوا دائمًا على أنه بيحدث حدث عظيم، وهذا الحدث يكون له تأثير. فيحدث حدث ما– في أي زمن– ثم يبدأ ينظر لهذا الحدث ويقول لك بالتحليل بما كان

يحدث من قبل، لأنه بناء على هذا الحدث العظيم يكون له نتائج وآثار، أو يكون مقدمة أو توطئة.

- فالميزان قبل النبوة أصلًا أن قريش كانت وثنية، وأبرهة كان من أهل الكتاب، فالأصل أن دائمًا أهل الكتاب يُقدموا على الوثنيين لأنهم أصحاب كتاب، وأبرهة عندما جاء وأراد أن يهدم الكعبة، فحدث أن الله كأنه نصر قريش، أو نصر بيته حقيقة، على أبرهة الذي هو كتابي، فقالوا هنا معلومة أنها كانت إشارة وتوطئة لحدوث شيء عظيم سيحدث بعد ذلك، وهو بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها حدثت الولادة في نفس العام.
- فالبعض هنا يربط، فيقول لك: عندما يحدث حدث مهم، هذا معناه أنه كأن إستراتيجيًا ستحدث أمور بعد ذلك نتيجة هذا الحدث. ويبدأ ينظر في هذا الحدث ويحاول أن يستخرج منه شيء فيحلله. فبعض العلماء قالوا كان الحدث هذا كأنه نوع من التقديم لظهور ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ثم البعثة. وكذلك الأحداث العظيمة بيكون لها توابع وآثار بعد ذلك.

ثم قال:

ومات أبوه وهو حمل.

وقيل بعد ولادته بأشهر.

وقيل بسنة.

وقيل: بسنتين.

والمشهور: الأول

- ينتقل إلى وقت موت (عبد الله) – أبو النبي صلى الله عليه وسلم– مات وهو حمل النبي سلم، أي وهو في بطن أمه على الصحيح، لأنه قال: **(وقيل بعد ولادته بأشهر، وقيل بسنة، وقيل: بسنتين، والمشهور: الأول)**. إذًا مات أبو النبي صلى الله عليه وسلم والنبي جنين في بطن أمه– صلوات الله وسلامه عليه.
- فهذا يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم طبعًا قد ولد يتيمًا، بل هو أبلغ اليتم، لأن اليتيم ممكن يسعد بأبيه سنة، اثنين، ثلاثة، أربعة، خمسة، ثم يموت الأب، لكن قد رآه وجلس معه، لكن لما يموت الأب وهو جنين فهذا أعلى أو أبلغ اليتم، لأنه لم يسعد به. فقال تعالى عنه: { أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيما فَـَٔاوَىٰ} [الضحى: 6]، فالله عز وجل بين ذلك.
- ثم كانت وفاة (عبد الله) أبو النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة، فهو من مكة، لكنه كان في رحلة، بعضهم قالوا أن أبوه (عبد المطلب) بعته ليمتار له؛ أي يأتي له بالتمر من المدينة. والبعض قال أنه كان في رحلة مع قريب له، فمرض في الطريق، فقال أُمُر على أخواله بني النجار في المدينة، أخواله من جهة جده هاشم– فالنبي صلى الله عليه وسلم له أخوال في المدينة– فمرض عندهم ومات.
- وقالوا كان عمره خمسة وعشرين عامًا.
- وكما قلنا أن عبد الله هو الذبيح الثاني، وبينا الأسبوع الماضي هذه المسألة.

ثم قال بعد ذلك:

واستُرضع له في بني سعد، فأرضعته حليمة السعدية كما روينا ذلك بإسناد صحيح، وأقام عندها في بني سعد نحوًا من أربع سنين، وشُقَّ عن فؤاده هناك، فردته إلى أمه

هنا بدأ بعد ولادة النبي صلى الله عليه وسلم.

- **(واستُرضع له في بني سعد)** كانت دائمًا من عادة العرب أنه لما يولد يأتوا له بمرضعه، وكان هناك سوق. وتوجد قصة في مسألة استرضاع (حليمة السعدية) وأخذها للنبي صلى الله عليه وسلم. كانت النساء تأتي، ويُعرض الأطفال الجدد الذين يرضعوا، فكل واحدة كانت تحرص أنها تأخذ واحد له جاه أو نسب أو له مال لكي تسترزق، فالكل كان يبحث. فالنبي صلى الله عليه وسلم كانوا يُعرِضون عنه لأنهم يعلمون أنه يتيم؛ ليس عنده أب سيغدق بالمال على المرضعة. فأُخذوا الأولاد كلهم، ولم تستطع (حليمة) أن تأخذ شيء، فما وجدت إلا النبي صلى الله عليه وسلم. وكان زوجها هو (الحارث). فأشارت إليه أن يأخذوه بدلًا من أن يرجعوا دون أحد، فاتفقوا على أن يأخذوا النبي صلى الله عليه وسلم معهم.
- فهو استرضع له في بني سعد، وأول من أرضعته (حليمة السعدية). وإن كان من الممكن ألا تكون أولهم، لأنه توجد (ثويبة) فقد أرضعت النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا، وهي مولاة أبي لهب، وأرضعت معه (حمزة) رضي الله عنه. لكن (حليمة) أولًا – والله أعلم في ذلك– وممكن أن تُراجَع هذه المسألة؛ الترتيب.
- وأرضعته (حليمة السعدية) مدة الرضاعة، وجلس معها في بني سعد أربع سنوات، من باب أنها كانت حاضنة له وغير ذلك، كما سيأتي معنا.
- لكن أيضًا كما قلنا فقد أرضعته (ثويبة) مولاة أبي لهب، وقد أرضعت (حمزة) مع النبي صلى الله عليه وسلم.
- **(وأقام عندها في بني سعد نحوًا من أربع سنين)** وقد تعلقت (حليمة) جدًا بالنبي صلى الله عليه وسلم وأرادت أن يبقى عندها. لكن عندما حدثت حادثة شق فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه الحادثة حدثت على الراجح ثلاث مرات.
- ذكرها ابن حجر في "فتح الباري" على أنها تكررت أكثر من مرة، وبعضهم قالوا مرتين، والبعض قال أنها ثلاثة مرات، والبعض قال حدثت أربع مرات.

- وقالوا: مرة عند الطفولة وكان في هذا الوقت أربع سنوات، والثانية عند بعثته (عندما حدثت البعثة والنزول)، والثالثة عند عروجه للسماء في الإسراء، ولها قصة تأتي إن شاء الله في وقتها كيف حدث الشق هذا، لكن عندما شُق صدر النبي صلى الله عليه وسلم خشيت وخافت أن يصيبه أذى وتتحمل هي، فأرجعته إلى أمه وإلى دياره مرة أخرى. وسيأتي إن شاء الله الكلام عن الشق هذا بحديث ثابت فيه.

فخرجت به أمه إلى المدينة تزور أخواله بالمدينة، فتوفيت بالأبواء، وهي راجعة إلى مكة. وله من العمر ست سنين، وثلاثة أشهر، وعشرة أيام.

وقيل: بل أربع سنين.

وقد روى مسلم في صحيحه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مَرّ بالأبواء وهو ذاهب إلى مكة عام الفتح، استأذن ربه في زيارة قبر أمه، فأذن له، فبكى وأبكى من حوله، وكان معه ألف مقنع-يعني: بالحديد

- هذه كأن الحافظ يبين لنا سياق بعد ولادة النبي صلى الله عليه وسلم؛ موت أبيه، ثم كيفية استرضاعه، ثم موت أمه وهو صغير.
- قلنا أمه ذهبت إلى المدينة لأخواله بالمدينة أيضًا من بني عدي بن النجار، وهذا النسب جاء من جهة (عبد المطلب بن هاشم)، لأن (عبد المطلب) كان له في المدينة أقاربه. و(هاشم) أبو عبد المطلب وهو الجد الثاني، وكان في الشام، ولما رجع مَرَّ على المدينة في التجارة، فتزوج من المدينة (سلمى بنت عمرو)، من بني عدي بن النجار. فكان للنبي صلى الله عليه وسلم أخوال من المدينة بسبب زواج (هاشم) من بني عدي بن النجار. فأمه ذهبت إلى المدينة لتزورهم، وأثناء رجوعها من المدينة إلى مكة في منطقة الأبواء، ماتت في الطريق؛ ماتت في طريقها في الرجوع .

- وكان على الصحيح من عمر النبي صلى الله عليه وسلم ست سنين، وثلاثة اشهر، وعشرة أيام، وهذه سن مبكرة للنبي صلى الله عليه وسلم فقد أبوه وهو جنين، ثم فقد أمه وهو عنده ست سنين.
- ولذلك القصة المشهورة التي رواها مسلم في رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة في الفتح، فمر بالأبواء، واستأذن ربه أولًا في أن يستغفر لها، فمنعه الله عز وجل، ثم أستأذن ربه في زيارة القبر، فأذن له. فقال الصحابي: [فبكى وأبكى من حوله]. ونزل قول الله عز وجل– أو من ضمن أسباب النزول: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [التوبة: 113].
- فنُهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الإستغفار للمشركين، ونُهي عن الإستغفار لأمه، ودل ذلك دلالة واضحة وصريحة على أن أم النبي صلى الله عليه وسلم كانت على الكفر، ولم تكن على الإسلام، وفيه دلالة على أن المرء يمكن أن يزور قبر الكافر، وهذا للعظة له هو، وليس فيها مغفرة أو رحمة للمقبور. فقلنا أذِن في الزيارة، ولم يأذن في الإستغفار. وهذه دلالة على عدم جواز الترحم والإستغفار على الكافر أيًا كان إذا مات.
- **(وكان معه ألف مقنع بالحديد)** وهذا كان في ذهابه لفتح مكة، فكان معه الجيش وقتها.

فلما ماتت أمه: حضنته أم أيمن. وهي مولاته، ورثها من أبيه.

وكفله: جده عبد المطلب.

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من العمر ثمان سنين توفي جده، وأوصى به إلى عمه أبي طالب، لأنه كان شقيق عبد الله، فكفله، وحاطه أتم حياطة، ونصره حين بعثه الله أعز نصره، مع أنه كان مستمرًا على شركه إلى أن مات. فخفف الله بذلك من عذابه كما صح الحديث بذلك.

- هنا انتقل إلى مرحلة أخرى بعد وفاة أم النبي صلى الله عليه وسلم، وأصبحت الحاضنة له (أم أيمن)، وهي أصلًا كانت مولاة للنبي صلى الله عليه وسلم؛ فهي كانت جارية عند (عبد

الله)، وورثها النبي صلى الله عليه وسلم من أبيه، فهي مولاة له. لكن أم أيمن صحابية، أسلمت، وأسمها (بركة الحبشية)، وهي من السابقات للإسلام، وبقيت حية إلى ما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، لكنها توفيت بعد النبي بخمسين يومًا فقط، أي حتى قبل (فاطمة)، ففاطمة أول أحد من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم لحقت به.

- **(وهي مولاته، أي ورثها من أبيه)**؛ وقد ورث النبي صلى الله عليه وسلم خمسة أجمال؛ أي خمسة نوق، والجارية هذه من أبيه.
- فكانت (أم أيمن) رضي الله عنها هي الحاضنة له بعد أمه، وكانت تقوم على رعايته وتربيته خاصة بعد وفاة أمه. والنبي صلى الله عليه وسلم زوَّجها من (زيد بن حارثة)، وهي أم (أسامة بن زيد)، رضي الله عن الجميع.
- وانظر إلى وفاء (أبو بكر) و(عمر) رضي الله عنهما للنبي صلى الله عليه وسلم بعد أن توفي النبي صلى الله عليه وسلم، قال (أبو بكر) رضي الله عنه – والحديث في صحيح مسلم– لـ (عمر) رضي الله عنه: [انْطَلِقَ بِنَا إِلَى أُمَّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزُورُهَا]، فكان يزورها وأحيانًا كان يقيل عندها؛ أي ينام عندها –فهي كانت الحاضنة له–. فأرادوا أن يبروا النبي صلى الله عليه وسلم، أو وفاء للنبي، فيزوروا من كان يزوره النبي صلى الله عليه وسلم، فذهبوا إلى (أم وايمن)، [فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ فَقَالَا لها : مَا يُبْكِيكِ؟ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ مِنْ السَّمَاءِ، فَهَيَّجَتْهُما]، أي لما سمع (أبو بكر) و(عمر) ذلك كأنهم تذكروا وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وانقطاع الوحي [فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ معهَا]. رضي الله عنهم جميعًا.
- فهذه (أم أيمن) قد خصها الله عز وجل بأنها تكون حاضنة للنبي صلى الله عليه وسلم وهذه منقبة لها، وخصها بالسبق في الإسلام أيضًا لأنها أسلمت مع النبي صلى الله عليه وسلم،

وبقيت حتى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، فكانت تربيه وهو صغير، وحتى وفاته بعد ذلك ثم توفيت بعده.

- ولما ماتت الأم بعد ذلك أيضًا كان الكافل للنبي صلى الله عليه وسلم هو الجد (عبد المطلب)، وكان يحب النبي صلى الله عليه وسلم كثيرًا. فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم من العمر ثماني سنوات توفي (عبد المطلب)، وعهد (عبد المطلب) جد النبي صلى الله عليه وسلم إلى (أبو طالب) برعاية النبي صلى الله عليه وسلم. إذًا النبي صلى الله عليه وسلم فقد ايضًا جده في الثماني سنين.
- ثم تولى (أبو طالب) كفالة النبي صلى الله عليه وسلم ورعايته ومناصرته كما سيأتي معنا، (لأن له دور محوري – كما يقال– في بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وفي حياة النبي صلى الله عليه وسلم أصالة)، وهو الأخ– الشقيق– لوالده (عبد الله) – و"الشقيق": أي من نفس الأم والأب.
- وكان جد النبي صلى الله عليه وسلم يحب النبي صلى الله عليه وسلم جدًا ويحتفي به ويقربه إليه في المجالس، وغير ذلك، وكانت له عناية بالنبي صلى الله عليه وسلم كبيرة، لذلك أوصى به لـ (أبو طالب)، وأيضًا (أبو طالب) عم النبي صلى الله عليه وسلم نفذ وصية الجد، كما قال الحافظ هنا: **(فكفله وحاطه أتم حياطة، ونصره حتى بعثه الله أعز نصر مع أنه كان مستمرًا على شركه إلى أن مات)**.
- وهنا وقفة في عم النبي صلى الله عليه وسلم (أبو طالب)؛ نصر النبي صلى الله عليه وسلم، كان ينصره، وكان يحوطه، وكان يدافع عنه أذى قريش. وقريش لولا (أبو طالب) ومناصرته للنبي صلى الله عليه وسلم، لتعرضوا للنبي صلى الله عليه وسلم وأذوه كثيرًا. لذلك هو بعد موت (أبو طالب) تجرأوا على قتله؛ أرادوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك خرج النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك. لكن في وقت ما كان (أبو طالب) موجود فكان يدافع عنه ويناصره.

- وكان (أبو طالب) له هيبة عند قريش، ما كانوا يتجرؤون عليه ولا يخالفونه. والنبي صلى الله عليه وسلم حقيقة انظر هنا الوفاء– ولا يكون الوفاء إلا من النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا أسوة لنا– أنه حتى كان حريص أشد الحرص على إسلام (أبو طالب) لما رأى منه من حسن تربية ورعاية ومناصرة، سواء على مستوى الأبوة كأنه أب له، والعم صنو الأب، أو على مستوى نصرة الدين، لأنه كان بينصر النبي صلى الله عليه وسلم، ويُمَكِّن له ليستطيع أن يدعو حتى لو في السر، ويستطيع أن يقيم العبادة، وغير ذلك، مع أن أهل قريش كانوا يريدون أن يمنعوه، وجاءوا لـ (أبو طالب) أكثر من مرة يكلمونه في النبي صلى الله عليه وسلم، حتى أن (أبو طالب) جاء للنبي صلى الله عليه وسلم، وقال أرجع عن هذا الأمر حتى ننهي الأمر مع قريش، فقال: [يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه، ما تركته]. فـ (أبو طالب) لما رأى هذا الكلام هو نفسه استرجع وقال له بعد ذلك افعل ما تفعل، أنا سأكون ناصرًا لك ما كنت حيًا.
- ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم كان حريص جدًا حتى على وفاة (أبو طالب)، وطبعًا القصة والحديث الصحيح مشهور لما حضرت (أبو طالب) الوفاة جاءه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد عنده (أبو جهل) و(عبد الله بن أمية بن المغيرة).. فهؤلاء هم رؤوس الضلال في ضلال (أبو طالب). وانظر هنا كيف تكون الصحبة السيئة وكيف تكون الصحبة الحسنة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [أيْ عَمِّ قُلْ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لكَ بهَا عِنْدَ اللَّهِ فَقالَ أبو جَهْلٍ، وعَبْدُ اللَّهِ بنُ أبِي أُمَيَّةَ: أتَرْغَبُ عن مِلَّةِ عبدِ المُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَعْرِضُهَا عليه، ويُعِيدَانِهِ بتِلْكَ المَقالَةِ، حتَّى قالَ أبو طَالِبٍ آخِرَ ما كَلَّمَهُمْ: علَى مِلَّةِ عبدِ المُطَّلِبِ، وأَبَى أنْ يَقُولَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ].
- وحزن النبي صلى الله عليه وسلم حقيقة حزنًا شديدًا، وتسلية من الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم قال له: {إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ} [القصص:56]،

يبين له: وإن كان لك حب جبلي له ونصرك ورعاك وكل شيء، لكن مسألة الهداية والتوفيق والسداد ليست لك، هي من الله عز وجل، ولا تحزن على ذلك.

- وهذه حقيقة دائمًا نقول أن الله عز وجل ضرب لنا ثلاثة أمثلة في مسألة الهداية هذه، وكأن الأمثلة هذه أصول لنا: (إبراهيم) مع أبيه (آزر)، و(نوح) مع ابنه، والنبي صلى الله عليه وسلم مع عمه. لا تجد علاقات في الحب الأسري أقوى من ذلك.
  - الأب مع ابنه: (نوح) عليه السلام، لما ابنه لم ينجوا معه في الطوفان، ومات على الكفر، ولما قال: {فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِى مِنۡ أَهۡلِى وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ} [هود:45]، قال: {قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ} [هود:46].
  - الإبن مع أبيه: (إبراهيم) مع أبيه (آزر) كيف كان يدعوه، وعلاقة الإبن بالأب من أعظم العلاقات أيضًا وأقواها أسريًا، ومع ذلك الله عز وجل بيّن لإبراهيم، بل (إبراهيم) تبرأ بعد ذلك، بل و(نوح) بعد لما قال الله له: إنه ليس من أهلك، تبرأ نوح بعد ذلك من ذلك، ورجع.
  - والنبي صلى على عليه وسلم مع عمه (أبو طالب) كان ناصره وكان عمه، وكان هو الذي يرعاه ويكفله، بل كان ليس مجرد فقط علاقة أبوه، بل كان يساعده ويحميه، ومع ذلك الله عز وجل لم يُرِد له (كونًا) – مع أنه أراد له شرعًا– لم يرد له كونًا أن يكون من أهل الإسلام.
- وهذه تبين لك بأنك ما عليك إلا أنك تبلغ، وأنها ليست العاطفة هي التي تحكم في شرعنا وفي ديننا. نعم عندك عاطفة جبلية، لكن عندما يتعارض الأمر مع دين الله عز وجل، فلابد هنا أن يكون الدين فوق كل شيء.
- فالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ما حدث قال: [وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ]. انتبه، من شدة أيضًا رغبته في نصرته قال: [وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ] لكن علَّق: [مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ]. والله أثبت له {إِنَّكَ لَا تَهۡدِى مَنۡ أَحۡبَبۡتَ}، ليبين له أن هناك حب جبلي، لكن قال: [مَا لَمْ

أَنَّهَ عَنْكَ]، يبين لك أن المسألة ليست عاطفة، نحن لا نسير بعاطفة في الشرع، الشرع فوق كل شيء، ولو تعارضت العاطفة مع الشرع لابد أن تنحي العاطفة وتسير بشرعه. وهذا الذي بينه الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم، قال: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ}، انتهى الأمر! لأن أيضًا لما قال الله عز وجل: {ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ } [التوبة: 80]. قال النبي صلى الله عليه وسلم: إذًا استغفر فوق السبعين، رحمة بالأمة فنزل قول الله عز وجل: {وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ} [التوبة:84]، أي أن المنافق ليس لك أنك تصلي عليه ولا تقم على قبره ولا تدعو له. فليس هناك نسب بين الله وبين عباده، ليس هناك شيء يعلو.

- وأروع ما قاله (عمر) رضي الله عنه لما سئل في أسارى بدر، لما مال (أبو بكر) رضي الله عنه للفداء، وعمر قال: لا يا رسول الله، تُمَكِّن (عليّ) من عقيل، وتمكنني من كذا بن الخطاب، وتمكن (أبو بكر) من إبنه –الذي كان على الكفر– فنقتلهم، ليعلم الله عز وجل أننا لا نداهن أحد في دين الله عز وجل، أو في معنى الحديث.
- وهذه تربية لنا جميعًا، لأن الشرع مقدم على أي شيء، حتى لو تعارض الأمر مع علاقة في أمر شرعي بينك وبين الأب، أو بين الإبن وبين الأم وبين كذا، لابد أن الشرع يُقَدَّم، لكن لابد تُحْسِن وتتعلم كيف تخالف، حتى لو هم ليسوا على الحق، بل على الباطل. انظر إلى (إبراهيم) كيف ترقق مع أبيه وهو يدعوه: {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا، يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا، يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا، يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا} [مريم:42-45] انظر. و(نوح) أيضًا مع ابنه، والنبي صلى الله عليه وسلم مع عمه [أَيْ عَمِّ قُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ] .
- فالبعض للأسف هنا، وخاصة الذي يندفع بالعاطفة في الإلتزام، ويعلم أنه على الحق ويرى شيء على الباطل في العائلات أو الأقارب تجده ينزل نزلة ليست بصائبة. فلابد أيضًا تتعلم

كيف يكون الأمر المعروف. انظر في الكفر، كيف كان (ابراهيم) يتعامل مع أبيه، و(نوح) مع ابنه، والنبي صلى الله عليه وسلم مع عمه. لكن عند المفاصلة: ((سمعًا وطاعة))، {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ}، إذًا لا استغفار.

- لكن (أبو طالب) حقيقة، وهنا المسألة التي تكلم فيها العلماء. فالله عز وجل لا شك أنه يحب شرعًا إسلام (أبو طالب)، ومع ذلك كونًا لم يسلم، والنبي يحب ذلك، والله يحب ما يحبه لنبيه أيضًا، ولكن العلماء قالوا – انظر حتى لتعلم أن كل أفعال الله عز وجل لها حكمة– فقالوا من حكمة الله عز وجل بعدم إسلام (أبو طالب) أنه كان له مكانة في قومه، وكان يُسمَع له، وكان له وجاهة، فكانت وجاهته ومكانته سد منيع للنبي صلى الله عليه وسلم على أن كفار قريش يؤذونه أو يتعدون عليه، فكأنه لو أسلم (أبو طالب) سيكون على الإسلام، سيفقد هذه المنعة وهذه المكانة في قومه، فيمكن أن يؤدي ذلك إلى أنه يُتجرأ على النبي صلى الله عليه وسلم ولا يتمكن من الدعوة. فمن الحِكَم التي أراد الله عز وجل في بقاء (أبو طالب) على الكفر في هذا الوقت هو أن يظل له المكانة عند قريش، فيمنعهم من الإنتقاص من النبي صلى الله عليه وسلم، أو تأذيه، أو التعدي عليه. فقالوا هذه من الحكم التي قد تستنبط من عدم إسلام (أبو طالب) حتى إنتهاء أجله.
- لكن هو (أبو طالب) حقيقة كان له مواقف كثيرة مع النبي صلى الله عليه وسلم، خاصة في الشِعب لما حوصر النبي صلى الله عليه وسلم، فكان يؤزره وينصره، فقد أذى المشركين النبي صلى الله عليه وسلم لحصار ثلاث سنوات؛ حتى كانوا بيأكلوا ورق الشجر وأقل من ذلك، فقد حاصروهم ثم جاءوا لـ (أبو طالب) أرادوا أن يقولوا له أنه ممكن أن يُرفع هذا الحصار لو رجع محمد صلى الله عليه وسلم عن ما هو فيه. وجاء (أبو طالب) –كما قلنا– للنبي صلى الله عليه وسلم، وقال "تقينا وتقي نفسك من أذى هؤلاء، اترك هذه الدعوة"، فقال النبي صلى الله عليه وسلم [يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري

على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه، ما تركته]. فلم يقل له:"أنت بذلك ستضيع قومك"، أو "الناس لا تجد طعامًا"، أو "لقد وصلوا لورق الشجر"!

- فكان حصار لثلاث سنوات، لكن لأنه دين، فما كان للنبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع عن هذا الدين، وهذا الذي لابد أن يكون، فلابد أن يكون الأمر كله إعلاءًا للدين، ليس لأرض ولا قومية ولا دولة ولا شيء! لا، إن لم يكن لله وللدين فهذا لا يكون لله. والنبي صلى الله عليه وسلم ما رجع عن هذا الأمر، قال: ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك في طلبه؛ أي ممكن أن يهلك في طلبه، لكن هلك لله، في سبيل الله.
- قلنا حوصر ثلاث سنوات، وجاءه عمه ويقول له " تقينا وتقي نفسك من أذى هؤلاء"؛ أي يكفي ذلك وارجع عن هذا، لكن النبي صلى الله عليه وسلم انظر يُعَلِّم حتى عمه، فقال له " لن أرجع عن هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه". فلما رجع (أبو طالب) واستعبر أي راجع هذه الكلمات، وأخبره أنه باقي على نصرته إلى أن يموت، تأثر (أبو طالب) جدًا بهذا الكلام، حتى أنه كتب قصيدة فيها أبيات يخاطب بها النبي صلى الله عليه وسلم.
- وهو حقيقة كان باقي عليه أن ينطق بالإسلام، هو كان معتقدًا بصدق النبي صلى الله عليه وسلم ودينه، قال:

واللهِ لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وأبشر وقر بذاك منك عيونا

ودعوتني وعرفت أنك ناصحي ولقد صدقت وكنت ثَمَّ أمينا

- فهو يُصَدِّق، فالنبي صلى الله عليه وسلم دعا (أبو طالب) أن يدخل، ((ولقد صدقت وكنت ثَمَّ أمينا))؛ أي صدقتني في الدعوة وأنت أمين في ذلك.

وعرضت دينًا قد عرفت بأنه من خير أديان البرية دينا

- وهذا إقرار من (أبو طالب) أن هذا دين، وخير أديان البرية، لكن لم يسلم! **لماذا لم يسلم؟** لأنه لم يتلفظ. إذًا لابد مع القلب اللسان، وإلا الإقرار بالقلب وحده لا يكفي، لابد من النطق. لذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال له: (قل يا عم كلمة)، لو نطق بالشهادتين مع إقرار القلب وبالتصديق الذي قاله من قبل هنا في الآبيات، سيكون مسلمًا، لكن إقرار القلب فقط بدون التلفظ لا يصح.
- وهذه مسألة لابد أن تفهموها؛ إقرار القلب، ائتِ بأي كافر، يقول لك: أنا أعرف أن محمد رسول وأن دينكم كويس، لكن ما يتلفظ، فإقراره هذا لا ينفعه، لابد من التلفظ باللسان، وطبعًا لابد من التصديق بالقلب. لكن هو كان معه تصديق وعلم وقال في البيت: ((وعرضت دينًا قد عرفت بأنه من خير أديان البرية دينا))
- ثم بيّن لماذا:

لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحًا بذاك مبينا

- وهذا هو الاستكبار، أو الحياء، أو الصحبة، فلما (أبو جهل) قال له "أترغب عن ملة عبد المطلب!"، فذكَّره بالآباء والأجداد والنخوة، فاستكبر أو استحيى، حتى في رواية أخرى قال: [لا يعتو استي رأسي]، يقصد هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم –حاشاه طبعًا– فالنبي هو الحفيد، وهو الجد، فكأن الذي الأدنى في الذرية – وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم طبعًا هو أفضل البشر– لا يعلو رأسه يعني وهو الجد، أي لا يعلوا عليه بذلك.
- وهذا يبين لك كما قال: (لولا الملامة)؛ أي يخشى أن قريش تعيره، وتقول ترك دين الآباء والأجداد ودخل في دين ابن أخيه أو غير ذلك، فيكون صبأ. لذلك قال: (لوجدتني سمحًا بذاك مبينا) لكنه امتنع عن الإسلام. لذلك قبل موته قال: هو على ملة (عبد المطلب).

قال ابن كثير بعد ذلك: **(مع أنه كان مستمرًا على شركه إلى أن مات. فخفف الله بذلك من عذابه كما صح الحديث بذلك).**

- طبعًا قبل أن نغادر هذه النقطة نبين لكم الصحبة؛ وطبعًا هو كله بقدر وبتقدير الله أن يموت (أبو طالب) على الكفر، لكن انظر هؤلاء الصحبة السيئة! الرجل كان ممكن مع وجود النبي صلى الله عليه وسلم أن يلين ويسلم، – طبعًا هذه إفتراضات– أن يسلم في عدم وجودهم وينطق، لكن وجودهم بجانبه منعوه من أن ينطق، وكل حين يذَكِّروه: هترغب عن ملة عبد المطلب! هترغب عن ملة عبد المطلب! يأتوه بالنعرة التي عندهم في الآباء والأجداد. وهذا يبين لك كيف أن المرء لابد أن يختار خليله وصديقه، لأن كما قال: (الصاحب ساحب)، إما يسحبك إلى الخير أو يسحبك إلى الشر.
- فمن أهم الأمور التي تعين المرء في طريقه: ((الصحبة))، لأن الصحبة تساعد جدًا على الإستمرار في الطريق. وانظر كيف فعلوا مع (أبو طالب) وردوه عن الدخول، وإن كنا كما قلنا كله بقدر الله.

ثم ذكر: **(إلى أن مات. فخفف الله بذلك من عذابه كما صح الحديث بذلك).**

- يشير ابن كثير لحديث النبي صلى الله عليه وسلم عند البخاري ومسلم عن العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه، جاء للنبي صلى الله عليه وسلم قال: [يَا رَسولَ اللَّهِ، هلْ نَفَعْتَ أبَا طَالِبٍ بشَيءٍ؟ فإنَّه كانَ يَحُوطُكَ ويَغْضَبُ لَكَ، قالَ: نَعَمْ، هو في ضَحْضَاحٍ مِن نَارٍ، لَوْلَا أنَا لَكانَ في الدَّرَكِ الأسْفَلِ مِنَ النَّارِ]. وهذه شفاعة خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم، وخاصة فقط بـ (أبو طالب)، لأن الأصل أنه لا شفاعة للكفار، { فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ} [الشعراء: 100]، لكن هنا الشفاعة لم تخرجه من النار، هي فقط جعلته أقل أهل النار عذابًا، وهذه من أنواع الشفاعات الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ شفاعته في عمه، كأنها جزاء لما فعله مع النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا، فخُفِّف عنه العذاب.

- وبعض المبتدعة الذين يقولون لك أن أبو النبي صلى الله عليه وسلم أسلم وأن أمه أسلمت، وأن الله أحياهم له وأسلموا بعد ذلك، وأن (أبو طالب) أيضًا أسلم! ويجعل قريش كلها أسلمت بعد ذلك ! مع أنه نص صريح.
- فقد جاء أيضًا في الصحيح من حديث أبو هريرة لما قال: (على ملة عبد المطلب)، جاء في حديث آخر عن (علي بن أبي طالب) – وهو ابن (أبو طالب)– لما مات (أبو طالب) جاء (عليّ) للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: [أَتَيْتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقُلْتُ: إنَّ عمَّكَ الشَّيخَ الضَّالَّ قد ماتَ، قال: اذهَبْ فَوَارِهِ]؛ أي اذهب ادفنه. وهذه دلالة على أن المرء لو له قريب كافر له أن يواريه. وطبعًا ليست له صلاة، ولا يدعو له، ولا يذهب لو كان نصرانيًا أو غير ذلك، لكن له أن يذهب إلى المقابر ويواريه في المقابر. وقلنا أن له أن يزور حتى المقابر، لكن هناك طبعًا دعاء على الكافر إذا زاره، والنبي صلى الله عليه وسلم علمنا إياه، سيأتي في مقامه، لكن فيه الجواز في ذلك.
- والهداية من الله عز وجل، ولم تكن من أحد، { إِنَّكَ لَا تَهۡدِی مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ یَهۡدِی مَن یَشَاۤءُۚ } [القصص: 56]، وأن الله عز وجل أيضًا كأنه يسلي النبي صلى الله عليه وسلم قال: { أَفَمَن زُیِّنَ لَهُۥ سُوۤءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ یُضِلُّ مَن یَشَاۤءُ وَیَهۡدِی مَن یَشَاۤءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَیۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِیمُۢ بِمَا یَصۡنَعُونَ} [فاطر: 8]، أي أنت تُبَلِّغ وتعمل، ما تجعل نفسك تتحسر على ذلك أصالة، لأن الله عز وجل بيديه الهداية والتوفيق والسداد.
- لذلك النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر دائمًا من دعاء – وأنا أذكركم به وأذكر نفسي– دعاء عظيم جدًا كان يكثر منه صلى الله عليه وسلم طوال اليوم: [يا مثبت القلوب ثبت قلبي على دينك]، فهذه من أكثر الأدعية التي كان يقولها النبي صلى الله عليه وسلم، أنك تدعو بثبات القلب طوال اليوم بذلك لأن القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء أصالة، فأنت تسأل الله عز وجل أن يثبت قلبك دائمًا على دينه.

ثم قال الحافظ:

و خرج به عمه إلى الشام في تجارة وهو ابن ثنتي عشرة سنة، وذلك من تمام لطفه به، لعدم من يقوم (به) إذا تركه بمكة ، فرأى هو وأصحابه ممن خرج معه إلى الشام من الآيات فيه صلى الله عليه وسلم ما زاد عمه في الوصاة به والحرص عليه؛ كما رواه الترمذي في "جامعه" بإسناد رجاله كلهم ثقات: من تظليل الغمامة له، وميل الشجرة بظلها عليه، وتبشير بحيرا الراهب به، وأمره لعمه بالرجوع به لئلا يراه اليهود، فيرومونه سوءًا.

والحديث: له أصل محفوظ. وفيه زيادات أخر.

ثم خرج ثانيًا إلى الشام في تجارة لخديجة بنت خويلد- رضي الله تعالى عنها- مع غلامها ميسرة على سبيل القراض، فرأى ميسرة ما بهره من شأنه، فرجع، فأخبر سيدته بما رأى، فرغبت إليه أن يتزوجها؛ لما رجت في ذلك من الخير الذي جمعه الله لها، وفوق ما يخطر ببال بشر، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وله خمس وعشرون سنة.

- هنا بدأت رحلة النبي صلى الله عليه وسلم الأولى، وهنا أيضًا يبين لكم ارهاصات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن هناك علامات قد تبين بأنه رسول أو نبي.
- فذكر الحافظ رحلتين للنبي صلى الله عليه وسلم؛ الرحلة الأولى وهو ابن ثنتي عشرة سنة مع عمه، والثانية وهو وابن خمسة وعشرين سنة.
- والرحلة الأولى كان مرافقًا لعمه (أبو طالب)، وابن كثير هنا تكلم على هذه الرحلة وأشار إليها في بعض العلامات التي حدثت- أو أمارات- جعلته ينتبه إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس كعامة الناس، والظاهر أنه سيكون له شأن بعد ذلك.
- وقال: **(وخرج به عمه إلى الشام في تجارة)**؛ تجارة لعم النبي صلى الله عليه وسلم، ورافقه في ذلك، وقال: **(وذلك من تمام لطفه به، لعدم من يقوم به إذا تركه بمكة)**؛ أي كأنه لن

يوجد أحد يكون معه فأراد أن يصطحبه في الرحلة. وهذه من الوصاية والحرص عليه كما قال، ويبين لك شدة حرص (أبو طالب) على النبي صلى الله عليه وسلم حتى هو صغير.

- ثم ذكر بعض العلامات؛ وهذه العلامات بعضها حقيقة صح اسنادها، وبعضها فيها كلام، وهو ذكرها بالتفصيل في كتابه الآخر (السيرة النبوية)، وذُكرت أيضًا في التفاسير:
  - بأنه كان النبي صلى الله عليه وسلم يسير والغمامة تظلله من السماء في الطريق، كان ينظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويجد فوقه غمامة تظلله طوال الطريق عند الحر الشديد.
  - ولما جلسوا عند الشجرة، وجلس في مكان انتهى فيه الظل؛ فلم يكن على النبي صلى الله عليه وسلم، فمالت الشجرة حتى يكون الظل على النبي صلى الله عليه وسلم.
  - وأيضًا بَحيرا الراهب، وهو كان راهبًا، وكان دائمًا لا يخرج لأحد لما يمر على مكانه، وهذه المرة هو خرج– يبدو أنه رأى شيئًا فخرج– فوجد النبي صلى الله عليه وسلم مع (أبو طالب)، فرأى علامات وأمارات على النبي صلى الله عليه وسلم على أنه سيكون شأنه النبوة، لذلك قال لـ (أبو طالب) لا تدخل به الشام فيراه اليهود فممكن يعترضون أو يتعرضون له، فخشي عليه (أبو طالب) فأرجعه ولم يكمل معه الرحلة، أرجعه إلى مكة مع أحد من مرافقي (أبو طالب) في ذلك، لما قال وأمره عمه بالرجوع به ليلًا لكيلا تراه اليهود فيرمونه سوءا. والبعض نقل أن الذي رجع به هو (بلال) وهذا خطأ، لم يكن بلال أصلًا، لم يكن الترتيب هذا صحيح، نقل في بعض السير ذلك. لكن المهم أنه رجع به واحد من رجال (أبو طالب) من هذه الرحلة ولم يكمل معه.
- **(ثم خرج ثانيًا إلى الشام في تجارة لخديجة بنت خويلد– رضي الله تعالى عنها– مع غلامها ميسرة على سبيل القِراض)**

- والقراض: هو واحد يقدم المال، والثاني يقدم العمل، أنا صاحب المال وأنت رجل تعرف تشتغل كويس، فتأخذ المال وتقول لي أنا أتاجر لك به، ونتقاسم الربح.
- فهنا فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم مع (خديجة بنت خويلد)، قال: **(على سبيل القِراض)** أخذ مال (خديجة) رضي الله عنها وتاجر به النبي صلى الله عليه وسلم، وخرج في رحلة أيضًا إلى الشام، وكان عمره خمسة وعشرين عامًا.
- وتسمى (قراض) أو (مضاربة)، وهي موجودة الآن كثير معنا، فأكثر التجارات الآن مضاربة. فنقول هنا أن هذا القراض من أحكام المضاربات كما بينا.
- فخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم (ميسرة) وكان مولى لخديجة رضي الله عنها، فلما رأى من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، قال: **(فرأى ميسرة ما بهره من شأنه)**؛ أي من شأن النبي صلى الله عليه وسلم، وطبعًا أصل السفر هو سُمِّيَ سفرًا لأنه يُسفر عن أخلاق الناس. فأنت لكي تعلم أحد كما جاء الرجل لعمر أراد أن يشهد لأحد بأمر ما، فقال عمر للرجل: أتعلم هذا الرجل؟ قال: نعم، قال: كنت جارا له؟ قال: لا، قال: تاجرت معه؟ قال: لا، قال: سافرت معه؟ قال: لا، قال فاذهب فإنك لا تعرفه.

لماذا؟ لأنك إذا كنت جار فستراه ليل نهار طالع نازل بيصلي، بيعمل كذا، بيشتم، بيعمل، بيسب، كيف يتعامل، بيؤذي الجيران، فمكشوف؛ أنت مكشوف، وهو الجار مكشوف، فتستطيع أنك تزكيه أو لا تزكيه.

أو تاجرت معه، فنحن بنصلي مع بعض، راحين جايين من المسجد، ونسلم على بعض، ونرى بعض، أول ما نتاجر مع بعض تظهر الوجوه الأخرى، فلذلك التجارة بتسفر أيضًا عن أخلاق الناس؛ الأمانة والصدق وغير ذلك، فهذه من أمور معرفة الناس.

ثم السفر، أنك تسافر، أنت بتبعد عن بلدك ووطنك فأنت تكون في وسط ناس لا تعرفك، فتعمل ما تريده، لأنك لو في وسط منطقتك وفي وسط بلدك لو عملت شئ لن يتركوك، سواء

كنت في جامعتك، أو في حيك، أو في شارعك، في مكانك، كل ما تفعل شيء سيكون معروف، لكن لما تسافر لن يكون معروف. فلذلك أخلاق الناس بتظهر في السفر.

- فهنا (ميسرة) رأى من النبي صلى الله عليه وسلم في سفره عجائب، وبهره؛ ففي المعاملة رأى صدق النبي صلى الله عليه وسلم، كرم النبي صلى الله عليه وسلم، وبعضهم قال إنه سخاء في النفس، كيفية تعامله مع الناس، إلى غير ذلك.
- فلما رجع أخبر (خديجة) رضي الله عنها، فمن كثرة ما سمعت (خديجة) منه أو ما رأت، رغبت أن يتزوجها، كأنها وجدت فيه الصدق، والأمانة، والأخلاق، وكل شيء ما تتمناه امرأة من زوج، فلذلك عرضت عليه الزواج عن طريق أحد الأقارب، وقيل أنه عمها الذي عرض أو غير ذلك، لذلك قال: **(لما رجت في ذلك من الخير الذي جمعه الله لها، وفوق ما يخطر ببال بشر، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وله خمس وعشرون سنة)**.
- وهنا أنظر.. المرأة تركز– وهذا هو الحق– أنك أنت سواء الرجل أو المرأة، وطبعًا وقتها ما كان هناك الدين؛ لم يكن نزل الدين بعد، لكن هنا نزلت الأخلاق، والأخلاق هذه على فرض تصحيح حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (من جاءكم من ترضَوْن خلقَه ودينَه فزوِّجوه)، وإن كان المعنى صحيح، نقول أن الأخلاق مثل الدين، بل أنا أقول في هذا الزمان أن تنظر للأخلاق أولًا، لأن الدين بيأتي، ويكون مسلم طبعًا لكن الإيمان بيزيد وينقص، فممكن أن الهداية تأتي في يوم وليلة طالما هو عنده أصول دينية، لكن الأخلاق هذه أهم ما يكون.
- فبعض الناس بتغتر بالمظهر الديني فقط، يقول لك الدين، لكن بدون الأخلاق! وممكن الناس تلتزم على خلق سيء، والمرء لابد يزكي نفسه، ما المقصود بيزكي نفسه؟ أي كونك التزمت بالهداية، وأن الله هداك فهذا شيء طيب، لكن لابد أخلاقك هذه تزكيها، سواء كنت أنت ملتزم أو غير ملتزم، ولابد أن الإنسان يتعاهد دائمًا أخلاقه ويزكيها وينظر ما الذي يحتاج إلى علاج فيها.

- لذلك من الأهمية بمكان أن ينظر من أراد أن يتزوج إلى أخلاق الزوجة (المرأة)، وهي تنظر إلى أخلاق الرجل أيضًا، لأن بعد أن يشب المرء ويصل إلي سن العشرين، وخمسة وعشرين، وثلاثين، فيكون قد اكتسب ثلاثون سنة تربية. والأخلاق جزء مكتسب، وجزء جبلي، الحق يقال، الجبلي: هو الذي بيأخده من وهو طفل، ويُكتسب بعد ذلك، ممكن هو أن يزكي نفسه ويكتسب، لكن الأصل مهم، إن لم يكن هو لا عنده جبلي ولا عنده أنه يكتسب ما عنده من نقص، فسيظل كذلك، سواء التزم بالدين أو لم يلتزم، لأن المفترض أن الدين أصلًا يغيره، قال النبي صلى الله عليه وسلم:[أقربِكم منِّي مجلسًا يومَ القيامةِ أحسَنُكم أخلاقًا].
- فأنت المفروض لو التزمت حقًا، لابد أنك تنظر إلى النقص الذي عندك في نفسك وتزكيه. لكن الذي يحدث عندنا إننا بنفصل ما بين المظهر –الإلتزام الديني– وبين تزكية الأخلاق. لذلك بنجد بيوت كثيرة بها مشاكل مع أنه ظاهرها الالتزام؛ سواء من الرجل أو من المرأة، لأن حقًا الالتزام أجوف، ليس التزامًا حقيقيًا، أجوف أي ظاهري، لكن الالتزام الحقيقي إنك تطوع ما عندك وتعالج ما عندك من نقص وسلبيات لتحسنها.
- وهنا هذه مسألة مهمة إن النظر يكون لأصحاب الأخلاق، مع طبعًا الدين لا يُغفَل أصالة، لأن الأصل هو الدين. وأنا لا أتكلم عن المادة أو هذه الأشياء، فبعض الناس لا تنظر إلى الماديات، لكن أنا أتكلم عن رجل سيجتمع مع امرأة أو امرأة مع رجل سنوات، علاقة زوجية، فالمادة هذه تذهب وتأتي، لكن كيف تكون الأخلاق بينهما؟ هذا هو الأصل، مع الدين طبعًا الذي نتكلم عنه.
- هنا (خديجة) رضي الله عنها لما رأت وعلمت من أخلاقيات النبي صلى الله عليه وسلم، سعت في الزواج، وكان لها ذلك الخير، وهنا: [إنْ تَصْدُقِ اللهَ يصدُقْكَ]، كل من أراد أن يعرض نفسه ليتزوج، لابد أن يحسن بينه وبين ربه، فترزق الزوجة الصالحة وترزق هي الزوج الصالح، فلابد أن يصدق المرء مع ربه في الإخلاص في ذلك حتى يرزق ذلك الأمر.

- والنبي صلى الله عليه وسلم تزوجها وهو عمره خمسة وعشرون سنة، وهي عمرها أربعون سنة، وهذا كان أول زواج للنبي صلى الله عليه وسلم، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج على (خديجة) رضي الله عنها، وبقي إلى أن بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خمسين سنة، لم يتزوج على (خديجة) حتى بعد أن ماتت، فتزوج بعدها (سودة) رضي الله عنها في شوال، ماتت (خديجة) في رمضان في السنة العاشرة من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، فتزوج من (سودة) رضي الله عنها في شوال.
- إذًا جلس مع (خديجة) رضي الله عنها خمسة وعشرين عامًا زواجًا، ولم يتزوج عليها، ثم تزوج بعد وفاة (خديجة) (سودة)، ثم تزوج (عائشة) رضي الله عنها بعد ذلك وعدد باقي زوجاته.
- وهنا وقفة مع (خديجة) رضي الله عنها– وسيأتي في الكلام في البعثة أول ما نزل الوحي ورجع لـ (خديجة) كيف أيدته، لكن عمومًا حتى ما نغادر أيضًا، فـ (خديجة بنت خويلد) هذا الجزء يخصها رضي الله عنها:

من خصائص (خديجة بنت خويلد) رضي الله عنها:

1– لم يتزوج عليها؛

2– هي أم أولاد النبي صلى الله عليه وسلم؛ لم يكن له أولاد إلا منها، وإبراهيم من (مارية القبطية) فقط، لا توجد أمرأة أخرى أنجبت له إلا (خديجة) رضي الله عنها وأرضاها.

3–أيضًا خصها أن الله عز وجل بأن –وإن كان هذه أيضًا جاءت لـ (عائشة)– لكن (جبريل) جاء يحمل لها السلام ويبشرها بالجنة، [بَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِن قَصَبٍ]، فبُشِرَت، وجاءها السلام من (جبريل)، وبشرها بالجنة.

- وهذه كلها خصائص لـ (خديجة) رضي الله عنها، ولا عجب لما تأتي لك مواقف (خديجة) مع النبي صلى الله عليه وسلم في بداية نزول الوحي، تعلم قدر هذه المرأة العظيمة التي هي من أعظم نساء المسلمات، والتي تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم كما قلنا.

وكان الله سبحانه قد صانه وحماه من صغره، وطهره من دنس الجاهلية، ومن كل عيب، ومنحه كل خلق جميل، حتى لم يكن يعرف بين قومه إلا بالأمين، لما شاهدوا من طهارته، وصدق حديثه وأمانته

- هنا يبين نشأة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أصلًا كان يلقب دائمًا بـ (الصادق الأمين) وحتى يقال: جاء الأمين، جاء الصادق قبل نزول البعثة وهو كان ذو قدر بين أهل قريش، وستأتي قصة مسألة وضع الحجر بالأسود، سيذكرها، ويبين لك قدر ومقام النبي صلى الله عليه وسلم بينهم.
- وهنا قال: **(وكان الله سبحانه قد صانه وحماه من صغره، وطهره من دنس الجاهلية، ومن كل عيب)**، وطبعًا هذه تبين لك أول قصة في شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه وهو صغير – أربع سنوات– وهذه القصة التي حدثت وخافت (حليمة) وأرجعت النبي صلى الله عليه وسلم إلى قومه– حين نزل (جبريل) عليه السلام وشق صدر النبي صلى الله عليه وسلم وأخرج من قلبه علقة، وقال: "هذا حظ الشيطان"، كأن هنا أن طُهِّر قلب النبي صلى الله عليه وسلم من وساوس الشيطان، ومن رجوع الشيطان له، وهذا كان في سن مبكرة للنبي صلى الله عليه وسلم؛ قلنا الأربع سنوات.
- وهذا الذي يقصده ابن كثير رحمة الله عليه، ويقصد أيضًا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في صغره لم يفعل شيء من أفعال الجاهلية، صانه الله عز وجل عن فعل الشرك، وصانه عن فعل المنكرات، وحماه عن عبادة الأصنام، وحماه عن أفعال الجاهلية، بل حماه حتى عن المعاملات الحرام، والفاحشة، وغير ذلك.
- وقد قال الله سبحانه وتعالى: { وَوَجَدَكَ ضَآلّا فَهَدَىٰ} [الضحى: 7]، فهداه الله عز وجل لكل خير، ولم يكن يشارك دين قريش على الشرك، أو الكفر، أو غير ذلك، كل هذا لم يكن يفعله النبي صلى الله عليه وسلم.

- قال تعالى: { وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِى مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورا نَّهۡدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ} [الشورى: 52] فالله عز وجل حمى النبي صلى الله عليه وسلم من كل ذلك وهو صغير، لكنه لم يكن طبعًا يعلم بتفاصيل الشريعة ثم علمه الله عز وجل بعد ذلك.

حتى إنه لما بنت قريش الكعبة في سنة خمس وثلاثين من عمره فوصلوا إلى موضع الحجر الأسود، اشتجروا فيمن يضع الحجر موضعه، فقالت كل قبيلة: نحن نضعه، ثم اتفقوا على أن يضعه أول داخل عليهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: جاء الأمين، فرضوا به، فأمر بثوب فوضع الحجر في وسطه، وأمر كل قبيلة أن ترفع بجانب من جوانب الثوب، ثم أخذ الحجر فوضعه موضعه صلى الله عليه وسلم.

وطبعاً القصة فيها أكثر من شيء:

- أولًا: إقرار قريش على أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الصادق، وهو الأمين، وكان مقدرًا عندهم.
- ثم مسألة بناء البيت؛ وهذه من المسائل التي حدثت أيضًا، وهذا حدث جديد ممكن تعتبر بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم في عام الفيل، وكان له إرهاصات كأنه ولد النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك، ثم هنا الحدث هذا وهو في الخامسة والثلاثين؛ أي قبل خمس سنوات من البعثة، حدثًا آخر له شأن، وكأنه مقدمة لما سيبعث به النبي صلى الله عليه وسلم.

وقلت أن دائمًا أهل التحليل والدراسة ينظرون لأحداث حدثت ويبدأون في استنباطات وتحليلات منها، وغالبًا بتكون مستقبلية، وطبعًا نحن نتكلم عن شيء حدث في الماضي بنستفيد منه في ذلك، لكن نحن نأخذه من باب الاستقراء؛ أي عندما تحدث أحداث هامة، فكأنها من الله عز وجل إشارات لأمور، لذلك البعض يقول هنا أنه لما يحدث حدث– كما

نحن في أحداث الآن– فلعل هذه الأحداث الهامة تكون مقدمات لأمور أخرى يريدها الله عز وجل، فيُبنى عليها أمور، وهذه أنا أقول من باب استقراء التاريخ، واستقراء قدر أحكام الله وأفعاله من قبل في ذلك.

- فهنا هذه القصة: حدث أن البيت تهدم بالسيل وغير ذلك، فأرادوا أن يبنوه. وهنا أنظر حتى قريش لما أرادت أن تبني هذا البيت، قالوا "لن نبني هذا البيت إلا بأموال حلال"؛ أي حتى الكفار قالوا لن نُدخِل فيه شيء من المال الحرام؛ الربا، فعندهم الربا كانت معلومة، وغيرها.
- فقالوا سنبني البيت من حلال أموالنا –التجارة– لذلك قصرت بهم النفقة، ولم يستطيعوا أن يبنوا البيت كله على قواعد إبراهيم، فقصرت فلم يستطيعوا أن يكملوه، فظهر ما يسمى (الحجر). وطبعًا ليس اسمه (حجر إسماعيل) لكن العوام بيقولوا: "حجر إسماعيل" لكنه هو (الحجر) فقط أصالة.
- فلم يستطيعوا أن يبنوا البيت لأن المال الحلال قَصُر، لكن بعد أن انتهوا أرادوا أن يضعوا الحجر، والحجر شرف، فهم اختلفوا من الذي يضع هذا الأمر، وكان ممكن أن يؤدي الأمر إلى إقتتال بينهم، فقالوا أول أحد يدخل علينا هو الذي نستشيره في ذلك.
- فدخل النبي صلى الله عليه وسلم، وانظروا لحكمة النبي صلى الله عليه وسلم؛ كان ممكن أن يأخذه ويضعه هو فقط، لا، أشار عليهم بأن يأتوا بثوب، وكل واحد يمسك بطرف الثوب ويضعون الحجر، فالكل ينتقل بالثوب، فكأن كل بطون قريش شاركت في الوضع، ثم هو الذي وضعه لأنه هو الذي دخل وقتها، وهم ارتضوه لذلك.
- فكأنها سبحان الله إشارة أنهم ارتضوه أن يضع الحجر بالأسود أصل الكعبة الموجودة وغير ذلك، وارتضوا منه ذلك، مع أنهم جاءوا بعد ذلك وكذبوه، لكن هنا إشارة على أنه هو الذي سيكون من بينهم، وهو الذي الله عز وجل سيصطفيه، فكما اصطفاه في وضع هذا الأمر، سيصطفيه أيضًا بالرسالة بعد ذلك.

- وطبعًا هذه أيضًا حقيقة فيها مسألة مهمة، ممكن تستنبط منها أيضًا فائدة: لما يقولوا على النبي صلى الله عليه وسلم: (هذا الأمين)، و(هذا الصادق)، هذه مسألة لابد أن ننتبه إليها خاصة طبعًا من يتصدر في الدعوة، أو في العلم، أو من يكون بين الناس، أنه يحرص جدًا علي ألا يكون علي شخصه أمرًا يشينه أو ينزل من قدره أمام الناس خاصة عوام الناس، انظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقبل البعثة وهو له القدر عندهم، وبالتالي لم يستطيعوا أن ينقضوا في ذلك، حتى لما حدث بين (عمرو بن العاص) مع (النجاشي) لما قال أن هو "الصادق" عندهم، وهو "الأمين"، وغير ذلك، لم يستطيعوا حتى أن يتكلموا في ذلك لأنهم يعلمون صدق هذا الكلام.
- الشاهد بأنك لابد أن تحرص إذا كنت ممن تتصدر للناس، أن تحرص على أن تكون لك صورة وهيئة لا فيها خدش مروءات، ولا فيها تعرض لك، لأنك أنت كأنك صورة عن هذا الدين، فأنت تبلغ، فلابد أنك تراعي ذلك.
- وهذا يستنبط بأن النبي صلى الله عليه وسلم من قبل أن يُبعَث وكان له هذا السمت، وهذا الخلق، وبالتالي أنت لما تكون ذلك وتكلم الناس في دين الله، سيكون لك القبول، أو لن يستطيعوا أن يشككوا في هذه المسألة، فعلى المرء أن يحرص على ذلك ويحتاط.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الرابعة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كلام الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد،، على موعد اليوم مع كتاب (الفصول في سيرة الرسول) للحافظ ابن كثير عليه رحمة الله تعالى، ونحاول أن نقرأ في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، نستخرج ما فيها من فوائد من باب التأسي والهدي بالنبي صلى الله عليه وسلم في سيرته وفي أفعاله وأقواله وأعماله، وسيرة الصحابة معه، لما في ذلك من عظيم الفائدة، لتعلم ما كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وما حدث في سيرته، لنسترشد به في زماننا وما يحدث في أمورنا. وفيه أيضًا اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم والتعرف عليه، ومعرفة سيرة خير البشر على الإطلاق وهو النبي صلى الله عليه وسلم، لنعلم كل شيء عنه، وهذا هو الأولى بالمعرفة، فالناس الآن تتسارع وتتعلم أخبار المشاهير؛ أيًا كانوا من أصحاب الأمور المباحة أو الأمور المحرمة، لشدة تأثرهم بهم.

والحري بكل مسلم حقيقة أن يبدأ دائمًا بدراسة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، والتعرف على أحواله بداية من مولده إلى وفاته، وما مر في ذلك في الأمة الإسلامية من أحداث. فهذه الدراسة من الأهمية بمكان، وتحتاج دائمًا مراحل في الدراسة، فنحن الحمد لله نبدأ بكتاب مختصر، ثم هناك كتب أيضًا مطولة أو مفصلة عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم. المهم أن هذا الخط حقيقة لا يترك، من ضمن الخطوط التي لابد لطالب العلم أن يتعهد القراءة فيها كل فترة، وألا يبتعد عن الإلتصاق بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وما كان فيها.

وقفنا عند فصل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، فنقرأ أولًا القطعة التي سنبينها، ثم نشرح بعد ذلك.

فصل : مَبْعَثُهُ ﷺ

ولما أراد الله تعالى رحمة العباد وكرامته بإرساله إلى العالمين حبب إليه الخلاء، فكان يتحنث في غار حراء، كما كان يصنع ذلك متعبدو ذلك الزمان، كما قال أبو طالب في قصيدته المشهورة اللامية:

وثور ومن أرسى ثبيرًا مكانه وراق لبر في حراء ونازل

ففجأه الحق وهو بغار حراء في رمضان، وله من العمر أربعون سنة، فجاءه الملك، فقال له: أقرأ، قال: "لست بقارئ". فغته حتى بلغ منه الجهد، ثم أرسله فقال له: اقرأ. قال: "لست بقارئ– ثلاثا–". ثم قال": {ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ، ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ، ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ، عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ} [العلق: 1-5]. فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم

ترجف بوادره، فأخبر بذلك (خديجة) رضي الله تعالى عنها وقال: "قد خشيت بها على عقلي"، فثبتته وقالت: "أبشر، كلا والله! لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتعين على نوائب الدهر". في أوصاف أخر جميلة عددتها من أخلاقه صلى الله عليه وسلم، وتصديقًا منها له، وتثبيتًا، وإعانة على الحق، فهي أول صديق له رضى الله تعالى عنها وأكرمها.

- هنا فصل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، فالنبي صلى الله عليه وسلم لما بعث كان قد بلغ من العمر أربعين سنة، كما ذكر الحافظ هنا في كتابه قصة (خديجة) رضي الله عنها وتثبيتها له من أول الأمر.
- وكان المبعث بعد فترة من زواج النبي صلى الله عليه وسلم، قلنا تزوج (خديجة) وخمسة وعشرين عاما، فبُعِث النبي صلى الله عليه وسلم وهو على الأربعين عاما؛ بعد خمسة عشر سنة.
- قال الحافظ: **(لما أراد الله تعالى رحمة العباد وكرامته بإرساله إلى العالمين)**؛ إذًا هنا يبين الله عز وجل كما جاءت في رواية أخرى في أحاديث [إِنَّ اللهَ نظر إلى أَهْلِ الْأَرْضِ، فمقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وعَجَمَهُمْ، إِلَّا بقَايَا من أَهْلِ الْكِتَابِ]، كانوا قلة قليلة جدًا من أهل الكتاب، منهم كما سيأتي معنى (ورقة بن نوفل) وغيره، الذين ما زالوا على دين عيسى عليه السلام.
- فأنزل الله عز وجل، كما قال الحافظ: **(لما أراد الله تعالى رحمة العباد وكرامته بإرساله إلى العالمين)** وهنا إذًا النبي صلى الله عليه وسلم {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: 107] كان إرسال الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم رحمة للناس جميعا، وتكريما له صلى الله عليه وسلم، وكان السبب أن الأرض جميعا كانت في جاهلية، في ظلام، في شرك، كما جاء في الحديث: [إِنَّ اللهَ نظر إلى أَهْلِ الْأَرْضِ، فمقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وعَجَمَهُمْ، إِلَّا بقَايَا من أَهْلِ الْكِتَابِ]، فأراد الله عز وجل أن يرسل إليهم رسولًا يدعوهم إلى التوحيد

ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويدعوهم إلى عبادة الله عز وجل والإخلاص له. فلما أراد الله عز وجل الرحمة بالعباد وأراد الكرامة للنبي صلى الله عليه وسلم أرسله. وكان النبي في بادئ الأمر يذهب إلى غار حراء يتحنث – يتعبد– أي كان في هذا الوقت يخلو بنفسه، ينظر، ويتفكر في آيات الله الكونية وغير ذلك.

- ولم يكن هناك شرع ولا كان بُعِث ولا شيء، لكن الله عز وجل حفظه –كما قلنا– وحماه من أمور الجاهلية قبل بعثته، فما كان يختلط بأهل الكفر ولا كان يفعل معهم المنكرات التي يفعلونها.
- فكان يذهب إلى غار حراء ليتحنث. وغار حراء هو جبل في مكة، فهو كان فيه غار يأوي إليه النبي صلى الله عليه وسلم، وينقطع فيه بعيدًا عن الناس. **(يتحنث)** أي ليتعبد بالإخلاص، أي يتعبد إلى الله بإخلاص، أي يوحد لله عز وجل بذلك، أو يناجيه، ولم يكن هناك شرع محدد في المناجاة وقتها، أو ينقطع لذكره أصالاة.
- قال: **(كما كان يصنع ذلك متعبدو ذلك الزمان)**؛ أي بعض الذين كانوا في ذلك الزمان، ليسوا مثل أهل الجاهلية؛ أي كبقايا من أهل الكتاب، أو نقول بقايا من الذين يعلمون أن هناك إله ولا يشركون، فكانوا أيضًا يختلون بأنفسهم ويحاولون أن يعبدوا الله. منهم كان (ورق بن نوفل) – كما سيأتي معنا –وهو ابن عم زوجة النبي صلى الله عليه وسلم (خديجة) رضي الله عنها.
- ثم ذكر الحافظ الأبيات التي قالها (أبو طالب) يتكلم فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: وثور ومن أرسى ثبيرًا مكانه وراق لبر في حراء ونازل؛

راق يرتقي في حراء وينزل: كان النبي صلى الله عليه وسلم، بيقصد النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يرقى إلى جبل حراء يجلس فيه ثم ينزل بعد ذلك. فكان يجلس متحنثًا متعبدًا لله عز وجل.

- قال: **(ففجأه الحق وهو بغار حراء في رمضان)**، إذًا هنا فاجأه الحق؛ أي الله عز وجل فاجأ النبي صلى الله عليه وسلم وهو في غار حراء بنزول الملك، وكان (جبريل) عليه السلام. وقال هنا في رمضان، وكان يوم إثنين، كما قلنا من قبل كان يوم إثنين المولد والمبعث والنزول كان يوم إثنين، كما جاء في حديث أبي قتادة عند مسلم عندما قال عن صوم يوم الإثنين قال: [ذَاكَ يَوْمَ وُلِدْتُ فِيهِ وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فيه].
- فقال: **(ففجأه الحق وهو بغار حراء في رمضان، وله من العمر أربعون سنة)**، وهنا قلنا هذا لقوله تعالى: {حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةً} [الأحقاف: 15]، وهذا غالب بعثة الأنبياء بتكون على هذا العمر، وكأن الأربعين فيه اكتمال الرشد والحكمة والتأهيل لذلك. فغالب الرسل أو بعضهم نزل عليه الوحي أيضًا أو بعث في هذا السن.
- فقال: **(فجاءه الملك)** وهو كان (جبريل) عليه السلام، **(فقال له: أقرأ، قال: "لست بقارئ")**، لماذا لست بقارئ؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم القراءة والكتابة؛ أمي، عليه الصلاة والسلام، فلم يكن يتعلم القراءة والكتابة.
- **(فغته:)** أي ضمه الملك، ضمه ضمة شديدة، **(حتى بلغ منه الجهد)**، أي: كأنه تعب من تلك الشدة، **(ثم أرسله)**: تركه، أي ضمه ثم تركه، **(فقال له: اقرأ)** ثانية، قال له أيضًا: **(لست بقارئ)**، فضمه ثم أرسله، فقال له في الثالثة اقرأ، وأيضًا قال له لست بقارئ، قالها ثلاثة مرات، ثم قرأ له (جبريل) عليه السلام: {ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ، ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ، ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ، عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ} [العلق: 1-5]، كان هذا أول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الصحيح الراجح، لأن هناك قول آخر يستدلون بحديث جابر رضي الله عنه عنه أن أول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ} [المدثر: 1]، فالمدثر في المرة الثانية من الملك، وسيأتي تصريحًا. لما يأتي معنا لما قال النبي صلى الله عليه وسلم قال: "فجاءني الملك الذي جاءني في الأولى"، وقال: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ}. وإن كان هناك رواية لجابر، وجابر الذي قال ذلك. ولكن

رواية جابر تبين أنها الثانية وليست الأولى، والعمل بما روى جابر وليس بما قال جابر، اجتهاد من جابر عليه رضي الله عنه. لكن الصحيح أن أول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم هذه الذي معنا: {ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ}.

وهنا توجد فوائد جمة في هذه المسألة:

- أول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم (اقرأ). أولًا {ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ}، ثم أيضًا {ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ، ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ}. أول ما نزل في هذا الدين: العلم، والتعلم، والقراءة، والتفقه. أول ما أُمِر به النبي صلى الله عليه وسلم قال (اقرأ)، أُمِر بالقراءة، وقال: {ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ، عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ}. وهذا يبين لك مدى أهمية العلم في ديننا، مدى أهمية العلم، والتعلم، والتفقه في دين الله عز وجل. لكنه لا يكفي! انظر للآيات، العلم لابد له من استعانة؛ لابد أن تستعين بالله، لأنه قال {ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ}أولًا؛ اقرأ مستعينًا بالله؛ بإسم ربك.
- ثم في الآية بعد التي تليها:{ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ، عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ}، من الذي علم الإنسان؟ الله عز وجل. إذًا أولًا: يوجد حث على العلم وعلى التفقه، وأن العلم أصل عندنا في هذا الدين أنك لابد أن تتعلم؛ سواء العلوم الشرعية، أو العلوم المساعدة أيضًا، لحاجة الناس في الدنيا وفي الآخرة، ومنها العلوم المساعدة التي تساعد الناس في حياتهم أيضًا.
- لكن نبين أن الدين لابد فيه من تعلم، لابد فيه من قراءة وتفقه، ولن يتأتى لك العلم إلا بالإستعانة بالله، الاثنين معًا. وهذا يبين لك أن النية في مسألة العلم والتفقه مهمة جدًا، أنك لا تظن أن عقلك هو الذي يفهم ويفقه، وأن حفظك سريع مثلًا، أو أنك رُزقت فهمًا! لا، هذه كلها استعانة بالله عز وجل، الله الذي يعلمك ذلك. لذلك عليك في العلم أن تطلب العون من الله، تلتجئ إلى الله عز وجل الله، هو {ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ}. فهنا أولًا أنك مطلوب منك في هذا المقام أن تتفقه، أنك تتعلم، وأنك تطلب ذلك العون والمدد من الله عز وجل. وهذه من

أهم الفوائد لنبين لنا أن الدين عندنا (ليس فهلوة) كما يقال! ولا شيء، لا، فنحن أصولنا أن الدين كله قائم على العلم؛ سواء علوم الدنيا، أو حتى علوم الشريعة، وهذا أول ما خاطب به الله عز وجل النبي صلى الله عليه وسلم.

- **(فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره)**، هنا ترجف بوادره أي: أطرافه كلها ترتجف، الموقف هول شديد، أنك فجأة يأتي عليك ملك ويقول لك (اقرأ).
- **فأخبر بذلك (خديجة) رضي الله تعالى عنها**. وهنا لنا وقفة أيضًا مع (خديجة) رضي الله عنها. انظر ماذا فعلت (خديجة) مع النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه المرأة العاقلة، الرشيدة، الرصينة، الزوجة الصالحة، التي قال لها أول ما رجع: **(قد خشيت بها على عقلي)**، أي ممكن يجن المرء، هو طبعًا يقصد أنه هول، ملك يكلمه ويقرأ ثم تنزل آيات، وكلام الله أصالة أمر عظيم جدًا.
- فرجع من الغار بعد أن أرسله الملك، وكان الأمر شديدًا، قال الحافظ: **(فثبتته)** وهذا هو؛ ثبتته، **(وقالت: "أبشر، كلا والله! لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتعين على نوائب الدهر)**، ثم قال الحافظ: **(في أوصاف أخر جميلة عددتها من أخلاقه صلى الله عليه وسلم)**. وهذا رزق من الله عز وجل، أن يرزقك الله عز وجل زوجة صالحة، أو أخ صالح، أو والدين صالحين، أنك عند الشدة ترجع فتجد من يثبتك، وهذا يبين لك عِظَم التوافق مع الزوجة الصالحة، والزوجة الصالحة نعمة من الله عز وجل، والزوج الصالح هو نعمة من الله عز وجل. أول من استقبلت النبي صلى الله عليه وسلم كانت زوجته، وقال "خشيت على نفسي". أنظر، كلامها التي ثبتته بها، **(قالت: "أبشر، كلا والله! لا يخزيك الله أبدا)**.
- لم يكن يوجد إسلام بعد، ولا نبوة، ولا شيء، لكن أنظر إلى الزوجة الصالحة لما الله عز وجل يرزق، – يرزقكم جميعا إن شاء الله زوجة صالحة تعينكم على طلب العلم وعلى أمور الدين والدنيا. فانظر ماذا فعلت معه، ثبتته، لكن ثبتته أولًا، بأن أرجعته إلى الله: **(كلا والله!**

لا يخزيك الله أبدا) لماذا لا يخزيك الله أبدا؟ عددت عليه أفعال صالحة يفعلها، فإنه يصل الرحم، يصدق الحديث؛ كان الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم، يحمل الكل، يعين الناس، ويعين الفقراء والمساكين وغير ذلك، وتعين على نواب الدهر؛ أي يشترك مع الناس في صنائع المعروف. وهذه تبين لك أن صنائع المعروف تقيك مصارع السوء.

- فعددت عليه أخلاق جميلة كان يفعلها، وهنا النبي صلى الله عليه وسلم كان معروفًا بالإحسان، وبالبذل، وبالكرم، وغير ذلك، وبالصدق، والأمانة في التجارة. فهنا كأنها تقول له من قوله صلى الله عليه وسلم: [وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ]. انظر أفعالك اللي تعملها، وأعمالك الصالحة، سيأتي يوما أنت تجد نفسك في موطن كأن هذه تكون سبيلًا لنجاتك أو لتثبيتك. فكأن (خديجة) رضي الله عنها وأرضاها تثبته بما كان يفعله من خير، وتذكره بذلك، وبشرته.
- وقلنا موقف عظيم جدًا حقيقة من (خديجة) رضي الله عنها، تبين أن المرء لابد وهو يتزوج حقيقة أن يختار من تعينه على أمور الدين وعلى أمور الدنيا، وتثبته. وليس الآن كما يحدث! تسارع المرأة تقول له احلق لحيتك، واعمل كذا وكذا ومالنا شأن بكل ما يحدث!

لا! هذا ما يليق بطالب العلم أن يكون له رفيقة مثل هذه! لكن طالب العلم الذي يريد العلو لابد أن يبحث علي من تعينه علي طريقه، والعكس بالعكس أيضًا، الزوج لابد أن يعين زوجته، لما يجد منها الهمة وحب العلم والدين والشرع يدفعها. وليس الأخ الذي يقول لزوجته لا نريد دروس، لا نريد حضور، لا نريد كذا، أهم حاجة الطعام يكون جيد، والبيت نظيف. والولاد يناموا مبكرًا ونتيجتهم ومذاكرتهم تكون جيدة ! هذا كله في الدنيا. أنت عندما يرزقك الله زوجة صالحة تصلي وتقيم الليل أو تفعل أمور الخير أو تتعلم لتعلم أولادها، ويكون إيمانها عالي، أنت تفرح بذلك، وليس أن تمنعها عن ذلك ! فهذه كلها أمور هامة جدًا.

- قال بعد ذلك: **(وتصديقًا منها له، وتثبيتًا، وإعانة على الحق)**. تصدقه أولًا، لأن ذلك منقبة للنساء، عندنا منقبتين اليوم في النساء؛ أول واحدة التي معنا الآن؛ أول من أسلم حقيقة مع

النبي صلى الله عليه وسلم (خديجة)، سنبين مسألة (أبو بكر) و(ورقة بن نوفل) وغير ذلك، لكن منقبة للنساء أن أول من أسلم امرأة، لأن (خديجة) أول من استقبلت النبي صلى الله عليه وسلم، وقالت له: **(أبشر، كلا والله! لا يخزيك الله أبدا)**، و **(تصديقًا منها له، وتثبيتًا، وإعانة على الحق)**.

- فحقيقة –كما قال ابن كثير– فهي أول صديق له، رضي الله عنها وأكرمها، فكأن هي أول من صدقت النبي، فالمرأة أول من أسلمت بعد النبي صلى الله عليه وسلم، أي حتى قبل الرجال، وسيأتي معنا أن أول شهيد أيضًا في الإسلام كانت امرأة، كانت (سمية) أم عمار زوجة ياسر، رضي الله عنهم جميعا.

ثم قال:

ثم مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يمكث لا يرى شيئًا، وفتر عنه الوحي، فاغتم لذلك، وذهب مرارًا ليتردّى من رؤوس الجبال، وذلك من شوقه إلى ما رأى أول مرة، من حلاوة ما شاهده من وحي الله إليه.

فقيل: إن فترة الوحي كانت قريبًا من سنتين أو أكثر، ثم تبدى له الملك بين السماء والأرض على كرسي وثبته وبشره بأنه رسول الله حقًا، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم فَرِق منه، وذهب إلى خديجة فقال: "زملوني"، "دثروني". فأنزل الله عليه: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ، قُمۡ فَأَنذِرۡ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ} [المدثر: 1-4].

فكان الحال الأولى: حال نبوة وإيحاء، ثم أمره الله في هذه الآية أن ينذر قومه ويدعوهم إلى الله، فشمر صلى الله عليه وسلم عن ساق التكليف، وقام في طاعة الله أتم قيام، يدعو إلى الله سبحانه الكبير والصغير، والحر والعبد، والرجال والنساء، والأسود والأحمر، فاستجاب له عباد الله من كل قبيلة.

- هنا بعد نزول الوحي الأول في غار حراء، **(مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يمكث لا يرى شيئًا)**، وهذه العلماء أو المفسريين في السير قالوا أنه هناك رواية أنه جلس سنتين، وفي رواية أنه جلس ثلاث سنوات ما ينزل عليه شيء بعد النزول الأول في حراء. وقيل أقل من ذلك. وهذه مدة ليست بالهينة، لما أوحي أول مرة أي نزل الملك أول مرة، وفتر الوحي، النبي صلى الله عليه وسلم اشتاق كثيرًا لهذا الأمر، أي كأنه رأى حلاوة عظيمة جدًا، ثم انقطعت، فكان يشعر بشوق شديد لأن يسمع الوحي مرة أخرى.
- ولا عجب، يقال أن (موسى) عليه السلام لما ذهب يكلم الله عز وجل، وكلمه الله عز وجل، فرجع إلى قومه عافى أن يسمع كلام الناس شهر؛ أي أنه لما سمع كلام الله عز وجل، وكلمه الله، فمن شدة حلاوة هذا الأمر، عافى الناس شهر، لا يريد أن يسمع منهم شئ، لتظل حلاوة كلامه مع الله عز وجل عنده.
- فلذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه الوحي أول مرة، وانقطع بعد ذلك فترة من الوحي، – أي حدث إنقطاع– حدث له شوق شديد جدًا. وقيل أن الحكمة في انقطاع الوحي كل هذه الفترة: بعضهم قال ليهدأ النبي صلى الله عليه وسلم ويذهب عنه الروع الذي أصابه في أول مرة، لما جاء لـ (خديجة) قال: **(قد خشيت بها على عقلي)** في الأول من هول المفاجأة خشي، لما هدأ بعد ذلك وتذكر ما حدث اشتاق جدًا. فقالوا الفترة هذه حتى يهدأ ويذهب عنه الروع. والأمر الثاني قالوا ليحدث الاشتياق لسماع الوحي، لأن الوحي له حلاوة، ولذة كان يشعر بها النبي صلى الله عليه وسلم.
- لذلك قال: **(فاغتم لذلك وذهب مرارًا ليتردّى من رؤوس الجبال)**. هذه الجملة فيها إشكال قليلًا، لن نستفيض فيه كثير، لكن هو معنى ما ذكره ابن كثير أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يذهب إلى الغار ما يجد الوحي، فكان يطلع إلى الجبال كأنه يبحث عن (جبريل)، وهذه الرواية التي نقلها البخاري في صحيحه – لكن لم ينقلها بسند صحيح– افهموا لأن هذه المسألة مهمة. هو قال بعدما ذكر حديث بدء الوحي – الذي هو صحيح وليس فيه هذه

الجملة– الذي تكلمنا عنه، حديث بدء الوحي في كتاب بدء الوحي في البخاري وغيره من مصنفين السنة، ذكر لما ذهب النبي صلى اله عليه وسلم لغار حراء ونزل عليه (جبريل) ورجع لـ (خديجة) كل القصة التي ذكرناها الآن، ولم يذكر فيها بالسند الصحيح مسألة (تردّى من الجبال لما فتر). لكن الزهري – الذي هو راوي الحديث عن الصحابة– قال البخاري: [وقال الزهري (**بلاغًا**)"] كلمة بلاغًا، ثم ذكر [بأنه كان يذهب إلى أعالي الجبال ليتردى]، أي كأنه يريد أن يلقي نفسه لأنه كان ينتظر الوحي ولا يأتيه الوحي، [فظهر له (جبريل)، فقال: كلما أراد أن يذهب إلى رؤوس الجبال ليلقي نفسه ويتردى ظهر (جبريل) وقال له: "أنت رسول الله"، فيرجع، فظهر منه تكرارا].

- هذه الرواية – لأنها محل شبهة عند البعض– يستدلون بها على مسألة الإنتحار، وهذا الكلام لكي تفهموا المسألة، نعم البخاري ذكرها في الصحيح لكن لم يذكرها بسنده، قال نقلها عن الزهري وقال (**بلاغًا**). بلاغًا هذه ما معناها في الحديث؟ (بلاغًا) كأن الراوي بيروي الشيء بدون سند، يقول "بلاغًا"، أي كأنه بلغنا ولم يذكر لنا سندا. وهذا عند علماء الحديث لا يعتد به، إلا لو كان صحابيًا، لأن الصحابي عندما يقول (بلاغًا) فسينقل عن صحابي أو عن النبي صلى الله عليه وسلم. لكن ما كان من بعد التابعين وتابعي التابعين يقول (بلاغًا) أي لم يذكر لنا سندًا.
- لذلك البخاري– لأن بعض الناس يقول البخاري كتبه في صحيحه– لما ذكره لم يذكره أصالة بسنده، لكن نقل أن الزهري قال (بلاغًا)، وبالتالي هو كان يريد أن يتم بها فقط. والصحيح بالتتبع أن هذا لم يثبت، هذه الزيادات من عند الزهري لما قال (بلاغًا)، لم يأت لها سند صحيح. ولذلك الأحكام عندنا فرع عن الصحة، فلما لم تثبت الزيادة فلا يصح أن نعتد بها في شئ، يخص مسألة الإنتحار. ولو قلنا تنزلًا بثبوت الزيادة أن النبي كان يفعل ذلك، البعض قال بأنه لم يكن يفعله كمثل الذي يريد أن ينتحر، فالذي يريد أن ينتحر كأنه يعترض على القضاء والقدر، غير متمكن، كأنه عنده يأس أو شيء، فأراد أن ينهي حياته. والنبي

صلى الله عليه وسلم ما أراد ذلك ! فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم على الكلام الذي كان بيقوله له(جبريل): "أنت رسول الله"، فبعض العلماء قالوا: كأنه شوقًا منه لنزول الوحي، لكنه لا يريد حقيقة أن يقتل نفسه.

- وعمومًا الصحيح نحن نقول أن الزيادة لم تثبت، وأنها ضعيفة حتى نخرج من هذه الإشكاليات كلها، ولا نقول بها عن النبي صلى الله عليه وسلم.
- فنقول: **(وذلك من شوقه إلى ما رأى أول مرة)**، كأن الحافظ بيفسر لماذا كان بيفعل ذلك: **من (حلاوة ما شاهده من وحي الله إليه)**.
- **(فقيل: أن فترة الوحي كانت قريبًا من سنتين أو أكثر)**، و(ابن عباس) له رواية أن فترة الوحي كانت أيامًا. والحافظ (ابن حجر) قال سنتان ونصف. والأقرب أن المدة لا تكون طويلة– وطبعًا هذه ليست فيها اختيارات– لكنه ورد بسند عن (ابن عباس) أن فترة الوحي كانت أيامًا، وإن كان المشهور عند العلماء أن سنتين أو أكثر، والله أعلم.
- **(ثم تبدى له الملك بين السماء والأرض على كرسي وثبته وبشره بأنه رسول الله حقًا، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم فَرِق منه)**، فرق: أي خاف. وممكن أن نقول أن هذه هي المرة الأولى التي رأى فيها النبي صلى الله عليه وسلم (جبريل)، لأنه رآه يسد السماء على كرسي. والمرة الثانية ستكون في الإسراء والمعراج، وكأنه ملك يسد. وطبعًا هذا يبين عظم خلق الملائكة؛ بعضهم عنده ستمائة جناح، وبعضهم عنده أكثر أو أقل. و"الجناح" ممكن أن يطبق السماء كلها. وهذه تبين لك عظم الخالق سبحانه وتعالى.
- ثم لما تبدى له الملك في السماء خاف النبي صلى الله عليه وسلم فرجع مرة أخرى إلى (خديجة)، فقال زملوني دثروني. أي غطوني، وأخذ يرتعد، فأنزل الله عليه هنا وحيًا.
- الأولى الملك لما جاءه وضمه وقال (اقرأ)، إذاً هذه طريقة، **لأن مراتب الوحي عندنا أكثر من مرتبة:**

1. **الرؤيا الصادقة**، وهذه التي كانت بتحدث للنبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول جبريل في غار حراء. كانت (عائشة) رضي الله عنها تقول: "كانت الرؤيا صادقة فتكون كفلق الصبح". لذلك هناك حديث أن الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة. لماذا؟ قالوا لأن النبي صلى الله عليه وسلم مكث قبل نزول جبريل عليه أول مرة ستة أشهر يرى الرؤيا وتحدث، وستة أشهر أي نصف سنة، والنبوة ثلاثة وعشرين سنة، أي ستة وأربعين نصف. لذلك الحديث يقول أن: [الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة]. لماذا؟ لأن هي كانت ستة أشهر تنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، فكأنه في هذا الوقت جزء من ست وأربعين جزء من النبوة.
2. **ما يلقيه الملك في روعه وقلبه**، يأتي الملك فيلقي في روع النبي صلى الله عليه وسلم أو في القلب شيئًا، وهذه دون أن يراه؛ أي ما يرى النبي صلى الله عليه وسلم الملك هنا. فهذه مرتبة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: [إنَّ رُوحَ القُدُسِ نفث في رُوعي أنَّ نَفْسًا لن تموتَ حتى تستكملَ رزقَها فاتقوا اللهَ وأَجْمِلُوا في الطلبِ ولا يَحمِلَنَّكمُ استِبْطاءُ الرزقِ على أنْ تَطلُبوه بمَعْصيةِ اللهِ، فإنَّ ما عندَ اللهِ لا يُنالُ إلَّا بطاعَتِه]. وهنا الشاهد من الحديث أن "روح القدس نفث في روعي"، هذه مرتبة أخرى من مراتب الوحي، وهو أن ينفث الروح (وهو الملك) في روعه؛ في قلبه، ولا يراه.
3. **أن يتمثل له الملك في هيئة رجل فيخاطبه**، مثل حديث (جبريل) عليه السلام جاء في صورة (دحية الكلبي). كيف علمنا؟ لما ذهب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لـ (عمر) أتدري يا (عمر) من السائل؟ قال الله رسوله أعلم ، قال هذا (جبريل) أتاكم يعلمكم دينكم.
4. **أن يأتيه مثل صلصلة الجرس**، وهذه أشد ما يكون، لأنه يتلبس الملك بالنبي صلى الله عليه وسلم، أي يأتي على جسده حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتفصد عرقًا في اليوم الشديد البرودة. وكان ثقيلًا جدًا، بيّن ذلك حديث زيد بن ثابت رضي

الله عنه، فقد جاءه الوحي مرة وكانت فخذ النبي صلى الله عليه وسلم على فخذه، قال: فثقلت عليّ فخذه حتى كادت تردها؛ أي تكسرها من كثرة ثقل فخذ النبي صلى الله عليه وسلم على فخذ زيد، لأنه جاء الملك في هذا الوقت، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتصبب عرقًا في اليوم البارد من شدة الوحي عليه، وكانت تثقل حتى أن بعضهم قال لو كان على الراحلة كانت الراحلة تبرك من شدة الثقل على النبي صلى الله عليه وسلم فالراحلة تنزل أيضًا. وهذه كانت أشد ما يكون أنه يأتيه مثل صلصلة الجرس.

5. وهي التي معنا الآن: **أن يرى الملك في صورته التي خُلِق عليها**. وهذه التي حدثت في الثانية التي معنا الآن، لما رأى (جبريل) في السماء على الكرسي، فيوحي الله عز وجل له ما يوحي، وقد رآه مرتين فقط.
6. **ما أوحاه الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم في المعراج**، كما سيأتي معنا في الإسراء والمعراج ما أوحاه إليه من أمره للصلاة.
7. **كلام الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم أيضًا في المعراج**، لما ارتفع إلى السماوات السبع وكلمه الله عز وجل. والبعض يضيف مرتبة ثامنة **بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد رأى ربه في المعراج**. وإن كانت هذه مسألة خلافية ستأتي معنا. فيجعل هذ مرتبة أيضًا وهي الكلام كفاحًا، أي بدون حجاب أو شيء. لكن السابعة هذه متفق عليها والثامنة فيها خلاف، وأن الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير ربه.

- فالمراتب السبعة التي بيناها منها المرتبة التي معنا؛ التي رأى فيها النبي صلى الله عليه وسلم (جبريل) يسد الأفق أو على كرسيه في السماء، فرجع فقال: زملوني، دثروني فأنزل الله عز وجل: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنذِرْ} إلى آخر الآيات.

- **فالدعوة لها مراتب:**

1. **الأولى:** النبوة. فأول شئ أنه نُبِّئ؛ أصبح نبي (أول مرة في غار حراء)،
2. **الثانية:** الإنذار، لأنه قال: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ، قُمۡ فَأَنذِرۡ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ}، فأمره بالنذارة؛ أن ينذر. والنذارة لم تكن عامة، فالنذارة هنا: {وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ} [الشعراء: 214]. فأول النذارة كانت عشيرة الأقربين. ثم المرتبة الثالثة في الدعوة ستأتي هي إنذار القوم.

وطبعًا لما أنذر عشيرته الأقربين وقف النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا قال: [يا فاطِمةُ بِنتَ مُحمدٍ، لا أُغني عنكِ مِنَ اللهِ شَيئًا، يا صَفيَّةُ عَمَّةَ رَسولِ اللهِ، لا أُغني عنكِ مِنَ اللهِ شَيئًا، يا عبَّاسُ عَمَّ رَسولِ اللهِ، لا أُغني عنكَ مِنَ اللهِ شَيئًا.]، وجمع عائلته أولًا يدعوهم، حتى لما جاء (أبو لهب) قال: [أجمعتنا لهذا]. فهذه كانت عشيرتك الأقربين.

3. **الثالثة:** أن ينذر القوم أولًا، قريش وغير ذلك.
4. **الرابعة:** {لِتُنذِرَ قَوۡما مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ} [السجدة:3]، وهم العرب ككل، فهذه المرتبة الرابعة، أن يخرج إلى العرب فينذرهم. وهذه ستأتي، أنه سيخرج من قريش (من مكة) ويبدأ يذهب للطائف وغيره لينذر الناس.
5. **الخامسة:** إنذار جميع ما بلغته دعوته من الجن والإنس، عرب وعجم. لأنه أرسل رسولًا للناس جميعًا.

- لكن الذي معنا الآن المرتبة الأولى والتي كانت (النبوة) في أول نزول (جبريل)، والثانية كما قال هنا الحافظ، أنه قال: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ، قُمۡ فَأَنذِرۡ}، فأصبحت المرتبة الثانية (النذارة).
- قال: **(ثم أمره الله في هذه الآية أن ينذر قومه ويدعوهم إلى الله)**، فبدأ هنا الأمر بالدعوة مباشرة، فمجرد ما نزل أول مرة (النبوة)، ثم جاءه الأمر بالدعوة مباشرة، أي فترة فتور الوحي فقط، وبدأ ينذر قومه أولًا، وما يتقاعس في ذلك ! لا، {قُمۡ فَأَنذِرۡ} مباشرة.

- طبعًا هينذر التوحيد، فلم تكن هناك شريعة موجودة بعد، ولا تفاصيل، لكن سينذرهم بالتوحيد؛ إفراد الله عز وجل بالربوبية والألوهية وغير ذلك.
- وهنا مع شدة الأمر على النبي صلى الله عليه وسلم، واستقباله بأن أصبح نبيًا، يأتيه الأمر بإنذار القوم أصالة، وسيتكلم مع قوم يصادمونه في كل شيء، عقيدة جاهلية، كفار يشركون، يفعلون أخلاق كلها بعيدة عن الإسلام.
- وأُمر بأن يدعو الأقربين أولًا، وأمر ليس بالهين أنك تدعو ناس سنوات عمرهم كلهم آباء وأجداد على هذه العقيدة الفاسدة، والأخلاق السيئة. فهنا أُمر ببدء الدعوة، لكن لما أمر ببدء الدعوة **بدء الدعوة السرية أولًا**؛ الفترة الأولى أمر بأن يظل يدعو سرًا لمدة ثلاثة سنوات ولا يجهر بالدعوة.
- **كيف كان يدعو النبي صلى الله عليه وسلم؟** يخاطب الأفراد؛ يذهب لفرد فرد ويخاطبه، الذي يرى بأنه يطمئن إليه سرًا. فبدأ بالقرائب. وسنفصل هنا أول من أسلم من النساء ومن الرجال؛ ومن الأحرار، ومن العبيد، ومن الصبيان أيضًا.
- فنقول أول من أسلم من النساء كانت **(خديجة)** رضي الله عنها وأرضاها. وأول من أسلم من الرجال كان **(أبو بكر)** رفيقه وصاحبه، وأول من أسلم من الصبيان **(عليّ)** رضي الله عنه، كان عمره تقريبًا ثمان سنوات، وأول من أسلم من الموالي **(زيد بن حارثة)** رضي الله عنه، وأول من أسلم من العبيد **(بلال)** رضي الله عنه.
- خاطب الرجال والنساء، الكبار والصغار، الأحرار والعبيد، فكانت مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم لدين الله لجميع الناس، لم يختص بفئة دون فئة، ولا حتى بسن دون سن، كانت دعوته لجميع الناس. وكان لا شك أن أول من أسلم قلة من الناس، والبقية كان ممن يتردد، أو يتخوف أمر جديد، أو البعض معاند (يعاند)، أو يعادي ولا يقبل ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم، تفاوتت أحوال الناس.

لذلك قال الحافظ:

وكان حائز سبقهم: أبو بكر رضي الله عنه عبد الله بن عثمان التيمي، وآزره في دين الله، ودعا معه إلى الله على بصيرة، فاستجاب لأبي بكر: عثمان بن عفان، وطلحة، وسعد بن أبي وقاص.

وأما علىّ: فأسلم صغيراً ابن ثمان سنين.

وقيل: أكثر من ذلك.

وقيل: كان إسلامه قبل إسلام أبي بكر.

وقيل: لا.

وعلى كل حال: فإسلامه ليس كإسلام الصديق؛ لأنه كان في كفالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخذه من عمه إعانة له على سنة محل.

وكذلك أسلمت: خديجة، وزيد بن حارثة.

وأسلم: القس ورقة بن نوفل، فصدَّق بما وجد من وحي الله، وتمنى أن لو كان جذعًا، وذلك أول ما نزل الوحي.

وقد روى الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه في المنام في هيئة حسنة.

وجاء في حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [رأيت القس عليه ثياب بيض].
وفي الصحيحين أنه قال: [هذا الناموس الذي جاء موسى بن عمران] لما ذهبت به خديجة إليه، فقص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى من أمر جبريل عليه السلام.

ودخل من شرح الله صدره للإسلام على نور وبصيرة، ومعاينة، فأخذهم سفهاء مكة بالأذى، والعقوبة، وصان الله رسوله وحماه بعمه أبي طالب، لأنه كان شريفًا مطاعًا فيهم، نبيلًا بينهم، لا يتجاسرون على مفاجأته بشيء في أمر محمد صلى الله عليه وسلم لما يعلمون من محبته له.

وكان من حكمة الله: بقاؤه على دينهم؛ لما في ذلك من المصلحة.

هذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله ليلًا ونهارًا ، سرًا وجهارًا، لا يصده عن ذلك صاد، ولا يرده عنه راد، ولا يأخذه في الله لومة لائم.

- هنا بدأ الحافظ بذكر من أول من حاز السبق في الإسلام، أول من استجاب للنبي صلى الله عليه وسلم هو (أبو بكر الصديق) رضي الله عنه، واسمه (عبد الله بن عثمان التيمي)، ومشهور طبعًا بكنية (أبو بكر) بلقبه، وهو أول من أسلم من الرجال رضي الله عنه.
- وهو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومناقبه كثيرة – ستأتي في حينها – لكنه آزره – كما قال– في دين الله، ودعا معه إلى الله على بصيرة.
- انظر (أبو بكر) أسلم من هنا، ما وقف، سويعات حتى أدخل ستة من العشر المبشرين بالجنة في ميزانه، فأول ما اعتنق هذا الدين دعا، ما وقف، دعا مباشرة، ولذلك أسلم على يديه (عثمان بن عفان)، و(طلحة)، و(سعد بن أبي وقاص)، وذُكر أن (الزبير بن العوام)، و(عبد الرحمن بن عوف)، و(أبو عبيدة) أيضًا أسلموا واستجابوا له. ستة من العشر المبشرين.
- انظروا في ميزان (أبو بكر)، الأمة بدأت بالنبي صلى الله عليه وسلم، ثم (أبو بكر)، وطبعًا الأمة كلها في ميزان النبي صلى الله عليه وسلم؛ أجور كل الأمة، لكن (أبو بكر) في ميزانه ستة من العشر المبشرين بالجنة. ويبين لك مسألة أن الدين ليس فقط أتك تعتقده، وأنك تعبد الله عز وجل لنفسك ! لا، لابد أن تُقَدِّم، لابد أن تدعو، لابد أن تنذر الناس، لابد أنك تنقل ذلك للناس، تكون داعية كما فعل (أبو بكر) أو ما دخل في الإسلام مع النبي

صلى الله عليه وسلم ما وقف، بادر إلى نشر الإسلام وإلى دعوة الناس إلى الدخول فيه. وهذا لابد –وخاصة العلماء وأهل العلم وطلاب بالعلم هم ورثة الأنبياء، والأنبياء أصالة جاءوا بالنذارة والبشارة، جاءوا بدعوة الناس، وكذلك أهل العلم عملهم الأساسي هو دعوة الناس، تعليم الناس، ودعوة الناس إلى الحق.

- فهنا يبين لنا دخوله أولًا في الإسلام، ولم يقف عند هذا الدخول ويقول" "أنا لي السبق"! لا، فيصلي فقط ويصوم يجلس في المسجد يقول أنا ملتزم منذ 40 سنة، 30 سنة، 20 سنة، أنا أول أحد التزمت في الحي، في المنطقة! لا، جيد، هذا خير، لكن ماذا أديت؟ ماذا قدمت؟ كيف دعوت إلي دين الله عز وجل لتساعد الناس علي الهداية وعلي الإلتزام وغير ذلك؟
- كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لـ (عليّ) في غزوة خيبر: [لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ]. و"حمر النعم" هي أنفس الجمال، كانت عندهم في العرب الحمر هذه.
- لذلك الإنسان عندما يسعى، عندما يكلم أحد من أحبائه، من أقاربه من الناس يريد له الهداية، فيراه يلتزم أو يقبل على الدين، يكون مثلًا بيفعل شيء، أو رجل من أهل الكفر وأنت تدعوه إلى الإسلام فيدخل الإسلام. فهذا النبي صلى الله عليه وسلم يقول: [لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ]، وكانت أنفس شيء عند العرب. فالنبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يُمَثِّل لهم كيف أن هداية واحد فقط، فأنت لو علمت واحد فقط الفاتحة، لو أخذت طفل وقلت له" تعال أعلمك الصلاة والوضوء والفاتحة"، فانظر لما يكبر هذا إلي أن يموت قراءته للفاتحة في ميزانك، وضوءه في ميزانك، ولو تزوج وعلم أهل بيته وناسه، ستجد أنه سيجري عليك صدقات، لتعلموا عظم ثواب العلم، ونقله، ودعوة الناس وهدايتهم. فتدعو أحد للهداية، فكل ما يفعله من طاعات تكون لك أنت فيه نصيب، لأنك أنت كنت سببًا في ذلك. فالأمر عظيم جدًا، لما الله يرزقك هذا الأمر، أن

تكون في طريق العلم، أو أن يرزقك علمًا، أو فهمًا، أو قدرة على أن تبلغ، فتعلم أنها نعمة أعطاها الله إياك، كأنه عداد يعد لك حسنات، فلماذا توقفه!

- لكنه طبعًا – كما سيأتي معنا– أن الدعوة لابد لها من علم، ولابد لها من إتقان، حتى تنقل نقلًا صحيحًا، لكن على الأقل الأمور التي معلومة من الدين بالضرورة يستطيع كل منا أن ينصح ويُعَلِّم منها الغير.
- قال: **(وأما عليّ: فأسلم صغيراً ابن ثمان سنين)**، وإسلام علي لا تأخذه بالأمر الهين! طفل ثمان سنين، الأصل أنه ملتصق بأبوه وأمه، وهذه كانت عقيدة كفر؛ كان أبوه مازال على الكفر ، (أبو طالب) وهو أصلًا مات كافرًا، ومع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم كان أخذ (عليّ) في كفالته، نوع من توفير النفقة على (أبو طالب) ورد الجميل، فأخذه معه من باب الكفالة له، فدخل مع النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم في هذا السن، مع أن هذا الأمر ليس بالسهل عندما تجد الطفل متأثر جدًا بأبوه، ويكون متأثر بأقاربه، فإن يدخل في هذا السن للإسلام وهذا الدين، فهذا ليس من الأمر الهين أن يتزحزح الإبن عن عقيدة أبويه، لكن الله عز وجل عندما يريد إدخال النور والهداية لأحد، فيكون ذلك.
- لأنك لو تنظر لحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي يقول: [كلُّ مولودٍ يولَدُ على الفطرةِ فأبواه يُهوِّدانِه أو يُنصِّرانِه أو يُمجِّسانِه] . من الذي يفعل ذلك؟ الأب والأم. فالأب له تأثير على الطفل. وهو هنا (عليّ) رضي الله عنه وأرضاه وهو ثمان سنوات كان مسلمًا، كتب الله عز وجل عليه أن يكون مسلمًا. **(وقيل أكثر من ذلك)**.
- **(وقيل: كان إسلامه قبل إسلام أبي بكر. وقيل: لا)**. طبعًا هذه مسألة خلافية كلها، لكن الأفضل نخرج من ذلك فنقول أن (خديجة) أول من أسلمت من النساء، و(أبو بكر) أول من أسلم من الرجال كما نقول، و(عليّ) من الصبيان، ومن العبيد –كما بينا– (بلال)، ومن الموالي (زيد).

- ثم قال ابن كثير: **(وعلى كل حال: فإسلامه ليس كإسلام الصديق)**، أي يريد أن يقول أنه كان ما زال مميز فقط، وليس كإسلام الصديق. وهذه طبعًا مُبيَّنة، لأن (عليّ) رضي الله عنه نفسه بعد ذلك قال: [من فضلني على (أبو بكر) و(عمر) لأضربنه أو لأعنفنه] لأن كان كل الناس يعلمون من الصحابة أن تقديم (أبو بكر) ثم (عمر) بينهم، فهذا لا خلاف بين الصحابة عليه أصالة. فلذلك إيمان الصديق وإسلامه ليس كأحد من الناس.
- ثم قال: **(وكذلك أسلمت: خديجة، وزيد بن حارثة. وأسلم: القس ورقة بن نوفل)**.

من (ورقة بن نوفل)؟

- كان على النصرانية أي كان قس، كان تنصر في الجاهلية وكان هو ابن عم (خديجة)، وقد تنصر في الجاهلية وقرأ الإنجيل واطلع على الإنجيل إطلاعًا واسعًا، واعتنق النصرانية.
- والإنجيل الحق كان فيه بشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم، لذلك لما حدث ما حدث للنبي صلى الله عليه وسلم في أول نزول جبريل عليه في الغار، وجاء لـ (خديجة) أخذته إلى (ورقة بن نوفل)، لأنه كان ابن عمها وكان عنده علم بما في الإنجيل وغير ذلك.
- فقال له (ورقة بن نوفل) لما دخل عليه وحكى له ما حدث من الملك وما فعل منه، قال: [هذا الناموس الذي أنزل على موسى]، الناموس: أي نفس الكتاب الذي أنزل على موسى. لأن التوراة الحقيقية من الله، والإنجيل كان من قبل أن يحرف كلام الله، والقرآن كلام الله. فقال: [هذا الناموس الذي أنزل على موسى]، ثم قال: [يا ليتني فيها جذعا]، جذعا: أي صغير السن، كأن (ورقة بن نوفل) يتمنى أنه لو كان هذا الوقت هو فيه شاب –لأنه كان كبير، لأنه سيموت قريبا بعد ذلك– حتى يستطيع أن ينصر هذا الدين وينصر النبي صلى الله عليه وسلم.

- فهنا كان قد اقترب موته، حتى مات بعد فترة قليلة جدًا من هذه المسألة، لكنه صدق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، لذلك كما جاء هنا في كلام الحافظ أن النبي صلى الله عليه وسلم رآه على لباس أبيض، أو في جنة، فكأنه يُعَد من المؤمنين.
- وهذا فيه لفتة مهمة أن (ورقة بن نوفل) صدَّق قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، أي أن نزل الوحي أول مرة كانت "نبوة"، ثم ما بين هذه والثانية في المدثر كان (ورقة بن نوفل) مات. فهو صدق بالأولى، فصدق قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم.
- لذلك البعض يقول أن (ورقة بن نوفل) أول من أسلم، لكن لو أردنا أن نقول، نُفَصِّل: أول من أسلم بعد البعثة (أبو بكر) من الرجال، (ورقة بن نوفل) أول من صدق لكن كان قبل البعثة؛ قبل الإنذار. لكنه طبعًا كما بين النبي صلى الله عليه وسلم أنه صدق بالنبي صلى الله عليه وسلم، وتوفي بعد ذلك بعد هذه القصة بقليل، والنبي صلى الله عليه وسلم رآه في هيئة حسنة، وجاء في الحديث [رأيت القس أي (ورقة بن نوفل) عليه ثياب بيض]. وهذا الحديث إن كان فيه نظر في سنده، لكن في السنن عند الترمذي وبعض أهل العلم صححوه، حتى هناك حديث لـ (عائشة) آخر قال في المستدرك قال: [لا تسبوا (ورقة) فإني رأيت له جنة أو جنتين]، وهذا كأنه شهادة من النبي صلى الله عليه وسلم بأن (ورقة بن نوفل) قد صدق، ومن أهل الإسلام.
- **(في الصحيحين لما جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى (ورقة بن نوفل) في مقابلته فقال: [هذا الناموس الذي جاء موسى بن عمران] فلما ذهبت (خديجة) إليه فقص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى من أمر (جبريل) عليه السلام)**، قال "هذا الناموس الذي جاء به موسى بن عمران"، فهنا بعدما قص عليه {ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ} إلى غير ذلك،قال أن هذا نفس الذي جاء به موسى، لذلك هو قال له بعد ذلك:[يا ليتني فيها جزعا] و: [يا ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك]. أولًا [يا ليتني فيها جزعا] لكي ينصر الدين، ثم قال: [يا ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك]، وكأنه يخبره بما سيحدث. فقال النبي صلى

الله عليه وسلم [أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟]، استعجب النبي صلى الله عليه وسلم، كيف يخرجوني وهذه أحب البلاد إليّ، وأنا بيني وبينهم قرابة وعشيرة؟ وهذا من فقه (ورقة بن نوفل) أنه يعلم كما قال له: [نعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بمِثْلِ ما جِئْتَ به إلَّا عُودِيَ، وإنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا].

- يبين له إن حال الرسل جميعًا، وهذا كل من يأتي بالحق، لابد أن تعلموه هكذا، هذه سنن كونية؛ كل من كان على حق لابد سيؤذَى أولًا، لأن: { وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ} [الأنعام: 116]، غالب الناس بتكون على الباطل، وأهل الحق في قلة، فلما يأتي صاحب الحق يوضح للناس، لابد أن يُعادى، وأكثر من الناس عودوا هم الأنبياء والرسل.
- ولو رجعنا للسير؛ كيف فعلوا في (زكريا) لما قتلوه، كيف فعلوا في (يحيى) ذبحوه وأعطوا رأسه لعاهرة و(يحيى) شقوا نصفيي الشجرة فيه، وكيف فعلوا بـ (موسى) عليه السلام، وكيف فعلوا بـ (عيسى) عليه السلام، وكيف فعلوا بنبينا صلى الله عليه وسلم أيضًا، أرادوا أن يقتلوه وأخرجوه من مكة، ثم اليهود – عليهم من الله عز وجل اللعائن والنكبات– سَمَّوه بالفعل أيضًا.
- فنقول كل من جاء بالحق لابد سيؤذى في الله، وأكثر من أوذي هو النبي صلى الله عليه وسلم. والنبي قد بين، قال: [رحم الله موسى قد أوذي في الله]، وغيره.
- فهو يبين له: [نعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بمِثْلِ ما جِئْتَ به إلَّا عُودِيَ، وإنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا]. وهو لم يدركه، ومات بعد ذلك، ولو كان موجود سينصر النبي صلى الله عليه وسلم نصرا مؤزرا.
- ومسألة الناموس هذه أيضًا قالها أيضًا (النجاشي) عندما سيأتي معنا قصة (النجاشي) عندما يأتي (عمرو بن العاص) ويتكلم معه لكي يرجع بالمسلمين من عنده في الحبشة، فلما وشى (عمرو بن العاص) بـ (جعفر) والمسلمين الذين كانوا هناك، فقال لـ (النجاشي): "إنهم يقولون

في (عيسى) ما لا تقبلوا، يقولون إنه عبد لله". فأمر النجاشي بأن يأتوا المسلمين وقتها، فجاء (جعفر)، فقال: "ماذا تقولون في عيسى؟" فقرأ عليه فواتح آيات سورة مريم. فبعد أن قرأ، كان معه عود، قال: "ما جاء به إلا مثل هذا العود والذي جاء به موسى بالتوراة". ثم قال لـ (عمرو) لما أراد أن يأخذ منه (جعفر) والمسلمين يرجع بهم إلى قريش، قال: "تسألنا نعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي (موسى) لتقتله؟" فقال (النجاشي) نفس الكلمة التي قالها (ورقة بن نوفل) "الناموس الأكبر" الذي كان عند موسى. **لماذا قال (موسى) ولم يقل (عيسى)؟** لأن شريعة (عيسى) مكملة لشريعة (موسى)، فشريعة (موسى) الأصل، لذلك أرجعها إلى (موسى).

- ثم قال الحافظ: **(ودخل في الإسلام من شرح الله صدره للإسلام)**، وهذه تبين لك فائدة، قال "ودخل في الإسلام من شرح الله صدره للإسلام" لتعلم بأن هداية التوفيق والسداد من الله. الهداية هدايتان؛ بيان، وإرشاد. هذه كانت من النبي صلى الله عليه وسلم أن يبين ويرشد، لكن التوفيق والسداد هي من الله. قال: "ودخل في الإسلام من شرح الله صدره للإسلام".
- إذًا الإسلام منة. حقًا لو نجلس ونعلم المنة التي عندنا من الله عز و جل علينا، أعظم نعمة أننا من أهل الإسلام. وليمكن لأننا ولدنا على الإسلام فقد لا تشعر بهذه المسألة، لكن أنظر لأهل الكفر الذي حولك، وهم إن مات أحد منهم الآن سيكون خالدًا مخلدًا في نار جهنم، إلا أن يكون من أهل الفترة، أو لم يسمع بالإسلام.
- انظر أنت لحالك إن كتب عليك الموت وأنت من أهل التوحيد، فأنت حتمًا مآلك إلى الجنة إن شاء الله عذبك، وإن شاء غفر لك. فأي نعمة أفضل من هذه النعمة؛ نعمة الإسلام، نعمة عظيمة جدًا نحن لا نستشعرها ولا نشكر الله عز وجل عليها ليل نهار.
- أنت أنك ولدت أو هديت إلى الإسلام، ليس فقط ولدت، فأنت ولدت عندك عقلك، لكن هناك ناس من أهل الإسلام وخرجوا من الإسلام؛ ألحدوا، ارتدوا لأي أمر آخر بعقولهم، فالله أعطاك عقل، وأعطاك قدرة وتكليف.

- وإلا ممكن أن يقدر كونيا عليك أنك لست من أهل الإسلام، لذلك قال: "ودخل في الإسلام من شرح الله صدره للإسلام".
- من الناس من يعرف أن الإسلام حق وصدق، لكن لا يدخل فيه. (أبو طالب) نفسه قال: (ولقد علمت أن دين محمد من خير أديان البرية دينا)، (أبو طالب) يقول هذا الكلام. إذًا لماذا لم تسلم؟ (لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحا بذلك مبينا). لولا الملامة: فخاف أن يلومونه. عندما قال له (أبو جهل) وهو على الموت والثاني (ابن أمية)، قالوا: (أتترك دين أبائك؟) قال: (بل على ملة عبد المطلب). أو حذار مسبة: استحيى أن يقولوا أنه رجع عن دين أبائه؛ صبأ، كما كانوا يقولون. لكنه كان مقر ويعلم.
- فهناك من الناس من يعلمون أن الإسلام حق لكنه لا يقوى، مثل **اليهود**. فاليهود هندهم في التوراة بشارة النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا يعلمون في المدينة أنه سيخرج نبي، لكنهم حسدوا العرب، كانوا يظنونه من ولد (اسحاق)، فجاء من ولد (إسماعيل). فهم حسدوا العرب على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا يعلمون أنه خارج فيهم، وكانوا ينتظرونه. فمن أول بعثة النبي كانوا ينتظرون النبي المكتوب عندهم أنه سيخرج، كما قال الله عز وجل أن (عيسى) عليه السلام: { وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ} [الصف: 6]، هذا في الإنجيل الحق. وعند اليهود أيضًا قبلهم في التوراة هناك بشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم، هم يعلمون أن هناك نبي قادم، لكن كانوا يتمنون أن يكون منهم، وهو ليس بمنهم. وعندهم أيضًا هو ليس بمنهم. لذلك هم حسدوا النبي صلى الله عليه وسلم وحسدوا العرب، فلم يؤمنوا حسدا. وهم قوم بهت، أي هم يعلمون أصالة وقت ما كانوا في المدينة أن النبي صلى الله عليه وسلم رسول، لكن هذا من باب الحسد لهم. ثم استمروا على هذه العقيدة إلى الآن.
- ومثل أيضًا **النصارى**، يعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم رسول، لكن يقولون هو للعرب ليس لنا! وهذا إنكار، مع أنه عندهم في الإنجيل أنه سيأتي رسول من بعد اسمه أحمد.

- فكل هؤلاء يعلمونه. لكن طبعًا توجد شبهات عند البعض– لكن هذا ليس مبحثنا الأن نبين هذه– لكن نقول كما قال تعالى: { وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا } [النمل: 14].
- فهنا (أبو طالب) قال: "لقد علمت"، فهو بعد ذلك مات على الكفر.
- قال: **(ودخل من شرح الله صدره للإسلام على نور وبصيرة، ومعاينة، فأخذهم سفهاء مكة بالأذى، والعقوبة)**. هنا بدأ العذاب، وبدأ التعدي والأذى من سفهاء مكة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه.
- قال: **(وصان الله رسوله وحماه بعمه أبي طالب)**، هنا يبين بأن الذي حمى النبي صلى الله عليه وسلم هو عمه (أبو طالب). وقلنا الأسبوع الماضي، أن من حكمة الله بقاؤه على دينهم، لما في ذلك من المصلحة.
- **(لأنه كان شريفًا مطاعًا فيهم، نبيلًا بينهم، لا يتجاسرون على مفاجأته بشيء في أمر محمد صلى الله عليه وسلم لما يعلمون من محبته له)**، فكان النبي صلى الله عليه وسلم قيد لـ (أبو طالب) أن يكون سدا منيعًا للنبي صلى الله عليه وسلم من كفار قريش. وبعضهم قال أن هذه من الحكم عدم إسلامه طبعًا، وإن كان هو مختارًا أن يسلم، وإلا لو أسلم ممكن أن تذهب الهيبة، فكانوا ممكن يتجرؤون على النبي صلى الله عليه وسلم.
- قال: **(ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله ليلًا ونهارًا ، سرًا وجهارًا، لا يصده عن ذلك صاد، ولا يرده عنه راد، ولا يأخذه في الله لومة لائم)**. وهنا يبين لك أن النبي صلى الله عليه وسلم ما وقف لما وقف بعد أن أُمِرَ بالبلاغ، فأصبحت حياته كلها، ويومه كله يدعو للناس. مع أنه نال أذى كثير، واستهزاء من قريش كثير، وأعداءه المشركين كانوا يتربصون بالنبي صلى الله عليه وسلم وبأصحابه، ومع ذلك ما جعله ذلك يوقفه عن الدعوة. وهذه مسألة تبين لك كيف كان جهاد النبي صلى الله عليه وسلم.

فصل: فِتْنَةُ المُؤْمِنِين مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَالهِجْرَةُ إِلَى الحَبَشَةِ

ولما اشتد أذى المشركين على من آمن، وفتنوا منهم جماعة، حتى إنهم كانوا يَصبِرونهم ويلقونهم في الحر، ويضعون الصخرة العظيمة على صدر أحدهم في شدة الحر، حتى إن أحدهم إذا أطلق، لا يستطيع أن يجلس من شدة الألم، فيقولون لأحدهم: اللات إلهك من دون إلهك. فيقول مكرهًا: نعم! وحتى إن الجعل ليمر فيقولون: وهذا إلهك من دون الله. فيقولون : نعم. ومر الخبيث عدو الله أبو جهل عمرو بن هشام بسمية أم عمار وهي تعذب وزوجها وابنها، فطعنها بحربة في فرجها فقتلها رضى الله عنها وعن ابنها وزوجها.

وكان الصديق –رضي الله تعالى عنه– إذا مر بأحد من الموالي يُعذَّب يشتريه من مواليه ويعتقه. منهم: بلال، وأمه: حمامة. وعامر بن فهيرة، وأم عميس، وزنيرة، والنهدية، وابنتها، وجارية ابن عدي، كان عمر يعذبها على الإسلام قبل أن يسلم، حتى قال له أبوه أبو قحافة: يا بني أراك تعتق رقاباً ضعافاً، فلو أعتقت قومًا جلدًا يمنعونك. فقال له أبو بكر: إني أريد ما أريد. فيقال إنه نزلت فيه: { وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى، ٱلَّذِى يُؤۡتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ} [الليل: 17-18] إلى آخر السورة.

- هنا طبعًا يبين الحافظ – رحمه الله تعالى– كيف كان المستضعفين من المسلمين من أهل مكة يعذبون في دين الله عز وجل.
- والناظر حقيقة قبل أن ندخل –لأن المسألة واضحة في مسألة التعذيب– لكن تجد أن كل من كان على الباطل، وليس عنده حجة أو برهان أو دليل ، ليس عنده شيء يفعله لأهل الحق بعد أن يقيموا عليهم الحجج والبراهين كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع هؤلاء، ودعاهم إلى التوحيد، وغير ذلك، وأسلم من أسلم من المسلمين والمستضعفين،t كفار القريش رفضوا ذلك الحق، ورفضوا هذا الدين، كذلك كل من كان على الباطل مثل هؤلاء، ليس عنده شيء يفعله تجاه أهل الحق إلا أنه يعاديهم في الدين؛ إما أنه يعاقِب ويكون له سلطان وجبروت فيعاقب أهل الحق، أو يستهزئ بهم، لا تجد غير ذلك، فصاحب الباطل ليس عنده

لا حجج ولا برهان، لا يستطيع أن يقف أمام أهل الحق فيكلمه، ويناظره، ويجادله، لأنه عنده خسران، لا يعلم أنه على الباطل أصالة. فماذا يفعل؟ ليس عنده غير أنه يعذب، ويقتل، ويستخدم سلطته، ويعاقب، وهذا من قبل قريش، قال تعالى عن فرعون لموسى: {قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ} [الشعراء: 29]. كل جبروت وكل ظالم ليس عنده شئ يفعله إذا لم يستطع أن يرد أهل الحق غير أنه يعذب، ويقتل، ويحبس، ويؤذي، وهذه سنن كونية.

- لذلك أنت تجد أهل الحق لا يفعلون ذلك، لأنهم معهم الحق، يجادلك ويكلمك ويبين لك. لكن أهل الباطل عندما يعجز فليس عنده شيء غير هذا الأمر، أو يستهزئ، ويتهكم، ويسخر.
- فهم عندهم الطريقتين؛ طريقة القوة والعقوبة، والذراع الأخرى: الاستهزاء، والسخرية من أهل الحق.
- وهذا الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم، حتى مع المستضعفين، كانوا منهم من يعذبونهم، يقدرون عليهم فيعذبونهم، ومن لم يقدروا عليهم كان النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان في حماية عمه، فكانوا يستهزئون ويتكلمون؛ هذ كاذب، وساحر، ومجنون وغير ذلك، ويتسلطون عليه.
- وهذه سنن في كل الأزمنة؛ علامات معرفة الظالم من غيره تجده لا يستطيع أن يتقبل منك كلمات ، ولا مناظرات، ولا مجادلة ولا بيان للحق، هو مباشرة إما عقوبة أو استهزاء!
- **(ولما اشتد أذى المشركين على من آمن، وفتنوا منهم جماعة)**، حتى البعض رجعوا وفتنوا، وما استطاعوا أن يتحملوا. والبعض وقف وثبت.
- ومنهم الأمثلة التي ذكرها هنا؛ طبعًا آل ياسر؛ (عمار)، و(سمية) أمه، و(ياسر) رضي الله عنهم جميعًا، و(بلال) رضي الله عنه. هولاء الناس كانوا يلقون في حر مكة، الحر الشديد، هنا مكة شديدة الحرارة، وعلى الرمال ، ويلقى على ظهره، ويوضع عليه الصخرة الحارة جدًا على صدره، ولهيب الأرض مع الصخرة ومع شمس مكة، شدة شديدة جدًا. حتى قال الحافظ

عندما يفكوه لا يستطيع من الألم أن يجلس، من شدة الألم التي عذب فيها، فيقول له: **(هذا إلهك. فيقول مكرهًا: نعم!)** وهذا الذي حدث مع (عمار)، لما جعلوه يتكلم في النبي صلى الله عليه وسلم ويقر، فجاء باكيًا للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: [كيف تجِدُ قلبَكَ؟] قال (عمار): [مُطمئنٌّ بالإيمانِ]، قالَ: [إنْ عادوا فعُدْ]. فنزل قول الله عز وجل: { إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ} [النحل: 106] ، أي أنه لو كان مكرهًا وحتى تكلم في الله، لكنه مكره، والله عز وجل يعفو عن ذلك سبحانه وتعالى، لأنه أعلم بحال الناس. فمن بلغ شدة الأذى وقال بلسانه كفرًا، فطالما القلب معتقدًا الإسلام فلا شيء عليه. وهذا الذي فعله (عمار)؛ قالها بلسانه لكنه لم يقلها بالقلب.

- (بلال) ما فعل ذلك، بلال أخذ بالعزيمة –رضي الله عنه–، وكأن (عمار) أخذ بالرخصة. والإثنين من عظماء الصحابة، والذين ابتلوا أشد البلاء في هذا.
- (بلال) كانوا يفعلون به مثل ذلك الصخرة ويقول "أحد.. أحد"، ما اسمع! يقول: "أحد.. أحد". حتى مر عليه (أبو بكر) والقصة المشهورة واشتراه، ثم أعتقه.
- فـ (بلال) أخذ بالعزيمة، وما تكلم واحتمل، إلى أن منَّ الله عليه. و(عمار) ما استطاع. والكل جاء فيه البيان.
- **(وحتى إن الجُعْل ليمر فيقولون: وهذا إلهك من دون الله. فيقولون : نعم)**، والجُعل حشرة من أقبح الحشرات حقيقة، هي مثل الخنفسة، وسوداء، لكن هي أقذر الحشرات. لماذا؟ ماذا يفعل الجعل؟ ينتظر المرء لما يقضي حاجته –أعزكم الله–، وبعد أن يقضي الحاجة يذهب إلى هذه القاذورات، يعملها كرة صغيرة، ويأخذها بقرنين له، ويمشي بها يأخذها يتغذى عليها، فهو يتغذى على هذه القذورات، بل هو يستمتع بهذه الرائحة الخبيثة، ولو قُدِّر أن يشم الطيب يموت، لا يحتمل رائحة الطيب، لكن هو يعيش على هذه القاذورات وعلى هذه الرائحة، فهو من أخبث الحشرات وأقذرها – عافانا الله منها– فيستمتع بالقذر هذا أشد الاستمتاع، وهو شيء لا قيمة له.

- فلما كان يمر والمسلم يعذب، فيقولون له: **(قل هذا إلهك)** من باب التنكيل بالمسلم والاستهزاء به، فهم يريدوا أن يخرجوه عن الدين، فحتى الحشرة المعدية هذه يقول له: "قل إن هذه إلهك، من باب التنكيل به والاستهزاء، وكسر نفسه وغير ذلك. وهذا موجود في كل الأزمنة مع الإختلاف، يريد أن يكسر نفس المسلم فينكل به من هذا.
- **(ومر الخبيث عدو الله أبو جهل عمرو بن هشام بسمية أم عمار وهي تعذب)**؛ وقلنا أن (سمية) هي المنقبة الثانية للنساء، وقلنا أن المنقبة الأولى، وتفخر النساء بذلك، أن أول من أسلم حقًا (خديجة) رضي الله عنها وأرضاها، هي التي استقبلت النبي صلى الله عليه وسلم كما بينا في أول المحاضرة. فكانت المرأة هي أول من أسلمت بعد النبي صلى الله عليه وسلم. وكانت هنا أول شهيدة في الإسلام، من الرجال والنساء، قالوا أنها (سمية) رضي الله عنها، أول من قتلت شهيدة، كان يمر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وهم يعذبون، فيقول: [صبرا آل ياسرَ فإن موعدكُم الجنةُ]، فكان يصبِّرهم.
- فهذا الخبيث جاء وضربها بالرمح في فرجها، وقتلها، رضي الله عنها، فطعنها هذا الخبيث بحربة، أي الخنجر، في فرجها، فقتلها، رضي الله عنها وعن ابنها وزوجها. و(ياسر) رضي الله عنه قتل أيضًا، تبقى (عمار) رضي الله عنه.
- ولأبين لك شدة ما كان هؤلاء القوم يتعذبون، ويتأذون، ولا يردهم ذلك عن الدين شيئا. وهذا الذي نريد أن نبينه، أن هذا الدين كيف وصل إلينا؟ أنتم لابد أن تستشعروا عِظَم هؤلاء القوم، كيف وصل الدين إلينا؟ كيف فتحت مصر والعراق والشام وبلاد المسلمين، وانتقل الدين من الجزيرة إلى الامة، إلى العالم كله. الذين حملوه هم الصحابة رضوان الله عليهم، والذين قدموا في أول البعثة هؤلاء لهم ما لهم من الأجر، الأفراد الذين سابقوا إلى الإسلام، {وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ} [الواقعة: 10]، والذين قتلوا في ذلك في مكة، والذين هاجروا بعد ذلك. فهؤلاء من كان الله عز وجل جعلهم سببًا في نشر هذا الدين.

- **ولذلك لماذا نقول بأن السيرة من الأهمية بمكان؟** لتتعلم، فهؤلاء بشر، لكنهم آمنوا حق الايمان، وقدموا لهذا الدين. ولابد أن نعلم أن الدين لابد يُقَدَّم له تضحيات حتى ينتقل الدين ويُمَكَّن لأهل الإسلام، فهذا من زمن النبي صلى الله عليه وسلم في مكة، إلى قيام الساعة، لابد للدين من تقديم تضحيات، ومن تقديم أموال، ودماء، وأنفس، المهم أنها تكون لله، ويكون النية فيها لإعلاء كلمة الله. ليست المسألة لوطن، أو لحزب، أو لجماعة، أو لدولة، أو لأرض! لا المفروض أن هذا كله يكون لله، لإعلاء كلمة "لا إله إلا الله"، حتى يكون هذا الأمر خالصًا لله عز وجل، وهذا الذي نسأل الله عز وجل فيه أن يوفق كل إخواننا؛ العلماء، والمجاهدون، وغيرهم الذين يعملون لدين الله، أن يكون الأمر كله نصرة لله عز وجل، ولدين الله عز وجل، لا لأمر آخر.
- وهذا الذي يفرق بين بعض الناس وغيرهم. الصحابة رضوان الله عليهم عملهم كله كان لله، إخلاصا لله، من أول مكة، هذا الذي حدث لهم ما كان عندهم غير التوحيد فقط، أنهم آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وأن هناك إله، وانهم نبذوا ما يفعله كفار مكة، وعذبوا أشد العذاب، لكن الأمان لما يدخل القلوب ينتهي الأمر.
- فـ (آل ياسر)؛ (سمية) رضي الله عنها و(ياسر)، و(بلال) و(النبي)، فالإيمان لما يدخل القلوب بحق، اعلم أن الله عز وجل قد مكن لقلبك الإيمان، فاعلم بأنك تستمسك على ذلك، وأنه سيكون هذا الإيمان هو سبيلك بعد ذلك. لأنه لما يخالط الإيمان بشاشة القلوب كما قال (هرقل) وهو يتكلم مع (أبو سفيان) قال: "هل منهم أحد يرجع بعد أن يسلم؟" ستأتي معنا هذه القصة لـ (أبو سفيان) مع (هرقل)، قال: "لا"، قال: "وكذلك الإيمان إذا خالط القلوب".
- وهذا هو الإلتزام الحقيقي، وليس الإلتزام الأجوف، الإلتزام الذي فيه المجاهدة كأول ما قلنا في مقدمة هذه الحلقات أن السيرة أنك (لا تأخذ البعض وتترك البعض)! الذي حدث معنا أن البعض أخذ بعض السيرة؛ السهلة، الجميلة، التي ليس فيها مجاهدة للنفس، ولا مجاهدة للمال، وللبدن، وترك بعض سيرة النبي صلى الله عليه وسلم التي فيها ما فيها من

الإبتلاءات، والمصائب، والقرارات، والغزوات، ومجاهدة الأنفس، والبراءة والولاء، وغير ذلك ينحيه، لأنه لا يقدر عليه، ويعتذر له بأي اعتذارات.

- لكن هنا الإبتلاء أنك لما تكون حقًا تصدق الله يصدقك، لما يخالط الإيمان القلب فاعلم أنه ما يهمك شيء من الدنيا، بما أنك على الحق، والله ناصرك حتمًا.
- قال: **(وكان الصديق –رضي الله تعالى عنه– إذا مر بأحد من الموالي يُعذَّب يشتريه من مواليه ويعتقه)**، طبعًا نحن لن نحولها لسيرة (أبو بكر الصديق) لكن انظر للصديق أول لما أسلم يدعو الناس للإسلام، ويرى الناس يعذبون– خاصة الضعفاء– يشتريهم، حتى أن أبوه قال له أنت تشتري ناس لن ينفعوك، اشتري ناس أقوياء وتعتقهم فلما يحدث لك مشكلة فقومك يصدوا عنك، لكن أنت بتأخد ناس نساء، وضعفاء، وكبار في السن، وغير ذلك، فاعتق ناس أشداء يدافعوا عنك. فقال: **(إني أريد ما أريد)**، لأن (أبو بكر) كانت المسألة هي لله، فهو لا يعتق ليكون عنده عزوة أو جماعة تقف خلفه! لا، هو رأى الناس ضعفاء يعذبون وخشي عليهم فأعتقهم لذلك.
- ثم ذكر كما قلنا الآن بعض الذي أعتقهم (أبو بكر). ولذلك مكانة (أبو بكر) عظيمة جدًا، سواء كما بينا في دعوة الذي دعاهم للإسلام، أو فيما أنفق من ماله. وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، حقًا هذا فضل، فضل الله يؤتيه من يشاء.
- من نعائم الله على العبد أن يرزقه الله عز وجل التوفيق والسداد في دعوته، وحتى في إنفاقه لماله. كم من أناس معهم أموال، أين ينفقونها؟! نحن فقط نقول للناس امتنعوا وقاطعوا، لا يستطيعوا! لا نقول لهم أنفقوا! امتنعوا حتى عن دفع الأموال للذين يقتلون المسلمين، ارجعوا، امتنعوا؛ سواء كان وجوبًا أو استحبابًا، امتنعوا على الأقل. وهو الصحيح الراجح أنه واجب الآن. لأن هذا بإتفاق العلماء؛ بأن كل ما ينصر الكافر الحربي يجب منعه، الإختلاف فقط في التطبيق. لا يوجد إختلاف بين العلماء بأن كل ما ينصر وما يزيد من قوة الحربي وفي قتاله على المسلم أن لابد يمتنع المسلم عن دعمه، هذه مسألة متفق عليها، ليس فيها

خلاف. هو الخلاف كله في التطبيق نفسه، إن كيف تصل إلى إن هذا حقًا يؤدي إلى زيادة دعم أو قوة الكافر الحربي على المسلم، أنه يَثْبُت أن هذا يؤدي إلى ذلك. وقتها يطبق الأصل، وهو الأصل الذي لا خلاف عليه، وهو أصل من أصول الشريعة أصلًا.

- فإذا كان هناك كافر حربي بيقاتل مسلم، أنت لابد أنك تقف مع المسلم ولا تقف مع الكافر الحربي، بكل أنواع الوقوف؛ بالمال، والسلاح، وبالبدن، وبكل شيء. فأي شيء ستعطيه للكافر يعينه في قتاله فهو مُحَرَّم! تبقى فقط أنك تضبط المسألة في أنك تتأكد أن هذا بيعين أم لا يعين، فإذا كان أعان، وجب عليك ذلك.
- في هذه المسألة أناس أصلًا لا يحتملون! وهذا في عدم الإنفاق، أي أنفق في شيء آخر، ولا نقول لك أخرج أموالك حتى! نحن نقول لك امتنع عن إعطائهم للأموال أصالة.
- فنقول هنا (أبو بكر) رضي الله عنه وأرضاه قدَّم المجهود وقدَّم المال في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم من أول من دخل فيها. وطبعًا لذلك له السبق في أمور كثيرة، يكفي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن (أبو بكر): [أبو بكرٍ وعُمَرُ سيِّدا كُهولِ أهلِ الجنَّةِ مِن الأوَّلينَ والآخِرينَ ما خلا النَّبيِّينَ والمُرسَلينَ]، أي من بعد النبيين والمرسلين: (أبو بكر) و(عمر). قال عز وجل: { مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ} [النساء: 69]. فهم من بعد النبيين والصديقين.
- وطبعًا سيأتي الكلام عن (عمر)، لأن (عمر) من العجب أنه ليس من السابقين، أي أسلم قبله أناس، لكن هو ارتقى على مرتبة هؤلاء. ف (أبو بكر) لما أسلم، أسلم بعده (عثمان)، و(طلحة) و(سعد)، و(عبد الرحمن بن عوف)، و(أبو عبيدة) أيضًا. والسادس (الزبير)، ومع ذلك جاء (عمر) بعدهم، والستة هؤلاء من المبشرين، ولكن (عمر) ارتقى وكان بعد (أبو بكر)، وبإتفاق الصحابة أصالة.
- وأبو (أبو بكر) وهو (عبد الله بن قحافة) له قصة ستأتينا أيضًا حقيقة في إسلامه في فتح مكة، لأن فيها موقف عظيم جدًا من (أبو بكر) حقيقة.

- هو قال: **فيقال إنه نزلت فيه:** { وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى، ٱلَّذِى يُؤۡتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ} [الليل: 17-18]، الله الذي أنزل فيه هذه الآيات، بعضهم قال أنها نزلت في (أبو بكر) رضي الله عنه، زكَّاه الله عز وجل، ومن؟ الله عز وجل، آيات تنزل إلى قيام الساعة.
- (عائشة) رضي الله عنها لما نزلت آيات الإفك، قالت: [ولَكِنْ واللَّهِ ما كُنْتُ أظُنُّ أنَّ اللَّهَ مُنْزِلٌ في شَأْنِي وحْيًا يُتْلَى، ولَشَأْنِي في نَفْسِي كانَ أحْقَرَ مِن أنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بأَمْرٍ يُتْلَى]، كانت تظن أنه سيوحى للنبي صلى الله عليه وسلم أنها بريئة، لكن نزلت آيات الافك، منقبة عظيمة جدًا لعائشة، حتى لا يأتي هؤلاء الكلاب الذين يسبون عائشة، وينتقصون منها.
- هنا أيضًا (أبو بكر الصديق) أبوها تنزل فيه آيات تزكية من الله عز وجل له.

الهجرة إلى الحبشة

فلما اشتد البلاء أذن الله سبحانه وتعالى في الهجرة إلى أرض الحبشة، وهي: في غربي مكة ، بين البلدين: (صحاري السودان، والبحر الآخذ) من اليمن إلى القلزم، فكان أول من خرج فارًا بدينه إلى الحبشة: عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومعه زوجته: رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتبعه الناس.

وقيل: بل أول من هاجر إلى أرض الحبشة: أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك.

ثم خرج: جعفر بن أبي طالب، وجماعات رضي الله عنهم وأرضاهم، وكانوا قريبًا من ثمانين رجلًا.

وقد ذكر محمد بن إسحاق في جملة من هاجر إلى أرض الحبشة: أبا موسى الأشعري عبد الله بن قيس، وما أدري ما حمله على هذا ؟ فإن هذا أمر ظاهر لا يخفى على من هو دونه في هذا

الشأن، وقد أنكر ذلك عليه الواقدي وغيره من أهل المغازي، وقالوا: إن أبا موسى إنما هاجر من اليمن إلى الحبشة إلى عند جعفر، كما جاء ذلك مصرحًا به في الصحيح من روايته رضي الله عنه.

فانحاز المهاجرون إلى مملكة أصحمة النجاشي، فآواهم وأكرمهم، فكانوا عنده آمنين. فلما علمت قريش بذلك، بعثت في إثرهم: عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص بهدايا وتحف من بلادهم إلى النجاشي؛ ليردهم عليهم، فأبي ذلك عليهم، وتشفعوا إليه بالقواد من جنده، فلم يجبهم إلى ما طلبوا، فوشوا إليه: إن هؤلاء يقولون في عيسى قولًا عظيمًا، يقولون: إنه عبد، فأحضر المسلمون إلى مجلسه، وزعيمهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: ما يقول هؤلاء إنكم تقولون في عيسى؟! فتلا عليه جعفر سورة { كهيعص } [مريم: 1].

فلما فرغ، أخذ النجاشي عودًا من الأرض فقال: ما زاد هذا على ما في التوراة ولا هذا العود. ثم قال: اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي، من سَبَّكُم غرم.

وقال لعمرو، وعبد الله: والله! لو أعطيتموني دبرًا من ذهب – يقول: جبلًا من ذهب – ما سلمتهم إليكما، ثم أمر فرُدَّت عليهما هداياهما، ورجعا مقبوحين بشر خيبة وأسوئها.

- هذه مسألة الهجرة إلى الحبشة، طبعًا لما اشتد الأذى على النبي صلى الله عليه وسلم أذِن لبعض المسلمين أن يهاجروا إلى الحبشة.
- والحبشة حدث فيها هجرة مرتين؛ هذه هي الهجرة الأولى للحبشة، وهناك هجرة ثانية سنبينها.
- كانت الهجرة الأولى في شهر رجب من السنة الخامسة من البعثة. وسبب الهجرة طبعًا: اشتداد أذى المشركين على المسلمين، وازداد أنهم يتعرضون لهم ويعذبونهم. فلما تواصل العذاب، أذِن الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم أن يأذن لمن أراد أن يهاجر إلى الحبشة.

- والنبي صلى الله عليه وسلم لم يهاجر لأن عمه (أبو طالب) كان موجود، فكان لا يزال يحوطه ويناصره. لكن باقي المسلمين كانوا يتعرضون للأذى ويتعرضون للعذاب.
- فالنبي صلى الله عليه وسلم أذِن لأصحابه أن يذهبوا للحبشة. وقال هنا كلمة مهمة جدًا، قال: [إِنَّ بِأَرْضِ الْحَبَشَة مَلِكاً لا يُظْلَم أَحَدٌ عِنْدَهُ]، هذا الملك معلوم بالعدل.
- طبعًا (النجاشي) هذا لقب، مثله مثل (قيصر)، و(كسرى)، و(النجاشي) في الحبشة. (قيصر) كان في الروم، هذا منصب مثل الملك، الرئيس، سلطان. فكان كل من يحكم الروم يسمى (قيصر)، وكل من يحكم الفرس (كسرى)، وكل من يحكم الحبشة (نجاشي). و(المقوقس) أيضًا كان مسمى.
- قال النبي صلى الله عليه وسلم: [إِنَّ بِأَرْضِ الْحَبَشَة مَلِكاً لا يُظْلَم أَحَدٌ عِنْدَهُ]، هنا كان مشهورًا بالعدل، وكان النجاشي بلد نصارى. وهنا توجد لفتة فقط نبينها لكي تستفيدوا من بعض الأمور. النبي صلى الله عليه وسلم لما قال ذلك [إِنَّ بِأَرْضِ الْحَبَشَة مَلِكاً لا يُظْلَم أَحَدٌ عِنْدَهُ] هناك فائدة –وليست محلها حقيقة هنا– النبي صلى الله عليه وسلم مدح هذا الرجل على أنه عنده العدل، فإذًا مسألة أنك تمدح الكافر على فعل فعله، يجوز من حيث الأصل الشرعي، وليس هذا من باب المولاة، ولا من الحب، ولا من باب الولاء والبراء. لأن النبي صلى الله عليه وسلم مدحه بعدله، وقال: اذهبوا. بل إستعان به لحماية المسلمين، وهذا أمر آخر في مسألة الإستعانة بالكافر إن كان فيه مصلحة بضوابط شرعية.
- وليس اول مرة النبي صلى الله عليه وسلم يمدح فيها شيئا عند أهل الكفر، فقد مدح حلف الفضول– كما سيأتي معنا بعد ذلك. بل (المطعم بن عدي) لما دخل في جوار النبي صلى الله عليه وسلم بعد رحلة الطائف – وسيأتي– قال في أسارى بدر: [لو جائني المُطْعِمُ بنُ عَدِيٍّ يسألني في هَؤُلَاءِ النَّتْنَى؛ لأعطيتهم إياه]، من باب رد ما فعله (المطعم) مع النبي صلى الله عليه وسلم– كما سيأتي – أنه جاوره، أي أعطاه الجوار في الطائف لما أراد ان يدخل مكة، فحماه، وهو كان على الكفر ومات على ذلك.

- بل (عمرو بن العاص) رضي الله عنه، تكلم في الروم وهو يقاتلهم وذكر فيهم أربع خصال محمودة، وكان يقاتلهم.
- فهذه المسألة لها ضبط شرعي، حتى لا ينكر أحد على أحد هكذا، بأنه لو أدى إليك أحد الكفار بشيء وأنك شكرته على ذلك، أو مدحت هذا الفعل، فهذا ليس فيه المخالفة، لكن طبعًا في سياق، نتكلم عن أمور أخرى انضمت معه في مقاصد الشريعة. لكن أصل الفعل هذا لنا فيه أدلة في الشرع.
- فقالوا أنه معروف بالعدل، وهو كان على النصرانية، ومع أنه نصراني لكن لا يظلم أحد، كان عنده عدل، وهذا ممكن تجده، لذلك نحن أيضًا أولى بذلك؛ أهل الإسلام، لأن الله عدل، ويحب العدل، ودينه الإسلام عدل مع المسلم ومع الكافر.
- فالنبي صلى الله عليه وسلم اختار للصحابة أن يذهبوا هناك، لأنه يعلم أنهم لن يُظلموا في هذا المكان لإشتهار (النجاشي) هناك بذلك.
- فهاجر بعض المسلمين الأوائل، هاجر اثنى عشر رجل وأربعة نسوة، كان منهم (عثمان بن عفان) رضي الله عنه، وكان معه بنت النبي صلى اله عليه وسلم (رقية)، كانت زوجته، هاجرت معه إلى الحبشة.
- والحبشة هي غرب مكة؛ جهة الغرب. قال: **(بين البلدين: (صحاري السودان، والبحر الآخذ) من اليمن إلى القلزم)**، القلزم: هو البحر الأحمر، ومعلوم طبعًا الحبشة.
- **(فكان أول من خرج فارًا بدينه إلى الحبشة: عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومعه زوجته: رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم)**. وقلنا أن هذه الهجرة كانت ثنتي عشر رجلًا وأربعة من النساء.
- الإشكال هنا أنهم لما هاجروا فرارًا من الأذى، بعد أن ذهبوه للحبشة واستقروا فيها، سمعوا أن كفار قريش أسلموا. لماذا؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ آيات سورة النجم، وكان كفار قريش يسمعون معه، فسجد النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين، وبعض

الكفار سجدوا، سجدوا توافقا لما سمعوا، فظن البعض أن كفار قريش أسلموا، فأشاعوا أنهم أسلموا، فوصل الخبر لمسلمي الحبشة، فظنوا أن قريش أسلمت، وقالوا لم نجلس في الحبشة؟ نرجع إلى مكة وقد أسلمت. فلما رجعوا ووصلوا للساحل، علموا بأن الأمر ليس كما قيل لهم، فبعضهم استطاع الرجوع، والبعض لم يستطع الرجوع ودخلوا فأوذوا شديدًا ومنهم (عبدالله بن مسعود). أي استقبلوهم بعدما رجعوا.

- ثم النبي صلى الله عليه وسلم أذِن بعد ذلك بالهجرة الثانية، فاستطاع أن يخرج نيف وثمانين من المسلمين رجالًا، ليهاجروا هجرة أخرى إلى الحبشة. وطبعًا ذلك كان في الخفية؛ أنهم اتفقوا وقتها مع أحد المراكب، فتوافق وجوده عند وصولهم للساحل فأخذهم، وإلا المشركين لما علموا ذهبوا في خلفهم ليردوهم، فما استطاعوا أن يجدوهم، كانوا رحلوا بالسفينة ونزلوا إلى الحبشة مرة أخرى وإلى النجاشي، فكانت هذه الهجرة الثانية للمسلمين إلى الحبشة.
- كان ممن هاجر أول مرة (أبو بكر الصديق)، وكان أول من هاجر في الهجرة الأولى أيضًا، لكنه لم يصل، خرج من مكة، ولم يصل إلى الحبشة، أراد أن يخرج وأذِن له النبي صلى الله عليه وسلم أن يخرج، فبعد أن سار خمس مراحل، مئة كيلو تقريبًا، في إتجاه اليمن، لقيه رجلًا يسمى (ابن الدغنة). (ابن الدغنة) هذا كانت له شوكة ومنعة، وله قوة، وكان يعرف (أبو بكر) لأنه كان يتاجر– (أبو بكر) كان تاجرًا ويذهب للشام واليمن فكان يتاجر– وكان سيد المنطقة (ابن الدغنة)، فسأل (أبو بكر) لماذا تخرج؟ قال: "اشتد أذى المشركين علينا في مكة وخرجت مهاجرًا فارًا بديني". قال: كيف يُخرَج مثلك من مكة يا (أبو بكر)؟ فقدر (أبو بكر) كان معلومًا، وأنت تعيد الضعيف، وتكرم الضيف، وذكر له بعض الصفات التي كان يفعلها (أبو بكر). فقال له: لن تخرج، ستدخل مكة في جواري، ورجع به.
- وكان العرب عندما يكون عندهم أحد له قوة ومنعة وسلطان ويقول: "هذا في جواري" كانوا يحفظون له ذلك، ما يستطيعون أن يتجرؤوا عليه. فرجع ودخل (ابن الدغنة) إلى مكة وأعلن أنه في جواره.

- وقَبِل أهل قريش ذلك (المشركون)، لكن اشترطوا عليه ألا يصلي جهرًا، أي لا يعلن صلاته، وأن يصلي داخل البيت، ولا يصلي خارج بيته أصالة. فقبل ذلك.
- فقام (أبو بكر) بعمل بيته مثل الساحة، وكان يصلي ويقرأ، وكان له صوت وتلاوة فيها الخشوع، فكان يسمعونه النساء والصبيان فيلتفون ليسمعونه (من كفار قريش أصالة)، فلما انتشر النساء والصبيان عند بيته يستمعون تلاوته– فقد كان له تلاوة جميلة فيها خشوع وغير ذلك رضي الله عنه– فخاف المشركون أن يسلموا هؤلاء. فذهبوا إلى (ابن الدغنة)، خافوا طبعًا يتأثروا بتلاوة (أبو بكر) ويذكر لهم القرآن.
- وطبعًا حقيقة القرآن كان له تأثير، وطبعًا العرب في ذلك الوقت (قريش) كانوا أهل بلاغة أصلًا، والقرآن نزل بمعجزة، لأنهم عندهم بلاغة في الشعر وغير ذلك. فكانوا لما يسمعوا القرآن يستمتعون بما فيه من معاني وبكلمات من كلام الله عز وجل. وهم كانوا ينهوا نساءهم: { لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ} [فصلت: 26]، بينهوهم عن السماع وما استطاعوا.
- فلما لقوا (أبو بكر) مُصِرًا على ذلك ذهبوا لـ (ابن الدغنة) لأنه كان في جواره، واشتكوه، على أنه إما يتوقف وإما يخرجه. فجاء (ابن الدغنة) لـ (أبو بكر). فقال: إما تترك هذا أو ترد عليّ جواري. لأنه وجد أن الكفار لن يتركوه. فردَّ عليه الجوار (أبو بكر)، قال: أنا في جوار الله عز وجل.
- فما هاجر طبعًا ووقف، ثم استمر بعد ذلك مع النبي صلى الله عليه وسلم في مكة يتحمل ما يتحمله.
- ثم كما قلنا حدثت الهجرة الثانية. **(وقيل: بل أول من هاجر إلى أرض الحبشة: أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك)**، وهذه بيناها.
- **(ثم خرج: جعفر بن أبي طالب، وجماعات)**، هذه في الهجرة الثانية، التي كان فيها (جعفر ابن أبي طالب) ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، وجماعات، قلنا فيها نيفا وثمانين رجلًا

كما قال، وثمانية عشر امرأة، كان في هذه الهجرة الثانية ثمانية عشر امرأة، وحوالي أكثر من ثمانين، واحد أو إثنين أو ثلاثة، من الرجال.

- ثم ذكر الحافظ على مسألة يصحح فيها محمد ابن اسحاق، أنه ذكر أن محمد ابن اسحاق سرد في كتابه –عنده كتاب اسمه السيرة النبوية– فلما ذكر من الذين هاجروا في الهجرة الثانية كتب (أبو موسى الأشعري)، وهو ينكر عليه لأن (أبو موسى الأشعري) كان من اليمن، لم يكن في مكة، والحق أن (أبو موسى الأشعري) ما جاء إلى مكة وهاجر من مكة، هو خرج من اليمن إلى الحبشة. هو جاء من اليمن ليريد النبي عليه صلى الله عليه وسلم، فوجدوا سفينتهم رست بالحبشة، فقابلوا (جعفر)، ثم جاءوا مع (جعفر) إلى المدينة في خيبر. لذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى (أبو موسى الأشعري) وعلم بالسفينة، قال: [وَلَكُمْ أَنتُمْ – أَهْلَ السَّفِينَةِ – هِجْرَتَانِ]، لأنهم ذهبوا من اليمن إلى الحبشة، وجاءوا من الحبشة إلى المدينة، فقال "لأهل السفينة هجرتين"، أي كأنها منقبة لهم.
- فـ (أبو موسى) لم يهاجر من مكة إلى الحبشة، فصحح الحافظ ذلك حتى قال: **(ما أدري ما حمله على هذا)**. لأن مفروض أن (أبو موسى الأشعري) معلوم أنه من أهل اليمن، وليس من أهل مكة، فلم يُحسب مع مهاجري مكة في ذلك.
- **قال: (فهذا أمر ظاهر لا يخفى على من هو دونه في هذا الشأن، وقد أنكر ذلك عليه الواقدي وغيره من أهل المغازي، وقالوا: إن أبا موسى إنما هاجر من اليمن إلى الحبشة إلى عند جعفر، كما جاء ذلك مصرحًا به في الصحيح من روايته)**، "أي أبو موسى الأشعري الذي روى ذلك.
- **(فانحاز المهاجرون إلى مملكة أصحمة النجاشي)**، مصحمة أو أصحمة، وهي كلمة حبشية، تأتي بمعنى الكرم، أو السخاء.
- وقلنا (النجاشي) كل ملك للحبشة يسمى (نجاشي)، كما (قيصر) عند الروم.

- **(فانحاز المهاجرون إلى مملكة أصحمة النجاشي، فآواهم وأكرمهم، فكانوا عنده آمنين..** كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: [إِنَّ بِأَرْضِ الْحَبَشَة مَلِكاً لا يُظْلَم أَحَدٌ عِنْدَهُ].
- كفار قريش لما علموا ذلك ما قبلوا، قالوا لا، نرسل إليهم، أو نُذهِب وفد من عندنا إلى (النجاشي) حتى يأتي بالمسلمين الذين فروا من عندنا إلى هناك.
- قال: **(فلما علمت قريش بذلك، بعثت في إثرهم: عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص)**، و(عمرو بن العاص) كان يلقب بداهية العرب– رضي الله عنه– كان عنده إقناع، وحكمة، وبلاغة في الكلام، وكان صديق لـ (النجاشي) أيضًا، كان يأتيه في غير ذلك وصديق له.
- فاختاروه هو و(عبد الله ابن أبي ربيعة) أن يذهبوا إلى (النجاشي) فعملوا خطة. (عمرو بن العاص) أتى بهدايا، ذهب الأول للحاشية، قال نذهب للقادة نعطيهم الهدايا الأول، ونستميلهم، ونذهب للبطارقة نعطيهم أيضًا الهدايا ونستميلهم قبل أن ندخل على (النجاشي) ونطلب منه أن يرد لنا.
- وذهبوا للقادة قالوا إن هؤلاء الناس من ديارنا، وهم غيروا دينهم، وتركوا ما نحن عليه، (ذموا فيهم)، ونحن نريدكم فقط أن تؤيدوا طلبنا عند (النجاشي)، فما فائدة وجودهم عندكم؟ يضرونكم وأهلهم أولى بهم، هم يتعاملوا معهم.
- وذهبوا للبطارقة أيضًا وقدموا لهم الهدايا، وقالوا نحن سنطلب من (النجاشي) أن يرد إلينا القوم الذي عندكم، ونريدكم فقط أن تؤيدوا ذلك الطلب، –لأنهم سيكونوا موجودين في وجود (النجاشي)–، وسنبين لهم أن عقائدهم مختلفة. وهذه كانت الخطة الأولى لـ (عمرو بن العاص) رضي الله عنه، أي بدأ الأول بمسألة الهدايا، ومسألة استمالة القادة، واستمالة البطارقة، ثم دخلوا على (النجاشي) بعد أن ضبطوا الأمور مع هؤلاء، وأعطوه هدايا، وهو كان يحب الجلود جدًا التي في مكة، فأتوه بكثير من الجلود هناك والمنتجات هذه والتحف والهدايا وأعطوها إياه، ثم قالوا لـ (النجاشي): "نريد القوم الذين عندك". فقال البطارقة الذين

حول (النجاشي): نعم، سلِّمهُم، هم يحملون ديناً لسنا عليه وليس أهلهم عليه ؛(أي أتوا بدين لا أهلهم عليه ولا نحن عليه، فسلِّمهُم) جاءوا بدين جديد، فلا نحتاج أن يبقوا عندنا، يعودون إلى أهلهم. قالوا: أهلهم أدرى بهم. والقادة قالوا ذلك أيضًا

- ومع ذلك (النجاشي) أبى، قال: إلا أن يحضروا واستمع منهم قبل أن أرجعهم، استمع لما عندهم، ما هي العقائد التي يتكلمون عنها؟ ما الذي يتكلمون فيه؟
- (عمرو بن العاص) رضي الله عنه لم يكن يريد ذلك، هو يريد أن ينهي المسألة، لأنه لا يريد أن يأتي بهم ويتكلمون، فعلم أنهم لو تكلموا وعرضوا عليه ما أتوا به من النبي صلى الله عليه وسلم قد يستميل القلب. فهو أراد أن ينهي المسألة بالهدايا والبطارقة والقادة.
- فلما طلب النجاشي وأصر أن يأتوا بهم وينظر، لأنه قال: "هؤلاء عندي في جواري الآن فلا يمكن أردهم قبل أن أعلم هل فعلوا شيئا باطلًا أم لا". فطلب أن يحضروا.
- وهذا الإشكال، أن (عمرو بن العاص) رضي الله عنه لم يكن يريد ذلك. لذلك قال الحافظ: **(فأبي ذلك عليهم، وتشفعوا إليه بالقواد من جنده، فلم يجبهم إلى ما طلبوا، فوشوا إليه)**، هنا المرحلة الثانية لـ (عمرو بن العاص)، لما لم يستجب النجاشي لطلب (عمرو بن العاص) مباشرة، فقال: "والله لأضربنهم غدًا بأمر". فقال لـ (النجاشي): **(إن هؤلاء يقولون في عيسى قولًا عظيمًا، يقولون: إنه عبد)**، وأنت تقول أن هو ابن كذا، فلا يقولون مثلكم. فبعد أن طلبهم أول مرة وردهم، فقال بذلك (عمرو بن العاص)، وكانت المرحلة الثانية من الخطة عند (عمرو بن العاص)، أن يضربه في صميم العقيدة، لأن النصارى بيألهوا (عيسى)، ويقولون تثليث، والإسلام يقول أن (عيسى) عبد.
- فلما قال له ذلك قال (النجاشي): احضروا الناس لمجلسي. وكان الزعيم كما قال الحافظ: (جعفر بن ابي طالب)، عم النبي صلى الله عليه وسلم. فهم اجتمعوا في ليلتها لما عرفوا، قالوا: ماذا نقول؟ فقالوا: نقول ما قاله لنا النبي صلى الله عليه وسلم؛ ما قاله القرآن. أي نقول أنه نزلت الآيات فيه، ليس لنا أن نقول إلا ما قال الله تعالى في (عيسى).

- ثم قال: **(ما يقول هؤلاء إنكم تقولون في عيسى؟!)** تشاوروا. انتبه هنا في المسألة هذه.
- هم يتشاورون ماذا سيفعلون مع النجاشي غدًا، والمسألة مسألة عقيدة، هم يدينون أن (عيسى) عبد ورسول الله عز وجل، ومعلوم النصارى ماذا يقولون. قالوا: "لا نقول إلا ما ندين الله به وما عرفناه من ديننا في عيسى، ولا نزيد على ذلك".
- هنا المسألة عندما تكون عقيدة، لا مدارة في العقيدة. فكان ممكن أن يقولوا نقول بقوله ونحن جالسين معه! لكن هذا كفر! هذه أصول العقيدة؛ من أصول الإيمان الستة، أصول (لا إله إلا الله). كيف تقول "لا إله إلا الله" وأن هناك ابن لله، وهناك إله، وهناك روح قدس كما يقولون! فما يُقبَل لمسلم أن يهادن في العقيدة أبدًا، ولا في التوحيد.
- فهم قالوا: ""لا نقول إلا ما ندين الله به وما عرفناه من ديننا في عيسى، ولا نزيد على ذلك". فتلا عليه (جعفر) سورة مريم، وفيها طبعًا الآيات أن (عيسى) عبد الله عز وجل.
- أخذ (النجاشي) عودًا من الأرض– كما قال الحافظ– وجاءت في السير طبعًا، فقال: **(ما زاد هذا على ما في التوراة ولا هذا العود)**. وطبعًا هنا قال التوراة مرة ثانية، لأن هي الأصل في ذلك. أي أن الذي قاله مطابق للذي في التوراة، وهذا يدل على أن التوراة الأصلية –غير المحرفة– والإنجيل أيضًا، كان كله فيه بشارة النبي صلى الله عليه وسلم.
- فالصدق منجاة، والإلتزام بالعقيدة هو الذي ينجي المرء، لا تهاون في أمور العقيدة، وهذه قاعدة لابد أن تنتبهوا لها. ممكن يكون هناك مصالح ومفاسد وأمور معينة تخصها، لكن عندما تأتي المسألة تخص التوحيد ويخص أصل الدين، فلا يمكن في هذه المسألة أن يكون فيها مداهنة ومداراة أو غير ذلك.
- قال: **(اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي)**. وسيوم أو شيوم، والصحيح أنها "سيوم" كلمة حبشية، أي أنتم آمنون. قال: **(من سَبَّكُم غرم)**، هذا السب فقط! فماذا لو تعدى عليه ماذا سيكون؟!
- **وقال لعمرو، وعبد الله: والله! لو أعطيتموني دبرًا من ذهب ما سلمتهم إليكما.** أي لو أحضرتوا لي جبل من ذهب.

- والصحيح أنه أسلم بعد ذلك، لأن النبي صلى الله عليه وسلم بين. إن كان هو أو غيره، لأن هناك مسألة أخرى –ليس هذا وقتها– أن هذا هو الذي أسلم أم غيره.
- فهو قال: **(لو أعطيتموني دبرًا من ذهب)**، أي جبل كامل من الذهب– وليس جلود! فهم أحضروا له جلود وتحف وهدايا– ما رددتهم إليكم. وهذه تبين لك كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أرسلهم كان يعلم أن هناك هذا الرجل عدل.
- قال: **(ثم أمر فرُدَّت عليهما هداياهما، ورجعا مقبوحين بشر خيبة وأسوئها)**.
- وسبحان الله، بعضهم قال أن (النجاشي) نفسه كان سبب في إسلام (عمرو بن العاص) بعد ذلك لما اشتدت الأمر بعد معركة الأحزاب تحديدًا، أي بعد ما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم، وبدأ يُمكَّن للنبي صلى الله عليه وسلم، فـ (عمرو بن العاص) أخذ بعض قومه وقالوا نذهب إلى (النجاشي) نجلس هناك حتى ننظر ماذا سيحدث، لو ارتفع أمر النبي صلى الله عليه وسلم فنقرر ماذا سنفعل، ولو علا أمر القوم نرجع مرة أخرى. فلما ذهب لـ (النجاشي)، (النجاشي) كان سبب في إسلامه، نصحه (النجاشي) أن يسلم، ولهذا نقول أنه كان مسلم وقتها، حتى قال: "تبايعني على أن تسلم، فبايعه على الإسلام". وبعد ذلك طبعًا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبايعه وغير ذلك.
- و طبعًا لها قصة؛ حديثه مع (النجاشي)، لن نعيده مرة أخرى، ممكن ترجعوا لها لأنه توجد قصة طويلة في حديث النجاشي في هذه المسألة؛ في الهجرة إلى الحبشة.

اعتقد نقف عند: (مقاطعة قريش لبني هاشم وبني المطلب).

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله أنت، أستغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الخامسة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كلام الله تعإلى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد،، على موعد مع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وكتاب (الفصول في اختصار سيرة الرسول) للحافظ ابن كثير عليه رحمة الله تعإلى.

وقفنا عند فصل: (مقاطعة المشركين لبني هاشم وبني المطلب)، نقرأ الأول القطعة؛

فصل: مُقَاطَعَةُ الْمُشْرِكِينَ لِبَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ

قال الحافظ رحمة الله عليه:

ثم أسلم (حمزة) عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجماعة كثيرون، وفشا الإسلام. فلما رأت قريش ذلك، ساءها، وأجمعوا على أن يتعاقدوا على بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف:

أن لا يبايعوهم، ولا يناكحوهم، ولا يكلموهم، ولا يجالسوهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكتبوا بذلك صحيفة، وعلقوها في سقف الكعبة.

ويقال: إن الذي كتبها: منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم ابن عبد مناف.

ويقال: بل النضر بن الحارث، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فَشُلَّتْ يَدُهُ.

وانحاز إلى الشعب: بنو هاشم، وبنو المطلب، مؤمنهم وكافرهم، إلا أبا لهب – لَعَنَهُ الله – وولده في شعب أبي طالب مَحْصُورِينَ مضيقًا عليهم جدًا نحوًا من ثلاث سنين.

وهناك عمل (أبو طالب) قصيدته المشهورة:

جَزَى اللهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلا

ثُمَّ سعى في نقض تلك الصحيفة أقوام من قريش، فكان القائم في أمر ذلك: هشام بن (عمر)و بن الحارث بن حبيب بن نصر ابن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، مشى في ذلك إلى مطعم بن عدي وجماعة من قريش، فأجابوه إلى ذلك.

وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه: أن الله قد أرسل على تلك الصحيفة الأَرضَة، فأكلت جميع ما فيها إلا ذكر الله عز وجل، فكان كذلك.

ثُمَّ رجع بنو هاشم وبنو المطلب إلى مكة، وحصل الصلح برغم من أبي جهل (عمر)و بن هشام.

- هذا الجزء الأول؛ مقاطعة قريش لبني هاشم وبني المطلب، وذكر فيه الحافظ لما حدث إسلام (حمزة)، عم النبي صلى الله عليه وسلم، وأسلم بعد ذلك كثير من المسلمين، انتبهت وفشلت قريش في استعادة من هاجر إلى الحبشة، فقرروا مقاطعة بني هاشم وبني المطلب.
- هل تذكروا النسب؟ تكلمنا أن بني هاشم هو نسب النبي صلى الله عليه وسلم المباشر، وبني المطلب؛ فـ (هاشم) و(المطلب) ابنا عبد مناف. وقلنا أن أبناء عبد مناف أربعة؛ وهم: (هاشم)، و(المطلب)، و(عبد شمس)، و(نوفل).
- وكما قال صلى الله عليه وسلم: أن أبناء هاشم وأبناء المطلب لم يفترقوا أبدًا، لا في جاهلية ولا في إسلام، دائمًا كانوا يد واحدة؛ أي ينصرون بعضهم بعضا في الجاهلية وفي الإسلام. لذلك النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتبر أن من كان من بني المطلب كمثل من كان من بني هاشم؛ في القرابة، وفي الإعطاء، وغير ذلك. فرق النبي صلى الله عليه وسلم بين بني هاشم والمطلب عن عبد شمس ونوفل، لأن دائمًا بنو المطلب وبنو هاشم كانوا ينصرون بعضهم بعض.
- فالذي حدث أنه لما أرادت قريش أن يحاصروا النبي صلى الله عليه وسلم، فسيحاصروا بني هاشم وبني المطلب– وكان ما زال ((أبو طالب)) حي– وقد حاصروا مؤمنهم وكافرهم؛ أي كل بني هاشم وكل بني المطلب الذين أسلموا والذين على الكفر، حوصروا جميعًا في شعب (أبو طالب)، دخلوا في شعبه. والوحيد الذي من بني هاشم ومن لم يكن معهم: (أبو لهب)، خرج منهم وكان متحالف مع قريش عليهم؛ أي شذ، وبنوه أيضًا، خرجوا من بنو هاشم وتحالفوا مع قريش.
- وهذا كان شئ لا يحدث أبدًا في الجاهلية، أن أحد يخرج من بنيه، وربعه وقومه ويحالف غيرهم. فإذا كان كفار بني هاشم وبني المطلب تضامنوا مع مسلمي بني هاشم (النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه) وبنو المطلب، ودخلوا معهم في الشعب في الحصار لمدة ثلاث سنوات، لماذا؟ لأنهم قومهم، ما تركوهم في ذلك. فوقفوا مع النبي صلى الله عليه وسلم،

وحدثت المقاطعة، وحدث حصار على كل من كان يناصر النبي صلى الله عليه وسلم؛ سواء كان مسلمًا أو كافرًا؛ (مسلمًا): قلنا بنو هاشم والمطلب، وكفارهم أيضًا.

- ومسلموا بنو هاشم والمطلب نصروا النبي تدينًا، وكفار بنو هاشم والمطلب نصروا النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل القومية –كما يقال– أو أنهم من بنو واحد. فكل هؤلاء دخلوا في الشعب وحوصروا من قريش بالكلية.
- وكل هذا كان لما وجدت قريش من إسلام (حمزة)، والذي كان نصر للنبي صلى الله عليه وسلم، لأنه كان له منعة وقوة، وكان من أشراف قريش. ولما انتشر الإسلام خافوا من ظهور الإسلام وانتشاره، فقالوا نحاصرهم ونضيق عليهم.
- ووقتها طبعًا كان ما زال الكفار في قريش لهم قوة، ولهم هيبة، ولهم منعة، خاصة أنهم وجدوا بعض أعيان الكفار قد أسلموا، كـ (حمزة) وغيره. وأسلم بعد (حمزة) (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه.
- وكان إسلام (حمزة) وإسلام (عمر) رضي الله عنه عز لهذا الدين، كما جاء في الصحيح عن (ابن عمر) أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا قال: [اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ أو بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ]، والله عز وجل كان مريدا لـ (عمر بن الخطاب) فأسلم (عمر). وفي رواية عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الخطاب] دعا له خاصة، خصة بالدعاء.
- فلما أسلم (عمر) وقبلها أسلم (حمزة) كان ذالك نصرة للنبي صلى الله عليه وسلم ونصرة لأهل الإسلام، حتى قال بعض الصحابة: [ما زلنا في عز بعد إسلام عمر]؛ أي رأوا عزة الإسلام والمنعة في إسلام (عمر) رضي الله عنه وأرضاه.
- و(عمر) كان شديد جدًا في كفره، حتى أنه بعد ما أسلم زوج أخته فاطمة ربطه وعذبه، وقيده بالحبال، وأذاه أذى شديدًا، حتى أن بعضهم قال: ما كنت أظن أن (عمر) ممكن أن يسلم، من شدة كفره وعدائه لأهل الإسلام. لكن الله عز وجل شرح صدره، لأن النبي صلى الله

عليه وسلم دعا له، والله عز وجل أراد له ذلك. فكان إسلامه عز كما قال (عبد الله بن مسعود): [مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عمر] ، لأنه لما أسلم ما أخفى إسلامه، بل خرج وأعلن أنه مسلم. ولما أراد أن يهاجر – كما سيأتي معنا– ما هاجر خفية.

- فهذا سبَّبَ قلق للكفار، عندما بدأ يزيد وينتشر الإسلام. وهذا أمر في كل الأزمنة؛ أول ما تجد الإسلام ينتشر، أو دين الحق ينتشر، والهداية تنتشر، أعداء الإسلام يشعرون بقلق شديد، لأن هذا معناه انتشار العزة مرة أخرى، والتمكين لأهل الإسلام، وغير ذلك، وهم لا يريدون ذلك.
- فأول ما وجدوا ذلك، أرادوا أن يحاصروا النبي صلى الله عليه وسلم.
- وأولًا قبل أن يحاصروه طلبوا من ((أبو طالب)) أن يرفع المناصرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويرفع المؤازرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، بل قالوا يسلموه له ليقتلوه، حتى قالوا تخير أي شاب تراه بحسن جمال أو شخصية أو جسد؛ أجمل الشباب وأشبههم وأحسنهم. نعطيك إياه وسلم لنا محمد نقتله، فقال: "عجبًا أعطيكم ولدي لتقتلوه وآخذ ولدكم لأغذيه لكم!". فطبعًا رفض ذلك. فلما علموا أنه لن يرفع المناصرة والمؤازرة للنبي صلى الله عليه وسلم قرروا ولجئوا الحصار.
- لذلك تعاقدوا جميع قريش على أنهم يحاصروا بني هاشم وبني المطلب. أولًا أدخلوهم في الشعب؛ بمكان منعوا عنهم أن يتزوجوا منهم أو هم يتزوجوا بغيرهم، ولا يتاجروا معهم، ولا يناكحوهم، ولا يتعاملوا معهم بشيء. بل وصل بهم الأمر أنهم كانوا يأكلون ورق الشجر من شدة الأمر، ثلاث سنوات حصار.
- وكتبوا صحيفة بذلك، تعاهدوا عليها وعلقوها في سقف الكعبة لهذا الأمر، تعاهد على هذه المقاطعة أنها تستمر حتى يسلموا لهم محمد ليقتلوه؛ أي يحاصروهم حتى يسلموا لهم النبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه، وإن لم يفعلوا يظلوا على هذه المقاطعة، ويعادوهم، ويحاصرهم

على ذلك. وكتبوا الكتاب حتى يبقى معظم عندهم، وكل واحد يرى الصحيفة هذه، ويظل شيء معلن لا يستطيع أحد أن ينكره بعد ذلك.

- ونقل الحافظ هنا أن بعضهم قالوا أن الذي كتب الوثيقة (منصور بن عكرمة)، وقالوا (النضر بن الحارث). والنبي صلى الله عليه وسلم دعا على (النضر بن الحارث) أن تشل يمينه أو دعا على الذي كتب هذه الصحيفة، فشلت يمينه، إستجابة لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم.
- فقال: **(فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم إلا أبا لهب)**. جلسوا ثلاث سنوات يُمنَع عنهم الطعام والشراب، وكان البعض من الخارج يتسلل الخفية في الليل، يعطوا لهم بعض الشعير، بعض الطعام، أو بعض القمح. ولو اكتُشِف من الذين كانوا لهم ميل قلبي لبني المطلب وبني هاشم– لو اكتشفوه أهل قريش– كانوا ينكلون به أشد النكال، لأنه يخالف المقاطعة التي فرضوها.
- لذلك ((أبو طالب)) ألف القصيدة التي أتى ببيت منها الحافظ، قال ((أبو طالب)):

جَزَى اللهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلا

- فهو يلمز عليهم لأن عبد شمس ونوفل تركوا بني هاشم والمطلب في الحصار، وهم خرجوا مع قريش، مع أنهم المفترض أنهم أولاد عمومة. فقال: (جَزَى اللهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلا)، أي أن الله يجازيه على ما فعلوه بنا، أي هي دعوة من (أبي طالب) على أبناء عمه من عبد شمس ونوفل أن يجازيهم الله عقوبة شر معجلة غير مؤجلة، نتيجة أنهم اشتركوا معهم في الحصار على بني هاشم والمطلب.
- لذلك النبي صلى الله عليه وسلم جعل لبني هاشم والمطلب سهم واحد مسألة ذوي القربة؛ أي جعل بني المطلب كبني هاشم. والأصل أن النبي من بني هاشم، وفاء لبني المطلب لما كانوا يناصرونهم في الجاهلية وفي الإسلام، فجعلهم كبني هاشم في سهم القربى، ولم يعط عبد شمس ونوفل، مع أنهم كلهم عمومة واحدة. لكن لما فعلوه المطلب مع بنو هاشم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: [إنما بني هاشم وبني المطلب شيء واحد]. فكان لبني المطلب

الشرف الذي عند بني هاشم، لأن شرف بني هاشم أنه نسل النبي صلى الله عليه وسلم، فجُعل لهم هذا الشرف أيضًا.

- لأن لما حدث أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه مال، فأعطى بني المطلب وبني هاشم، ولم يعط بني عبد شمس بن مناف، فجاء (عثمان بن عثمان) وهو زوج بنت النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا، ومن بني عبد شمس – يلتقي نسبه من النبي صلى الله عليه وسلم في عبد شمس– فقال: [يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطَيْتَ بَنِي الْمُطَّلِبِ وَتَرَكْتَنَا وَنَحْنُ وَهُمْ مِنْكَ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا بَنُو الْمُطَّلِبِ وَبَنُو هَاشِمٍ شَيْءٌ وَاحِدٌ]؛ أي أنتم ليسوا مثلهم، وطبعًا الكلام على البنو وليس على (عثمان) تحديدًا.
- لذلك ليس آل البيت من بنو هاشم فقط، بل أدخل معه النبي صلى الله عليه وسلم بنو المطلب شرفًا لهم، لأنهم لم يفترقوا عنهم. لأن الاصل أن آل البيت من بني هاشم – والذي هو نسل النبي صلى الله عليه وسلم، أدخل معهم بنو المطلب كما قلنا لِما حدث منهم من نصرة معه.
- ثم بعد ثلاث سنوات حاول بعض القريش أن ينقضوا الصحيفة، فكان هناك أناس من الذين لم يقبلوا بهذه المقاطعة من قريش، فحاولوا أن ينقضوا المقاطعة والعهد. منهم كما ذكر هنا (هشام بن عمرو) الذي ذهب إلى (المطعم بن عدي) ، وله قصة ستأتي معنا الآن (المطعم بن عدي) مع النبي صلى الله عليه وسلم. فكلموا جماعة من قريش أنهم ينقضوا هذه الصحيفة، ويفكوا المقاطعة، فأجابوه، ووافقوا على ذلك. ولكن وهم يفعلون ذلك، الله أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الصحيفة المكتوبة المعلقة في سقف الكعبة قد أرسل الله عز وجل عليها الأَرَضَة. والأَرَضَة هذه دود الأرض الذي يأكل الأشياء. فقال أن الله عز وجل أوحى للنبي صلى الله عليه وسلم أن الله قد أرسل عليها الأَرَضَة فأكلت كل الصحيفة إلا إسم الله عز وجل فقط.

- فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم أخبر ((أبو طالب)) عمه. فـ ((أبو طالب)) رجع إلى قريش وأخبرهم بذلك. فقال: إذا أخبرتكم بأن محمد يقول كذا وكذا وكذا. فلما رجعوا وجدوا أن الأَرَضَة قد أكلت الصحيفة إلا ذكر الله عز وجل. فانفك الحصار بعد ذلك، ورجع بنو هاشم وبنو المطلب إلى مكة، وحصل الصلح. وهذا كان طبعًا رغم أنف (أبو جهل)، ما كان يريد ذلك أصالة.
- لما حصل الصلح ظن مسلموا الحبشة أن قريش أسلمت. فقدم منهم جماعة ولما نزلوا قبل مكة علموا أن الخبر خطأ، فوجدوا البلاء والشدة كما كان؛ أي أن الحصار انتهى لكن المعاداة موجودة. منهم ناس رجعوا، ومنهم ناس دخلوا في جوار بعض الكفار، ومنهم ناس دخلوا بدون جوار فتأذوا بذلك. وممن دخلوا –والله أعلم– (عبد الله بن مسعود) – على الراجح؛ أي أن (عبد الله بن مسعود) رضي الله عنه رجع ودخل وأوذي حتى في مكة في ذلك.
- ثم قال: **(فقدم مكة منهم جماعة، فوجدوا البلاء والشدة كما كان، فاستمروا بمكة إلى أن هاجروا إلى المدينة، إلا (السكران بن عمرو) زوج (سودة بنت زمعة)؛ فإنه مات بعد مقدمه من الحبشة بمكة قبل الهجرة إلى المدينة، وإلا (سلمة بن هشام)، و(عياش بن أبي ربيعة)؛ فإنهما احتُبِسا مستضعفين)**. فهناك أناس ماتوا؛ زوج (سودة بنت زمعة) رضي الله عنها والتي ستكون زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وهي أول إمرأة تزوجها بعد موت (خديجة) رضي الله عنها– كما سيأتي– بعدة شهور قليلة. فزوجها كان هاجر ورجع فمات. والاثنين الذين لم يستطيعوا أن يرجعوا: **(سلمة بن هشام)، و(عياش بن أبي ربيعة)** فاحتبسا مستضعفين. **(وإلا عبد الله بن مخرمة بن عبد العزى؛ فإنه حُبس، فلما كان يوم بدر، هرب من المشركين إلى المسلمين)**.
- هنا بعد الفك الحصار توفي (أبو طالب)، حتى بعدها بأيام ماتت (خديجة) رضي الله عنها، وهنا اشتد على النبي صلى الله عليه وسلم الإبتلاء، لأن طبعًا (أبو طالب) كان ناصره،

وأيضًا مات على الكفر، فهذا أثر في النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ماتت (خديجة)، زوجة النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت من أشد المناصرين له والداعمة له أيضًا. فهذا كان مؤثرًا جدًا في النبي صلى الله عليه وسلم، كما قال:

فصل: عَامُ الحُزْنِ وخُرُوجُ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ

فلما نُقِضَتِ الصحيفة، وافق موت خديجة – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَموت أبي طالب، وكان بينهما ثلاثة أيام، فاشتد البلاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفهاء قومه، وأقدموا عليه، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف لكي يُؤْوُوهُ وينصروه على قومه، ويمنعوه منهم، ودعاهم إلى الله عز وجل، فلم يجيبوه إلى شيء من الذي طلب، وآذوه أذى عظيمًا، لم ينل قومه منه أكثر ما نالوا منه. فرجع عنهم، ودخل مكة في جوَارِ الْمُطْعِمِ بنِ عَدِيِّ بنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وجعل يدعو إلى الله عز وجل، فأسلم الطُّفَيْلُ بنُ عَمْرِو الدَّوْسِيُّ، وَدَعَا له رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنْ يَجْعَلَ اللهُ لهُ آية، فجعل الله في وجهه نورًا، فقال: يا رسول الله! أخشى أن يقولوا: هذا مُثْلَةٌ، فدعا له، فصار النور في سوطه، فهو المعروف بذي النور.

ودعا الطفيل قومه إلى الله، فأسلم بعضهم، وأقام في بلاده، فلما فتح الله على رسوله خيبر، قدم بهم في نحو من ثمانين بيتًا.

- هنا مسألة خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف، وجاءت بعد وفاة (أبو طالب) وموت (خديجة) رضي الله عنها، وكانت لهاتين الوفاتين أثر عظيم في نفس النبي صلى الله عليه وسلم، وحزن حزنًا شديدًا. فعمه معروف بالمناصرة، وكان يعضده ويحبس عنه أذى قريش، وبعدها بمدة قصيرة– أيام– ماتت خديجة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأحب الناس إليه. فكانت وفاة عمه في السنة العاشرة من البعثة، وموت خديجة بعده بثلاثة أيام فقط.

- فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وكان حزينا، و بعد موت (أبو طالب) زاد تجرؤ قريش عليه، فلا يوجد نصرة الآن، وبدأوا يسلطون سفهاء القوم من قريش على النبي صلى الله عليه وسلم، ويوزونهم.
- فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف محاولًا أن يدعو حول مكة ليجد من يؤويه وينصره وينشر الإسلام، ويمنعوه هؤلاء الذين سيسلموا من أذى قريش، وأيضًا يدعوهم إلى الله عز وجل.
- فخرج إلى الطائف ومن حوله حتى جلس عشرة أيام في هذه الرحلة، يتنقل بين الأقوام، بين الناس، ويبلغ أنه رسول عن الله عز وجل، وأنه جاءهم ليدعوهم. فكانوا يسخرون منه ويتهكمون عليه، بل كانوا يسلطون أيضًا صبيانهم وسفهاءهم يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم. مع أن النبي لم يدع أحد من أشرافهم إلا وكلمه، وجلس معه وحاول أن يدعوه إلى الإسلام.
- وكان معه في هذه السفرة (زيد بن حارثة) رضي الله عنه، حتى من كثرة ما آذوا النبي صلى الله عليه وسلم ضربوه بالحجارة، وشُج (زيد) في رأسه.
- فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الطائف حزينا جدًا مما لقاه بالطائف، حتى أنه بعد سنوات قال لـ (عائشة) رضي الله عنها في حديث صحيح أشد ما لقاه من قومه يوم الطائف؛ أي بما فعلوه في الطائف مع النبي صلى الله عليه وسلم. لذلك هو قال: **(لم ينل قومه منه أكثر ما نالوا منه)**؛ أي أهل الطائف نالوا من النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من قريش مما نالوه معه؛ آذوه أذى شديدًا جدًا، حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم يذكر لها يقول: [فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعالِبِ].
- وقال النبي صلى الله عليه وسلم في خروجه من الطائف دعاء مشهورًا جدًا تجده يقوله كثير من الأئمة عند الإبتلاء والحزن، عندما قال: [اللَّهمَّ إليكَ أشكو ضَعفَ قوَّتي، وقلَّةَ حيلَتي، وَهَواني علَى النَّاسِ... أنتَ أرحمُ الرَّاحمينَ، أنتَ ربُّ المستضعفينَ، وأنتَ ربِّي...إلى من

تَكِلُني؟ إلى بعيدٍ يتجَهَّمُني أَمْ إلى عدُوٍّ ملَّكتَهُ أمري. إن لم يَكُن بِكَ غضبٌ عليَّ فلا أبالي، غيرَ أنَّ عافيتَكَ هيَ أوسعُ لي..أعوذُ بنورِ وجهِكَ الَّذي أشرَقت لهُ الظُّلماتُ، وصلُحَ علَيهِ أمرُ الدُّنيا والآخرةِ، أن يحلَّ عليَّ غضبُكَ، أو أن ينزلَ بي سخطُكَ. لَكَ العُتبى حتَّى تَرضى، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بِكَ].

- فكما قال: [فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أَطْبَقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا].
- هذه القصة أن ملك الجبال الله عز وجل أرسله إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: ما شئت أن تأمر به أؤمره، فجاء ملك الجبال قال: [إِنْ شِئْتَ أَنْ أَطْبَقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ]؛ جبلي مكة عقابًا لهؤلاء الذين أذوا النبي صلى الله عليه وسلم يسلم وردوا دعوته.
- هنا يبين لك رحمة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه أيضًا تبين لك فائدة عظيمة جدًا؛ أنك في دعوتك عليك بالصبر والتأني في الدعوة، والمسألة ليست انتصار نفس، فالنبي صلى الله عليه وسلم أوذي حتى أنه أكثر يوم حزن فيه كما قال لـ (عائشة) ذلك هو يوم الطائف لما لاقى من قومه.
- وكان ممكن عندما يأتي ملك الجبال يقول له أطبق فيطبق، جزاء وفاقا لما فعلوه، لكن انظر رحمة النبي صلى الله عليه وسلم قال:[بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ]، وقد حدث، لأن بعد ذلك الطائف فُتِحَت، والجزيرة العربية كلها والحجاز، فأسلم هؤلاء.
- وأتاه في الوقت الذي هو في شدة الحزن. ومن الأهمية بمكان أن النبي صلى الله عليه وسلم في وقت هو أشد ما يكون حزينًا ومع الأذى، ومع ذلك نتعلم كيف يملك المرء نفسه وفكره

وعقله حتى عند شدة الحزن، وشدة الابتلاء. وأن المسألة ليست عاطفة، بل أيضًا النبي صلى الله عليه وسلم غَلَّب المصلحة؛ وهي أن يخرج من هؤلاء ناس يعبدوا الله، مسلمين، وليست المصلحة أن يعاقبوا، فيخسف بهم الله عز وجل وينتهي الأمر! فانظر إلي الفقه في المسألة هنا، كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلي ما هو أهم من ذلك.

- فهذه فائدة أنك في دعوتك للناس عليك بالصبر والتأني والتكرار أكثر من مرة، وأن تحرص علي هداهم أكثر مما تحرص علي عذابهم أو عدم هدايتهم.
- فنقول هنا أن الله عز وجل أراد أن يسلي النبي صلى الله عليه وسلم بذلك بأن يرسل له الملك حتى يقتص من هؤلاء.
- لكن نقول رجع إلى مكة، والإشكال هنا أنه خرج من مكة وهو أراد النصرة، وأراد ان يؤازروه، فكان عنده إشكال في الرجوع إلى مكة، ما استجاب له أحد من أهل الطائف. قال: **(فرجع عنهم، ودخل مكة في جوَارِ الْمُطْعِمِ بنِ عَدِيِّ بنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ)**. لما رفض الجميع في الطائف دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، أرسل النبي صلى الله عليه وسلم لـ (المطعم بن عدي) يطلب الجوار؛ أن يدخل مكة في جواره ؛ أي في حمايته، هو و(زيد بن حارثة)، فأرسل لـ (المطعم بن عدي) فوافق على ذلك، فطلب من أبنائه جميعا أن يلبسوا لبس الحرب ويمتطون الأسلحة، وقال: "أمامي إلى الحرم"؛ أي إلى مكة وإلى الكعبة. فنزل أبناء (المطعم بن عدي) بسلاحهم إلى الكعبة، ودخل (المطعم بن عدي) مع النبي صلى الله عليه وسلم مكة.
- فلما دخل به وصل إلى الكعبة، نادى في القوم– في قريش– أن محمد صلى الله عليه وسلم أصبح في جواره فلا يتعرض له أحد، فما استطاعت قريش أن تفعل شيء، لأن (المطعم بن عدي) كان من أشرافهم، وكانت له منعة. فبين لهم أنه في جواره.
- فدخل النبي صلى الله عليه وسلم في جوار (المطعم بن عدي) وهو كافر. و(المطعم بن عدي) ما أسلم ولا دخل الإسلام، لكن النبي صلى الله عليه وسلم حفظ له ذلك. وهذا يبين

لك: أولًا: أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل في جوار الكافر وقت استضعاف، ثانيًا: النبي صلى الله عليه وسلم حفظ له هذا الأمر، حتى أنه قال لما حدثت غزوة بدر وقُتِل من قُتِل من الكفار، وأُسِر من أُسِر – أسارى بدر – الذين نزلت فيهم الآيات، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: [لو كان المطعم بن عدي حيًا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له]؛ أي لو كان (المطعم) موجود وكلمني في هؤلاء لتركهم له بدون أي شيء، وهذا كأنه نوع من حفظ النبي صلى الله عليه وسلم الموقف لـ (المطعم) ولم ينساه له.

- وهذا يبين لك أنه لا حرج أن لو الكافر فعل لك شيئًا، أن تشكره على ذلك أو تمدحه على فعله، لكن المسألة ليست في ذاته ولا في كفره. وهذه بيناها من قبل، أنه جاءت أدلة أخرى على ذلك مع تفصيل، إن كان المقام يستدعي أنك وأنت تمدحه أن تبين للناس كفره وبدعته، فيجب عليك ذلك أيضًا. لكن أصل المدح على فعل فعله فلا إشكال أنك تفعل ذلك.
- فدخل النبي صلى الله عليه وسلم في جوار (المطعم بن عدي). ولما دعا، جاء (الطفيل بن عمرو الدوسي) من قبيل دوس، وأسلم ودعا النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل له آية، فكان وجهه كل نور، فقال: **(يا رسول الله! أخشى أن يقولوا: هذا مُثْلَةٌ)** أي يكون فيها شيء، فالنبي صلى الله عليه وسلم دعا، فصار النور في السوط، فقد كان ليه سوط، فلما يمشي بسوطه يجعل له نور؛ كرامة من الله عز وجل لـ (الطفيل بن عمرو الدوسي).
- قال ابن كثير: **(ودعا الطفيل قومه إلى الله، فأسلم بعضهم، وأقام في بلاده)**. و(الطفيل) له قصة في إسلام دوس، لأنه حاول أن يدعو قومه من دوس للإسلام، فلم يجيبوه، فيأس من ذلك، فجاء للنبي صلى الله عليه وسلم يشكوه، لأنه أسلم نفر قليل جدًا والبقية رافضين ومعاندين له.
- فجاء للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: [يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ دَوْسًا قَدْ عَصَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا، فرفع النبي عليه الصلاة والسلام يديه، فَظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ يَدْعُو عَلَيْهِمْ] حتى قال الصحابة قلوبهم كادت أن تختلع، لأنه لو دعا لانتهى الأمر، فقال الذين مع النبي صلى الله

عليه وسلم: [هلكت دوس]. فقال: [اللَّهُمَّ اهْدِ دَوسًا وائْتِ بهم]. مثل ما قال مع ملك الجبال: :[بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ].

- فرجع (الطفيل)، وأصابت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم قومه، **(فلما فتح الله على رسوله خيبر، قدم بهم في نحو من ثمانين بيتًا)**، ليس رجل! ثمانين بيت من دوس أتى بهم للنبي صلى الله عليه وسلم – استجابة لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم– وقد دخلوا في الإسلام.
- وهنا مازلت أكرر: هذا ثاني موقف يظهر فيه عناد، وكفر، وأذى، وعدم استجابة، ويُعرَض على النبي صلى الله عليه وسلم، والنبي ما يدعو عليهم! بل يدعو لهم، أن الله يفتح قلوبهم. وهذه أقولها، هذا دور من يدعو إلى دين الله عز وجل، من يعلم الناس، أو يدعو الناس بالأمر المعروف والنهي عن المنكر، أن الأصل أنك لا تقيم عليه الحجة في ذنبه، فتريد أن يُعَذَّب! لا، الأصل أنك تحب له وترجو له أن يدخل وأن يُسْلِم، هذا أصل لك، وهذا تأسيًا بالنبي صلى الله عليه وسلم.
- فالمواقف التي حدثت فيها سب للنبي، أو الإيذاء، أو المكر، أو محاربة أهل الإسلام، كما حدث في الثلاثة الذين حُبسوا (الوليد بن الوليد وغيرهم) ودعا النبي صلى الله عليه وسلم شهر، قنت على مُضَر وغيرهم لأنهم كانوا يقتلون أهل الإسلام، فيدعوا عليهم، وأما من كانوا يرفضون الالتزام أو الهداية وهم مسالمين فكان يدعوا لهم أن يدخلوا إلى الإسلام.

ثم يدخل لفصل مهم جدًا، وهو من أهم الفصول اليوم، وهو فصل (الإسراء والمعراج).

- انظروا التتبع: مات (أبو طالب)، ثم ماتت خديجة رضي الله عنها، ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يدعو، فأوذي أذى شديدًا ولم يستجب له أحد، واضطر أن يدخل إلى مكة في جوار (المطعم بن عدي). فحالة النبي صلى الله عليه وسلم حالة حزن ويشعر بنوع من الغربة كما يصح أن نقول.

- فجاءت هذه الحادثة التي ستأتي معنا هنا، لأنها شيء مفصلي. أولًا مفصلي كأنه تجهيز؛ بيان من الله عز وجل أنه سيحدث أمر جلل بعد هذا الأمر. لأن الإسراء والمعراج كانت مقدمة، ثم بعد ذلك ستكون الهجرة.
- وهكذا كما قال بعض العلماء في الاستقراء التاريخي يقولون بأنك إن وجدت أن الله قدَّر حدوث شيء ذو قيمة، أو شيء كبير، أو شيء واقع في زمن إنه جلل، فهذه كأنها إشارات دائمًا لما سيكون بعده، وأن يكون بعده تغيرات، أو بعده أمور كبيرة عظيمة، كما حدث في عام الفيل وغزو أبرهة، فوُلد النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك.
- وبعثة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم بعد ذلك هنا يأتي وفاة (أبو طالب) و(خديجة) ثم يأتي حدث مؤثر ثم تأتي الإسراء والمعراج، وهو حدث عظيم جدًا، في أمور كبيرة سنتكلم عنها كأنه مقدمة أيضًا لما سيؤمر به النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بالهجرة والإنتقال لمرحلة ثانية تمامًا في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، وبداية إنشاء الدولة الإسلامية بعد ذلك . فكانت هذه الحادثة –الإسراء والمعراج– تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم، وتثبيتًا له، لما لقاه في هذه العشر سنوات. فكانت هذه الرحلة التي سنبينها الآن، وهي الإسراء والمعراج.

فقال الحافظ:

فصل: الإِسْرَاءُ وَالمِعْرَاجُ وَعَرْضُ النَّبِيِّ ﷺ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ

وأُسري برسول الله صلى الله عليه وسلم بجسده على الصحيح من قولي الصحابة والعلماء: مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى بَيْتِ المقدس، راكبًا البراق في صحبة جبريل عليه السلام، فنزل ثَمَّ ، وَأَمَّ بالأنبياء ببيت المقدس، فصلى بهم، ثُمَّ عُرج به تلك الليلة من هناك إلى السماء الدُّنيا، ثُمَّ للتي تليها، ثُمَّ الثالثة، ثُمَّ إلى التي تليها، ثُمَّ الخامسة، ثُمَّ التي تليها، ثُمَّ السَّابعة. وَرَأَى الأَنْبِيَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ عَلَى مَنَازِلِهِمْ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى،

ورأى عندها جبريل على الصورة التي خلقه الله عليها، وفرض الله عليه الصلوات تلك الليلة.

واختلف العلماء: هل رأى ربه عز وجل، أم لا؟ على قولين .

فصح عن ابن عباس: أنه قال : رَأَى رَبَّهُ.

وجاء في رواية عنه: رَآهُ بِفُؤَادِهِ.

وفي الصحيحين: عن عائشة – رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا :أَنَّهَا أَنْكَرَتْ ذَلِكَ عَلَى قَائِلِهِ.

وقالت هي وابن مسعود: إِنَّمَا رَأَى جِبْرِيلَ.

وروى مسلم في صحيحه: من حديث قتادة، عن عبدالله بن شقيق، عن أبي ذر: أنه قال: سألتُ رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟ قَالَ: "نُورٌ، أَنَّى أَرَاهُ ؟!",

وفي رواية : رَأَيْتُ نُورًا.

فهذا الحديث كافٍ في هذه المسألة.

ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم في قومه أخبرهم بما أراه الله من آياته الكبرى، فاشتد تكذيبهم له وأذاهم، واستجراؤهم عليه.

وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل أيام الموسم، ويقول: "مَنْ رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ فَيَمْنَعُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِي ؟! فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي".

هذا وعمه أبو لهب – لَعَنَهُ اللهُ – وَرَاءَهُ يقولُ لِلنَّاسِ: لَا تَسْمَعُوا مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ كَذَّابٌ.

فكان أحياء العرب يتحامونه لما يسمعون من قريش فِيهِ: إِنَّهُ كَاذِبٌ، إِنَّهُ سَاحِرٌ، إِنَّهُ كَاهِنٌ، إِنَّهُ شَاعِرٌ.

أَكَاذِيبُ يقذفونه بها من تلقاء أنفسهم، فيصغي إليهم من لا تَمْيِيزَ له من الأحياء.

وأمَّا الأَلِبَّاءُ ؛ فَإِنَّهُمْ إذا سمعوا كلامهُ وَتَفَهَّمُوهُ، شَهِدُوا بِأَنَّ مَا يَقُولُهُ حَقٌّ، وَأَنَّهُمْ مُفْتَرُونَ عَلَيْهِ، فَيُسْلِمُونَ.

- هنا الأول نأخذ الجزء الأهم؛ الإسراء والمعراج، الجزء الثاني في الكلام مسألة عرض النبي صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل، لكن الإسراء والمعراج هذه نقف فيها وقفات لأنها آية عظيمة وباهرة من آيات الله عز وجل، وحجة، وهي مَعلم عظيم جدًا في السيرة عندنا، وهي كرامة عظمى للنبي صلى الله عليه وسلم، وهي منة من الله عز وجل كبيرة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أفضل الخلق، على مصطفاه، وعلى رسوله، وعلى خليله، وعلى مجتباه النبي محمد صلى الله عليه وسلم، خصة بها، بخلاف باقي الرسل، هذه الحادثة أو هذه الواقعة أو هذه الرحلة، رحلة الإسراء والمعراج، ما أُعطيت لأحد غير النبي صلى الله عليه وسلم، فهي مكرمة عظيمة للنبي صلى الله عليه وسلم، ومكرمة للأمة بالتبعية، كل ما كان فيه منقبة للنبي صلى الله عليه وسلم ومكرمة فنحن نفخر بذلك، لأننا أمة النبي صلى الله عليه وسلم.
- وكانت لها سبب؛ الأذى المتواصل من قريش مع ما حدث من وفاة (أبو طالب) و(خديجة)، ومن قبلها الحصار في شعب (أبي طالب) وإيذاء المسلمين، وخروجهم للهجرة في الحبشة. فبعد إنتهاء الحصار والمقاطعة، والوفاة، ورحلة الطائف، وتأذى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك كثيرًا وحَزِن، وكان متألما لما يكون، فأراد الله عز وجل أن يسري على النبي صلى الله عليه وسلم، وأن يثبته، وأن يبين فضله عند الله عز وجل، أو درجة النبي صلى الله عليه وسلم عند ربه سبحانه وتعالى.
- فجاء هذا التشريف في ليلة واحدة، أن يُسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. وحقيقة كان في بيت (أم هانئ). فالقصة بدايتها أنه جاء (جبريل) ومن معه من الملائكة، فجاء للنبي صلى الله عليه وسلم في بيت (أم هانئ)، فشق صدره

من أعلى إلى بعد السرة، فوق العانة، وشُق الصدر، وأُخرج القلب فنُزع منه حظ الشيطان، وغُسِّل بذهب أو شيء، وقالوا: وحُشي حكمة وعلما؛ أي وضع فيه حكمة وعلما، ثم أغلق الصدر، ثم أُسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم على البراق. والبراق هي دابة؛ دون الحمار، وركب عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأسري إلى بيت المقدس.

وسنحكي القصة بالحديث أفضل الذي ذُكِر في ذلك، ذكره الإمام مسلم قال:

بَاب الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ. حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ الْبُنَانِي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَلَّمَ قَالَ: [أَنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ قالَ: أُتِيتُ بالبُراقِ، وهو دابَّةٌ أبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الحِمارِ، ودُونَ البَغْلِ، يَضَعُ حافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، قالَ: فَرَكِبْتُهُ حتَّى أتَيْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ، قالَ: فَرَبَطْتُهُ بالحَلْقَةِ الَّتي يَرْبِطُ به الأنْبِياءُ، قالَ ثُمَّ دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فيه رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجاءَنِي جِبْرِيلُ عليه السَّلامُ بإناءٍ مِن خَمْرٍ، وإناءٍ مِن لَبَنٍ، فاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فقالَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: اخْتَرْتَ الفِطْرَةَ، ثُمَّ عُرِجَ بنا إلى السَّماءِ، فاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فقِيلَ: مَنَ أنْتَ؟ قالَ: جِبْرِيلُ، قيلَ: ومَن معكَ؟ قالَ: مُحَمَّدٌ، قيلَ: وقدْ بُعِثَ إلَيْهِ؟ قالَ: قدْ بُعِثَ إلَيْهِ، ففُتِحَ لَنا، فإذا أنا بآدَمَ، فَرَحَّبَ بي، ودَعا لي بخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بنا إلى السَّماءِ الثَّانِيَةِ، فاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السَّلامُ، فقِيلَ: مَنَ أنْتَ؟ قالَ: جِبْرِيلُ، قيلَ: ومَن معكَ؟ قالَ: مُحَمَّدٌ، قيلَ: وقدْ بُعِثَ إلَيْهِ؟ قالَ: قدْ بُعِثَ إلَيْهِ، ففُتِحَ لَنا، فإذا أنا بابْنَيِ الخالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ويَحْيَى بنِ زَكَرِيّا، صَلَواتُ اللهِ عليهما، فَرَحَّبا ودَعَوا لي بخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بي إلى السَّماءِ الثَّالِثَةِ، فاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فقِيلَ: مَنَ أنْتَ؟ قالَ: جِبْرِيلُ، قيلَ: ومَن معكَ؟ قالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، قيلَ: وقدْ بُعِثَ إلَيْهِ؟ قالَ: قدْ بُعِثَ إلَيْهِ، ففُتِحَ لَنا، فإذا أنا بيُوسُفَ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، إذا هو قدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الحُسْنِ، فَرَحَّبَ ودَعا لي بخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بنا إلى السَّماءِ الرَّابِعَةِ، فاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السَّلامُ، قيلَ: مَن هذا؟ قالَ: جِبْرِيلُ، قيلَ: ومَن معكَ؟ قالَ: مُحَمَّدٌ، قالَ: وقدْ بُعِثَ إلَيْهِ؟ قالَ: قدْ بُعِثَ إلَيْهِ، ففُتِحَ لنا فإذا أنا بإدْرِيسَ، فَرَحَّبَ ودَعا لي بخَيْرٍ، قالَ

اللَّهُ عزَّ وجلَّ:{وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} [مريم: 57]، ثُمَّ عُرِجَ بنا إلى السَّماءِ الخامِسَةِ، فاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قيلَ: مَن هذا؟ فقالَ: جِبْرِيلُ، قيلَ: ومَن معكَ؟ قالَ: مُحَمَّدٌ، قيلَ: وقدْ بُعِثَ إلَيْهِ؟ قالَ: قدْ بُعِثَ إلَيْهِ، ففُتِحَ لنا فإذا أنا بهارُونَ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَرَحَّبَ، ودَعا لي بخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بنا إلى السَّماءِ السَّادِسَةِ، فاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السَّلامُ، قيلَ: مَن هذا؟ قالَ: جِبْرِيلُ، قيلَ: ومَن معكَ؟ قالَ: مُحَمَّدٌ، قيلَ: وقدْ بُعِثَ إلَيْهِ؟ قالَ: قدْ بُعِثَ إلَيْهِ، ففُتِحَ لَنا، فإذا أنا بمُوسَى صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَرَحَّبَ ودَعا لي بخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بنا إلى السَّماءِ السَّابِعَةِ، فاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فقِيلَ: مَن هذا؟ قالَ: جِبْرِيلُ، قيلَ: ومَن معكَ؟ قالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، قيلَ: وقدْ بُعِثَ إلَيْهِ؟ قالَ: قدْ بُعِثَ إلَيْهِ، ففُتِحَ لنا فإذا أنا بإبْراهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إلى البَيْتِ المَعْمُورِ، وإذا هو يَدْخُلُهُ كُلَّ يَومٍ سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ لا يَعُودُونَ إلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بي إلى السِّدْرَةِ المُنْتَهَى، وإذا ورَقُها كَآذانِ الفِيَلَةِ، وإذا ثَمَرُها كالْقِلالِ، قالَ: فَلَمَّا غَشِيَها مِن أمْرِ اللهِ ما غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَما أحَدٌ مِن خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أنْ يَنْعَتَها مِن حُسْنِها، فأوْحَى اللَّهُ إلَيَّ ما أوْحَى، ففَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاةً في كُلِّ يَومٍ ولَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إلى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فقالَ: ما فَرَضَ رَبُّكَ علَى أُمَّتِكَ؟ قُلتُ: خَمْسِينَ صَلاةً، قالَ: ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فإنَّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقُونَ ذلكَ، فإنِّي قدْ بَلَوْتُ بَنِي إسْرائِيلَ وخَبَرْتُهُمْ، قالَ: فَرَجَعْتُ إلى رَبِّي، فَقُلْتُ: يا رَبِّ، خَفِّفْ علَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إلى مُوسَى، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قالَ: إنَّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقُونَ ذلكَ، فارْجِعْ إلى رَبِّكَ فاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، قالَ: فَلَمْ أزَلْ أرْجِعُ بيْنَ رَبِّي تَبارَكَ وتَعالَى، وبيْنَ مُوسَى عليه السَّلامُ حتَّى قالَ: يا مُحَمَّدُ، إنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَواتٍ كُلَّ يَومٍ ولَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلاةٍ عَشْرٌ، فَذلكَ خَمْسُونَ صَلاةً، ومَن هَمَّ بحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كُتِبَتْ له حَسَنَةً، فإنْ عَمِلَها كُتِبَتْ له عَشْرًا، ومَن هَمَّ بسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها لَمْ تُكْتَبْ شيئًا، فإنْ عَمِلَها كُتِبَتْ سَيِّئَةً واحِدَةً، قالَ: فَنَزَلْتُ حتَّى انْتَهَيْتُ إلى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فأخْبَرْتُهُ، فقالَ: ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: فَقُلْتُ: قدْ رَجَعْتُ إلى رَبِّي حتَّى اسْتَحْيَيْتُ منه.]

- هذا نص رحلة الإسراء والمعراج عند الإمام مسلم، وطبعًا هناك روايات أخرى، وقد قصدت أولًا أن نأخذ القصة حتى تتصوروا معي كل ذلك، لكن أولًا نحن بدأنا من أول شق صدر

النبي صلى الله عليه وسلم في بيت (أم هانئ)، وغسل القلب بالذهب، ثم ذهب إلى بيت المقدس؛ إلى الأقصى– نسأل الله عز وجل أن يرده إلى أهل الإسلام مرة أخرى–، ثم بعد أن ذهب هناك صلى بالأنبياء جميعًا. وهنا توجد فوائد سنبينها بعد أن ننتهي أنه وقف وصلى بجميع الأنبياء، فكان هو الإمام بجميع الأنبياء، وكان معه (إبراهيم) و(عيسى) وغير ذلك من الأنبياء. ثم عرج به بالبراق كما قلنا إلى السموات التي رأيناها.

أولًا هناك مسائل كثيرة في هذه الرحلة، من عقيدة أهل السنة والجماعة، وفوائد مستنبطة لابد أن نبينها:

1–نقول أولًا: **رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لـ (جبريل)**، رآه هنا المرة الثانية، وقد رآه المرة الأولى عندما رآه في السماء في البطحاء في مكة مستعرضًا لما قال: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ} [المدثر: 1]، ولما رجع قال "زملوني". هذه كانت الأولى. الثانية هنا في الرحلة هنا. وستأتي الآيات لما عرج به إلى سدرة المنتهى، وهنا الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى (جبريل) في المعراج. ثم عرج به إلى سدرة المنتهى، ورأى عندها النبي صلى الله عليه وسلم (جبريل) على الصورة التي خلقها الله عليها. لأنه قبل ذلك كان يتمثل له بشرا؛ فالملك ممكن أن يتمثل بشر، وممكن أن يأتي –كما قلنا– في صورته الأصلية.

- **فالمرة الأولى** رآه بالأبطح في مكة، لما سد الأفق عليه، وهنا رآه عند سدرة المنتهى، في رحلة الإسراء والمعراج، قال الله عز وجل: {عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ، ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ، وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ، ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ، فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ} [النجم: 5-10]، هذه الأولى.
- **والثانية:** {وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ، عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ، عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ، إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ} [النجم: 13-16]. هذه رؤية جبريل، الاثنين كانت جبريل، والبعض بيخطئ يظن أنها رؤية الله. فهنا هذه المرة الثانية رأى النبي صلى الله عليه وسلم فيها جبريل، وهي عند

سدرة المنتهى، ورآه على صورته التي خلقها الله عز وجل عليه. فهذا أول شيء؛ مسألة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل.

2-الأمر الثاني والمهم الذي قاله الحافظ هنا أيضًا، **أن رحلة الإسراء والمعراج بالجسد والروح.** وهي فيها أقوال- ليست أقوال صحيحة-، والخلاف بين الصحابة بعضهم: هل هي بالجسد والروح؟ أم بالروح فقط؟

- وانتبهوا..فالذين قالوا بـ (الروح)، ليس قول الذين قالوا (مناما). لأن هناك من قالوا مناما، وهذا ليس عند أهل السنة والجماعة، هؤلاء هم أهل الضلال والبدع الذين أرادوا أن ينكرونها ويقولوا أن هي رؤية منامية!
- ولو كانت رؤية منامية، ما كانت قريش التفت حول النبي صلى الله عليه وسلم في الكعبة لما قال لهم أنه ذهب إلى بيت المقدس وعُرج به. فلو كانت مناما لم يكن ذلك يهم قريش، ولم يكن (أبو جهل) ليقل له: "لو جمعت لك القوم تقول لهم ما تقول، اذهبوا إلى (أبو بكر) صاحبك يقول كذا". فلو كانت المسألة مناما، فأين تكون المشكلة أنه ينام ويقول ما يقول، وما كانت استعجبت قريش.
- والفرق أن الذين قالوا "مناما" ليس كالذين قالوا بـ "الروح". لأن البعض كما ورد عن (عائشة) و(معاوية) رضي الله عنهما، بعضهم قال أنه التقى في المعراج بالروح، وفارق الجسد.
- ولكن الجمهور والقول الصحيح عند الصحابة أن الرحلة كانت بالجسد وبالروح؛ الاثنين معًا. وهذا هو الصحيح، لذلك عندما تقرأوا للحافظ وهو يقول: **(على الصحيح من قولي الصحابة والعلماء)**، أي عندنا قول ثاني يقول بالروح فقط، وليس هذا قول الرؤيا المنامية. انتبهوا.. يوجد فارق، البعض بيسلط عليه في هذه المسألة.
- إذًا قلنا أن الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم أُسري به وعُرج به جسدًا وروحًا. لماذا؟ لقول الله عز وجل: {سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ} [الإسراء: 1]، ولم يقل: (بروح عبده)! قال

بعبده، إذًا بالعبد كلية؛ جسد وروح، سواء في الإسراء، وسواء في المعراج أيضًا إلى السماء. فهذه مسألة نقول من المسائل المهمة في فوائد الإسراء والمعراج.

3-أيضًا أن بعض العلماء لما نظروا للرحلة أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى في السماء الأولى آدم عليه السلام، وفي السماء الثانية عيسى ويحيي عليهما السلام، وفي الثالثة يوسف عليه السلام، وفي الرابعة إدريس عليه السلام، وفي الخامسة هارون عليه السلام، وفي السادسة موسى، وفي السابعة إبراهيم عليه السلام، فالعلماء قالوا أن **الأنبياء كُثُر، فما الحكمة في هؤلاء الأنبياء تحديدًا؟** اجتهدوا في معرفة ذلك، فقالوا:

- رؤية النبي صلى الله عليه وسلم **لآدم**: كأنه يتذكر أنه أُخرِج من موطنه –الجنة– ثم عاد إليه، فكأن الله عز وجل يسليه بأنه إذ أخرجه قومه من موطنه، كما أُخرج آدم من موطنه. وطبعًا هذه اجتهادات من العلماء في رؤية كل نبي في هذه المنزلة.
- وقالوا عيسى ويحيى، أنهم لقوا شدة عداوة من اليهود، **(يحيى)** أصلًا قُتل وقُدمت رأسه لزانية، و**(عيسى)** طبعًا معلوم أنهم حاولوا قتله، ورفعه الله عز وجل. فقال لما لقاهما في الثانية كأنه مقدمة لما سيلقاه النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود. ومن أسباب موت النبي صلى الله عليه وسلم الشاة المسمومة التي سمموا بها اليهود النبي صلى الله عليه وسلم، وأراد الله أن يكون موته عليها بعد ذلك.
- قالوا أما **يوسف**، فقالوا يوسف معلوم أنه ظُلِم من إخوته، فصبر على ذلك، ثم مُكِّنَ له بعد ذلك. فقال قد طرد أهل مكة أيضًا النبي صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله. فكأنه كما فُعِل بيوسف من إخوته، وأهل مكة –وهم أهل النبي صلى الله عليه وسلم– طردوه وأرادوا قتله في النهاية، لأنه خرج مهاجرًا قبل قتله.
- قالوا أما **إدريس**، فقد قال الله عز وجل كما قال في الحديث الذي قرأناه عند مسلم أن الله رفعه مكانًا عليا، فكأنه للرفعة هذه رسالة للنبي صلى الله عليه وسلم برفعة النبي صلى الله عليه وسلم في أعلى الدرجات عند ربه سبحانه وتعالى.

- قالوا **هارون** عودي أولًا، ثم أحبه قومه بعد ذلك. وهذا ما حدث للنبي صلى الله عليه وسلم، أنه عودي أولًا، ثم سيرجع إلى مكة فاتحًا، وأهله يستقبلونه ويقول لهم [فأنتم الطلقاء] فيرجعون بمحبتة مرة أخرى أيضًا.
- ثم **موسى** في السادسة، وهذا أيضًا يُذَكَّر به النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيبتلى مثل موسى. لذلك جاء في الحديث: [رحِمَ اللهُ أخي موسى؛ لقد أُوذِيَ بأكثَرَ مِن هذا فصبَرَ]. فكأنه ما أوذي به موسى سيوذي به النبي صلى الله عليه وسلم. ولا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أوذي كثيرا أيضًا من قومه.
- ثم تبقى السابعة وهي ملاقاة **إبراهيم**، – وهذه اجتهادات كلها، انتبهوا للذي أقوله، فهذه اجتهادات من العلماء في التفسير. قالوا إن ابراهيم عليه السلام لما رآه النبي صلى الله عليه وسلم كان مُسندًا ظهره إلى البيت المعمور، قالوا إشعارًا بأن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون آخر شئ له: الحج، ويُخْتَم بعد ذلك بوفاته، وقد حدث أن النبي صلى الله عليه وسلم حج في العاشرة، وبعدها بأشهُر قد توفي صلى الله عليه وسلم.

فالبعض أشار إلى ذلك في مسألة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لبعض الأنبياء في السماوات السبعة.

لكن هنا بينا مسألة الإيمان بمسألة أن الإسراء والمعراج كان بالروح والجسد. وبينا مسألة رؤية (جبريل)، وهذه من المسائل العقائدية.

هناك أيضًا مسائل وفوائد من هذه المسألة:

4-وحدة الأنبياء والرسالات، لأن الأنبياء والرسالات وحدتهم واحدة في الدعوة إلى الله عز وجل، وهي التوحيد. وظهرت من إمامة النبي صلى الله عليه وسلم للأنبياء، لأنه دل ذلك على أن كل دعوة الأنبياء واحدة، يدعون إلى التوحيد.

5-ثم فيه إشارة إلى **ختم الرسالات السماوية، بأن تُختَم بالدين الإسلامي فقط**، لأن من أتمه هو النبي صلى الله عليه وسلم، فهو الذي جاء بآخر شريعة الإسلام، فكأنها دلالة على أولاً ختم الرسالات بالنبي صلى الله عليه وسلم، وختم الرسل بالنبي صلى الله عليه وسلم، ودلالة على أن الدين الإسلامي هو الذي سيقود الأمم بعد ذلك، وهي الشريعة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم.

6-منها عندما نتدبر الفوائد في هذه الرحلة العظيمة جدًا، **عِظَم قدرة الله عز وجل لا حدود لها**، فكيف يحدث كل هذا في ساعات؟ يُسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم وينتقل من مكة إلى بيت المقدس، ثم يُعرَج به إلى سدرة المنتهى، السماوات السبع، ثم يُعاد مرة أخرى إلى بيت المقدس، لأنه يوجد خلاف: هل صلى قبل المعراج أم صلى بعد المعراج؟ وهذه مسألة خلافية عمومًا أن يصلي إمامًا بالأنبياء ثم يرجع إلى بيته بعد ذلك، فهناك خلاف: هل صلى أولًا بالأنبياء ثم عرج؟ أم بعد النزول من المعراج صلى بالأنبياء؟ هذا ذكره بعض أهل التاريخ في ذلك؛ في السِيَر. فهذه تبين لك قدرة الله التي لا حدود لها سبحانه وتعالى، أن الله يوقف الزمن كما يريد، يطوي الأماكن كما يريد، يعبر بالجسد والروح في أي مكان وفي أي زمان كما يريد، فهذه عموم قدرة الله عز وجل على شيء.

7-من الفوائد المهمة أيضًا في ذلك **العلاقة بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى**، كأنها إشارة إلى الربط بين حرمة مكة، وبين بيت المقدس وقيمته عندنا كأهل الإسلام، وهذا ظهر من حديث (أبي ذر) رضي الله عنه لما قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: [أي مسجد وُضِع في الأرض أولًا؟ قال: المسجد الحرام. ثم قال: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة] الحديث عند البخاري ومسلم. فهنا يبين لك أن حادثة الإسراء المعراج كأنها تبين الربط بين الأقصى وبين المسجد الحرام. وهذا يبين لك أننا كأهل الإسلام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: [لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلَّا إلى ثلاثةِ مساجدِ : المسجدُ

الحرامُ ، و مسجدي هذا –المسجد النبوي– ، والمسجدُ الأقصى]. فهذه كلها عندنا واحد، لا يمكن التفريط فيه بحال من الأحوال.

8–ثم تأتي أهم مسألة في مسائل الإسراء والمعراج: **فرض الصلاة**، وهذه الوحيدة التي فُرِضَت في السماء، فكل الفرائض الأخرى؛ أركان الإسلام وغيرها، نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وحيًا. لكن الصلاة فرضها الله عز وجل لما تكلم مع النبي صلى الله عليه وسلم. ففُرِضَت في هذه الليلة، وهذا يبين لك عِظَم هذا الركن الركين في الإسلام عندنا، عمود الإسلام: الصلاة، وكفى بها فضل ومنقبة بأن الله عز وجل فرضها على النبي صلى الله عليه وسلم ما أنزل بها وحيًا (جبريل)، بل كلم الله عز وجل النبي صلى الله عليه وسلم وفرضها عليه وعلينا أيضًا.

9–**فيه الإيمان بالغيب**، فنحن عندنا أصل من أركان الإيمان الستة وهو: الإيمان باليوم الآخر، ومنه الإيمان بالغيب، ولا شك أن ما حدث في هذه الأمور فيه غيبيات أطلع الله عز وجل عليها النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه رأى ناس من أهل الجنة، ورأى ناس من أهل النار، وسأل (جبريل) عن هؤلاء، وسأل عن هؤلاء في روايات أخرى، بل – كما سيأتي معنا من فوائد– إثبات أن الجنة مخلوقة، والنار مخلوقة الآن. وقد بينا من قبل في العقيدة أن البعض يقول أن الجنة والنار غير مخلوقين! لا، فالنبي صلى الله عليه وسلم ذهب ورأى، وهذا دلالة عن أن الجنة مخلوقة، وأن الناس يتنعمون في أوقات فيها. وكذلك النار أيضًا.

10– يبين لك لقاء النبي صلى الله عليه وسلم مع (آدم) **مشاعر الأبوة بين الأب وبين ابنه**، تعزيز لها، أن (آدم) عليه السلام أول ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم فرح به، ودعا له، وكلنا أبناء لآدم عليه السلام، فهو يظهر لك أن هذه كأنها إشارة إلى قوة مشاعر الأب تجاه الإبن. وهذه من المشاعر والعلاقات العظيمة جدًا التي تظل إلى قيام الساعة، أن الأب أب، والإبن إبن، والعلاقة بين الأب والإبن لابد أن تكون متينة، يفرح لفرحه، ويحزن لحزنه.

11- فيه أيضًا **شرف العبودية للنبي صلى الله عليه وسلم**، فالعبودية شرف، لأن الله عز وجل لما أراد أن يصف لنا الإسراء والمعراج في سورة الإسراء قال: {سُبۡحَـٰنَ ٱلَّذِیۤ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَیۡلا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا} [الإسراء: 1]، ففيه شرف العبودية. الله عز وجل لما أراد أن يذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذكره بعبده، ويبين لك أنه شرف لك أن تكون عبدًا لله مختارًا كما أنت عبدًا لله إضطرارًا، ففيها عبودية القهر، وفيها عبودية الإختيار.

القهر: أن الكل لا شك عبيد لله؛ الكافر والمسلم هم عبيد لله قهرًا، لا تستطيع أن تفعل شئ لأن الله هو الذي خلقك، وهو الذي يعطيك، وهو الذي يمنع عنك، فهذه عبودية القهر.

لكن المطلوب هو عبودية الإختيار؛ عبودية التقرب إلى الله عز وجل، تكون عبدًا لله مختارًا كما أنت عبدًا لله اضطرارًا، وهذه لا تكون إلا بفعل الطاعات والإنتهاء عن المعاصي. فهنا الله عز وجل يثني على النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: {سُبۡحَـٰنَ ٱلَّذِیۤ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ}. وأيضًا لما أراد أن يثني على أهل الإيمان قال: {وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلَّذِینَ یَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰما} [الفرقان: 63].

إذًا الحق كل الحق أنك تسعى أن تكون عبدًا لله مختارًا، وتُقبل على الله عز وجل بفعل الطاعات واجتناب النواهي. قال تعالى: {وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِینَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمۡ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَیَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِی ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِینَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَیُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِینَهُمُ ٱلَّذِی ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَیُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنا یَعۡبُدُونَنِی لَا یُشۡرِكُونَ بِی شَیۡـٔا} [النور: 55]، كل هذا متى يأتيك؟ {یَعۡبُدُونَنِی}، بتحقيقك العبودية لله عز وجل.

فحري بمن أراد أن ينظر إلى التمكين كيف يكون، لابد أن ينظر لحال الناس الذين سيمكن لهم، لابد أن يكون لهم عبودية لله عز وجل، لابد أن يُظهروا الإستسلام والإنقياد والخضوع والإذعان، والتقرب إلى الله عز وجل. النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر وهو نبي الله عز وجل، قام يدعو الله، يتقرب إلى الله حتى يأتيه النصر، لذلك كان الصحابة دائمًا ينظرون في غزواتهم إلى قائد ينظر إلى عموم المسلمين، إذا وجدهم يقومون الليل ويقرؤون القرآن يعلم

أن النصر سيأتي، أما غير ذلك فيعلم أن النصر بعيد عنه. وهذه علامات وإشارات حتى يأتيك النصر.

وأرجع مرة أخرى لمكانة المسجد الأقصى في الإسلام، لأن هذه من أهم فوائد هذه المسألة، لأن عقيدة: المسجد الأقصى هذا مرتبط بعقيدة الإسلام، كانت قبلة الأنبياء من قبل تحويل القبلة إلى المسجد الحرام؛ القبلة الأولى التي صلى إليها النبي صلى الله عليه وسلم عدد من السنوات قبل أن تنتقل. ولذلك الله عز وجل يبين لنا العلاقة الوثيقة في الإسلام بين المسجد الأقصى وبين المسجد الحرام. وقلنا هو المسجد الثالث الذي تشد إليه الرحال، لذلك كان هذا من أهم الأماكن التي يحرص عليها أهل الإسلام، والتي فُتحت طبعًا في عهد (عمر) رضي الله عنه أول ما فتح بيت المقدس وتسلم (عمر) مقاليده، ثم فرض الشروط العمرية على أهل الكتاب هناك.

وظل المسجد الأقصى تحت لواء أهل الإسلام لسنوات. ثم معلوم التاريخ حتى لا ندخل فيه الآن، إلى أنه الآن عند هؤلاء الملاعين اليهود. ولكن الله عز وجل قد أنبأنا– وهو قوله الحق– بأنه لابد أنه سيعود لنا مرة أخرى، لكن لابد له من رجال حتى يعود المسجد الأقصى إلى لواء المسلمين، ويُرفَع فيه راية "لا إله إلا الله"، ويُمَكِّن لأهل الإسلام منه.

12– فيها أيضًا هذه الرحلة أن النبي صلى الله عليه وسلم انتقل فيها من مرتبة "علم اليقين" إلى "عين اليقين". قال تعالى: {أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ، حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ، كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ، كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ، لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ، ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ، ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ} [سورة التكاثر]. حيث أنه يكلمنا عن الجنة والنار، هذا "علم اليقين"، لكن لما صعد في المعراج وصل لـ "عين اليقين"، رأى، فانتقل من "علم اليقين" إلى "عين اليقين". قال: ان الجنة فيها: [ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ علَى قَلْبِ بَشَرٍ]، فنحن نصدقه لكن لم نر شيئًا، لكن هو رأى صلى الله عليه وسلم. فانتقل من "علم اليقين" إلى مرتبة اليقين.

13- هناك مسألة من ضمن الفوائد، **أن من السنن عندنا الإستفادة من الخبرات السابقة، والإستفادة من أهل الخبرة**، لما (موسى) عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم: [وإِنِّي واللَّهِ قدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وعَالَجْتُ بَنِي إسْرَائِيلَ أشَدَّ المُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إلى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ]. وهذا يبين لك فائدة، لأننا الآن في زمن الناس كل واحد عالم نفسه، وبالذات الشباب عندما يأتوا ليستشاروا ففي وقت معين يرى أنه يفهم كل شيء! وأنت لابد –صغيرًا أو كبيرًا – أن ترجع لمن عنده خبرة في المسألة ليفيدك. فالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أفضل، سمع لـ (موسى)، لما قال له: (فَارْجِعْ إلى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ)، وكان حقًا لـ (موسى) ذلك القول، لأنه خبر أشد المعاناة مع بني اسرائيل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أن (موسى) قد أوذي كثيرًا وقد صبر، فهو يعلم خبرهم. فقال: (فَارْجِعْ إلى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ) والنبي صلى الله عليه وسلم استجاب لذلك، ورجع فسأله، وعاود أكثر من مرة. فأنت هنا لابد أن تستفيد من الخبرات السابقة. وهذا دأب أهل العلم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم نبي استفاد من نبي من أولي العزم، فما بالك بمن دون ذلك! وهذا إن لم تفعله قد يكون كِبرًا منك أو استكبارا، أو عدم فقه أصالة، لأنك لابد أن تستفيد من الخبرات السابقة وأنت مقبل على أمور معينة تستفيد من ذلك.

14- القصة هذه فيها فائدة مهمة جدًا عقائدية، وطبعًا نحن بنأخد الفوائد بالتتابع مع شرح القصة. فقد أذيع في مكة لما النبي صلى الله عليه وسلم رجع وقال لهم، فقال (أبو جهل): أجمع لك الناس تقول لهم، قال: نعم. وطبعًا لما أذيعت القصة حصل بلبلة شديدة جدًا في مكة، أهل الكفر فرحوا لأن هذا سبيل لأن يكذبوا النبي صلى الله عليه وسلم، فهو بيقول كلام عندهم لا يُعقل أصالة. فـ (أبو جهل) كان فَرِحًا جدًا لما النبي صلى الله عليه وسلم وافق أنه سيحكي. لذلك النبي صلى الله عليه وسلم بيحكي في رواية قال لك كنت لما سألوني عن البيت المقدس شعر بكرب شديد. وهو أصلًا ذهب ليلًا ورجع ليلًا، فلم يكن رأى تفاصيل، فالله عز وجل أرسل (جبريل) يوصف له بيت المقدس أمامه، وهو يصف لهم ذلك.

بل قد زاد في الوصف، وصف له بيت المقدس والنبي صلى الله عليه وسلم ما كان ذهب إليه من قبل. وطبعًا المشكلة عندهم أنه بيذهبوا إليه شهرًا، ويرجع شهرًا، وأنت تقول ذهبت في ليلة ورجعت! وهو يصف لهم، وطبعًا (جبريل) أتى به أمامه، ويصفه. بل زاد على ذلك أنه وصف العير– فقد كانت لهم عير هناك– فوصف لهم ثلاثة أنواع من العير، عير كانتت بالأبواء قريبة، وعير شرد منها جمل، وقال شرد منها جمل وذهب فلان ليأتي به، وعير ثالثة أيضًا لهم، وقال: عير سيدخل عليكم أسود وله غرارتان سوداوان. فوصف لهم عيرهم الموجودة، وقال سيصلوا في الوقت الفلاني. وقد حدث؛ فقد دخل عليهم الجمل الذي وصفه النبي صلى الله عليه وسلم، وجاء في الزمن الفلاني، وسألوهم عن شروط البعير لهم، فاخبروهم بذلك وهو مر النبي صلى الله عليه وسلم عليهم. فأصدقهم في القول، ومع ذلك حدث فتنة بين بعض المسلمين، بعض ضعاف النفوس ما احتملوا هذا الخبر، فارتدوا، وبعضهم ظل على الردة بعد ذلك.

وقلنا دائمًا من قبل؛ هناك أحداث بتحدث كمقدمات لما هو أعظم، فكأن حادثة النبي صلى الله عليه وسلم، فمعلوم أن حدث بعدها مرحلة جديدة –كما قلنا– وهي الهجرة، وبناء الدولة الإسلامية بعد ذلك أصالة.

فحتى تكون الدولة مبنية على أساس سليم، وعلى قلوب صادقة مع الله عز وجل، أراد الله عز وجل أن يغربل الناس، وأن ينقي الصفوف. فمن حِكَم هذه الحادثة أن لما حدث ذلك، ظهر الإختبار والتمحيص.

انظر إلى (أبو بكر) رضي الله عنه وأرضاه ومن معه، وانظر إلى بعض المسلمين الذين أرتدوا عندما سمعوا، لم يصدقوا، قالوا كيف؟! ظنوا أنه كاذب،، ساحر، لأن بعضهم من قريش لما وصف لهم العير قالوا: ساحر، وحتى بعد ما أصدقهم، قالوا عنه ذلك. فأهل الإيمان الأقوياء ثبتوا، لماذا ثبتوا؟ لمسوا عين صدق النبي صلى الله عليه وسلم، أي لمسوا تصديق وشهدوا كرامات بعد ذلك.

أولًا صدقوه؛ (أبو بكر) لما سئل عندما ذهب له (أبو جهل) وقال: "يزعم صاحبك أنه أسري به كذا وكذا وعرج به، قال: [لئن قال ذلك لقد صدق]. قال: أتصدقه؟! قال: نعم؛ [إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء]. وطبعًا سمي "الصديق" بعد ذلك، ما وقف بخلاف "مؤمن آل فرعون"؛ قال: {وَإِن يَكُ كَٰذِبا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ } [غافر: 28] مؤمن آل فرعون قال: (إن)، لكن (أبو بكر) ما قال، وهذا الفارق بين (أبو بكر) الصديق ومؤمن آل فرعون، لأن هذا كان وحيد، وهذا كان أيضًا أول من صدق النبي صلى الله عليه وسلم.

ولكن المقصود هنا أنه سيأتي دائمًا يأتي أوقات تحدث أحداث، لينقي الله عز وجل الصفوف، ليخلص الصف من الضعفة، المتردد، ذو الإيمان الضعيف، الذي عنده شك، ويبقى ما تحتاج إليه الأمة بعد ذلك. فالأمة لا تحتاج للتردد، ولا ضعف، ولا شك، ولا خزي، ولا إرجاف، ولا شك في نصرة الله، ولا في أنك على الحق أم لا! تحتاج لقلوب صادقة وإيمان راسخ. فكل فترة سيحدث لك شيء لينقي الصفوف.

بعض الناس بتحزن، وبعض الناس بتتأثر، لا! أنت لابد تعلم أن هذا الطريق الذي سيصل فيه وينزل عليه نصر الله وتمكين الله، وينزل عليه أجر الله عز وجل وثوابه، لابد من قلوب صادقة مع الله عز وجل. الواحد بيحزن أنه ممكن يرى الناس تتساقط، وتضعف، لكن هذه سنن الله عز وجل، وهذا من ضمن الفوائد المستنبطة من الإسراء والمعراج أن هذا هذا الفصل؛ بعض الناس الذين ارتدوا في هذا الوقت ما رجعوا، وثبت من ثبت بعد ذلك، ثم حدث بعد ذلك –كما سيأتي– الهجرة. لكن نقول أن هذه فائدة مهمة جدًا.

15– فائدة أخرى تستنبط: هي **شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم**. فلا شك أن النبي عليه صلى الله عليه وسلم كما قلنا في بداية الكلام أنه كان في حزن شديد بفقد (أبو طالب) و(خديجة) ورجوعه من الطائف وعدم نصرته من أهل الطائف، بل دخل في جوار (المطعم)،

فكأنك تقول "ماديًا" في ضعف، أي عدم نصرة، عدم مؤازرة، والقصة التي يحكيها حتى لو حكاها أي أحد من أصحاب القوة والسلطان فأنه يحتاج إلى آلة إعلامية تجهز الناس بقبولها. فأنت في زماننا الآن لو أردت أن تتكلم في شيء غير مقبول، يجب أن تجهز الناس – مثلما يحدث– لقبول أي شيء، فيكون عندك آلة إعلامية تقول للناس أنك لو قلت لهم أن الماء الذي ينزل من السماء هو عصير فيجب أن يصدقوك ويقتنعوا!

فهنا النبي صلى الله عليه وسلم ليس معه شيء من ذلك، فشجاعة النبي صلى الله وسلم أنه يواجه أهل الشرك في مكة بأمر تنكره العقول، وليس تقبله! فهو ظل عشر سنوات بيدعوهم في شيء بالحجة، والبرهان، والفكر، ويرفضوا، فيأتيهم بعد عشر سنوات بشيء تنكره العقول أصلًا. فالناس العادية ضِعاف الإيمان ما قبلوه وأشركوا، أي في أول الأمر لا يمكن أن يتصوره أحد هذا الذي يقوله، ومع ذلك لم يمنعه الخوف في أن يجهر، وأن يواجههم، وأن يقول ذلك، وألا يهمه نكيرهم واستهزائهم.

وهذا يبين لك أنك أحيانًا أن هل هذا وقتًا مناسبًا ليقول هذا الكلام؟!. وهل لو قلت هذا الكلام هل أحد سيفهمه؟ أو أحد يعقله؟ أحيانًا تظن وتقول أن هذا ليس مناسبته. هو نعم أحيانًا هناك كلام يقال وكلام لا يقال، لكن نحن نقول أنه نبي ويُجَهَّز لأمر عظيم. فأحيانًا أنت تحتاج لشجاعة لتبرز الحق ولو رأيت أن هذا قد يضر أو تؤذى به. ولكنه أراد أن يقيم الحجة عليهم، وأراد –كما قلنا– أن يُظهر أهل الإيمان الصادق من الذين يتصنعون ذلك، فجهر بالحق. وهذه قد تكون فائدة عظيمة تستنبط بها بأنك قد تحتاج في وقت ما، مع شدة ما يقابلك من الجهر بالحق، أنك لابد أن تبين، لأن المصلحة أعظم بكثير ستكون من المفسدة التي تترتب عليك بذلك، حتي لو تحزبوه ضدك، حتي لو قاموا عليك بذلك، لكن أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يقيم الحجة عليهم، ويبين لهم ذلك.

16– من الفوائد أيضًا في هذه المسألة مسألة أن **الأصل في دين الإسلام الفطرة**، عندما خُيِّرَ النبي صلى الله عليه وسلم بين الخمر وبين اللبن، فاختار اللبن، فقال له (جبريل): "اخترت

الفطرة". فدل ذلك على أن الفطرة هي الإسلام. لذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما قال: [كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ علَى الفِطْرَةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أوْ يُنَصِّرَانِهِ، أوْ يُمَجِّسَانِهِ]، ولم يقل: "يسلمانه"، لأن الأصل هو الإسلام، فهؤلاء بيخالفوا الفطرة. وقال تعالى: { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الروم: 30].

17- فائدة عظيمة من صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالأنبياء، دل على أن القيادة لأهل الإسلام، والإسلام يعلو ولا يُعلى عليه، فالنبي صلى الله عليه وسلم لما صلَّى بجميع الأنبياء، وفيهم من فيهم، استلم القيادة والريادة، ودل على أن شريعة الإسلام نسخت كل الشرائع السابقة، وأن كل الأنبياء اتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى في يد (عمر بن الخطاب) صحيفة من التوراة قال: [أمتهوكون فيها ابن الخطاب وأنا بين أظهركم؟ والله لو كان موسى بن عمران حي ما وسعه إلا أن يتبعني]. وهذا يدلك على أن الذين يقيموا المؤتمرات ويقول لك "وحدة الأديان"، و"الدين الإبراهيمي"، فكل هذا خروجًا عن شريعة الإسلام أصلًا. والديانات اللي يتكلمو عنها هي ديانات محرفة كلها أصلًا، ليست حتى الديانات الأصلية أصالة، بل هذا كله لابد أن يُترك وأن يُقلع خلف الظهور، وهذه من الأنظمة الجاهلية أصالة، وقلنا أن هذا خروجًا عن الإسلام. فالدين واحد، والشريعة واحدة نسخت جميع الشرائع.

18- من الفوائد أيضًا التي ممكن أن تستنبط **الثبات على المبدأ**. والثبات على المبدأ هذا حقيقة مقامه عظيم جدًا، وشرف كبير. وتستعجب من أين نأتي بها، وهي طبعًا غير موجودة في النص الذي قلنا عليه، لكن توجد نصوص بأسانيد أخرى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما التقى في الإسراء والمعراج ورأى (ماشطة ابنة فرعون)، [فعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: لَمَّا كَانَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ فَقُلْتُ يَا جِبْرِيلُ مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ فَقَالَ هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلَادِهَا. قَالَ قُلْتُ وَمَا شَأْنُهَا قَالَ بَيْنَا هِيَ تَمْشُطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ سَقَطَتِ الْمِدْرَى مِنْ يَدَيْهَا فَقَالَتْ بِسْمِ

اللَّهِ. فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ أَبِى قَالَتْ لاَ وَلَكِنْ رَبِّى وَرَبُّ أَبِيكِ اللَّهُ .قَالَتْ أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ قَالَتْ نَعَمْ. فَأَخْبَرَتْهُ فَدَعَاهَا فَقَالَ يَا فُلاَنَةُ وَإِنَّ لَكَ رَبًّا غَيْرِى قَالَتْ نَعَمْ رَبِّى وَرَبُّكَ اللَّهُ. فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلاَدُهَا فِيهَا قَالَتْ لَهُ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً. قَالَ وَمَا حَاجَتُكِ قَالَتْ أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِى فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَتَدْفِنَنَا .قَالَ ذَلِكَ لَكِ عَلَيْنَا مِنَ الْحَقِّ. قَالَ فَأَمَرَ بِأَوْلاَدِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا وَاحِدًا وَاحِدًا إِلَى أَنِ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِيٍّ لَهَا مُرْضَعٍ وَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ] كانت سترجع عمّا قالت، انظر إلى الله عز وجل كيف يؤيد عباده، تتقاعس من أجله، رضيع صَعُب عليها، هنا أنطقه الله عز وجل: [قَالَ يَا أُمَّهْ اقْتَحِمِي فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الآخِرَةِ فَاقْتَحَمَتْ]. الحديث في مسند الإمام أحمد.

النبي صلى الله عليه وسلم رآها في الإسراء، فالعلماء استنبطوا، انظر إلى الثبات على المبدأ، هي ثبتت على التوحيد، فطالما المبدأ حق، فالثبات عليه، وإن اجتمع الناس عليك وأنت على الحق، وتعلم ذلك، فالاصل الثبات على هذا المبدأ. انظر إلى الله عز وجل ماذا جعل لها؟ الجنة، هي أولادها بعد ذلك، قال تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: {وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـا قَلِيلًا} [الإسراء: 74]. فالله عز وجل أنعم على النبي صلى الله عليه وسلم بنعمة الثبات، لذلك أنت لا تظن أن الثبات هذا مسألة إختيار عندك! لا، الثبات حتي يأتيك لابد أنك قدمت، أن الله عز جل يمن عليك بالثبات، أنت قدمت إيمان، وقدمت طاعة، وقدمت عبادة، فالله يثبتك، ويلهمك التوفيق. لأن الثبات توفيق وسداد، ليس إختيار أنك ستثبت! لا، مسألة الثبات هذه من الله عز وجل. فهناك أناس يحبون جدًا الجهاد وغير ذلك، وحقًا، لكن عندما وُضع في الموضع فرّ وما احتمل، قلبه ما احتمل القتال وفرَّ. إذًا الثبات من أين يأتي؟ الناس تظن أن الثبات هذا قرار أنت بتختاره! لا، الثبات هذا إيمان قوي في القلب أولًا، فالله عز وجل يثبتك علي هذا الأمر لما تأتيك المحن.

لذلك نحن نشاهد في زماننا أناس الله بيرزقهم ثباتًا، هذا الثبات لا تظنوا أنه وليد اللحظة، لابد شيء في القلب يجعلهم يثبتون على هذا الأمر، مع ما يرونه من شدة وفتن وأهوال، تربية، وأنت تحتاج أنك تربي نفسك على هذا.

ماشطة ابنة فرعون دخل الإيمان في القلب، مثل سحرة فرعون لما رأوا أن الذي مع (موسى) عليه السلام معجزة، لأنهم يعلمون طبعًا أن السحر كان تخييل عندهم؛ زئبق على شيء يتلوى أمامهم، لكن لما رأوا الحية تنقلب، ورأوا العلامات التي مع (موسى) علموا أن هذه لابد أن تأتي من إله، فخَرُّوا في لحظتها. فلما خوَّفهم (فرعون): { فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ} [طه: 71]، قالوا: {قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا} [طه: 72]، فالإيمان دخل القلب، فثبتوا. ولو خوفهم فرعون وقتها مهما فعل فيهم، وقفوا على الثبات. فالثبات على المبدأ مقام عظيم جدًا، وشرف كبير، من ناله فهو سائر على درب الأنبياء والشهداء والصالحين. لكنه لن يأتي هكذا، بل هو نعمة إلهية وعطية ربانية على من شاء من عباده يعطيه الله عز وجل، لكن لابد أن يقدم المرء حتى يناله. نسأل الله عز وجل أن يثبتنا حتى الممات، الأمر ليس بالهين، لكنه محض توفيق وتسديد من عند الله عز وجل.

19- يوجد أيضًا **الاستئذان**؛ وهي مسألة فقهية قليلًا، فالمستأذن إذا قيل له من؟ يقول اسمه. من أين؟ من (جبريل) عليه السلام لما استأذن في السماء قال: من؟ قال جبريل. وهذه جاءت السنة بها، لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه وأرضاه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في دين كان على أبي فدققت الباب، فقال:"من ذا"؟ فقلت: "أنا". فقال:"أنا أنا!" فكأن النبي صلى الله عليه وسلم يُنكِر عليه، من أنا؟!

وهذه بتحدث حتى مع الأولاد والأطفال تأمره بالاستئذان، فيستأذن وتقول: "من؟" فيقول لك: "أنا". لكن نقول أن السنة أنك لا تقول "أنا أنا"، بل تقول الإسم.

20-وأيضًا فيها فائدة **أن أبواب السماء كانت مغلقة، وفتحت لجبريل أو للنبي صلى الله عليه وسلم**، وهذه كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم، أن الشيء مغلق وفُتِح لهما، بخلاف لو الشيء مفتوح أصلًا، فأنت عندما تدخل مكان وتجد الباب مفتوح فتدخل، لكن عندما يكون مغلق ويُفتح لك، فكأنه استقبالًا. فهي فيها فضل وكرامة للنبي صلى الله عليه وسلم أن أبواب السماء فُتحت لهم.

21-وأيضًا فيها **أن جنود الله عز وجل لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى**، لما كان (إبراهيم) عليه السلام في البيت المعمور، فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه. وهذا يبين لك أن لله جنود لا يعلمها أحد، فنسأل الله عز وجل أن يسدد إخواننا في فلسطين بجنود من عنده ينصرهم على هؤلاء الملاعين الكفار.

22-**الإستحياء من الله عز وجل هدي نبوي**، لأن النبي صلى الله عليه وسلم استحيا بعد ذلك أن يرجع إلى الله عز وجل ويسأله التخفيف أكثر من ذلك. فقال العلماء أن الإستحياء من الله هذا هدي نبوي كريم، وأن المرء عليه أن يستحي من الله عز وجل أيضًا. قال النبي صلى الله عليه وسلم: [اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ]. فعلى المرء أن يستحي من الله عز وجل أيضًا.

23-أخيرًا: **خطورة الشرك وعظيم فضل أواخر سورة البقرة**، وهذه لم تأت أيضًا في الرواية التي قرأناها، فالنبي صلى الله عليه وسلم في هذه الرحلة لما أُسري به وانتهى إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة، [فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثَلَاثًا؛ أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ] نزلت عليه خواتيم سورة البقرة، أُعطيها في السماوات في الرحلة، [وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُقْحِمَاتُ]. المقحمات قالوا الذنوب أو الكبائر. فاعطي ثلاثة، وأهمها مسألة الشرك، فيظهر لك خطورة الشرك، فالشرك لا يغفره الله عز وجل.

أخيرًا قلنا أن هذه الرحلة نقطة تحول في طريق الدعوة إلى الله للنبي صلى الله عليه وسلم، لأنه بعد ذلك كأنه سُرِّيَ عنه بهذه الرحلة، وكانت مكرُمة من الله له، ثم يبين بعد ذلك مسألة (الهجرة إلى المدينة) ، وهذه سنتكلم عنها إن شاء الله في الأسبوع القادم.

وقفنا بذلك عند: (حديث سويد بن الصامت، وأنس بن رافع) بعد المسألة الثانية في القطعة التي قرأناها في (الإسراء والمعراج) بقدر ما نستطيع، ثم بعد ذلك نكمل إن شاء الله الأسبوع القادم الكلام فيها.

أحسن الله إليكم جميعًا

سبحانك الله وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

جزاكم الله خيرا

المحاضرة السادسة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد،، على موعد دروس السيرة في شرح كتاب (الفصول في سيرة الرسول) عليه الصلاة والسلام للحافظ ابن كثير عليه رحمة الله تعالى.

فصل: حَدِيثُ سُوَيْدِ بْنِ الصَّامِتِ، وَأَنَسِ بْنِ رَافِعٍ، وَإِسْلَامُ إِيَاسِ بْنِ مُعَاذ

قال الحافظ رحمة الله عليه:

وكان مما صنع الله لأنصاره من الأوس والخزرج: أنهم كانوا يسمعون من حُلَفَائِهِمْ من يهود المدينة: أَنَّ نَبِيًّا مبعوث فِي هَذَا الزَّمَنِ، وَيَتَوَعَّدُونَهُمْ بِهِ إِذَا حَارَبُوهُمْ، ويقولون:

إِنَّا سَنَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمٍ، وَكَانَ الأنصار يَحُجُّونَ الْبَيْتَ [كما كانت العرب تحجه]– وأما اليهود، فلا. فلما رأى الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى الله تعالى، ورأوا أَمَارَاتِ الصِّدْقِ عليه، قالوا: والله هذا الذي تَوَعَّدُكم يهود به، فلا يَسْبِقُنَّكُمْ إِليهِ.

وكان سويد بن الصامت أخو بني عمرو بن عوف بن الأوس قد قدم مكَّةَ، فَدَعَاهُ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَلَمْ يُبْعِدْ، وَلَمْ يُجِبْ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فقُتل في بعض حروبهم، وكان سويد هذا: ابن خالة عبد المطلب.

ثم قدم مكة أبو الحيسر أنس بن رافع في فتية من قومه من بني عبد الأشهل، يطلبون الحلف، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، فقال إياس بن معاذ منهم – وَكَانَ شَابَاً حَدَثَاً: – يَا قَوْمُ! هَذَا وَاللَّهِ! خَيْرٌ مِمَّا جِئْنَا لَهُ، فَضَرَبَهُ أَبُو الْحَيْسَرِ وَانْتَهَرَهُ، فَسَكَتَ، ثُمَّ لم يتم لهم الحلف، فانصرفوا إلى بلادهم إلى المدينة، فيقال: إن إياس بن معاذ مَاتَ مُسْلِماً.

- كنا قد انتهينا من حادثة الإسراء والمعراج، ومن بعدها النبي صلى الله عليه وسلم استمر في دعوة الناس، وكان يدعو الوفود التي تأتي إلى مكة من أحياء العرب، ومنها كانت الوفود تأتي من المدينة، والمدينة وقتها كانت على قبيلتين شهيرتين؛ هي الأوس والخزرج.
- والأوس والخزرج هما أخوان، وكانت الأوس لأخٍ، والخزرج لأخٍ آخر. والنبي صلى الله عليه وسلم كان بعد حادثة الإسراء والمعراج يعرض نفسه على القبائل في المواسم؛ عندما يأتي موسم الحج وكانوا في الجاهلية يحجون أو يأتون للبيت وإن كانوا يشركون، لكن أيضًا يأتون وكان لهم حج بصورته التي كانوا يعهدونها في الجاهلية. فكانت أيضًا الأوس والخزرج تأتي من المدينة إلى مكة يحجون
- وكانت الأوس والخزرج تسكن مع اليهود في المدينة، واليهود كانوا يعلمون أن هناك نبي سيخرج في آخر الزمان، لكنهم كانوا يظنون أن النبي منهم، أو كانوا يتمنون ذلك، مع أنه معلوم أن في التوراة وفي الإنجيل صفة النبي صلى الله عليه وسلم، واسمه كانت موجودة

أصالة، لكن كانوا يتمنون أن يكون منهم. فكانوا يهددون الأوس والخزرج إذا جاء الرسول سيقاتلونهم ويقتلونهم كقتل عاد وإرم.

- لما جاء الأوس والخزرج، إلى مكة، وجدوا النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس، وقال أحدهم هذا هو النبي الذي يتكلم عنه اليهود، فلنسبق إليه قبل أن تسبقكم اليهود، أي: نكون نحن أولى به ونؤمن به فيكون لنا حليفًا أو معه.
- هم يظنون أنه كما تقول لهم اليهود أنه سيكون مع اليهود ويقتلونهم، أو غير ذلك. فظنوا بذلك، وهذه القصة التي فيها سويد التي ذكرها الحافظ هنا بأنهم قالوا بأنهم جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسمعوا به وتكلم معهم، وهم كانوا مع إتيانهم لمكة يحجون لكن كانوا يشركون، أي كانوا يشركون مع الحج حتى أنهم يقولون: "لبيك اللهم لبيك لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك أنت تملكه". طبعًا جاءت التلبية بعد ذلك إفرادًا وتوحيدًا لله عز وجل : "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك".
- لكن هو يبين أنه كانت القبائل تحج البيت، وهؤلاء يسمون "الآفاقين"، أي الذين يأتون من الآفاق إلى مكة. وكل قبيلة كانت تأتي ولها معبودها؛ أي الأوس والخزرج كانوا يأتون يحجون لهم معبود خاص بهم، أي يلبون به مع التلبية، وكل قبيلة كانت لها هذا المعبود. وطبعًا هذا كله انتهى بعد ذلك.
- لكن كما قلنا الأوس والخزرج كانوا يسمعون من حلفائهم في المدينة أنه سيبعث في هذا الزمان نبي، وكانوا يهددونهم ويتوعدونهم به، أنهم سيقتلونهم فتل عاد وإرم.
- فلما جاءوا يحجون البيت كما كانوا يفعلون، رأى الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس، ورأوا أمارات– كما قال الحافظ– الصدق عليه، فقالوا: **(هذا الذي تَوَعَّدُكم يهود به، فلا يَسْبِقُنَّكُمْ إليهِ)**.

- فهذه كانت بدايات وصول الدعوة للأوس والخزرج من أهل المدينة؛ أي هذه أول إشارات سمعوا فيها للنبي صلى الله عليه وسلم في مكة، ولم يكن هناك وقتها قبول، لأنه سيأتي القبول بعد ذلك، ولكنهم استحسنوا كلامه، ومنهم (سويد) هذا، أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكان كبيرًا في قومه، فسمع من النبي صلى الله عليه وسلم، ولما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم ما أجاب، كما قال الحافظ: **(فَلَمْ يُبْعِدْ، وَلَمْ يُجِبْ)**، أي لم ينكر على النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يفعل كما فعل الغير الذي يسبونه ويتهمونه، وأيضًا لم يُجِب، أي لم يعلن إسلامه. لذلك اختلفوا بعد ذلك هل هو أسلم أم لا، ثم رجع بعد ذلك إلى قومه وحدثت حروب، فمات بعد ذلك.
- حتى أن (سويد بن الصامت) اختلفوا البعض ذكروا أنه قد يكون أسلم لما رجع، والبعض قال أنه لم يعلن الإسلام، فاختلفوا في إسلامه. وكان (سويد بن الصامت) من قبيلة الأوس أيضًا.
- ثم ذكر بعد ذلك: **(ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فقُتل في بعض حروبهم، وكان سويد هذا: ابن خالة عبد المطلب)**. و(عبد المطلب) هو جد النبي صلى الله عليه وسلم.
- ثم ذكر بعد ذلك إسلام (إياس بن معاذ) وقصة (أبي الحيسر). وكل ما سيأتي مقدمة لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة. فجاء (إياس بن معاذ) ومعه فتيان من الأوس. والأوس كانت قبيلة أصغر من الخزرج؛ الخزرج كانت أكبر عددًا، فأرادوا الأوس أن يأتوا إلى قريش يعملوا حلف معهم، يعاونونهم على الخزرج، فلما قدموا مكة وكان معهم (إياس بن معاذ) وكان صغيرًا شابًا ومعه (أبي الحيسر) وكان كبيرهم، فلما وصلوا إلى مكة دعاهم أيضًا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، فلما دعاهم إلى الإسلام قال(إياس): **(هَذَا وَاللَّهِ! خَيْرٌ مِمَّا جِئْنَا لَهُ)** ؛ أي نحن جئنا للحلف مع قريش، وهذا الكلام أفضل منه، **(فَضَرَبَهُ أَبُو الْحَيْسَرِ وَانْتَهَرَهُ)** كما قال هنا؛ أي كأنه منعه من تكملة الأمر. ثم سمعوا الكلام

أيضًا من النبي صلى الله عليه وسلم، ودعاهم إلى الإسلام وأعجبوا كما قال (إياس بن معاذ).

- ورجعوا بعد ذلك أيضًا إلى المدينة، قال: **(فانصرفوا إلى بلادهم إلى المدينة، فيقال: إن إياس بن معاذ مَاتَ مُسْلِمًا)**.
- وقيل أنه قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم بخمس سنوات وقعت بين الأوس والخزرج موقعة عظيمة وهي موقعة (بعاث) وهذه سنتكلم عنها، وفيها أيضًا بعض الإرهاصات لهجرة النبي صلى الله عليه وسلم، فقتل هو، وكان من رؤساء القوم، فقُتل في هذه المعركة، وقُتل فيها كثير من الرؤساء ومن الأعيان ومن الكبراء من الأوس والخزرج، وكانت قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم بخمس سنوات.
- وهذه الموقعة تحديدًا، لو تذكروا قلنا في محاضرات سابقة إن ما يسمونه بالتحليل الإستراتيجي بينظروا إلى الوقائع التي تحدث ويحللونها لما سيكون مستقبلًا، ومثَّلنا على ذلك بحادثة الأبرهة والفيل وولادة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا العام. قلنا أنه كأنه إرهاصات لنصرة الله عز وجل لمكة وأهل مكة عدم التعرض للحرم، ثم ولد النبي صلى الله عليه وسلم، وقلت بعد ذلك الإسراء والمعراج أيضًا تجهيزاً لما سيكون.
- "بعاث" هذه مع أنها معركة قتال بين الأوس والخزرج، لكن كانت قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم بخمسة سنوات، قتل فيها عدد كبير جدًا من القادة والكبراء والرؤساء من القبيلتين. من أين نأتي بمسألة ما يسمى بالتحليل الاستراتيجي؟ هذا هو أنك تستنبط من حادثة معينة ما يحدث مستقبلًا.
- انظر لحديث عائشة رضي الله عنها عند البخاري: [كَانَ يَوْمُ بُعَاثَ يَوْمًا قَدَّمَهُ اللهُ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ افْتَرَقَ مَلَؤُهُمْ وَقُتِلَتْ سَرَوَاتُهُمْ وَجُرْحُوا فَقَدَّمَهُ اللَّهُ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دُخُولِهِمْ فِي الإسلام]، أي كأن هؤلاء كبار كلهم قتلوا وجرحوا، فكل رؤوس الكفر التي كانت موجودة التي كانت ممكن أن تؤثر في

دعوة النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة، أو تمنع، الله عز وجل جعل هذه المعركة قدرًا أن تحدث كما قالت (عائشة) وكل هؤلاء الكبار قتلوا، فكأنه تهيئة أيضًا هذه المسألة (حادثة يوم بعاث) وهذا معروف جدًا عند الأوس والخزرج، كأنه كما قالت (عائشة) في البخاري كأنه تهيئة لما سيكون، النبي صلى الله عليه وسلم لما ينزل المدينة ويدعو هناك لا يجد مقاومة شديدة، بل يجد– كما سيأتي معنا– رجال وشباب من الأوس والخزرج يقبلون الدعوة يكونون دعم لهذا الدين.

- وهذه تبين لك أن أحيانًا الأحداث بتحدث؛ الله عز وجل يقدرها، تكون توطئة لأمور أخرى عظيمة.
- ثم قال بعد ذلك: أن (إياس بن معاذ) لما رجع للمدينة وقتل في هذا اليوم، البعض قال أنه قتل مسلمًا. لذلك الحافظ (ابن حجر) في "الإصابة" عندما كان يصنف الناس لأصناف، بعضهم قال أنه ذكر قصة (إياس بن معاذ) مع (أبي الحيسر) لما نهره أمام النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: وجاءت وقعة بعاث فقتل (إياس بن معاذ)، بعضهم قال أنهم كأنه يسمعونه يهلل ويكبر ويحمد ويسبح الله عز وجل. لذلك بعض أهل العلم ومنهم ابن حجر في "الإصابة" عده من المسلمين، لذلك. والأقرب والله أعلم أن (إياس بن معاذ) مات على الإسلام، لكن (سويد بن الصامت) لم يُعلَم حقيقة مسألة إسلامه صحيحة أم لا، لكن (إياس) يبدو أنه حدث ذلك.
- ثم انتقل لبيعة العقبة الأولى؛

فصل: بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الأُولَى وَالثَّانِيَةِ

ثُمَّ إِنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي عند العقبة في الموسم نفرًا من الأنصار، كلهم من الخزرج، وهم:

1-أبو أمامة: أسعد بن زرارة بن عدس.

2-وعوف بن الحارث بن رفاعة، وهو: ابن عفراء.

3-ورافع بن مالك بن العجلان.

4-وقطبة بن عامر بن حديدة.

5-وعقبة بن عامر بن نابي.

6-وجابر بن عبد الله بن رئاب.

فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، فَأَسْلَمُوا مُبَادَرَةً إِلَى الخَيْرِ، ثُمَّ رجعوا إلى المدينة، فدعوا إلى الإسلام، فَفَشَا الإسلام فيها، حتى لم تبق دار إلا وقد دخلها الإسلام.

فلما كان العام المقبل، جاء منهم اثنا عشر رجلًا:

الستة الأُوَل، خلا: جابر بن عبد الله بن رئاب، ومعهم:

1-معاذ بن الحارث بن رفاعة؛ أخو عوف المتقدم.

2-وذكوان بن عبد قيس بن خلدة – وقد أقام ذكوان هذا بمكة حتى هاجر إلى المدينة، فيقال: إنه مهاجري أنصاري.

3-وعبادة بن الصامت بن قيس.

4-وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة.

فهؤلاء عشرة من الخزرج.

واثنان من الأوس، وهما:

1-أبو الهيثم : مالك بن التيهان.

2-وعويم بن ساعدة.

فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كبيعة النساء، ولم يكن أُمِرَ بالقتال بعد.

فلما انصرفوا إلى المدينة، بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أم مكتوم، ومصعب بن عمير يعلِّمان من أسلم منهم القرآن، ويدعوان إلى الله عز وجل، فنزلا على أبي أمامة أسعد بن زرارة، وكان مصعب بن عمير يؤمهم، وقد جَمَّعَ بِهِم يومًا بأربعين نفسًا، فأسلم على يَدَيْهِمَا [بَشَرٌ كَثِيرٌ منهم]:

1-أسيد بن حضير.

2-وسعد بن معاذ.

وأسلم بإسلامهما يومئذ جميع بني عبد الأشهل، الرِّجَالُ والنِّسَاءُ، إلا الأصيرم، وهو: عمرو بن ثابت بن وقش؛ فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد، فأسلم يومئذ، وقاتل فقتل قبل أن يسجد لله سجدة، فأخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "عَمِلَ قَلِيلًا، وَأُجِرَ كَثِيرًا.

وكَثُرَ الإسلام بالمدينة وظَهَرَ، ثُمَّ رجع مصعب إلى مكة، ووافي الموسم ذلك العام خلق كثير من الأنصار من المسلمين والمشركين، وَزَعِيمُ الْقَوْمِ: الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُور رضي الله عنه.

- هذه البيعة الأولى التي سماها الحافظ "بيعة العقبة الأولى" وهي تضاف إلى الجمرة، فلأنه عندما كانت العقبة الجمرة، كان هناك بيعة أولى ثم بيعة ثانية.
- وهنا ذكر الحافظ أن النبي صلى الله عليه وسلم لقى عند العقبة في الموسم ستة نفر من الأنصار كلهم من الخزرج، وذكر أسمائهم، ومر معنا (سويد بن الصامت) كان من الأوس، و(إياس بن معاذ) كان من الأوس أيضًا، لكن هؤلاء الستة كلهم من الخزرج قدموا لمكة في

موسم الحج ودعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام وذكرهم هنا الحافظ: (أسعد بن زرارة)، و(عوف بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء)، و(رافع بن مالك العجلان)، و(قطبة بن عامر بن حديدة)، و(عقبة بن عامر بن نابي)، و(جابر بن عبد الله بن رئاب).

- هؤلاء الستة من الخزرج أول ستة لقوا النبي صلى الله عليه وسلم عند العقبة، ولما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم شرح الله صدرهم إلى الإسلام، فاستجابوا وأعلنوا إسلامهم أمام النبي صلى الله عليه وسلم.
- وهذه بشائر وكرامات للنبي صلى الله عليه وسلم على أهل المدينة لأن هؤلاء النفر الستة كانوا مفتاح خير عظيم بعد ذلك، لأنهم كما قال الحافظ: **(رجعوا إلى المدينة)** ما جلسوا في دارهم! لا، رجعوا يدعون الناس إلى الإسلام، فقال: "ما ترك بيت إلا دخله الإسلام"، في منطقتهم طبعًا، أو في القوم الذين كانوا فيهم.
- قال: **(فدعوا إلى الإسلام)**، قبلوا الدعوة من النبي صلى الله عليه وسلم وأول ما رجعوا ما سكتوا. وهذا هو الصحيح؛ أن المرء يدعو إلى دين الله عز وجل مادام استطاع ذلك ورُزق العلم، والطريقة، وعنده القدرة، فما انتظروا حتى أن النبي يرسل أحد في أول الأمر أو هو يذهب، هم بادروا بدعوة الناس إلى الإسلام، يحبون الخير لإخوانهم كما الله عز وجل أحب لهم الخير.
- قال: **(فَفَشَا الإسلام فيها)**، فشا أي انتشر، دخل على يد هؤلاء الست، لذلك هؤلاء الست لهم فضل عظيم على الأوس والخزرج بأنهم أول من دعوا إلى الإسلام في المدينة، وهذا قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم.
- قال: **(حتى لم تبق دار إلا وقد دخلها الإسلام)**، انظر الست هؤلاء ميزانهم، كل أهل المدينة في ميزانهم، أول من دعوا ودخلوا الإسلام في ديار أهل المدينة فيه، وهذه البيعة الأولى، وإن كان بعضهم لا يسمونها "بيعة"، لأنها لم تكن كما قال هنا هم استجابوا فقط هؤلاء الست، أي لم تكن مبايعة، المبايعة ستأتي الآن مع الإثني عشر الذي ذكرهم، لكن بعضهم يسمونها

بيعة، والبعض يجعلونها فقط أن هؤلاء النفر الستة استجابوا للنبي صلى الله عليه وسلم، لكن لم يحدث أنه نُقِل أنه بايعهم على شيء، لكن نُقِل عن الإثني عشر كما سيأتي أنه بايعهم بيعة النساء –كما سنبين–، لكن هم استجابوا للإسلام ودخلوا، وذهبوا لدعوة الناس.

- بعض أهل العلم يعتبرون هذه بيعة أولى فأصبح هناك ثلاث بيعات: البيعة الأولى، والبيعة الثانية للإثني عشر، والبيعة الثالثة التي تسمى ببيعة العقبة الثانية.
- لكن العقبة الأولى والثانية معروف أنها هي الأولى التي فيها الإثني عشر رجلًا –التي ستأتي– والثانية التي سيزيد فيها العدد أكثر من ذلك. لكن بعضهم يسمون هؤلاء الستة أيضًا لأنهم بايعوا ، ولكن لا يطلق عليها بيعة العقبة، أيًا كان لا إشكال في ذلك المهم أننا بينا ذلك.

فلما كان العام المقبل، جاء منهم اثنا عشر رجلًا:

الستة الأُوَل، خلا: جابر بن عبد الله بن رئاب، ومعهم:

1–معاذ بن الحارث بن رفاعة؛ أخو عوف المتقدم.

2–وذكوان بن عبد قيس بن خلدة – وقد أقام ذكوان هذا بمكة حتى هاجر إلى المدينة، فيقال: إنه مهاجري أنصاري

- و(ذكوان) هذا له خصوصية كما قال. هو لما جاءه كان من المدينة (بعد ذلك سُمي أنصاري)، ما كانوا سموا الأنصار إلى الآن، كانوا الأوس والخزرج فقط، لكن لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم سموا بـ "الأنصار" بعد ذلك. وهذه ستأتي معنا لما سئلوا: أكنتم تسمون الأنصار قبل أن يسميكم النبي صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: لا، بل سمانا النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار بعد هجرته. هم كانوا من الأوس والخزرج.

- المهم أن (ذكوان) جاء من المدينة وأسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم وظل في مكة، لم يرجع مع هؤلاء النفر، وهاجر بعد ذلك، فسمي "مهاجري أنصاري". هو أصلًا من المدينة، لكن جلس في مكة فهاجر مع هجرة النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين، فيسمى "مهاجري أنصاري". وهذه نكتة، هذا خصيص لـ (ذكوان) رضي الله عنه بأنه مهاجري أنصاري.
- فهؤلاء الإثني عشر رجلا لما جاءوا العام المقبل بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم؛ هذه بيعة.

فهؤلاء عشرة من الخزرج.

واثنان من الأوس، وهما:

1-أبو الهيثم : مالك بن التيهان.

2-وعويم بن ساعدة

- وهنا تنظر نظر عجيب، سبحان الله، الأوس والخزرج كانوا في قتال دومًا، ويوم بعاث هذا كان مقتلة عظيم، انظر الآن العشرة من الخزرج واثنين من الأوس؛ إثني عشرة، انظر المزيج الذي حدث بين الأوس والخزرج، اجتمعا بعد أن كانوا أعداء في الجاهلية، فتجدهم معًا في الإسلام، وهذا يبين لك أن الأصل في الإسلام هو اجتماع الناس والالتئام والوفاق، اجتماع القلوب، بأن الناس جميعًا هم أهل إسلام، الناس جميعًا أهل سنة، وليس كما يحدث أن الناس كله أراد أن يتحزب أو يجعل له جماعة! هذا كذا وهذا كذا وهذا يسمي نفسه كذا وهذا يسمي نفسه كذا وتجد كل واحد يريد أن يدافع عن ما يظنه هو الحق الذي هو عليه، وهذا ليس بصحيح، انظر كان رؤوس الكفر يتقاتلون، لما جاء الإسلام اجتمعوا، فالأصل الإجتماع وليس الأصل أن يكون هناك جماعات ويكون هناك اتلاف ويكون هناك أحزاب

ويكون هناك فرق ! لا، الأصل أن ماداموا أهل التزام وأهل دين أن الكل يكونوا على أمر واحد. فهنا ذهبت العداوات بدخولهم في الإسلام، لأن الكل اجتمع على دين واحد وعلى سنة واحدة وعلى إله واحد، فاجتمعت قلوبهم بعد أن كانوا متقاتلين متناحرين، بينهم عداوة وحروب ومقتلة شديدة، كل هذا طُفِئ، وجاء نور من الله عز وجل ، وهو الإسلام، وهو الدين، وهو دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، فبايعهم.

- وهذه مسألة مهمة جدًا أن الناس لابد تنظر عندما يكون الناس ملتزمين وعلى سنة، الأصل الإجتماع، وليس الأصل الإفتراق، كل أحد يعمل له مجموعة! وهذه جماعة كذا وهذه جماعة كذا وهذه لها كذا، وهذه لها مساجد، وهذه لها برنامج، وهذه لها منهج! هذا كله حقيقة يفرق الأمة ما يجمعها في شيء!

فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كبيعة النساء

- **ما هي بيعة النساء؟** المقصود أنه لم يكن هناك أمر بالقتال، فكانت البيعة على عدم الشرك وعدم الفواحش، وهذه الآية خاصة بالنساء. لذا سميت كبيعة النساء، لأن بيعه النساء، على عدم الشرك وعدم الإتيان بالفواحش، ولم يكن هناك بيعة على القتال. ستأتي البيعة على القتال بعد ذلك، أنهم يقاتلون ويناصرون النبي صلى الله عليه وسلم عندما يأتي إليهم. لذلك قال الحافظ:

ولم يكن أُمِرَ بالقتال بعد

- فأصبحت البيعة بيعة سمع وطاعة، والائتمار بالنبي صلى الله عليه وسلم، ونبذ الشرك، ونبذ الفواحش.

فلما انصرفوا إلى المدينة، بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أم مكتوم، ومصعب بن عمير يعلِّمان من أسلم منهم القرآن، ويدعوان إلى الله عز وجل،

فنزلا على أبي أمامة أسعد بن زرارة، وكان مصعب بن عمير يؤمهم، وقد جَمَّعَ بِهِم يومًا بأربعين نفسًا، فأسلم على يَدَيْهِمَا بَشَرٌ كَثِيرٌ منهم:

1-أسيد بن حضير.

2-وسعد بن معاذ.

وأسلم بإسلامهما يومئذ جميع بني عبد الأشهل، الرِّجَالُ والنِّسَاءُ، إلا الأصيرم، وهو: عمرو بن ثابت بن وقش؛ فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد، فأسلم يومئذ، وقاتل فقتل قبل أن يسجد لله سجدة، فأخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "عَمِلَ قَلِيلًا، وَأُجِرَ كَثِيرًا.

- هنا النبي صلى الله عليه وسلم يبين لك أهمية العلم، ما تركهم النبي صلى الله عليه وسلم، هم أسلموا لكن يحتاجوا أن يتعلموا، فهناك ديار أسلمت في المدينة، فأرسل إليهم **(عمرو بن أم مكتوم، ومصعب بن عمير يعلِّمان من أسلم منهم القرآن)**، يبثون العقيدة والإيمان والتوحيد يعلمونهم ما كان موجود من الشرائع، الصلاة طبعًا، يعلمونهم الصلاة، لذلك هو صلى بهم صلاة الجمعة، وكان يؤمهم أول صلاة جمعة بأربعين نفسًا؛ أربعين واحد، في (أسعد بن زرارة)، قال صلوا ذلك، بعض الفقهاء من الشافعية وغيرهم يشترطون بأن الجمعة لا تقل عن أربعين حتى تكون جمعة صحيحة، ألا تقل عن أربعين مستوطن، أي من أهل البلد وليس مقيم. فعندنا مستوطن ومقيم ومسافر، فيكون مستوطن من أهل البلد لا يقل عن أربعين حتى تصح صلاة الجمعة، على هذا النص أنها كانت أول جمعة، وإن كان فيه نظر، لأن الصحيح غير ذلك.

- وكما قال أسلم على يديهما (مصعب بن عمير) وكان هذا فتح عظيم، و(أسيد بن حضير)، و(سعد بن معاذ)، كانا سيدا في قومهم، أي كان لهم سيادة في قومهم. لذلك عندما أسلم (أسيد بن حضير) و(سعد بن معاذ) دخل كل قومهم في الإسلام بعد ذلك، كانوا كبراء القوم، رجالًا ونساء.
- قال: (**إلا الأصيرم، وهو: عمرو بن ثابت بن وقش؛ فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد**)، و(الأصيرم) لم النبي صلى الله عليه وسلم إلا يوم أحد، وله قصة، قال: (وأسلم يومئذ وقاتل، وقُتِل قبل أن يسجد الله سجدة)، أي هنا كانت المعركة فأسلم، وتقدم فقاتل فقُتِل، فلما أُخبِر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، الحافظ نقل كلمة هي ليست في هذا الحديث سنبينها قال: (**عَمِلَ قَلِيلًا، وَأُجِرَ كَثِيرًا**).
- وقصة (الأصيرم) صحيحة، لكن اللفظ الذي قاله: (**عَمِلَ قَلِيلًا، وَأُجِرَ كَثِيرًا**) هي لقصة أخرى، والقصة أن هناك رجل ذكره في السنن من إسناد جرير بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: [خرَجْنا مع رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فلمَّا برَزْنا مِنَ المدينةِ، إذا راكِبٌ يُوضِعُ نَحوَنا، فقالَ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: كأنَّ هذا الرَّاكِبَ إيَّاكم يُريدُ. قال: فانتَهى الرَّجُلُ إلينا، فسلَّمَ، فرَدَدْنا عليه، فقال له النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: مِن أين أقبَلْتَ؟ قال: مِن أهلي ووَلَدي وعَشيرَتي. قال: فأين تُريدُ؟ قال: أُريدُ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ. قال: فقد أصَبْتَهُ. قال: يا رَسولَ اللهِ، علِّمْني ما الإيمانُ؟ قال: تَشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ مُحمَّدًا رَسولُ اللهِ، وتُقيمُ الصَّلاةَ، وتُؤتي الزَّكاةَ، وتَصومُ رَمضانَ، وتَحُجُّ البَيتَ. قال: قد أقرَرْتُ. قال: ثم إنَّ بَعيرَهُ دخَلَتْ يَدُهُ في شَبَكةِ جُرذانٍ، فهَوى بَعيرُهُ، وهَوى الرَّجُلُ، فوقَعَ على هامَتِهِ، فماتَ، فقال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: علَيَّ بِالرَّجُلِ. قال: فوثَبَ إليه عمَّارُ بنُ ياسِرٍ وحُذَيفةُ، فأقعَداهُ، فقالا: يا رَسولَ اللهِ، قُبِضَ الرَّجُلُ. قال: فأعرَضَ عنهما رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ثم قال لهما رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أمَا رَأيتُما إعراضي عنِ الرَّجُلِ؟ فإنِّي رَأيتُ مَلَكَيْنِ يَدُسَّانِ في فيهِ مِن ثِمارِ الجنَّةِ، فعلِمتُ أنَّهُ ماتَ جائِعًا. ثم قال رَسولُ اللهِ

صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: هذا واللهِ مِنَ الذين قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام: 82]. قال: ثم قال: دونَكم أخاكم. قال: فاحتَمَلْناهُ إلى الماءِ، فغَسَّلْناهُ، وحَنَّطْناهُ، وكَفَّنَّاهُ، وحَمَلْناهُ إلى القَبرِ، قال: فجاءَ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حتى جلَسَ على شَفيرِ القَبرِ، قال: فقال: ألْحِدوا ولا تَشُقُّوا؛ فإنَّ اللَّحدَ لنا، والشَّقَّ لِغَيرِنا. ثم قال هذا ممن عمل قليلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا.]

- فبعض أهل العلم صححوا أن الجملة التي ذكرها الحافظ هنا تخص هذه القصة، وليست قصة (الأصيرم)، وكان (الأصيرم) قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم في رواية "مات ولم يسجد الله سجده"، أو "دخل الجنة ولم يسجد لله سجده"، أيًا كان، الجملة هذه تخص كما ذكرالحافظ أو تخص قصة الرجل الثاني. وسواء قصة (الأصيرم)، أو قصة هذا الرجل، فيها عبر عظيمة جدًا حقيقة؛ أن العبرة بالخواتيم، وأن المرء عليه ألا يغتر بنفسه إن كان على طاعة أو على اجتهاد، فيحمد الله على ذلك ويستمر عليه، فإن العبرة بالخواتيم، وإن كان على غير ذلك فمازال معه الوقت والزمن أن يتوب ويرجع ويستغفر الى الله عز وجل، فالعبرة بالخواتيم، ولا يقول فات ما فات من عمري وفعلت ما فعلت، لكن العاقل أن يستفيد بأنه إن كان محسنًا يجتهد في الإحسان ويستمر عليه فيما بقي، وإن كان غير ذلك فعليه أن يرجع ويتوب، وإن كان مفرطا فيرجع ويستغفر ويتوب إلي الله عز وجل، فالله عز وجل يحاسب على ما ختم عليه المرء.
- وهذه من الأهمية بمكان، قصة لـ (الحسن البصري) رحمه الله لقى رجلًا فقال له: كم تبلغ من العمر؟ قال: أبلغ ستين سنة، قال: أوما علمت أنك في طريق وقد أوشكت أن تبلغ نهايته؟ قال الرجل: " إنا لله وإنا إليه راجعون"، قال: أو تعرف تفسيره ؟ قال الرجل: وما تفسيره؟ قال: "إنا الله": أي أنا لله عبد، وإنا إليه راجعون": أي أنا لله راجع، فإذا علمت أنك لله عبد وأنك إليه راجع فاعلم أنه سائلك، وإذا علمت أنه سائلك فأعد للمسألة جوابا، قال الرجل:

وما الحيلة؟ قال الحيلة يسيرة، قال: وما هي ؟ قال "أحسن فيما بقي يغفر لك ما قد مضى، فإنك إن أسأت فيما بقي أخذت فيما بقي وفيما مضى.

- فالنبي صلى الله عليه وسلم لما قال: "عمل قليلًا وأجر كثيرًا"، إذًا المسألة ليست في كثرة الأعمال فقط، نعم لا شك أن كثرة الطاعة يزيد بها الإيمان وتزيد بها الموازين، لكن هذا الرجل دخل الجنة بعمل واحد؛ بقتال، أسلم وقاتل، وقد يدخل الجنة بشهادتين، نطق الشهادتين وما فعل شيء، لكن هو هذا فعل لأنه قاتل في سبيل الله، والثاني الذي على الناقة ما كان قتالًا، لكن أقَرّ، قال: "أقررت"، وهذا معناه أنه دخل الإسلام أنه أقر بما قاله النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه سأله على الإيمان فقال: "أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان".
- قال: "أقررت" فعَدَّ ذلك إسلامًا، بل قال: "عمل قليلًا وأجر كثيرًا"، الحق أن الشهادتين في الميزان عظيمة جدًا، كما في حديث البطاقة أنها نجت الرجل من النار مع أنه عنده ما عنده ، وهذا أدخلته الجنة بالشهادتين وبإقراره بذلك.
- لكن هنا قلت الرواية الثانية لما قال (أبو هريرة): [حدِّثوني عن رجلٍ دخل الجنَّةَ ولم يُصَلِّ صلاةً]، فسألوه من؟ قال: (الأصيرم).
- **أسأل سؤال في العقيدة**: لما جاء الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم قال: ما الإيمان؟ فقال له: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتحج البيت، وتصوم رمضان. ما الفائدة المستنبطة من سؤال الرجل وإجابة النبي صلى الله عليه وسلم لما قال له ذلك؟

الجواب: هو قال له ما الإيمان؟ عرَّف له الإيمان بماذا؟ لو تذكرون حديث جبريل لما قال: ما الإسلام؟ قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال له ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله.... "حديث جبريل". وهنا لما قال له ما الإيمان؟ ذكر له الإسلام؛ وهو الأعمال

الظاهرة، **فهنا يدل على أن الإسلام والايمان إذا افترقا اجتمعا، وإذا اجتمعا افترقا**؛ أي اذا جاء الإسلام منفرد يكون بمعنى الإيمان، والإيمان يكون بمعنى الإسلام، لأن هنا النبي صلى الله عليه وسلم ذكر لما قال له ما الإيمان؟ ذكر له الإسلام. وأيضًا يستنبط منها بأن الإيمان كالإسلام أيضًا في الأعمال الظاهرة، لأن هنا ذكره، فالإيمان فيه أعمال ظاهرة وأعمال باطنة، وليس أعمال باطنة فقط، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما قال له ما الإيمان؟ قال له صلاة وصوم وحج، وهذه كلها أعمال ظاهرة. إذًا الإيمان كما عند أهل السنة والجماعة باطن وظاهر، أعمال باطنة وأعمال ظاهرة، لكن الفائدة هنا أن الإيمان قد يأتي بمعنى الإسلام، والإسلام قد يأتي بمعنى الإيمان، وهذا أن الإيمان والإسلام إذا إجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا.

وكَثُرَ الإسلام بالمدينة وظَهَرَ، ثُمَّ رجع مصعب بن عمير إلى مكة

- طبعًا نحن مررنا لكي نبين لكم مسألة أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل (مصعب بن عمير) وأرسل (عمرو بن أم مكتوم) ليعلموا الناس، وأن المسألة لابد لها من علم، إذا أردت أن تنشر الدين لابد تنشره بعلم، فالنبي صلى الله عليه وسلم ما تركهم هكذا يتعبدون! لا، أرسل لهم من يعلمهم، وهذا يبين لك عِظَم العلم، وعِظَم من يعلم الناس ويبلغ الناس الدين ويؤصل لهم التأصيلات الصحيحة، ويجعلهم على العقيدة الصحيحة، وهذا اهتمام للعلم كما بينا من أول السيرة في أول نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: { ٱقۡرَأۡ} وبينا أهمية العلم في ذلك.

وكَثُرَ الإسلام بالمدينة وظَهَرَ، ثُمَّ رجع مصعب إلى مكة، ووافي الموسم ذلك العام خلق كثير من الأنصار من المسلمين والمشركين، وَزَعِيمُ الْقَوْمِ: الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُور رضي الله عنه.

- هنا انتبهوا، هذه بيعة العقبة الثانية، أنه رجع في الموسم من أهل المدينة، وهنا قال: "من الأنصار"، وطبعًا فيه نظر لأنهم لم يكن سموا أنصار بعد، لكن هنا الحافظ تجوزًا لو قلنا **(خلق كثير من الأنصار)** لأنه قال: **(من المسلمين والمشركين)**، وهذه فيها نظر لأن الأنصار ليسوا من المشركين، حتى لا أدري أحد علق عليها في شروحات له أم لا، لكن هي فيها نظر والله أعلم، لأنه قال: **(خلق كثير من الأنصار من المسلمين والمشركين)** لأنه وقتها لم يكن سُموا الأنصار.
- لكن هذا العام وهو الثاني عشر من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه تسمى: "بيعة العقبة الثانية" وبعض الصحابة كانوا يسمونها: "بيعة الحرب" لأنهم بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم هذه البيعة ليست كبيعة النساء الأولى، بيعة على النصرة والقتال في سبيل الله عز وجل، وقد ورد في مسند الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت وهو أحد الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم في هذه البيعة قال أنه كان يسميها "بيعة الحرب" بخلاف بيعة النساء على عدم الشرك واجتناب الفواحش، أما هذه الثانية كانت على النصرة.
- والبيعة هذه حقيقة من أهم الحوادث التي لها تأثير قوي جدًا في بناء الدولة الإسلامية، حتى أن (كعب بن مالك) رضي الله عنه، وهو ممن شهد بدر، لكنه جاء في الصحيحين عن كعب ابن مالك قال: [ولقَدْ شَهِدْتُ مع النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لَيْلَةَ العَقَبَةِ، حِينَ تَوَاثَقْنا علَى الإسْلامِ، وما أُحِبُّ أنَّ لي بها مَشْهَدَ بَدْرٍ وإنْ كانَتْ بَدْرٌ أذْكَرَ في النَّاسِ مِنْها]، كأنه يرى بأن بيعة العقبة هذه تعادل بدر. والحق لو نظرت أنها بداية البيعة والنصرة للنبي صلى الله عليه وسلم، وهذه بيعة العقبة الثانية، ولها مكانة عظيمة جدًا، لولا أن بدر طبعًا كان فيها قتال وأول مقتلة، لكن يبين لك عِظَم بيعة العقبة الثانية.

فلما كانت ليلة العقبة – الثلث الأول منها – تسلّل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان

- يذكر لنا هنا الحافظ كيف تمت بيعة العقبة. جاؤوا الأوس والخزرج مسلمين ومشركين معًا إلى مكة، ولم يكن أهل الشرك يعلمون بحال أهل الإسلام، لكن كلهم كانوا الأوس والخزرج، فلما جاءت الليلة، تسللوا من مكان من معهم وذهبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم خُفية من قومهم ومن كفار مكة

- انظر هنا "خفية" أي يستخفون من المشكرين من المدينة الذين كانوا معهم، ومن كفار مكة

على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأزْرَهُم

- فهنا أعطوه البيعة على النصرة، أي كما ينصرون قومهم وأبائهم وأموالهم وأملاكهم من الدواب وغير ذلك والأنفس، (أزرهم أي الأنفس)، فهم أعطوه البيعة على ذلك أيضًا على أنه إذا أصاب النبي صلى الله عليه وسلم شئ يدافعوا عنه، وهذه أصل البيعة التي سيهاجر عليها النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة بعد ذلك، لأنهم أعطوه البيعة على ذلك فلما هاجر إليهم في المدينة كان عليهم واجب النصرة للنبي صلى الله عليه وسلم وحمايته.

وكان أول من بايعه لَيْلَتَئِذٍ : البَرَاءُ بنُ مَعْرُورٍ. وكانت له اليد البيضاء، إِذْ أَكَّد العقد، وبادر إليه.

- لأن (البراء) كان سيد في قومه، وهو أول من سارع إلى مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ يده، فلما النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليهم البيعة قال: [فوالَّذي بعثَكَ بالحقِّ لنمنعنَّكَ ممَّا نمنَعُ أزُرَنا ، فبايِعنا يا رسولَ اللهِ ، فنحنُ – واللهِ – أبناءُ الحروبِ]، وهذه كانت كلمة عظيمة لـ (البراء بن معرور)، هو بادر بذلك، فكأنه يقر للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه مستعد للقتال معه في أي شئ. ولما حدث ذلك، بادر طبعًا من معه ببيعة على بيعة (البراء).

وحضر العبّاسُ عَمُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مُوَثّقاً مؤكداً للبيعة

- هنا (العباس) رضي الله عنه حضر، قال: **(مُوَثّقًا مؤكدًا للبيعة)** ليطمئن على حال النبي صلى الله عليه وسلم. هنا (العباس) كان يقوم بدور (أبو طالب)، لما مات (أبو طالب)، (العباس) لم يكن على الإسلام، لكن أيضًا كان يحب نصرة النبي صلى الله عليه وسلم، فحضر تلك البيعة ولم يكن مسلمًا، لكن أراد أن يطمئن على النبي صلى الله عليه وسلم أن هؤلاء القوم سينصرونه ويؤازرونه ويساعدونه، لكنه أراد نصرة النبي صلى الله عليه وسلم كما كان (أبو طالب) ينصره، وهو عم للنبي صلى الله عليه وسلم فأراد أن يطمئن، فجلس وحضر حتى أنه قال له: إن هذه الوجوه لم نكن نعلمها" من الأوس والخزرج، شباب حضروا، لكنه أراد أن يطمئن.

واختار رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم تلك الليلة اثني عشر نقيبًا

- قال النبي صلى الله عليه وسلم: أخرجوا منكم إثني عشر نقيبًا، ما معنى نقيب؟ كأنهم هيكون لهم المسؤولية والقيادة، هم المسؤولين أمام النبي صلى الله عليه وسلم ومسؤولين عن قومهم.

فأخرجوا

1-أسعد بن زرارة بن عدس.

2-وسعد بن ربيع بن عمرو.

3-وعبد الله بن رواحة بن امرىء القيس.

4-ورافع بن مالك بن العجلان.

5-والبراء بن معرور بن صخر بن خنساء.

6-وعبد الله بن عمرو بن حرام، وهو والد جابر. وكان قد أسلم تلك الليلة رضي الله عنه.

- و(عبد الله بن عمرو بن حرام) هو والد جابر، و(عبد الله بن حرام) له قصة في استشهاده وفي إكرام الله عز وجل له، وقد جاء لمكة حاجًا على الشرك، ثم أسلم بعد ذلك لما سمع النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة وكان جاء مشركًا بخلاف الباقي جاؤوا مسلمين، وجاءوا للنبي صلى الله عليه وسلم يبايعونه، أما (عبد الله بن حرام) فقد جاء مشركًا وأسلم في ليلتها.

7-وسعد بن عبادة بن دُلَيم.

8-والمنذر بن عمرو بن خنيس.

9-وعبادة بن الصامت.

فهؤلاء تسعة من الخزرج.

ومن الأوس ثلاثة، وهم:

10-أُسَيْدُ بن الحضير بن سِماك.

11-وسعد بن خيثمة بن الحارث.

12-ورفاعة بن عبد المنذر بن زبير.

والمرأتان هما:

1-أم عمارة: نُسيبة بنت كعب بن عمرو، التي قتل مسيلمة ابنها حبيب بن زيد بن عاصم بن كعب.

2-وأسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي.

- نسيبة (أم عمارة) كانت لها أعمال في الإسلام بعد ذلك -رضي الله عنها- لها ابن(حبيب)، وله قصة في مقتله، مسيلمة الكذاب قتله وأتى به وقال: تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أشهد، قال: تشهد أني رسول الله؟ قال: لا أسمع لا أسمع، أصم، فيكررها عليه ثلاثًا، فيشهد في الأولى ويسمعه في الثانية لما يقول له (مسيلمة) قال لا أسمع، أي كأنه لا يقبل، فقتله (مسيلمة الكذاب) قتلًا شديدًا ومثَّل به، لذلك قال الحافظ: **(التي قتل مسيلمة ابنها حبيب بن زيد بن عاصم بن كعب)**. وهي كانت من المجاهدات؛ كانت تجاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم، وحتى أيضًا جاهدت (مسيلمة) نفسه، في قتال (مسيلمة الكذاب) أصالة. هذه المرأة الأولى.
- والمرأة الثانية كانت (أسماء بنت عمرو بن عدي) رضي الله عنها.
- انظر أول لما بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم ماذا أرادوا؟ قال:

فلما تمت هذه البيعة، استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يميلوا على أهل العقبة

- **(يميلوا على أهل العقبة)**: أي مجرد ما بايعوا لا يريدوا أن ينتظروا، أرادوا أن يقاتلوهم على الفور، وفيها حمية للدين، وبيان للإخلاص والنصرة للنبي صلى الله عليه وسلم، فلم يأذن لهم في ذلك، لأنه لم يكن أُذِن للنبي صلى الله عليه وسلم بالقتال، وهذا يبين لك أن المسألة لابد أن يُرجَع فيها أولا لأهل المشهورة وأهل العلم، وما فعلوا، المسألة ليست من عند رأسك، أنت الذي تتقرر ماذا تفعل وماذا لا تفعل! لا، لابد من استشارة أهل العلم وخاصة لو كان

كما كان هنا النبي صلى الله عليه وسلم كان قائدهم، وولي أمرهم، فاستأذنوه أن يميلوا على أهل العقبة.

- وهم أرادوا بذلك لاشك أن يبينوا أنهم أهل للنصرة والقتال وأنهم لا يخافون من شيء، وأول شيء أنزلوا على أهل العقبة الموجودين كلهم، قاتلوهم، فلم يأذن لهم...لماذا؟ لأنه لم يؤمر للنبي صلى الله عليه وسلم وقتها بالقتال، وهذا يبين لك بأن الأمر لابد أن يرجع فيه للشرع فيها، ليست للحمية ولا العاطفة، أي لو كان الجهاد يحقق المصلحة الشرعية فيُفعَل، وإن كان الآن لا يفيد في الشرع ويقول من يرى العلم بالشرع لا يُفعَل، وهكذا، لأن المسألة ليست عاطفة وحمية أنك تفعل الشيء. فلم يؤذن له بذلك لأن الله لم يكن أذن للنبي صلى الله عليه وسلم في القتال بعد، كان لا يزال في مكة وكانت المسألة على الدعوة فقط، بل قال لهم: "لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم"، يرجع المسألة للدين، وجدت في الدين أمر، تفعل، ما وجدت في الشرع، إذًا المسألة ليست من رأسك! قال: "لم نؤمر بذلك"؛ علق المسألة على الشرع، على الأمر، يأتيه الأمر بأن يقاتل أم لا يقاتل. طبعًا هذا وقتها كان نزول الشريعة، الأمر الآن أكتمل، لكن نحن نستفيد أن هذه المسائل يرجع فيها للشرع.
- قال: **(فلم يأذن لهم في ذلك)**، وقيل أن كفار قريش لما أصبحوا سمعوا بهذه البيعة أو سمعوا كلام، فذهبوا إلى مشركي المدينة يخبرونهم بأن أناس منكم قابلوا النبي صلى الله عليه وسلم وبايعوه، والمشركين لم يكونوا يعلمون حقًا، فنفوا ذلك، لأنهم ما شهدوا ذلك أصالة أنهم رأوا، وحتى المسلمين كانوا ينظرون بعضهم إلى بعض؛ هل سيكشف أمرهم أم لا؟! فلم يكشف الأمر، أهلهم من الكفار أجابوا عنهم أن هذا لم يحدث فنفوا، فانتهى الأمر ورجعوا إلى المدينة بعد ذلك.

بل أذن للمسلمين بعدها من أهل مكة في الهجرة إلى المدينة، فبادر الناس إلى ذلك، فكان أول من خرج إلى المدينة من أهل مكة : (أبو سلمة) بن عبد الأسد، هو وامرأته أم سلمة، فاحتُبِست دونه، ومنعت سنة من اللحاق به، وحيل بينها وبين ولدها

- طبعًا قصة (أم سلمة) و(أبو سلمة) رضي الله عنهما وكان (سلمة) ابنهم معهم، أرادوا أن يهاجروا، فلما خرج (أبو سلمة)، طبعًا (أم سلمة) أصبحت زوجة للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بعد وفاة (أبو سلمة) رضي الله عنهم، أراد أن يهاجر، أولًا خرج قوم (أم سلمة)، فلما أراد قالوا تخرج أنت تريد أن تهاجر هاجر، لكن لن نتركك تهاجر بإبنتنا (أم سلمة)، فمنعوه أن يهاجر بـ (أم سلمة) وكان معها (سلمة)، فهاجر (أبو سلمة) فجاء قوم (أبو سلمة) – كله حمية– لما علموا بأنهم منعوا (أم سلمة) من الهجرة مع (أبو سلمة) ومعهم (سلمة) أرادوا أن يأخذوا (سلمة) لأنه هو ابنهم كما يقال، حتى تنازعوا مع قوم (أم سلمة) حتى خلعت كتف الولد (سلمة) رضي الله عنه في ذلك، فأخذوا الولد وظل الولد معهم، وهي في دارها مع أهلها عامًا كاملًا، وتبكي عليه، ثم رق الحال بينهما، فأعطوها الولد وأجازوا لها أنها تهاجر تلحق بـ (أبو سلمة) بعد ذلك بعد عام.
- قال: **(ومنعت سنة من اللحاق به، وحيل بينها وبين ولدها)**، هي قصة عجيبة جدًا سبحان الله هذه القصة؛ أي الرجل وامرأته والإبن الثلاثة انفصلوا عن بعض سنة، وكله بسبب الدين، الولد صغير، والصحابي يريد أن يهاجر فهو هاجر، فجاء أهل زوجته منعوها، قالوا لا تأخذ ابنتنا، فجاء أهله أخذوا الولد من أمه ردًا على منع زوجت؛ (أم سلمة) أن تسافر، فأصبحت (أم سلمة) في دار، والولد في دار، و(أبو سلمة) في دار، وكل هذا تضحية لدين الله عز وجل، أسرة فرقت ثلاثا، لكن كتب الله عز وجل لهم بعد ذلك الاجتماع. وحتى قصة هجرة (أم سلمة) أيضًا قصة فيها فوائد حقيقة.

ثم خرجت بعد السنة بولدها إلى المدينة، وشَيّعَهَا عثمان بن طلحة. ويقال: إنَّ أبا سلمة هاجر قبل العقبة الأخيرة. فالله أعلم. ثم خرج الناس أَرْسَالًا، يَتْبَعُ بعضُهم بعضًا

- طبعًا هنا (عثمان بن طلحة) وكان لما أرادت أن تهاجر (أم سلمة) وأخذت الولد فحملت ابنها وأرادت أن تخرج، ولما وصلت للتنعيم لقيت (عثمان بن طلحة العبدري)، وهو كان من حُجَّاب البيت، يسمى: "حاجب البيت"، وكان وقتها مشرك، رضي الله عنه، بعد ذلك أسلم، فقال: إلي أين؟ قالت: إلي زوجي في المدينة، قال: لن أتركك تذهبين وحدك، هو مشرك وهي على الإسلام، فأخذ البعير ومضى يقود البعير بها وكان خمسة عشر ليلة، أي هو ما أراد أن يتركها تسافر مهاجرة؛ امرأة مع الطفل وتسافر خمسة عشر ليلة على الدابة، حتى قالت: [والله ما رأيت مثله صاحب]، مع أنه كان وقتها على الشرك، لكن هذه أفعال فيها نوع من النخوة، فيها نوع من المروءة، نوع من الأعراف والأخلاق الحسنة، وكان في الجاهلية بعض ذلك.
- فإذا كان كفار قريش لما اجتمعوا على مقتل النبي صلى الله عليه وسلم –كما سيأتي– ذاهبين ليقتلوا الرسول، ليس هناك ذنب أفظع من ذلك، فهذا كفر منفصل لوحده؛ قتل نبي، وبعد ذلك على ما ورد في بعض السير أنهم قالوا: "ما جئنا لنروع بنات محمد" قالوا جئنا نقتله فقط لكن لا نروع البنات، مع أن هذا مقتل نبي!
- وهذا حتى لا تجده في زماننا، أي أن كفار قريش كان عندهم أخلاقيات مع أنهم كفار، ويقتلوا النبي واجتمعوا على ذلك، لكن بقي عندهم نخوة في بعض الأمور وفي بعض الأخلاق، بخلاف ما تجده في بعض الأناس الذين يدَّعون الإسلام وحتى ما يعطونا هذه المرؤات والأخلاق حتى للنساء في التعامل معهم ولا غير ذلك.
- فقالت: (والله ما رأيت مثله صاحب)، فجعلها تركب، وقالت: (إذا أدركنا الليل أناخ البعير ويقول انزلي)، ثم يأخذ البعير بعيدًا عنها، يأخذه وينزل لها الرحل مثل الهودج والرحل الذي

تجلس داخله، ثم يتنحى هو بعيدًا وينام ويجعلها في الرحل، حتى لما يأتي ضوء الشمس يستيقظ، ويأتي بالبعير ثم يضع الرحل ويتركها تركب ثم يقودها ويمضي، وقال: (حتى لما أشرفنا على قباء –داخل المدينة– وقال زوجك في هذه المنازل ادخلي على بركة الله)، قال: "ورجع إلى مكة"، التف ورجع مرة أخرى، قد أدى ما عليه، وكان وقتها على الشرك رضي الله عنه، لكن كانت عنده رحمة ورأفة وأخلاق كما قلنا قلما تجدها الآن عند بعض من يدَّعون الإسلام. **(ويقال: إنَّ أبا سلمة هاجر قبل العقبة الأخيرة. فالله أعلم. ثم خرج الناس أَرْسَالًا، يَتْبَعُ بعضُهم بعضًا)**.

- وهنا أذن النبي صلى الله عليه وسلم للناس أن تهاجر لأنهم هاجروا أولًا ثم النبي صلى الله عليه وسلم لحقهم بعد ذلك –كما سيأتي معنا الآن–.
- لكن هنا حقيقة أنت تنظر لأمر قبل أن نتكلم في الهجرة مسألة أن النبي صلى الله عليه وسلم لو نظرت في الأجزاء السابقة أنه أوذى كثيرًا في قريش، ومع ذلك كان يدعو أهل قريش، فلما اشتد عليه ما توقف عن الدعوة، خرج يدعو كما جاء معنا في قصة الطائف، ولقي ما لقي من أهل الطائف، بل حتى كان من أشد الأيام على النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، وكان هذا بعد وفاة (أبو طالب) ووفاة (خديجة) رضي الله عنها، ثم حادثة الإسراء والمعراج، ومع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ما توقف أيضًا عن دعوة الناس لما كانوا يأتون إلى الموسم في مكة.
- والعجب انظر إلى أن ما عليك إلا أنك تأخذ بالأسباب وتبلغ، أما الاستجابة من أين ستأتي؟ لا تعلم. الآن لو جدنا قبل الهجرة أن الذين استجابوا من؟ أهل المدينة، الذين يبعدون عن المكة ب 400 كيلو تقريبًا عندما يأتوا في الموسم يسمعون فاستجابوا، والنبي صلى الله عليه وسلم يكلم أهل مكة؛ أهل قريش، فوق العشر سنوات إلى الهجرة، ثلاثة عشر عامًا، وخرج لحوالي قريش ومكة في الطائف، ومع ذلك ما توقف، عندما كان يأتوه أهل المدينة وغيرهم يعرض عليهم.

- فالله عز وجل اختار لنبيه أن الذي يجيبونه هم أهل المدينة؛ الأوس والخزرج، وهم كفار أيضًا، بل كانوا يأتون إلى الحرم مشركين، وكان قريش مشركين، والطائف مشركين، لكن أنت لا تعلم ولا النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم من الذي سيستجيب له، من الذي سينصره ويؤيده ويدخل، الكل كانوا على الشرك، لكن الله عز وجل يبين بأنه أنت ما عليك إلا البلاغ، { إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ} [القصص:]، والنبي صلى الله عليه وسلم ما توقف، ثم جاءه النصرة والتأييد من أهل المدينة، أن يستجيبوا ويأتوا بيعة أولى ثم بيعة ثانية ثم ينتشر الإسلام في المدينة.
- والذي يدلك على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم بذلك لأنه لم يكن يعلم أن هجرته ستكون للمدينة، بل قال: أُريتُ أني سأهاجر أو انتقل إلى بلد فيها أشجار ظننت أنها اليمامة]، فكانت يثرب؛ المدينة، وهذا يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يعلم، لكنه كان مأمورًا أن يدعو، فكان يدعو.
- وهذا الذي عليك، أنت لا تعلم من أين سيأتيك النصر ولا من الذي يؤيدك أو يقف بجانبك، لكن أنت ما عليك إلا أنك تعمل، ما تقف في هذا الطريق، يأتيك من أين التوفيق والسداد والنصر؟ هذه ليست لك. الله اصطفى أهل المدينة أنهم هم الذين يعاونون، ثم الأنصار بعد ذلك، ويكون هو موطن بناء الدولة الإسلامية، وما أراد أن تكون مكة نفسها، أو حتى الطائف، أو غير ذلك.
- وهذه حقيقة تبين لنا أيضًا لابد أن نبين **فضل الأنصار** الذين استجابوا لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم وإن كانت كونية وشرعية، لكن أيضًا هؤلاء لهم فضل عظيم، هم الذين استجابوا حقًا للنبي صلى الله عليه وسلم، كانوا البلد الذين دعوا للإسلام الوحيدة في وقت قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم هي المدينة الذي دخل فيها الإسلام، وأصبح يدعى فيها وأصبح أهل المدينة على الإسلام، لذلك الأنصار لهم فضل عظيم جدًا، ولهم مكانة، ولهم مناقب.

- قد جاءت السنة كثيرة طافحة والآيات بفضل الأنصار، وسأذكر موقفين يبين أنك لما تسمع هذا الكلام من النبي صلى الله عليه وسلم في حق الأنصار تتمنى أنك لو كنت من الأنصار في هذا الوقت، وهو حديث عن أنس ابن مالك رضي الله عنه وأرضاه: [قَالَتْ الْأَنْصَارُ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَأَعْطَى قُرَيْشًا وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا هُوَ الْعَجَبُ إِنَّ سُيُوفَنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَاءِ قُرَيْشٍ وَغَنَائِمُنَا تُرَدُّ عَلَيْهِمْ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَا الْأَنْصَارَ قَالَ: فَقَالَ مَا الَّذِي بَلَغَنِي عَنْكُمْ وَكَانُوا لَا يَكْذِبُونَ، فَقَالُوا هُوَ الَّذِي بَلَغَكَ قَالَ أَوَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ بِالْغَنَائِمِ إِلَى بُيُوتِهِمْ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بُيُوتِكُمْ، لَوْ سَلَكَتْ الْأَنْصَارُ وَادِيًا أَوْ شِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ أَوْ شعبهم] انظر يقول هم أخذوا الدنيا، تُخيرون بين أن أرجع معكم أم تأخذون الغنائم.
- ثم عن عبد الله بن زيد بن عاصم الله – وهذه في حنين وهذه أشد، انظر لهذا الكلام في غزوة حنين كانت بعد فتح مكة –سيأتي هذا الكلام– وأن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ غنائم كثيرة فيها، وكان هناك مسلموا الفتح؛ حديثوا عهد بكفر –كما يقال– أي كانوا ما زالوا على الكفر وأسلموا، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤلف قلوب كثير منهم فأعطى كثير منهم ولم يعطي للأنصار كثيرا:[لَمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ فَخَطَبَهُمْ،] وبعضهم الذين قالوا هذا الكلام صغار الأنصار، ليسوا كبار الأنصار في رواية أخرى، أي الشباب تعجلوا في الكلام، أما الكبار سكتوا، لأنهم يعلمون القدر –حكمة موجودة – [فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي وَكُنتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللهُ بِي وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُ] أي ينسبون المنة لله ورسوله، يذكرهم بما كانوا عليه من حال، ثم انظر النبي يقول [قَالَ مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]، أي ردوا عليّ ما الذي يمنعكم، طبعًا ما كانوا يردون على النبي صلى الله عليه وسلم لكن أراد أن يبين لهم، قَالَ: [كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا

قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُ ؟ قَالَ لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رِحَالِكُمْ، لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ وَلَوْ سلكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِي الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الْأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ]، الناس شعار: الشعار: هو ما يلي الجسد من الملابس (الداخلي)، والدثار هو الأعلى، هو يريد أن يقول أي الأنصار شعار أي هم الألصق بي، أي هم أقرب الناس إليّ، وهنا في الرواية الثانية لما قال: [أَلَا تُحِيبُونَنِي أَلَا تَقُولُونَ أَتَيْتَنَا طَرِيدًا فَاوَيْنَاكَ وَأَتَيْتَنَا خَائِفًا فَآمَنَّاكَ]، وطبعًا هم ما قالوا ذلك، ما يستطيعوا أن يقولوا ذلك، لكن انظر للنبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يقول لهم انتم ممكن أن تقولوا ذلك. الشاهد أنه قال: [سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ] وهذه منقبة أيضًا للأنصار، أنهم سيلقون النبي صلى الله عليه وسلم على الحوض.

- وقال النبي صلى الله عليه وسلم: [آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأنصار]. لتعلم أن الذين يسبون الصحابة (مهاجرين وأنصار) لكن الذين يسبون الصحابة رضوان الله عليهم لما يقول [آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأنصار] اعلم بأن من يسب الصحابة هو منافق، ومن سبهم لدينهم فيكفر بذلك، لأن الله قد عدلهم ورضي عنهم، وذكر لك في القرآن، ومن سب طبعًا عائشة واتهمها بما اتهمها و(أبو بكر) و(عمر) فهو كافر أيضًا لأنه كذب ما جاء في القرآن ، هؤلاء الروافض الذين يفعلون ذلك يتقربون الى الله بسب عائشة واتهامها ويلوثون عرضها وعرض النبي صلى الله عليه وسلم، بل يحرفون القرآن، يقولون القرآن عند فاطمة هو القرآن الصحيح وهذا الموجود هو ثلث قرآن والباقي محرف، كل هذا كفر، من يقول ذلك فهذا كفر، لأن هذا كله مصدق في كتاب الله عز وجل المتواتر القطعي، ومعلوم من الدين بالضرورة، لتعلمون عِظَم حب الصحابة والتقرب إلى الله عز وجل بذلك.

- قال (البراء) أيضًا عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: [الْأَنْصَارُ لا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ]. أيًا كان سيأتي إن شاء الله أكثر من ذلك، لكن نحن نبين عِظَم ما فعله الأنصار مع النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ننتقل إلى مرحلة الهجرة، وفيها طبعًا مسائل سنقرأها الآن.
- في مسألة الكوني والشرعي؛ الفرق أن (أبو طالب) نصر كونًا وحمية وليس دينًا، ما استجاب شرعًا، والأنصار استجابوا شرعًا وكونًا، الله أراد لهم شرعًا الإيمان فآمنوا، وأراد لهم كونًا أن يكونوا هم النصراء للنبي صلى الله عليه وسلم فكانوا كذلك.

فصل: هِجْرَةُ رَسُولِ الله ﷺ

ولم يبق بمكة من المسلمين إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وعلي – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا، أَقَامَا بأمره لَهُمَا، وخلا من اعتقله المشركون كرهًا. وقد أَعَدَّ أبو بكر رضي الله عنه جهازه، وَجَهَازَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، منتظراً حتى يأذن الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم في الخروج.

فلما كانت ليلةٌ: هَمَّ المشركون بالفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم، وَأَرْصَدُوا على الباب أقوامًا، إذا خرج عليهم، قتلوه، فلما خرج عليهم، لم يره منهم أحد .

وقد جاء في حديث: أنه ذَرَّ على رأس كل واحد مِنْهُمْ تُرَابًا، ثُمَّ خَلُص إلى بيت أبي بكر رضي الله عنه ، فخرجا من خَوْخَةٍ فِي دَارِ أبي بكر ليلا،

وقد استأجرا عَبْدَ اللهِ بنَ أُرَيْقِط، وكان هاديًا خريتًا، ماهرًا بالدلالة إلى أرض المدينةِ، وَأَمَّنَاهُ عَلَى ذَلِكَ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، وَسَلَّمَا إِلَيهِ راحلتيهما، وواعداه غارَ ثَوْرٍ بعد ثلاث، فلما حصلا في الغار، عَمَّى الله على قريش خَبَرَهُمَا، فلم يدروا أين ذهبا.

وكان عامر بن فهيرة، يُريح عليهما غنمًا لأبي بكر، وكانت أسماء بنت أبي بكر تحمل لهما الزاد إلى الغار. وكان عبدالله بن أبي بكر يَتَسَمَّعُ مَا يُقَالُ بمكة، ثُمَّ يذهب إليهما بذلك، فيحترزان منه .

وجاء المشركون في طلبهما إلى ثور، وما هناك من الأماكن، حتى إنهم مروا على باب الغار، وحاذت أقدامهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه، وعمَّى الله عليهم باب الغار،

ويقال – والله أعلم – : إِنَّ العنكبوت سَدَّتْ عَلَى بَابِ الْغَارِ، وَإِنَّ حَمَامَتَيْنِ عَشّشَتا عَلَى بَابِهِ، وَذَلِكَ تَأْوِيلُ قوله تعالى: {إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: 40].

وذلك : أن أبا بكرٍ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – لِشِدَّةِ حِرْصِهِ: بَكَى حِينَ مَرَّ المشركون، وقال: [يا رسول الله! لو أن أحدهم نظر موضع قدميه، لرآنا، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا؟]

ولما كان بعد الثلاث: أتى ابن أريقط بالراحلتين، فركباهما، وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة، وسار الديلي أمامهما على راحلته.

وجعلت قريش لمن جاء بواحد من مُحَمَّدَ صلى الله عليه وسلم وَأَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه مئةً مِنَ الإبل، فلما مَرُّوا بحي مدلج، بَصُرَ بهم سراقة بن مالك بن جعشم سيد مدلج، فركب جواده، وسار في طلبهم، فلما قَرُبَ مِنْهُمْ، وَسَمِعَ قِرَاءَةَ النَّبي صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر رضي الله عنه يُكثر الالتفات حذراً على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو صلى الله عليه وسلم لا يلتفت، فقال أبو بكر: [يا رسول الله! هذا سراقة بن مالك قد رهقنا]، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فساخت يدا فرسه في الأرض، فقال: رميت، إنَّ الذي أصابني بدعائكما فادعوا الله لي، ولكما عليَّ أن أرد الناس عنكما. فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأطلق، وسأل

رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب له كتابًا، فكتب له أبو بكر في (أدم)، ورجع يقولُ للناس: قَدْ كُفِيتُمْ مَا هاهنا. وقد جاء مسلمًا عام حجة الوداع،

ودفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب الذي كتبه له، فوفَّى له رسول الله صلى الله عليه وسلم بما وعده، وهو لذلك أهل .

ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره ذلك بخيمة أم معبد، فَقَالَ عندها، ورأت من آيات نبوته في الشاة وحلبها لبنًا كثيرًا في سنة مجدبة ما بهر العقول صلى الله عليه وسلم.

- هذه قصة الهجرة سنحاول أن نستخلص منها ما يمكن، لأنه طبعًا الهجرة ممكن نجلس فيها محاضرات فقط لأن الكتاب كما قلنا نحن في البداية، مختصر، لكن لا يمكن طبعًا أن نترك حدث مثل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ولا نتكلم فيه ونسرد ما حدث فيه.
- لما رأى المشركون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قد تجهزوا وقد تسللوا أو انتقلوا أو هاجروا، سواء من هاجر علانية كـ (عمر بن الخطاب) أو من هاجر خفية، وأخذوا معهم الذراري والأطفال والأموال وغير ذلك، وعلموا أنهم انتقلوا إلى المدينة إلى الأوس والخزرج، وستكون الدار هذه دار منعة لهم، خشيت القريش أن يكون للقوم الذين سيهاجرون (من قريش، من قوم المسلمين) إلى المدينة يكون لهم شوكة وبأس، فخافوا أن يخرج النبي صلى الله عليه وسلم إليهم ويلحق بهم، فتقوى هذه الشوكة ويكون هناك إنشاء للدولة مما سيعود عليهم بعد ذلك يأتوا إليهم ويحاربونهم أو يخرجوهم.
- فاجتمع صناديد قريش وكفار قريش في دار الندوة حتى قالوا لن يتخلف أحد من أهل الرأي والحجة ليتشاوروا، وبعضهم قال، كما ذكر ابن القيم في زاد المعاد نسبة لكلامه: "حضر إبليس في صورة شيخ كبير جلس معهم من أهل نجد– كأنه من أهل نجد مشتمل الصماء– فتذاكروا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، كل واحد فيهم يخرج برأي، فكلما يخرج رأي، إبليس هذا في صورة الشيخ يرده أي لا يرضاه إلى أن قال (أبو جهل): قد فُرق لي فيه رأي

ما أراكم قد وقعتم عليه، قالوا: ما هو؟ قال: أرى نأخذ من كل قبيلة من قريش غلامًا نهدًا جلدًا ثم نعطيه سيفًا صارمًا فيضربونه– أي النبي صلى الله عليه وسلم– ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل، فلا تدري بنو عبد مناف بعد ذلك كيف تصنع، لا يمكنها معاداة القبائل كلها، ونسوق إليهم ديته (أي ندفع الدية وانتهى الأمر)–أي كأنهم سيجعلوا من كل مجموعة من كل قبيلة شاب شديد معه سيف ويقتلونه كلهم ضربة رجل واحد فيتفرق دم النبي صلى الله عليه وسلم على القبائل فلا يمكن أن يأتي بنو عبد مناف يقاتلون القبائل بالكلية فيأخذون بالدية وينتهي الأمر عند ذلك– فقال الشيخ: لله در الفتى، (الشيطان عجبه الذي قاله أبو جهل) قال: لله در الفتى وهذا والله الرأي" – وطبعًا السند ممكن يُتسامَح فيه، لكن ذكره ابن اسحاق أيضًا، لكن شيخ ابن اسحاق هو الذي غير معلوم، المهم يُتسامَح فيه، أنا قلت في السيرة أحيانًا كما قال الإمام أحمد يُتسامَح– فقال: "لله در هذا الفتى، فتفرقوا على ذلك". وأصبح هذا الرأي الذي تفرقوا عليه أنه سيجتمع من كل قبيلة رجل شاب.

- فلما عُلِم ذلك، جاء (جبريل) للنبي صلى الله عليه وسلم بالوحي من الله عز وجل أخبره بذلك وأمره ألا ينام في مضجعه في هذه الليلة، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم الله أعلمه بالأمر، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم لـ (أبي بكر) في نصف النهار وهذا كان الوقت ما كان يأتي فيه النبي صلى الله عليه وسلم لـ (أبي بكر) أبدًا وكان هذا فيه شدة حر ومكة شديدة الحرارة في وقت الظهيرة، فما يخرج الناس وما يجتمعون، فجاءه متلفعًا متلثمًا، فقال: [أخرِج من عندك، فقال: ليس عندي غير أهلك، إنما هم أهلك يا رسول الله].
- وهنا يبين أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء أولًا متخفيًا حتى لا يعلم أحد، وفي وقت الظهيرة، وكل أمور الهجرة تبين لك كيف التخطيط، كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم خطط لهذا اليوم بدقة شديدة في كل شيء، وهذا لا يمنع أن المسألة أمر من الله بأن النبي صلى الله عليه وسلم يهاجر وجاءه الأمر بالهجرة، والله عز وجل إن أراد أن يحمل النبي صلى الله عليه وسلم كما حمله في البراق قريبا في حادثة الإسراء وصلى بالأنبياء ثم رفعه

بالمعراج وعُرج به، كان ممكن الله عز وجل إن أراد أن يحمل النبي صلى الله عليه وسلم بالبراق هكذا إلى المدينة لحمله، إذا كان حمله إلى بيت المقدس. لكن هذه حكم لأن تكون الهجرة يظهر فيك بشرية النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة لنتعلم جميعًا، وإلا كان الأمر يسير جدًا أو بالبراق يذهب على المدينة وانتهى الأمر وقريش تصبح لا تجد النبي صلى الله عليه وسلم. لكن هذا ليس مُرادًا، وهذا يؤكد لك أن السيرة ليست قصص، لابد أن تقف في كل الأحداث التي في السيرة وتفهم حكمة الشرع والمقصد، وتستنبط منها أمور، وتستفيد، لذلك هجرة النبي صلى الله عليه وسلم هذه تحتاج لكتب ومحاضرات، وهي مسألة تدرس في جوانب كثيرة.

- فالنبي صلى الله عليه وسلم بداية في الهجرة خطط لأمور كثيرة، وهذا لا يمنع أنه مؤيد، وأنه وحي، وأن الله أمره أن يهاجر، وأن يعلم يقينًا أن الله ناصره، وأنه سينصر هذا الدين لأنه جعله نبيًا ولابد أنه سينصر هذا الدين، ويُمكِّن لهذا الدين، لكنه مع ذلك تعامل مع الهجرة ليس كأنه نبي، هو تعامل بالبشرية بأنه كيف يخطط لمسألة عظيمة جدًا ستحدث، بداية من خروجه متخفيًا في نصف النهار لـ (أبو بكر). وانظر يدخل على (أبو بكر) قال: "أخرِج من عندك"، أي كأنه سيتكلم كلامًا لا يريد أن يسمعه أحد، "أخرِج من عندك"، فيقول: "إنهم هم أهلك يا رسول الله"، أي هم أهلك وأنت تعلمهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:[قد أُذِن لي في الخروج].
- (أبو بكر) كان يعلم أنه يوجد هجرة، لأنه أصلا قلنا أنه قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم و(أبو بكر) ، المسلمين هاجروا إما في الخفاء أو في العلن، وكان (أبو بكر) ينتظر، لكنه ينتظر أن ربنا يكرمه وأن يهاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم، فكان حتى يعد راحلتين ومجهزهم، لذلك لما النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله قد أذن لي في الخروج" فقال (أبو بكر): [الصحابة يا رسول الله]، يقصد الصحبة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"نعم"، قال (أبو بكر): "فخذ بأبي إحدى راحلتي هاتين" فقال رسول الله: "بالثمن"، انظر! بالثمن، أي سيدفع مقابل ذلك أيضًا.

- فأعلَم النبي صلى الله عليه وسلم (أبو بكر) بالهجرة لكن لم يُعلمه أين، انتبهوا، الحيطة والحذر. الذي يُضَيِّع كثير من أعمال المسلمين عدم الحيطة والحذر، بل ضيَّع كثير من الأمور التي فيها خير عدم الحيطة والحذر، ونقول لمن يعمل أعمالًا جليلة لابد، ومن يرزقه الله عز وجل إتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم ستجد له فوز بعد ذلك، فحتى ما قال لـ (أبو بكر) أين ولا متى، لكن قال فقط أنه "أُذِنَ"، تدرج في الإخبار بالمعلومة، فليس كل شيء تعلمه في كل وقت، لا، عندما يأتي الوقت تعلم ما تريد.
- ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم (عليًا) أن يكون مضجعًا في تلك الليلة. قال: **(وقد أَعَدَّ أبو بكر رضي الله عنه جهازه، وَجَهَازَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، منتظراً حتى يأذن الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم في الخروج، فلما كانت ليلةٌ: هَمَّ المشركون بالفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم، وَأَرْصَدُوا على الباب أقوامًا، إذا خرج عليهم، قتلوه)**. هنا النبي صلى الله عليه وسلم أمر (علي) أن ينام في بيته، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم. والنبي صلى الله عليه وسلم حقيقة خرج أمامهم، في قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} [يس: 9]، وناموا.
- مسألة ذر التراب السند فيه كلام، وإن كان قال هو: **(وقد جاء في حديث: أنه ذَرَّ على رأس كل واحد مِنْهُمْ تُرَابًا)** أي يبين الحافظ أنه لم يجزم، ولذلك تجد في بعض كتب السير بأن النبي صلى الله عليه وسلم كأنه قد أخذ حفنة من التراب وضربها وقال شاهت الأبصار إلى غير ذلك، فالخبر هذا موجود في كتب السير، لكن لم يثبت حقيقة، لكن الله أعمى أبصارهم عن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرونه، هذا هو الصحيح الذي نثبته.
- **(ثُمَّ خَلُص إلى بيت أبي بكر رضي الله عنه ، فخرجا من خَوْخَةٍ فِي دَارِ أبي بكر ليلا)**، خرج من أمامهم ولم يرونه، وهذه طبعًا معجزات من الله عز وجل تأييدًا أنه جعل (عليّ) ينام

ثم يخرج، حتى أنهم ما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم ليلًا، هو خرج طبعًا ذهب إلى (أبو بكر) وانتظر حتى الليل ثم خرج من خوخة؛ فتحة في الدار غير الفتحة الرئيسية، أي كأنه خرج من الخلف متخفيًا من الليل حتى لا يراه أحد.

- وحتى جاء رجل لكفار قريش وهم على الباب قال لهم ما تنتظرون؟ قالوا ننتظر محمد، .قال: خبتم وخسرتم ، قد مر والله بكم وذر على رؤوسكم التراب– على رواية من يرى أن التراب حدث– قالوا: والله ما أبصرناه، أي لم نراه أصالة، وقاموا ينفضون –كما ذكر ابن القيم في زاد المعاد– التراب على رؤوسهم، وكانوا وقتها أبو جهل، والحكم بن العاصي، وعقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، وأمية بن خلف، وزمعة بن الأسود، وطعيمة بن عدي، وأبو لهب، وأبي بن خلف، ولما أصبحوا قاموا فوجدوا (عليّ) رضي الله عنه الله على الفراش، فسألوه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "لا علم لي"، ما أعلم.
- وطبعًا هذه مسألة سنبينها على فعل (عليّ) رضي الله عنه وأرضاه، تضحية أيضًا، أن (عليّ) رضي الله عنه وأرضاه نام مكان النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعلم أنه كان ممكن أنه يقتل، ممكن يدخلوا ولا يرفعوا الغطاء أصلا ويقتلوا من هو موجود، وهذه تبين لك أن الدين لابد له من تضحيات. سنتكلم عن فوائد كثيرة من الهجرة قدر ما نستطيع حتى لو لم يكن اليوم، لكن نحن نسير مع ما كتبه الحافظ ونحاول أن نبين.
- ثم قال بعد ذلك: **(وقد استأجرا عَبْدَ اللهِ بنَ أُرَيْقِط)**، ننتبه للخطة التي وُضِعت من جانب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، أولًا قال: **(استأجرا عَبْدَ اللهِ بنَ أُرَيْقِط، وكان هاديًا خريتًا، ماهرًا بالدلالة إلى أرض المدينةِ)**، هذا الذي هو الدليل، المرشد، الذي يعرف الطريق، وكان (عبد الله بن أريقط) مشركًا، خريتًا أي عنده مهارة في المساحة والخرائط، أي يعرف الطرق والدخول والخروج.
- **(استأجروا)** أي قالوا نحن نؤجرك، نستأجرك حتى تكون هاديًا لنا وتبلغنا للمدينة، وهو كان مشرك، لذا قال: **(وَأَمَّنَاهُ عَلَى ذَلِكَ)**، أي لا يخبر أحد، مع أنه كان على دين قومه، أي

كان على الشرك، وفيه دلالة على جواز الإستعانة بالمشرك إن احتجت إلى ذلك، طبعًا المسألة هذه خلافية عند العلماء، والبعض منع والبعض أجاز، والحق نقول بأن المسألة فيها تفصيل– ليس مقامه الآن– لكن فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع (عبد الله بن أريقط) دلالة أنه استعان بمشرك في رحلة الهجرة، وأنه كان ماهرًا وكان عالمًا بهذا الأمر، ففيه شرط من الشروط أن يكون ماهرًا عالمًا بهذه المسألة التي تستأجره عليه، فإجارة الكافر تجوز على هذا النحو، أو الاستعانة به في هذا الأمر.

- قال: **(مَعَ أَنَّهُ كَانَ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، وَسَلَّمَا إِلَيهِ راحلتيهما)** هم أعطوه الراحلتين. انظر للتخطيط، فمعلوم أن المدينة في الشمال، والنبي صلى الله عليه وسلم يعلم أنه سيذهب إلى المدينة فيسيرون خلفه باتجاه الشمال، فهو ذهب إلى اتجاه الجنوب، إلى غار ثور، ولم يأخذ الراحلة معه، سلموا الراحلتين لـ (عبد الله بن أريقط)، وقالوا له تواعدنا بعد ثلاثة أيام عند الغار ليأخذهم من هناك، لماذا؟ هذا الوقت وقت التخفي، أراد أن يتخفي النبي صلى الله عليه وسلم في الغار حتى ييأس قريش من أن يجدوا النبي صلى الله عليه وسلم، فتكون مرت مدة ثم يأتي هو بالراحلة، ويأخذهم من هناك على طريق آخر يوصلهم إلى المدينة. وواعداه غار ثور بعد ثلاثة أيام. وقلنا الثور جنوب مكة.
- **(فلما حصلا في الغار، عَمَّى الله على قريش خَبَرَهُمَا، فلم يدروا أين ذهبا)** ، أي لما وصلوا للغار، وهما كما قلت قريش كانت متوقعة أنهم اتجهوا للشمال وهما اتجهوا على الجنوب، فالنبي صلى الله عليه وسلم استعمل (عبد الله بن أريقط) واستعمل (عامر بن فهيرة).
- و(عامر بن فهيرة) كان مولى لـ (أبي بكر)، فكان يأتي يرعى الغنم أمام مكان الغار، أولًا ليزيح آثار الأقدام لكي لا تكون موجودة، وأيضًا يعطيهم اللبن، وكأنه نوع منه التعمية على وجود الآثار لهم في ذلك، قريبًا منهم وينقل عندما تأتيه أخبار ينقلها لهم.
- قال: **(وكانت أسماء بنت أبي بكر تحمل لهما الزاد إلى الغار)**، وهذه وزيرة الطعام –كما يقال– (أسماء بنت أبي بكر) ذات النطاقين– وطبعًا لها قصة في ذلك لعلها تأتي– فكانت

هي التي تحمل لهم كل يوم الزاد (الطعام) إلى الغار، مسؤولة عن التموين. (عامر بن فهيرة) هذا مسؤول التمويه والتعميه، و(أسماء) رضي الله عنها مسؤولة عن التموين، الغذاء.

- قال: **(وكان عبدالله بن أبي بكر يَتَسَمَّعُ مَا يُقَالُ بمكة، ثُمَّ يذهب إليهما بذلك، فيحترزان منه)**، هذه المخابرات، يدخل على هذا المكان، يسمع الذي يقولونه، فيما يتشاوروا، سيخرجوا من أي طريق، ثم لما يسمع يأتي ويُخبرهم ويأتي عليهم بالأخبار، والذي يقرر ماذا يفعل هو النبي صلى الله عليه وسلم.
- فانظر؛ اتخذ (عبد الله بن أريقط) كدليل لهم، وأمَّن الغذاء، وأمَّن التمويه، وأمَّن معرفة أخبار القوم، مهم جدًا أنك لما تقاتل أحد أن يكن لك عيون عندهم، وقلنا هذه المسألة يدرسونها من يتعامل في الحرب والإستراتيجيات وفي الدراسات والخطط، يفهمون هذه الأمور، هي طبعًا أصبحت معلومة الآن، لكن انظر كيف النبي صلى الله عليه وسلم فعلها في هذا الوقت في هذا الحدث، فالمسألة ليست فقط أنك بتأخذ اجراءاتك! لا، مهم جدًا أن تعلم كيف يفكر غيرك، هم أصلًا الغرب بماذا يقاتلوننا؟ ليس كلهم بيقاتلوا بالأسلحة الآن، هم دخلوا عليك بوسائل التواصل والنت ودخلوا عليك بالمواقع وفتحوا لك هذه الأمور، وتركوك تتكلم وتشتري وتبيع وتفكر وتعمل، وكل هذا أنت مكشوف أمامهم، وهم يحللون كل أخبارك وشخصيتك وأفكارك، فيعرفوا كيف يغزوك. ليس كل الغزو يكون بالقوة والسلاح فقط! وطبعًا الغزو بالقوة السلاح هذه مرحلة من المراحل، لكن إن هم أرادوا أن يسيطروا على الناس، يسيطروا على عقولهم أولًا، فكيف يسيطر على عقولهم؟ بأن يعلم عنهم، ويدرسهم، ويكون لهم عيون في قلب هؤلاء، فيستطيع أن يتعاملون. كذلك أنت إن أردت أن تقاتل الناس أيضًا، لابد أن تقاتلهم بمثل ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، ومثل ما يفعلون، يكن لك عيون عندهم، فتعرف أخبارهم وخططهم وكيف يفكرون، وما هي قدراتهم الموجودة، ووسائلهم، وغير ذلك، فتستطيع أنك تقاتلهم بحق، ولا أن تجلس هكذا.

- وكل هذا يبين لك الأسباب التي أخذها النبي صلى الله عليه وسلم، يبين لك البشرية في التخطيط. فهو كان ممكن يقول ربنا أمرني بالهجرة فأنا سأهاجر –كما قلنا–، لا، ما ترك شيئًا هكذا، ليعلمك بأنك لابد تعمل حتى لو كنت من أهل الفضل والصلاح، وليس هناك أفضل من النبي صلى الله عليه وسلم، لكنه أخذ بالأسباب وخطط، {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ} [الأنفال: 60]، فلابد من الإعداد، فليس لك أنك تقول أنا أقاتل قوم بدون تخطيط وإعداد لذلك! وهذه من أهم الأمور التي يرجع لها في حادثة الهجرة.
- قال: **(وجاء المشركون في طلبهما إلى ثور)**، أي إلى الجبل، وصلوا للجبل، وانظر هنا لتعلم أن المسألة أيضًا أنت نعم بتأخذ الأسباب، لكن النصرة والتأييد من الله. ما تظن أن الأسباب أنا معي قتال، ومعي معدات، ومعي أسلحة، ومعي تخطيط، ومجهز الناس، ومدربهم، وكل شيء، وأن المسألة منتهية! لا، أنت بدون معية الله عز وجل لك وتأييد الله عز وجل كل هذا يذهب هباء إلا أن الله يؤيدك.
- وهنا يبين لك أنهم وصلوا إلى الغار مع كل الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم وصلوا إلى الغار حتى (أبو بكر) يقول: [لو نظر أحدهم إلى قدميه يا رسول الله لرآنا]، أنت أخذت بالأسباب لكن أيضًا وصلوا إلى هذا المكان أصالة.
- وقال: **(وما هناك من الأماكن، حتى إنهم مروا على باب الغار، وحاذت أقدامهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه، وعمَّى الله عليهم باب الغار)**، أي لم يروا الباب، كما عمى الله عز وجل أبصارهم لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم، هنا تأتي نصرة الله، وأنت لابد تحتاج لذلك، لابد تعلم بأن أصل الأمر كله من الله، أنت فقط بتفعل ما تستطيعه أنت، لكن أنت الذي تحتاجه هي معية الله، ونصرة الله عز وجل.
- فقال: **(ويقال)**، ويقال أي "بالتضعيف" لأن مسألة العنكبوت والبيضتين والحمامة والكلام هذا كله فيهم نظر، لذلك الحافظ قال: **(ويقال – والله أعلم – : إِنَّ العنكبوت سَدَّتْ عَلَى بَابِ الْغَارِ، وَإِنَّ حَمَامَتَيْنِ عَشّشَتَا عَلَى بَابِهِ)**، "ويقال" أي: يقول لك أن هذا بصيغة التضعيف،

فهو يريد أن يقول أن السند ليس ثابتًا، لكن ذُكِر في بعض كتب السير وغير ذلك، وهذا لم يثبت حقيقة، حتى ابن كثير نفسه في "البداية والنهاية" قال: "هذا الخبر غريب جدًا"، أي أشار لعدم ثبوت الخبر.

- قال كأنه تعمية من الله عز وجل وحماية للنبي صلى الله عليه وسلم، وهذه الآيات التي نزلت في سورة التوبة {إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: 40]. هنا توجد مناقب؛ أولًا بعض الناس أرادوا أن يلمزوا على (أبو بكر) في هذه المسألة لما قالوا أن (أبو بكر) بكى لما جاء الناس، فقالوا بكى أو خاف ويريدوا أن يسبوا في (أبو بكر) وأن (أبو بكر) رضي الله عنه ما خاف على نفسه، بل خاف على النبي صلى الله عليه وسلم. بعضهم قالوا انظر (أبو بكر) اتهموه بأنه ليس بشجاع وأنه خاف وكذا وكذا، والله عز وجل انظر لمنقبة (أبو بكر) في هذه الآية التي يقولون بها قال {إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ} من صاحبه؟ (أبو بكر)، نص على الصحبة في كتاب الله عز وجل، أي أن الله سماه صاحبه؛ صاحب النبي صلى الله عليه وسلم، وهل في أفضل من ذلك؟ أن الله عز وجل يقول له "صحبه"، بل لم ينص لأحد من الصحابة على غيره في القرآن، أي لم يأت القرآن ينص فيه لأحد الصحابة أن الله قال صاحبه إلا (أبو بكر) رضي الله عنه وأرضاه.
- ثم قال: {بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا}، أي الله أنزل الجنود لم يراها، بعضهم يبين أن مسألة العنكبوت والحمامة هذه غير ثابتة، لأن العنكبوت والحمامة تُرَى، فقال: {بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا}، إذًا المسألة تأييد من الله عز وجل، ذلك يُضَعِّف من يقول بمسألة الحمامة والعنكبوت، لأن هذه تُرى.
- حتى أن شدة حرص (أبو بكر) على النبي صلى الله عليه وسلم أنه بكى خوفًا على الرسول، فهم أخذوها أنه بكى خوفًا وعدم شجاعة وغير ذلك. وقال: [يا رسول الله! لو أن أحدهم

نظر موضع قدميه، لرآنا، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا؟] انتهى الامر، وهنا تظهر معية الله والنصرة والتأييد لعباده المؤمنين.

- **(ولما كان بعد الثلاث: أتى ابن أريقط بالراحلتين، فركباهما، وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة، وسار الديلي أمامهما على راحلته)** التي هو دليلًا له الذي هو (عبد الله بن أريقط) في ذلك و(عامر بن فهيرة) ارتحل معهم، أي ذهب معهم إلى المدينة، وقالوا شهد بدر وأُحد وقتل في بئر معونة.
- **(وجعلت قريش لمن جاء بواحد من مُحَمَّدَ صلى الله عليه وسلم وَأَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه مئةً مِنَ الإبل)**، جعلوا جُعل– مكافأة– للذي سيأتي بهما مائة من الإبل. فمن الذي انبرى؟ (سراقة بن مالك) رضي الله عنه، فهم مروا على قومه ، فقرب لما سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فعلم أنه هو، فكان يسير خلفهم، فلما رآه (أبو بكر) قال للنبي صلى الله عليه وسلم أنه سيدركهم، فالنبي دعا عليه، فكانت الفرس تغرس في الرمل ما تتحرك، ثم تفك، ثم تغرس، فعلم (سراقة) بأن المسألة ليست من عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لهم ما معناه قال (كفوا ذلك، أو قد علمتم أن الذي أصابني بدعائكم، فادعوا الله لي، ولكما عليّ أن أرد الناس عنكم". فقال للنبي صلى الله عليه وسلم أنه لن يتابعهم بعد ذلك، بل سيفعل العكس، يُخذِّل الناس عنهم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "خذل عنا الناس" وهذه مسألة مهمة جدًا، كيف استخدمه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما كان يطارده، أنه أصبح عونًا له، حتى لما رجع قال: "دونكم هذه الناحية" أي خلاص الناحية هذه مسحتها لا يوجد فيها أحد لكي يمنعهم أنهم يكونوا خلف النبي صلى الله عليه وسلم.
- وهنا النبي صلى الله عليه وسلم هذه معجزة أخرى من المعجزات سنفرد بعد ما ننتهي من السياق شرح ما حدث والفوائد المستنبطة، لكن هنا (سراقة) مع النبي صلى الله عليه وسلم أنه كتب له كتاب، أي يؤمنه أيضًا، وقال النبي صلى الله عليه وسلم له: [كيف يا سراقة وأنت تلبس سواري كسرى!] أي أساور كسرى ملك الفرس، والنبي صلى الله عليه وسلم

بيهاجر ومُطارد، بل (سراقة) أتى لكي يمسك به أو يبلغ عنه أو كذا، فالنبي صلى الله عليه وسلم أولًا دعا عليه، ثم لما أمَّنه بل بشره يقول له: [كيف يا سراقة وأنت تلبس سواري كسرى!] عجيب أن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الوقت وهو موقن بالنصر، ماذا يعني تلبس سواري كسرى؟ إذًا ستُفتَح كسرى وتأتي الغنائم و(سراقة) يلبس سواري كسرى، وهذا طبعًا لا يكون إلا وحيًا، لكن انظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الوقت، وقد حدث، حتي لها قصة أن (سراقة) في زمان (عمر) لما فُتِحَت كسرى وجاءت سواري كسرى إلى المدينة فجاء (سراقة) إلى (عمر) وقال له وعدني النبي صلى الله عليه وسلم بسواري كسرى، انظر متى؟! وهو ويهاجر النبي صلى الله عليه وسلم، مثل ما وعد في غزوة الأحزاب، فقال: [الله أكبر فتحت الروم...الله أكبر فتحت فارس] وقد كان، فجاء (عمر) رضي الله عنه وأرضاه الفقيه ألبسهم لـ (سراقة)، وبعد أن ألبسه قال: انزعهم، قال: كيف قد وعدني النبي صلى الله عليه وسلم!، قال: النبي صلى الله عليه وسلم قال لك ستلبس سواري كسرى، وقد لبستهما، ردهم إلى بيت مال المسلمين، هو ظن أنه سيأخذهم.

- لكن هو الشاهد أنه في هذا الوقت والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر لبعد ذلك، وهذا يجعلك أنك في أشد المحالك هذا لا يمنعك باليقين، بل لا يمنعك بأنك تستبشر بما هو يأتي بعد ذلك من خير. لا أن تقول احنا فين وأنت فين. كما قال أهل الإيمان مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الخدق: { قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ} [الأحزاب: 22]، والمنافقين قالوا: { مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورا} [الأحزاب:12]، قلوبهم غير مصدقة، لكن هو النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الوقت وهو يعدهم بأمر عظيم جدًا، أي أحد يتخيل هل هذا وقته أنه يقال هذا الكلام! لكنه ثقة بنصر الله عز وجل والتمكين بعد ذلك.
- **(وقد جاء مسلمًا عام حجة الوداع)**، أن (سراقة) أسلم متأخرًا في حجة الوداع، أي تأخر إسلامه. انظر، من الهجرة إلى حجة الوداع عشرة سنوات، لكن كتب الله عز وجل له

الإسلام، أي هو ما أسلم في وقتها، كان مازال على الشرك. **(وقد جاء مسلمًا عام حجة الوداع، ودفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب الذي كتبه له)**.

- ثم ختم في الجزء هذا: **(ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره ذلك بخيمة أم معبد، فَقَالَ عندها)** قال أي نومة القيلولة لوقت الظهر. وقصة (أم معبد) حقيقة فيها أيضًا من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، أو دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، كان اصلًا زوجها خرج بالشياة، وكانت السنة سنة جدب أي ليس فيها ماء ولا زرع، ولم يكن يوجد رعي، فخرج زوجها بالشياة وترك شاة هزيلة في البيت، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم قال: عندك غير هذه؟ قالت: لا ما عندي غير هذه الشاة الهزيلة، ليس بها شيء، قال: [شاة هزيلة في سنة مجدبة] وليس في الشاة حليب، فالنبي صلى الله عليه وسلم أخذ الشاة ومسح عليها صلى الله عليه وسلم ودعا، فأصبحت حلوبًا كأحسن ما تكون الشاة حلوب، فتقول (أم معبد): "فشَرِب منها، وشرِبْتُ (أي أم معبد) وشرب (أبو بكر)"، رضي الله عنه وأرضاه، وترك لها أيضًا، حتى دخل زوجها استعجب من حال الشاة وما بها من لبن، من أين هذا الحليب ولا يوجد في البيت شيء والسنة أصلًا سنة فيها جدب ما فيها شيء، فبلغته بأنه جاء الذي يدعو نبيًا من قريش أو فتى قريش مر بنا وحكت له القصة هذه، وهي لها قصة اختصرناها هنا لأنه لم يذكرها الحافظ.

سنقف عند فصل (دخوله المدينة)، وما زال عندنا فوائد مستنبطة من الهجرة نراجعها كلها الأسبوع القادم لكي نُفَصِّل فيها كما نريد.

أحسن الله إليكم...السلام عليكم

المحاضرة السابعة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد، على موعد اليوم مع شرح درس من دروس السيرة النبوية العطرة؛ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم من كتاب (الفصول في شرح سيرة الرسول) للحافظ ابن كثير عليه رحمة الله تعالى.

كنا في المحاضرة الأخيرة تكلمنا عن الهجرة، وحادثة الهجرة، وأرجئنا أن نتكلم عن الفوائد المستنبطة من حادثة هجرة النبي صلى الله عليه وسلم. إن شاء الله اليوم نكمل الفوائد والعبر من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، ونبين أيضًا ملامح العهد المكي، والذي كان قرابة ثلاث عشر سنة والذي انتهى بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم ودخوله بالمدينة، فبدأ عهد جديد يسمى: "العهد المدني". ونبين ملامح العهد المكي؛ لأن هذه حقبة مهمة جدًا من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، أكثر من

النصف؛ ثلاث عشر سنة، فيها ما فيها من الأحداث قد حدثت، إلى أن حدثت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم.

- الله عز وجل قد بعث النبي صلى الله عليه وسلم بدعوة تملأ القلوب نورًا وتشرف بها العقول رشدًا، فسابق إلى قبولها رجال عقلاء، ونساء فاضلات، وصبيان لا زالوا على فطرة الله عز وجل، وبقيت تلك الدعوة على شيء من الخفاء بين كفار قريش في مكة لا يلقون لها بالًا. أولًا في بادئ الأمر كفار قريش كانوا لا يلقون لها بالًا، فلما صدع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءه الأمر بالدعوة من السر إلى الجهر في مكة، أغاظ ذلك المشركين وحفزهم على منوأة الدعوة والصد عن سبيل الله عز وجل، فوجدوا في أيديهم بعض الوسائل أن يفتنوا المؤمنين والمؤمنات، فساموهم سوء العذاب؛ من العذاب، ومن القتل، وغير ذلك، حتى يرجعوا إلى الشرك الذي كانوا عليه قبل الإسلام.
- وكان وقتها المسلمون على أنواع: منهم من كان له قوة؛ عنده عشيرة وقوة أو حلفاء يتحالف معهم فكانوا يكفونه العذاب ويصدون عنه عذاب كفار قريش، فلا يمتدون إليه، ومنهم المستضعفون من المسلمين الذين وصلت إليهم أيدي المشركين وعذبوهم عذابًا كثيرًا، مثل آل ياسر؛ سمية وياسر وعمار، وبلال وغير ذلك.
- فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم هذا البلاء أمرهم أولًا من استطاع الهجرة إلى الحبشة، فهاجروا الهجرة الأولى –كما بينا– إلى الحبشة، ثم حدثت الهجرة الثانية أيضًا، ثم بعد ذلك أُذِن لهم أن يهاجروا إلى المدينة. فهاجروا إلى المدينة، ثم بعد ذلك لحق بهم النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة.
- لذلك حادثة الهجرة حقيقة فيها حِكَم باهرة وفيها دروس عظيمة جدًا يستفاد منها، نحن نقرأ السيرة ليس فقط من باب التسلية! لكننا نقرأ السيرة لنستفيد من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وما فعله وما لقاه، وكيف تصرف، وكيف كانت المواقف التي مر بها، من حيث اتخاذ القرارات، وحكمة الله عز وجل، إلى غير ذلك، فوائد عظيمة جدًا لابد أن نستنبطها ونفهمها

حتى نستطيع أن نطبق ذلك في حياتنا، لذلك اجتهد العلماء وأهل السيرة وغير ذلك في استنباط كثير من فوائد الهجرة، كنا قد عرجنا على بعض هذه الفوائد الأسبوع قبل الماضي، واليوم نفرد أول المحاضرة ببيان هذه الفوائد.

- أولًا نبين أن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ليست أمرًا مستحدثًا، فقد هاجر الأنبياء من قبل النبي صلى الله عليه وسلم، أي أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس أول نبي يهاجر، بل قد هاجر بعض الأنبياء من قبل.
- والهجرة أصالة هي نوع من الإنتقال من مكان لمكان، والهدف من ذلك إعلاء شأن الدين، فالنبي كان ينتقل من مكانه الذي كان في قومه أو غيره –كما سيأتي على حسب قصص الأنبياء– ليستطيع أن يعبد الله في هذا المكان، أو يدعو إلى الله، فينتقل إلى مكان إلى آخر ليحصل على الحرية الكاملة في عبادة الله عز وجل وطاعته، وكان لابد أن يبدأ ذلك قبله بنوع من الحرب والإيذاء والمضايقة بينه وبين أعداء الله، ثم ينتقل بعد ذلك إلى مكان آخر.
- وقد أطلع الله عز وجل نبيه وأطلعنا في القرآن على هجرة كثير من الأنبياء؛
  - فالذين هاجروا من أوطانهم وإلى أوطان أخرى **(نوح)** عليه السلام بعد أن لقى ما لقى مع قومه؛ قال تعالى: {حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ} [هود: 40]. وبإستواء السفينة على الجودي انتهت المرحلة الأولى التي كانت بين نوح وقومه، ثم حدث الطوفان ونجى نوح ومن معه، وانتقل إلى أرض جديدة وكانت نهاية لمرحلة بين الباطل وبين الحق؛ صراع كان بينه وبين قومه، حتى جاء أمر الله: { قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ} [هود: 48]، فكانت هجرة لنوح عليه السلام.
  - **(إبراهيم)** أبو الأنبياء، صاحب الملة الحنيفية أيضًا صلى الله عليه وسلم هاجر، أصلا أرضه كانت في العراق مع أبيه آزر وقومه، لكنه هاجر إلى الشام، وهاجر إلى

مصر، وهاجر إلى أرض الحجاز، وترك (إسماعيل) هناك عليه السلام. ومعلوم قصة ترك (إسماعيل) و(هاجر) وغير ذلك، فهنا أيضًا لما حاول قومه أن يحرقوه في العراق قال تعالى: { قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ، قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ، وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ، وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ} [الأنبياء: 68-71]، وهذه الأرض هي الأرض المقدسة، فلسطين– نسأل الله عز وجل أن يحررها من يد اليهود الملاعين وأن ينصر إخواننا في غزة وفي ربوع فلسطين وفي الشام على أعدائهم، أهل الكفر جميعًا.

- وأيضًا بعد (إبراهيم) **(موسى)** عليه السلام؛ كليم الله. أيضًا (موسى) عليه السلام كانت له هجرات قبل بعثته، ولما قتل الرجل في قومه فخاف فانتقل، فلبث سنين في أهل مدين، ثم رجع بعد ذلك، فهذه كانت هجرة، ورجع وقابل فرعون، أمره الله عز وجل أن يلقي عليه الحجة ويدعوه، ثم بعد ذلك هاجر مع قومه خوفًا من فرعون: {أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ، فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ، وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ} [طه: 77-79]، فهنا نجى الله عز وجل (موسى) ومن معه من مطاردة فرعون، ثم قصص (موسى) بعد ذلك مع بني إسرائيل. لكن كانت هجرة أيضًا لـ (موسى) عليه السلام.
- وكذلك هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الذي هاجر كما بينا. والهجرة هي سنة متبعة في الكثير من الأنبياء، أن ينتقلوا من مكان الباطل أو الصراع بينهم وبين أهل الباطل إلى مكان آخر ينشرون فيه الدين وينتصرون فيه وتقام لهم دولة.

من فوائد الهجرة

1-**<u>التضحية بالمال وبالوطن وبالعشيرة في سبيل الله</u>**؛ أنت تضحي في سبيل الله بكل شيء، النبي صلى الله عليه وسلم ترك بلده –مكة– حتى أنه وقف بعد أن خرج قال [أحبُّ البلادِ

إلى اللهِ ولولا أني أُخرجتُ منك ما خرجتُ]. فانظر.. حياته كلها كانت في مكة، وكانت أحب البلاد، ترك ماله ووطنه وعشيرته، كل هذا يتركه في سبيل الله عز وجل. وهذا يبين لك أن كل شيء في سبيل الله يهون، أصلًا أنت كل ما عندك في الدنيا هذه أنت أُعطيتها لتقيم شرع الله، لتقيم دين الله عز وجل، لتعبد الله عز وجل، وتحقق دين الله عز وجل في الأرض. فكل هذه وسائل لك، فإن حتى أُخِذَت الوسائل كلها في سبيل أنك تقيم في أرض الحق أو تقيم دين الله عز وجل، لابد لك أن تضحي.

(صهيب) الذي أراد أن يهاجر أوقفوه، قالت قريش: جئتنا صعلوكًا لا مال لك، أتريد أن تهاجر وتأخذ مالنا؟ قال: إن دلتكم على المال تتركوني؟ قالوا: نعم، فقال لهم أين ماله كان قد دفنه ثم تركوه، فلما وصل الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم قال: [رِبِح البيعُ أبا يَحيى] أي هو ترك لهم كل شيء، ليتركوه يهاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة، ما همه المال، لكن المهم أنه يلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم، ويلحق بأرض الإسلام.

2-أيضًا من دروس الهجرة وهذه مسألة تفيد طالب العلم والداعية تحديدًا والذين يدعون ويعلمون الناس؛ **إذا استغلقت عليك الدعوة في مكان ما، ينبغي أن تتجه إلى مكان آخر تدعو فيه إلى الله**، أي لا تتعطل، ولا تعطل نفسك، لا تقول أنا أُغلِق عليّ أجلس في بيتي لا أفعل شيء! لا، النبي صلى الله عليه وسلم لما وجد أن أهل مكة لم يستجيبوا له، ثم أيضًا حاول مع أهل الطائف لم يستجيبوا له، وحاول مع من كان يأتيه من العشائر، علم بأن المنطقة هذه ليست فيها دعوة له، فلما حاول مع أهل المدينة لما جاءوه وجد استجابة، وجد أنهم يدعون، وأسلموا كثيرًا، انتقل إلى المكان الذي يمكن أن يدعو فيه إلى الله عز وجل.

كذلك على الداعية، وعلى الشيخ، وعلى طالب العلم، إذا وجدت أن أُغلِق عليك طريقًا لطلب العلم في مكان ما، حتى مع شيخ ما، لأي سبب، لا تقف وتقول كنت أدرس مع الشيخ والشيخ سافر، أو الشيخ توقف، أو شيء فأنت تقول: لا، أنا لن أدرس! لا، بل تنتقل لابد أنك لا تترك طريقك الذي قد وضعك الله عز وجل فيه وأن تذهب إلى مكان آخر. كذلك

الداعية أن أُغلِق عليه في السبيل أو في الوسيلة، لابد أن ينتقل إلى مكان آخر، أو يبحث عن مكان آخر ليمارس فيه دعوته.

3-من دروس الهجرة حقيقة **ظهور سنة الابتلاء**؛ ولن يحدث تمكين حتى يكون هناك ابتلاء، وهذا كلام (للشافعي) لا أحفظ نصه الآن، لكن مضمون كلامه عن أنه حتى يحدث التمكين لابد أن يكون هناك ابتلاء، فلابد من الابتلاء لأن الجنة غالية لا تُنال براحة البدن، أنت لن تجلس هكذا وتقول أدخل الجنة! لابد أنك تعمل، وأنك تُبتلى، وأنك تقدم لله عز وجل، والمجاهدة على طاعة الله، والصبر على ذلك هو طريقك للجنة. قال تعالى: { أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ} [آل عمران: 142] إذًا لابد من جهاد، ولابد من صبر، لا أحد سينال الدرجات العلى هكذا! ما تجد أبدا أحد، لا الأنبياء ولا الرسل، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: [أشدُّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ، ثم الذين يلونَهم، ثم الذين يلونَهم]، والعلماء يدرسون ليل نهار سنوات عمرهم يبحثون يدرسون ليرشدوا الناس على النور، ورثة الأنبياء، والمجاهدين ما يجلسون هكذا! والمجاهدون يجاهدون بأبدانهم، ويجاهدون بقوتهم، ويقدمون أنفسهم لله عز وجل. فلابد من جهاد وصبر؛ سواء جهاد بالسنان، أو جهاد باللسان، لكن لابد من الصبر، ولابد من حدوث الابتلاء.

كان الله عز وجل يستطيع لو أراد أن ينقل النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة بالبراق كما نقله إلى المسجد الأقصى ثم رفعه إلى السماء في رحلة الإسراء والمعراج، ولكي لا يأتي أحد يقول النبي صلى الله عليه وسلم كان معجزة وانتقل! لا، أراد أن تكون رحلة بشرية فيها ما فيها من الأسباب، وفيها من التوكل على الله، حتى يعلم الناس بأن هذه سُنة، النبي صلى الله عليه وسلم يبين لنا أن الابتلاء سنة، والانتقال سنة، والهجرة سنة، لابد أن يقوم بها المرء. فهذا درس مهم جدًا وفائدة مهمة جدًا من الهجرة.

4-**من فوائد الهجرة أيضًا لابد من الأخذ بالأسباب الحسية والأسباب المادية**؛ نعم قلنا أن لابد أن نتوكل، لكن لابد أنك تستعد، وقد تجلى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم كما بينا

المحاضرة السابقة في كيفية استعداد النبي صلى الله عليه وسلم لمسألة الهجرة؛ أولًا الإخفاء، والسرية، ودخوله على (أبو بكر) في وقت غير الوقت الذي يدخل عليه، ثم يأمره بإخراج أهله من البيت حتى يتكلم معه، ثم يخطط لمن ينتقل، ولمن يضل أثار القوم، من يأتيه بالاستخبارات من قريش، ثم يؤجر الذي يرسله، ثم يجلس في غار ثور ثلاثة أيام حتى يضل قريش بأنه لا يسير في الطريق فييأسوا من وجوده، سار لطريق الجنوب والمدينة إلى الشمال، والاستعانة بـ (عبد الله بن أريقط الليثي) مع أنه مشركًا، لكن كان أمينًا خبيرًا بالطريق. فأخذ أسباب كثيرة وخطط لينتقل إلى ذلك.

وهذه قلنا فائدة عظيمة أنك لابد حتى تنتصر لابد أنك تأخذ بالأسباب، لابد أن تستعد، أن تعد ذلك، وأنت عليك بالتخطيط، وعليك بالعمل، وهذا على اختلاف العصور. لكن انظر كيف خطط النبي صلى الله عليه وسلم، التخطيط الذي في الهجرة الآن يخططونه في الأمور العسكرية أو في كل الأمور، وهذه أيضًا فائدة عظيمة جدًا، أنك لابد كما قال تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم} [الأنفال:60]، فأمرنا بالإعداد، فحتى يأتيك النصر والتمكين وحتى يأتيك توفيق وتسديد من الله لابد أن تستعد أولًا، ثم تترك الأمر بالكلية على الله عز وجل، لأنه هو المؤيد لك، وهو الناصر أيضًا. وهذا يبين لك في الفائدة التي تليها بأن:

5-**النبي صلى الله عليه وسلم لم يعتمد فقط على الأسباب الحسية**؛ أي هو أخذ بالأسباب الحسية، لكنه يبين لك صدق التوكل لما وصل المشركون إلى الغار وقال (أبو بكر) رضي الله عنه: "يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه"، فقال عليه الصلاة والسلام مطمئنا له: [يا أبا بكرٍ ما ظَنُّكَ باثنينِ اللهُ ثالثُهُما؟]، توكل محض، انتهى الأمر، هو أخذ بكل الأسباب، وهو يبين لك كيف أن الأسباب كلها أُخذت فمع ذلك هم وصلوا إلى المكان الذي فيه النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن الله عز وجل أراد أن ينصرهم، فعمّى على المشركين، لكن انظر في هذا الوقت ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم؟ كيف التوكل على الله عز وجل؟ حتى لو هذا حدث، لما حدث بين (موسى) وقومه

مع فرعون: { فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ، قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ} [الشعراء: 61-62]، وهكذا الرسل {كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ}، ثم أُمِر بضرب البحر فانفلق إلى ما تم ذلك.

وهكذا الأنبياء يبينون لنا كيف محض التوكل على الله، فمع أخذك بالأسباب لكن لابد أن تعلم أن التوفيق والتوكل لابد أن يكونوا على الله عز وجل أصالة، حتى قال سبحانه وتعالى:{ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: 40].

6-أيضًا من دروس الهجرة النبوية **وجوب الصبر والثبات في نشر الدعوة**؛ والنبي صلى الله عليه وسلم عَلَّم الأمة في المرحلة المكية هذه إلى مرحلة الهجرة كيف الثبات في وجه أهل الباطل، لأن الثلاث عشر سنة في المرحلة المكية كلها كانت صراع بين أهل الحق والباطل، داخل دار أهل الباطل. هو بدأ الدعوة سرًا، ثم جهرًا، ثم حدث ما حدث وحصار في الشعب، كما بينا، ومع ذلك ثبات، أنك تثبت في وجه أهل الباطل، بل يقول لك وإن كان للباطل جولة، وإن كان للباطل علو في بعض الأمر، لكنه يكون امتحانًا للمؤمنين، وفتنة للكافرين، لكن العاقبة ستكون قطعًا للذين آمنوا، قال تعالى: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ} [الروم:47]. انظر! كيف أذى المشركون المسلمين حتى أذن للنبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة، ثم بعد ذلك جاء النصر عندما انتقلوا إلى المدينة، وتحققت قيام الدولة بعد ذلك.

7-أيضًا **من دروس الهجرة أن العاقبة لأهل التقوى**؛ لأن الذي ينظر في الهجرة في بادئ الأمر يرى أن المصير الدعوى كان بيزول، كان هناك اضمحلال، المسألة كلها ضاقت عليهم ضيق شديد بعد موت (أبي طالب) وموت (خديجة) وأهل الطائف وما فعلوه مع النبي صلى الله عليه وسلم فكأن كان الأمر في زوال في اضمحلال، ميزان القوى المادية كان متفاوت جدًا، لم يكن هناك قوى مادية بين أهل الحق وأهل الباطل، لكن أهل الحق كان معهم الله عز وجل، وهذه هي القوة في الحقيقة، المقاييس المادية عند أصحاب الماديات هم

الذين ينظرون إليها، لكن عند أصحاب الإيمان وأهل التقوى لا ينظرون، نعم يأخذوها في الاعتبار عند التخطيط وكل شيء، لكن يعلمون أن المسألة ليست بالمقاييس المادية.

أنظر عاقبة الهجرة بعد ثمانية أعوام يرجع النبي صلى الله عليه وسلم يدخل مكة فاتحًا مكة ويسلم أهل مكة، وينتشر الدين في كل الجزيرة، ثم ينتشر تدريجيًا بعد ذلك في الكرة الأرضية في كل البلاد الأخرى. لو نظرت،، هل ممكن كان أحد يتتخيل في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كان أكبر امبراطوريتين الفرس والروم، ومع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقول لـ (سراقة) [كيف يا سراقة وأنت تلبس سواري كسرى!] وهو يهاجر، مطارد، ومع ذلك من كان يظن حتى بعد الوصول للمدينة أنه كان سيقضي على أكبر امبراطوريتين موجودين في الكون! فسواري كسرى كأنه يقول لك أنت ستجلس في البيت الأبيض، بالضبط هكذا، فسواري كسرى، ملك أكبر امبراطورية، والتاني هرقل في الروم، فكأنك بتقول له: كيف وأنت إن شاء الله ستفطر في البيت الأبيض، وهذه ليست بعيدة على الله عز وجل، كما مكن الله لأهل الإسلام والصحابة من معهم أنهم يزيلون الفرس والروم، وهم كانوا عرب لا يعرفون شيء، بيركبوا الدابة ويركبوا الخيل، وما عندهم لا أسلحة، ولا عتاد، ولا شيء، لكن الإسلام يرفع أناس، ويعز أناس ويذل أناس أصالة.

فهو هنا يبين لك بأن العاقبة لأهل التقوى، وهذا يقين لابد أن يستقر في النفوس كما استقر في قلوب الصحابة لما جاءت غزوة الأحزاب –وستأتي معنا– والنبي صلى الله عليه وسلم بيكسر الحجر فيقول: [الله أكبر فتحت فارس، الله أكبر فتحت الروم] والصحابة يصدقون ويكبرون، وأهل النفاق طبعًا يتخازلون ولا يصدقون. لكن انظر.. يقين عندهم بأنه ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم سيكون. أحد يتصور في غزوة الخندق والنبي صلى الله عليه وسلم يبشرهم بفتح فارس والروم! أنت الآن كأنك بتقول لأحد: الدول العظمى التي تظنوها عظمى الآن هي ليست بعظمى. أنت ما عليك غير أنك تأخذ بيقين وأسباب، وستجد الله عز وجل يُمَكِّن، هي نفسها– مع الفارق طبعًا– لا تقل لي قوات والتقدم العلمي!

الآن رأينا أن التقدم العلمي موجود والآليات.. ماذا تفعل على الأرض؟ ما بتفعل، أهل الإيمان والحق الرب يُمَكِّن لهم، وإن كان الثاني معه ما معه.

ثمانين يوم الآن أو أكثر جسر جوي كامل بطيارات وأسلحة وصواريخ وكل شيء، هل استطاع أنهم يسحقوهم أو يتمكنوا منهم؟! نعم يصيبون ويصاب منهم، لكن بالنظر إلى المادية التي كانت تقال أن هؤلاء لو أرادوا أن يبيدوا المسألة وينهوها في أربعة وعشرين ساعة ستكون، لكن من كان متمسك بدينه، من كان على العقيدة الصحيحة، من كان متوكل على الله، الله يُمَكِّن له ولا يُمَكِّن لهؤلاء، لأن الله عز وجل هذا خلقه، هنا معية الله عز وجل، فالعاقبة لأهل التقوى.

8-**أيضًا من دروس الهجرة العظيمة أن من ترك شيئًا لله عوضه الله**؛ انظر كيف ترك النبي والمهاجرين، قلنا (صهيب) وغيره، بل كثير، (أبو بكر) لما خرج ترك ما عنده وأخذ فقط خمسة آلاف درهم- كما سيأتي معنا في قصة أسماء أيضًا- وأخذ معه ما أخذه، وتركوا أموالهم وديارهم حتى النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع مكة فقالوا: تنزل في دارك، قال: [وهلْ تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مَنْزِلًا؟]، (عقيل) كان أخو (عليّ بن أبي طالب) ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، وكان وقتها على الكفر، فأخذ ديارهم كلها وباعها، فرجعوا بدون ديار، أي تركوا ديارهم وأموالهم وكل شيء، لكن من ترك لله شيئًا عوضه الله عز وجل خيرًا منه.

انظر كيف فتح الله على نبيه، وعلى المهاجرين، والأنصار طبعًا لأنهم قدَّموا للمهاجرين أموالهم وديارهم وآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم -كما سيأتي معنا- لكن نحن نتكلم على المهاجرين تحديدًا، تركوا ديارهم وأهليهم وأموالهم، وكانت أحب شيء موضوع الأموال، ولكن فتح الله عليهم الدنيا بعد ذلك وملَّكَهم شرق الدنيا وغرب الدنيا، وجاءتهم الغنائم وجاءتهم الأموال حتى تدانت لهم الشام وفارس ومصر والعراق بعد ذلك أيضًا، ثم ذهبوا لشمال أفريقيا والأندلس حتى وصلوا إلى بلاد في فرنسا أيضًا، كل هذا أن من ترك شيئا لله يعوضه، وهذه أيضًا لابد أن يعتقدها المرء حتى في أموره، من ترك شيئا لله سيعوضه الله

عز وجل خيرًا، قد يستدعي المرء في أوقات معينة أنه يترك امورا لله، أراد أن ينتقل من مكان لمكان أو يضحي بأمور معينة لله، فليعلم بأن الله سيعوضه خيرًا إن كانت النية لله عز وجل.

9-أيضًا من دروس الهجرة أنه **من حَفَظ الله حفِظَه الله، ومن اتقى الله وقاه الله عز وجل، وجعل له مخرجا**؛ لما اجتمعت صناديد قريش على أنها تقتل النبي صلى الله عليه وسلم، أو يخرجوه، أو يفعلوا به ما يفعلوه، الله عز وجل وقاه منهم، حفظه من كيدهم أصالة، بل أخرجه من بين أعينهم وأيديهم وأوصله إلى المدينة مكرمًا معززًا ليقيم الإسلام، وهكذا. هذه قاعدة؛ من حَفِظ الله حفظه الله عز وجل، المرء المسلم والمؤمن والشاب إذا حَفِظ الله عز وجل في عبادته، في خلواته، في عدم فعل المحرمات، الله يحفظه من كل سوء، [صنائِعُ المعروفِ تقِي مصارعَ السوءِ]، لما تفعل المعروف تجد الله عز وجل ينجيك في مصارع السوء منها، أي تكون في إشكال، في أمر تجد أن بمعروف أنت فعلته الله ينجيك منه، وهكذا، من حَفِظ الله عز وجل حفظه الله.

10- **الهجرة تبين فضل (أبي بكر) رضي الله عنه**، وهذه ممكن تحتاج محاضرة لوحدها، لكن نحن لا يمكن ألا نبين فضل (أبو بكر) أنه أراد الهجرة أولًا، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انتظر [لعلَّ اللهَ أن يجعلَ لك صاحبًا]، وكان (أبو بكر) يتمنى أن تكون هجرته مع النبي صلى الله عليه وسلم، لذلك لما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الوقت فرح وعلم بأنها وقت الهجرة. لكن انظر.. ماذا قدم (أبو بكر)، قدم كل شيء عنده، أمواله، داباته الإثنين، ابنه، ومولاه (عامر بن فهيرة) أي جعل العائلة كلها للنبي صلى الله عليه وسلم، ولهم وظائف ولهم أمور، قدمهم كلهم، قدم ماله وأهل بيته، وهذه ليس من الأمر الهين أنك أنت بتهاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم لو استطعنا أن نقول أنه مطلوب عند قريش كلها، فمن الذي يعاونه؟ (أبو بكر).

أنت تنظر الآن لو واحد فقط مطارد وجاء نزل عند أحد ستجد الرجل هذا يترك له البيت وفر! انظر (أبو بكر) رضي الله عنه وأرضاه، المسألة دين أصالة، وهذا نبي الله عز وجل. ففضله أن الله اختاره، انتبهوا..الله اختاره لصحبة النبي صلى الله عليه وسلم وهذه لا تكون إلا كونًا؛ الله أراده أن يكون صاحبًا للنبي صلى الله عليه وسلم. فهذا فضل لـ (أبي بكر).

وهذا يبين لك كيف نعطي هؤلاء قوم حقوقهم، وكيف أننا نتعبد إلى الله عز وجل بحب الصحابة رضوان الله عليهم، ونتعبد بحبنا لـ (أبي بكر) و(عمر) كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث (أنس) قال النبي صلى الله عليه وسلم: [المرءُ معَ من أحبَّ]، قَالَ أَنَسٌ: [فَما فَرِحْنَا بشيءٍ، فَرَحَنَا بقَوْلِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أَنْتَ مع مَن أَحْبَبْتَ قَالَ أَنَسٌ: فأنَا أُحِبُّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وأَبَا بَكْرٍ، وعُمَرَ]. فكأنهم يتقربون إلى الله بحب الصحابة رضي الله عنهم وأحبهم النبي صلى الله عليه وسلم ومات وهو عنهم راض.

فهذا الخليفة الراشد (أبو بكر) صاحب النبي صلى الله عليه وسلم قد بكى من الفرح لما علم بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، وقدم ماله ومولاه وابنه وابنته في هذه الحادثة المباركة؛ حادثة الهجرة.

11- طبعًا يسعنا أن نبين فائدة أخرى وهو **دور المرأة في الهجرة**؛ هذه كانت (أسماء بنت أبي بكر) رضي الله عنها، لما سميت "ذات النطاقين" وقد شقت نطاقها قسمين، ربطت النصف الآخر بقربتها، والأول ربطت نصفه بسفرة النبي صلى الله عليه وسلم (الطعام) وعلى البعير، وربطت بالنصف الاخر قربتهما، أي جعلت نصف القربة للماء ونصف للطعام، لذلك سميت بـ "ذات النطاقين". لكن انظر إلى موقفها الأهم ليست المسألة هذه، فهذه المسألة طبعًا مشتهرة، لكن موقفها مع جدها (أبو قحافة)؛ لما هاجر (أبو بكر) جاء (أبو قحافة) دخل عليهم البيت، وكان (أبو بكر) قبل أن يذهب جمع كل ما عنده في البيت كالخمسة آلاف درهم، الأموال، وخرج بها، وما ترك شيئًا، فلما جاء (أبو قحافة) قالت: [فَدَخَلَ عَلَيْنَا جَدِّي أَبُو قُحَافَةَ وَقَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ،] كان لا يرى [فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ قَدْ فَجَعَكُمْ

بِمَالِهِ مَعَ نَفْسِهِ،] أي هو فجعكم بنفسه: أنه تركككم، وبماله: أي أخذ ماله أيضًا [قَالَتْ: قُلْتُ: كَلَّا يَا أَبَهْ، إِنَّهُ قَدْ تَرَكَ لَنَا خَيْرًا كَثِيرًا .قَالَتْ: فَأَخَذْتُ أَحْجَارًا، فَوَضَعْتُهَا فِي كُوَّةِ الْبَيْتِ، كَانَ أَبِي يَضَعُ فِيهَا مَالَهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ عَلَيْهَا ثَوْبًا، ثُمَّ أَخَذْتُ بِيَدِهِ،] ووضعتها عند موضع كان (أبو بكر) يضع فيه الأموال؛ صرر الاموال، فأخذت حجارة وغطتها، وهو لا يرى، فأخذت بيده حتى وضعت يده عند مكان الذي فيه [فَقُلْتُ: يَا أَبَهْ، ضَعْ يَدَكَ عَلَى هَذَا الْمَالِ. قَالَتْ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: لَا بَأْسَ، إِنْ كَانَ قَدْ تَرَكَ لَكُمْ هَذَا] فاطمأن. انظر.. لو امرأة اخرى تنهار، وهذه بنت ليست كبيرة، ومع ذلك انظر تصرفها الحكيم الرشيد، أرادت ألا تفجع الجد وهي فيها ما فيها في حالة، أبوها يهاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم مطارد، وأخذ المال ومع ذلك كيف تهدئ من روع جدها، ومع أنه كان على الكفر، لم يسلم. فـ (أبو قحافة) أسلم وقت فتح مكة، وهذه أيضًا مسألة اخرى، لكنه قال: [وَفِي هَذَا لَكُمْ بَلَاغٌ]، ثم قالت: [وَلَا وَاللَّهِ مَا تَرَكَ لَنَا شَيْئًا، وَلَكِنِّي قَدْ أَرَدْتُ أَنْ أُسْكِنَ الشَّيْخَ بِذَلِكَ]، أي حتى يهدأ. بعض الناس عندما تحدث لهم مشكلة تريد العائلات كلها تدخل معها في المشكلة، والبعض يتصرف بحكمة. هذا يبين لك فضل المرأة عندما تكون رشيدة وعاقلة كيف تساعد أهل بيتها؛ أبوها، أو أخوها، أو زوجها، أو غير ذلك.

12- **<u>من دروس الهجرة أيضًا أن الهجرة بينت لنا فضل المدينة</u>**؛ المدينة لم يكن لها فضل قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، والأوس والخزرج لم يكونوا معروفين قبل الإسلام بشيء، أي لم يكن لهم منقبة كقريش ومكة، لا، الأوس والخزرج حتى كانوا في قتال مع بعضهم البعض ويجلسون مع اليهود في المدينة. لكن لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أصبح هناك فضل للمدينة، وفضل للأوس والخزرج؛ الذين هم الأنصار، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم أن الهجرة للمدينة، هو رأى رؤيا وكان يظن أنها "اليمامة"، كان فيها خضر وبساتين، فقال ظننت أن الهجرة في اليمامة، وهذا يدل على أن

النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم مكان الهجرة حتى أعلمه الله، لكن رأى رؤية كان يظنها اليمامة، ثم كانت المدينة بعد ذلك.

13- **من أهم دروس الهجرة التي ممكن ترد بها على الملحدين الذين يلمزون على النبي صلى الله عليه وسلم يقول كان يريد الشهرة، ويريد المال، ويريد السلطان**، نقول أين ذلك، وكان ممكن أن يأخذه في مكة! عرض عليه أهل مكة المال وعرضوا عليه أن يزوجوه ما يريد من النساء، وعرضوا أن يجمعوا المال كله ويكون تحت سلطانه، فعرضوا عليه السلطان والمال والشهرة والنساء، وكان شريفًا فيهم، وكان أمينًا وصادقًا عندهم، عُرضِت عليه كل المناصب يسودوه عليهم، أي يكون سيدًا عليهم. ومع ذلك ما قبلها، وما جلس، بل هاجر بدون شيء إلى المدينة يريد أن يقيم دولة الإسلام، ويدعو إلى دين الله عز وجل، وتكبد ما تكبده في هذه الهجرة؛ خاطر بنفسه، وبسكنه، وبأولاده، وأهل بيته، لكن همه كله كان التوحيد، هو ما هاجر إلا لنشر الإسلام؛ للتوحيد.

وهذا هو الأصل الذي نتكلم عنه دائمًا؛ أنت هنا في هذه الدنيا بعبادتك لله، وبنشرك لتوحيد الله عز وجل؛ سواء بأفعالك أنت، أو بنشرك هذا التوحيد للناس، توحد الناس، تجعلهم يوحدون الله عز وجل، ويدخلون في دين الإسلام.

14- من أهم دروس الهجرة **مشروعية الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام التي يقيم فيها المسلم شعائر دينه**؛ وهذه مسألة مهمة جدًا، ولابد أن يخاطَب بها أيضًا الذين يجلسون في بلاد الكفر. المسألة أنك الأصل أنك تكون في دار أهل الإسلام والمسلمين، وأنك تجلس بينهم، وتقيم الإسلام معهم، وشعائر الإسلام معهم. لذلك فِعل النبي صلى الله عليه وسلم، إنتقاله من مكة إلى المدينة يبين مشروعية الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام الذي يقيم فيها المسلم شعائر الدين ويجاهر بذلك.

أما من لم يستطع إقامة شعائر الدين في أي مكان، فعليه الهجرة لمكان آخر، حتى لو لم يكن دار كفر، إن لم يستطع أن يقيم شعائر الدين بالوجوب الشرعي، فهنا عليه أن ينتقل أيضًا.

15- في هجرة النبي صلى الله عليه وسلم عندما كان في طريق الهجرة ومر على (بريدة بن الحصيب الأسلمي) عند منطقة كراع الغميم، هو في طريقه مر على هذه المنطقة، وكان (بريدة بن الحصيب الأسلمي) لم يكن مسلمًا، وكان معه ثمانين من قومه، فوقف النبي صلى الله عليه وسلم وتكلم معهم ودعاهم، فدخلوا جميعًا الإسلام، وصلى بهم صلاة العشاء، ثم علمهم صدرا من سورة مريم، هذا وهو في طريق الهجرة. كأن يبين لك أن **كل فرصة يمكن أن تدعو فيها لله لا تفوتها**، هو في طريقه في الهجرة مطارد، لكن لما وصل منطقة كراع الغميم وجد (بريدة بن الحصيب الأسلمي) وكان على الكفر، فدعاه ودعا قومه، فدخلوا في الإسلام. وهذا يبين لك بأنك في طريقك في الدعوة كلما استطعت أن تجد فرصة للدعوة، ولنشر العلم، أو التعلم، أو العلم، لا تتركها، لأنك لا تدري من أين يأتيك القبول، وما هو العمل الأرجي لك، خاصة إن وجدت من يسمع لك.

فالنبي صلى الله عليه وسلم في طريقه أسلم هؤلاء، وذهب إلى المدينة، لكن هنا يبين لك حرصه على الصدع بالحق مع أنه مطارد. ممكن تكون أنت في ضيق، لكن هذا لا يمنعك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودعوة الناس وتعليمهم وغير ذلك. والآن لو أحد فقط عنده مشكلة مالية، ولا عنده شيء، اختفى عن الدعوة، واختفى عن الطلب، كأن الدنيا ضاقت عليه. وهذا النبي صلى الله عليه وسلم يبين لك أنه مطارد وبيهاجر، ومع ذلك لما وجد أناس يريدون أن يسمعون ويدخلون في الدين ما ترك هذه الفرصة، بل علمهم، ودعاهم، ودخلوا في الإسلام بعد ذلك، وهذه أيضًا من الدروس المهمة.

16- من الدروس أيضًا المهمة – مع أننا عرجنا عليها- **ضرورة الجمع بين الأسباب وبين التوكل على الله**. لابد من الجمع بين الأسباب وبين التوكل، وقد بينا ذلك –حتى لا

نكرر – في مسألة استعداد النبي صلى الله عليه وسلم والتوكل مع (أبو بكر) في الغار، وفي غير ذلك أيضًا.

17- **ثبات أهل الإيمان في المواقف الحرجة**؛ وهذه مسألة مهمة جدًا نحن نمر بها في هذه الازمان. من أين هذه الفائدة؟ النبي صلى الله عليه وسلم مع (أبو بكر) واقتراب المشركين من الغار، هنا المواقف التي تعلم فيها قوة الإيمان من ضعف الإيمان، أو أهل الإيمان من أهل النفاق هي في المواقف الحرجة، منها موقف الهجرة؛ لما قال (أبو بكر) "لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه"، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: [ما ظَنُّكَ باثنينِ اللهُ ثالثُهُما؟]، هنا تجد دائمًا في المواقف الحرجة الذي يثبت أهل الإيمان. وهذا دور العلماء والشيوخ وأهل الدعوة، عندما تحدث فتن، أو تحدث نوازل، أو تحدث أمور، وأيضًا دور طالب العلم، هو الذي سيُثَبِّت. **وكيف سيُثَبِّت؟** بعلمه، بإيمانه، برسوخه في العلم سيثبت غيره من الضعاف، الناس تتفاوت إيمانها.

قلنا في غزوة الخندق لما النبي صلى الله عليه وسلم ضرب على الحجر وبشر، أهل الإيمان وأهل الثبات صدَّقوا، وأهل النفاق كذَّبوا. فأنت ستجد بينهما أناس ضعاف الإيمان، وهذا لأن العوام ليسوا كلهم على يقين واحد، والناس يتفاوت إيمانهم.

لكن هنا أهل الإيمان يظهرون لك في المواقف المهمة، الثبات، الثقة بالله عز وجل، وكيف يتكل على الله في الشدائد، كيف يكون عنده يقين بالله أن الله لا يتخلى بذلك. وهذا الذي تجده واقع أحيانًا في بعض النوازل التي نحن فيها الآن أن نجد الذين في المصائب عندهم يقين وثبات، تعجب، ولكن هذا تثبيت من الله عز وجل لهم، على إيمانهم الموجود أصالة، وإلا البعض الذي حتى في مواطن الجهاد والقتال ممكن ألا يثبت، لماذا؟ النبي صلى الله عليه وسلم يقول لما سُئل عن الشهيد أنه لا يفتن في قبره، فقال: [كفَى ببارقةِ السُّيوفِ على رأسِه فتنةً]، أي كفى أن السيوف فوق رأسه وهو ثابت بيقاتل في سبيل الله، فيكفي أنه بيّن الثبات واليقين، فلا يحتاج أن يُسئل في قبره، قد بيّن ذلك. فالثبات هنا لا يكون إلا لأهل

الإيمان، ولا تظن أن الثبات مسألة شجاعة! ليست شجاعة، ولا قوة بدنية، هذا إيمان قلبي، الإيمان القلبي هو الذي يثبت المرء، الذي يجعله يثبت هو الإيمان الذي في القلوب. أما أهل النفاق تجدهم يتهاونون، ينهارون عند الشدائد، يتساقطون، لا يحتملون، أو ضعاف الإيمان، فإن لم يكن من أهل النفاق قد يكون من ضعاف الإيمان.

18- **الحاجة إلى الحلم وملاقاة الإساءة بالإحسان**؛ وهذه لها ضابط حقيقة، نحن أخذناها من فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع صناديد مكة، أحيانًا كان يعاملهم بحلم، ولا يقابل الإساءة بإساءة، وهناك أوقات دعا عليهم وتغير عليهم أصالة، لكنه كان في مكة بيلقى قبل الهجرة كثير من الظلم من الطغاة وصناديد قريش أذوه كثيرًا، فكان يضرب عنهم صفحًا أحيانًا ويعفو. والأهم لما عاد إلى مكة فاتحًا صلى الله عليه وسلم صفح عنهم وقال: [اذهبوا فأنتم الطلقاءُ] وقال [أقولُ لكم ما قال يوسفُ لإخوتِه]. فهذه تبين لك بأنك لابد أيضًا في دعوتك وفي طريقك أن يكون عندك حلم، أحيانًا تلاقي الإساءة بإحسان، وأحيانًا لا تلاقي الإساءة بإحسان ويكون لك موقف، فهذه على حسب المواقف.

19- **أهم فائدة من فوائد الهجرة حقيقة هي انتشار الإسلام بعد ذلك**؛ لأن الهجرة كانت سببًا في إنتقال النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ثم انتشار الإسلام بعد ذلك في ربوع الجزيرة العربية، ثم انتشاره في الآفاق بعد ذلك. وهذه من الفوائد العظيمة في مسألة الهجرة.

20- **قيام الدولة الإسلامية، وقيام المجتمع الاسلامي**، لأن في مكة كانت أهل حق وأهل باطل. ولما ذهب إلى المدينة أصبح ثلاثة: يوجد أهل إسلام، وأهل كفر (وهم اليهود) وأيضًا يوجد أهل النفاق. وظهر النفاق، لم يكن يوجد نفاق في أهل مكة.. لماذا؟ لانهم لا يحتاجون، فالكفر كان عالي، وأهل الإيمان هم المستضعفين. فلما دخلوا المدينة كان هناك علو لأهل الإيمان لأن الأنصار والمهاجرين اجتمعوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فأصبح هناك دولة. وأهل الكفر كانوا موجودين– كما سيأتي معنا– اليهود كانوا موجودين في المدينة والنبي صلى الله عليه وسلم وادعهم، أي عمل معهم معاهدات إلى غير ذلك. ثم بدأ ضعاف

النفوس من أهل النفاق الذين لا يريدون علوًا للإسلام، فأصبح هناك صنف ثالث – سيأتي معنا– هم أهل النفاق.

21- **أيضًا من فوائد الهجرة اجتماع كلمة العرب والمسلمين في وقتها**؛ طبعًا وقتها كانوا عرب ثم بعد ذلك المسلمين، لماذا؟ لأن لما اجتمع المهاجرون مع الأنصار حدث اجتماع لأهل الإسلام، زادوا قوة ورفع شأنهم حتى اضطرت قريش أن تأتي لتقاتلهم بعد ذلك، لأنها علمت أن هناك دولة أقيمت في المدينة –كما سيأتي معنا– أو أنه يخشى عليهم، فجاءوا بعد ذلك لقتالهم. فهنا لا شك بأن من فوائد الهجرة إجتماع كلمة العرب وارتفاعها، وهذا يدل لك على أن الإجتماع مندوب في كل شيء، والإختلاف مكروه مذموم. الإجتماع على الإسلام هو أصل الإجتماع، وأما الإختلاف والتحزب والجماعات وغير ذلك التي تقطع، والله عز وجل قال: {وَٱعۡتَصِمُواْ} [آل عمران: 103] والاعتصام بالله عز وجل والاجتماع، ولا تختلفوا، فهذا كله مقيت يفرق الأمة والأصل الإجتماع على الإسلام، اجتماع الدول حتى.

الاحتلال عندما أراد أن يقطع الأمة الإسلامية ويسقط الخلافة قسمها لدويلات، فكل دويلة أصبح عليها حاكم، فهو لا يريد الإجتماع، فكل الذي يهمه في الدول الاسلامية هو عدم اجتماعها، هذا شغل الشاغل العدو؛ ألا تجتمع الدول الاسلامية ولا يجتمع قادتها أو أي شيء على كلمة واحدة، أو على كلمة الإسلام، وهذا هو الشغل. والأصل بأن اجتماع المسلمين يرعب هؤلاء، لذلك في أماكن العبادات التي فيها الاجتماع يكونوا في رعب، الجمعة بالنسبة لهم رعب، الحج عندما يروا الناس في الحج، وينظرون لإجتماع المسلمين في الحج، كلما كان هناك اجتماع لأهل الإسلام على طاعة الله عز وجل هذا يسبب لهم رعبًا لأنهم يعلمون أنه إذا اجتمع أهل الإسلام لن يقف أحد أمامهم، لن يستطيع، لأنه سيكون التأييد من الله عز وجل.

22- **من أهم الفوائد سلامة التربية النبوية**؛ لأنهم في الأول هم كانوا مستضعفين في مكة ويؤذون، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لهم هاجروا للحبشة، هاجروا، هاجروا مرة ثانية

للحبشة، هاجروا، ثم لما استووا ثلاث عشر سنة يعلمهم النبي صلى الله عليه وسلم ويربيهم في مكة، يقول لهم هاجروا إلى المدينة، هاجروا مباشرة إلى المدينة، فأصبحوا مؤهلين للاستخلاف، مؤهلين لتحكيم شرع الله، لأنه بدأت تنزل الشرائع في المدينة، الأول مكة كان كلها توحيد، ونزلت فرضية الصلاة، ثم لما انتقل للمدينة نزلت فرضية الزكاة، وبعضهم قال أن الزكاة كانت بين مكة والمدينة، والصوم في السنة الثانية من الهجرة، وباقي الشرائع الحج وغير ذلك. فتفاصيل الشرائع نزلت في المدينة. لكن في مكة كانت المسألة كلها على التوحيد ونبذ الشرك. فلما رُبوا في مكة– وهذه تربية نبوية النبي صلى الله عليه وسلم جلس لثلاث عشر سنة يربي فيهم– أصبح الصحابة مؤهلين للاستخلاف. فجاءت الهجرة تنقلهم إلى المدينة ليقوموا بتطبيق ما سينزل عليهم من شرع الله عز وجل، ويجاهرون، لأن أول ما وصلوا المدينة بعد ذلك جاء أمر بالجهاد، وكانوا مُنعوا من الجهاد في مكة وقت الإستضعاف، وهذا سنبينه أيضًا.

23- **<u>أيضًا من فوائد الهجرة تبين لك دور الشباب في المجتمع الإسلامي</u>**؛ وتنظر لـ (علي بن أبي طالب) كان صغيرًا لما بات في فراش النبي صلى الله عليه وسلم، وقدم نفسه بديلا عن النبي صلى الله عليه وسلم. و(عبد الله بن أبي بكر) وكان أيضًا شابًا، وكان يذهب يتحسس أخبار قريش ويزود بها النبي صلى الله عليه وسلم، كان استخبارات. فهذا يبين لك عنصر الشباب هو من الأهمية بمكان.

حتى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم جمع فيها بين المرأة، وبين الشباب، وبين الرجال، وبين أصحاب الخبرة (عبد الله بن أريقط). لكن هنا دور الشباب مهم جدًا، هو الذي يُعوَّل عليه أساسًا في استلام الراية من الأجيال التي قبلها، ونهضة الأمة. انظروا للنبي صلى الله عليه وسلم كيف يؤمر (أسامة بن زيد) وهو ابن ثمانية عشر عامًا في الغزوة أميرًا على كبار الصحابة، (أبو بكر) و(عمر) و(عثمان) و(عليّ) قبل موته، وحتى لما تولى (أبو بكر) أخذ (عمر) واستأذن وترك كبار الصحابة مع (أسامة) وهو ابن ثمانية عشر سنة قائد للجيش

يؤمره النبي صلى الله عليه وسلم أولًا. ولذلك (أبو بكر) رفض أن ينزله عن الإمارة قال: ما كنت أرَجِّع أميرا أمَّرَه النبي صلى الله عليه وسلم (الحديث). فهو يبين لك كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده من الصحابة (عمر بن الخطاب) لما أنكر عليه بعض الصحابة (عبد الرحمن بن عوف) وغيره أن يجلس معهم (عبد الله بن عباس) –وكان صغيرًا– في المجلس، قالوا: [إنَّ لنا أبْناءً مِثْلَهُ] أي لماذا تدخله معنا ونحن كبار وعندنا أولاد في سنه، فأتى بـ (عبد الله بن عباس) وسأله سؤالًا لمسألة: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ} ماذا تقولوا فيها؟ فتكلم فيها بقول أن هذه نعي الرسول صلى الله عليه وسلم، وقال ما علمت منها إلا ذلك، أراد أن يبين للصحابة فضل وقدر (عبد الله بن عباس) وهو شاب، ليبين أن المسألة ليست في السن، المسألة في القدر وما عنده.

لكن كان الصحابة يستعملون الشباب ويكونون لهم ضوء، وليس كالآن أنت تريد أن تجعل الشاب لا يفهم شيء، ويكون وصل للثلاثين ولا يعرف أي شئ! (أسامة بن زيد) ثمانية عشر سنة بيقود جيش أصالة، وليست القيادة مجرد أنه يركب الفرس ويمشي! لكن قيادة. وهذا يبين لك كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يربي الشباب، ويعطيهم مهام، وكيف أن كان لهم دور في الهجرة، ثم سيأتي دور لهم بعد ذلك في الغزوات وغير ذلك.

وكل هذا نقوله ليس للتسلية، نستنبط كل هذه الفوائد التي قلناها لنستفيد منها؛ لنطبقها أصالة.

أهم معالم الدعوة في العهد المكي

1- **العناية القصوى والتأسيس والتكوين والتركيز على العقيدة الخالصة لله عز وجل ونبذ الشرك بكل أشكاله**؛ من أهم المعالم العهد المكي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يركز على تأسيس العقيدة فقط، وإدخال الناس في الدين الجديد، على التوحيد الخالص. وهذه لابد أن ننتبه أيضًا في تطبيقنا، في منهجياتنا في التدريس والتعليم والإلتزام، أو لما يلتزم الأخ لابد أن يلتزم أو الأخت حتى تدعو الناس، لأن الأصل فطرة الإسلام، لكن أهم شيء هي العقيدة. النبي صلى الله عليه وسلم جلس ثلاث عشر سنة من ثلاث وعشرين سنة (بعثته) ثلاث عشرة سنة حتى الهجرة لم يكن فُرِض إلا الصلاة فقط، وكان يركز ويؤكد على التوحيد الخالص ونبذ الشرك.

وللأسف أن هذا بيُترك في أزماننا، بعض الناس طبعًا المبتدعة والطوائف الأخرى تريد أن تحيد عن هذه المنهج؛ منهج أهل السنة والجماعة (السلف)، يقول لك: الناس بالفطرة موحدين، نعم هو الأصل، الفطرة، لكن لا، نعلم أن هناك شرك موجود، ويوجد شرك أكبر ويوجد شرك أصغر، ولابد أن الشرك موجود، وحذر منه النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي أسس.

فأنت أيضًا في المجتمعات التي غاب عنها الدعوة لسنين، ودخلها التغريب، ودخلها أفكار الغرب، ودخلها حتى الطوائف المبتدعة، لابد أن تنتبه.. نعم تدعو الناس لترك المعاصي والكبائر هذا شيء طيب، لكن أصالة هي العقيدة الخالصة، ماذا سيفعل لو كان صاحب خلق طيب لكن عنده شرك! لن ينجيه من النار. فلابد أن نتأسى عند التأسيس والتكوين.

لذلك دائمًا نقول في المنهجية العلمية، لابد لطالب العلم أن يكون له دروس مستمرة في العقيدة؛ كتاب ثم كتاب، ليُثَبِّت ويزيد ويزيد ويُثَبِّت ويرجع، حتى لما ينقل لابد أن يهتم جدًا بالعقيدة. أنت لو تنزل في بعض الأماكن –في كثير حتى في بلادنا وغير بلادنا– تجد

شركيات، وتجد بدع مكفرة، ومنهم بدعم مفسقة، وقد تجد شرك أكبر، تجد شرك أصغر وأنزل في الموالد وفي غير ذلك وفي بعض المناسبات ستجد ذلك.

النبي صلى الله عليه وسلم جلس ثلاث عشرة سنة لهذه المسألة. لذلك الصحابة لما استقر عندهم هذا الأمر وأُذِن لهم بالهجرة، أصبحت مسألة التوحيد والعقيدة ثابتة ويقينة عندهم، انتقل بعدها لمسألة الشرائع، والتفاصيل، إلى غير ذلك.

2-**من أهم ملامح العهد المكي بذل المسألة على تقوية الإيمان**؛ أي تقوية الإيمان وتربية الناس على الصبر والثبات، مهم جدًا أنك في مرحلة التأسيس تزرع، والناس يكون عندهم صبر وثبات، لأن هذا هو المطلوب، لأن سيحدث في هذه المرحلة نوع من الفتن، نوع من الأذى، نوع من الابتلاء، كيف سيستمر بغير صبر ولا ثبات! فلابد وأنت تعلمه لابد تزرع معه الصبر والثبات. وهذا الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم مع الصحابة، لما النبي صلى الله عليه وسلم كان في صحن الكعبة وجاءه (الخباب بن الأرت) الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم: [ألا تَسْتَنْصِرُ لنا، ألا تَدْعُو لَنا؟] لنا فالنبي صلى الله عليه وسلم تغير وجهه، قال: [قَدْ كانَ الرَّجُلُ فيمَن كان قبلَكُمْ يُؤخَذُ فيُحفَرُ له في الأرضِ، فيُجاءُ بالمِنشارِ، فيُوضَعُ على رأْسِهِ، فيُجعَلُ بنصفَينِ، فما يَصُدُّه ذلك عن دِينِه] انظر! وهم في أذى في مكة، والنبي صلى الله عليه وسلم كان بيدعو، لكن أراد أن يعلمهم كيف الصبر والثبات، وهذا كان مهم جدًا في مرحلة البداية في التعليم والتأسيس للالتزام.

وهذه أيضًا يحتاجها الذي يلتزم جديد، أن يكون عنده صبر وثبات، ولا أن يخاف من كل شخص يأتي ويقول له أطلقت لحيتك، بتصلي في المسجد، أنت بتحضر دروس، انت بتعمل كذا، والأخت تلبس الحجاب أو النقاب أو لبست كذا أو تعلمت! لابد أن يتعلم النشأ أولًا الصبر والثبات حتى يكون وسيلة له على الاستمرار بعد ذلك لما تأتيه النوازل، وتأتيه الابتلاءات. وهذا الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم لأنه بعد ذلك انتقلوا للجهاد، كان الأول في مكة يوجد أذى نعم، لكن بعد ذلك أصبح هناك جهاد وملاقاة عدو بعد ذلك.

3-**من الأمور الهامة في العهد المكي مقاومة حجج المشركين ودحضها بالبراهين**؛ وهذا يحتاج لعلم، لما كان أهل الشرك ينكرون على النبي صلى الله عليه وسلم ويتهمونه ويطلبون منه براهين وأدلة وردود، فكان يرد على الشبهات بالبراهين وبالبينات الظاهرة، وهذا لابد له من أسلوب يكون منضبط علميًا ومقبول أيضًا دعويًا، هذا يحتاج إلى ضبط علمي أي يكون عندك العلم الذي ترد به على الشبهات واسلوب هادئ توصل به المعلومة.

للأسف بنرى البعض ما عندهم العلم وعندهم إتقان، لكن طريقته في المناقشة وفي الحوار وفي الجدال تجعل أي واحد يدخل يناقشه لا يريد أن يفهم منه أصلًا، بل ينفره. وهذه نتعلمها كنا دائمًا في الدروس، حتى الذي يدرس في الجامعات ويدرس خاص أو عام أو في الأمور الشرعية توجد مواد في كيفية المناظرة، والمناقشة، والمحاورة، والجدال، ورؤية الخصم، وكيفية التعامل معه، وخاصة في زمننا بعد انتشار وسائل التواصل وتغير الشخصيات وأصبح لك معارف وشبهات كثيرة، أنت لابد أن تعرف كيف تتعامل مع الذي يأتيك.

الشاب جاء للنبي صلى الله عليه وسلم قال له: [يا رسولَ اللهِ ائذنْ لي بالزِّنا]، الصحابة كانوا سيفتكوا به. ماذا فعل فيه النبي صلى الله عليه وسلم؟ أجلسه قال: أترضاه لأمك؟ قال: لا، ترضاه لأختك؟ قال لا، أترضاه لكذا؟ قال لا، قال وكذلك الناس لا يرضونه، ثم وضع يده على صدره ودعا له.

والرجل الأعرابي الذي بال في المسجد، فماذا فعل معه النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: [لا تُزْرِمُوهُ] ثم أتى به: إن المساجد ليس فيها كذا وكذا وكذا، والصحابة كانوا سيفتكون به.

فلا يكفي العلم فقط، بل الطريقة والأسلوب، لابد أن تجمع بين الإثنين؛ علم ترد به على الشبهات وإلا لا ترد.

لأن حدث انقلاب عندنا، فأصبحت أرى بعض الدورات والشباب وحتى المبتدئين يسارعون في دورات لدعوة العلمانيين، والملحدين، وغير ذلك متخصصة، أولًا يأخذها حتى يستطيع أن يناقش، وهذا خطأ! أنت لابد تعرف دينك أصلًا، عقيدتك، وتثبت عندك، وتكون على أساس،

وهذه لمن يقرأ لابن تيمية يبين أن آخر مرحلة من مراحل دراسة العقيدة أنك تنتقل لمسألة الرد على الشبهات، والمجادلة مع المخالف، وإلا هذه لا تكون إلا بعد ثبات.

نعم أرادوا الخير، لكن هذا الخير حقيقة ليس بطريقة منضبطة شرعيًا، لأنك أنت عندما تأخذ دورة وتعرف ما يقولون وتحفظ ما يقولون، لكن لو ضربك في الصميم في شيء عندك وأنت لا تعلمه في دينك، ستُفتَن أنت أصلًا، ولن تستطيع أن ترد. لذلك لابد ألا يستعجل المسألة، لابد أن يتأصل أولًا، ثم بعد ذلك يرد.

4-أيضًا من المسائل التي في العهد المكي التي لها علاقة بمقاصد الشريعة، وفقه الأولويات، والموازنات؛ **مراعاة فقه الأولويات، بأن كان التركيز في العهد المكي على العقيدة الصحيحة، والتوحيد الخالص، ونبذ الشرك، وعلى الأخلاق، كان هناك تزكية للنفس وتربية**؛ هذا كان أولًا. لماذا؟ لأن هذا ما يحتاجه أولًا، عندما تعده، بعد ذلك انتقل معه للتعليم، وانتقل معه للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد، وغير ذلك. فهنا فقه الأولويات مهم جدًا أنك تعلمه، ومن يُعلِّم لابد أن يستدرك هذه المسألة.

للاسف عندنا مسابقة حفظ القرآن، وحفظ كذا، وحفظ كذا، وهو من داخله فاضي، بل حتى أول ما الولد يبدأ يشب، يريد أهله أولًا أن ينزل المسجد ويصلي.. لكن عَلِّمه الأول من هو ربنا، علمه أسماء الله عز وجل، صفاته، ازرع في قلبه الإيمان والحب لله، هو سينزل. لكن إن نحن أخذنا بالظاهر فقط وقلبه فاضي، ما الذي سيدفع قلبه أن ينزل، غير مستشعر أصالة، كيف يحب الصلاة. فلابد أنك تبين فقه الأولويات أصالة في التعليم.

5-**مراعاة التدرج**؛ طبعًا مسألة التدرج هذه لها شقين؛ بعض الناس يفهما خطأ. طبعًا الشريعة اكتملت، لا يوجد شئ اسمه تدرج الآن! فلا يأتي لك أحد يقول لك أنت تشرب خمرة اشربها صباحًا ولا تشرب ليلًا، اشرب قبل الصلاة ولا تشرب بعد الصلاة! لا، هذا كان وقت نزول الأحكام، فكان هناك تدرج في بعض الأحكام، لكن لما حُرِّمت الخمر كما قال (أنس) [افترقت الخمر في شوارع المدينة] نادى منادي أن الله عز وجل قد حرم الخمر، [وكانت

الكؤوس تدور على الرؤوس] كما قال (أنس)؛ أي كان يسقي القوم، أول ما سمعوا قال (أبو طلحة): أهرق قوارير الخمر. فكانت شوارع المدينة كلها خمر أول ما سمعوا التحريم.

فنقول نعم يوجد تدرج لما تأتي وتجد شخص الآن يلبس سلسلة ذهب وواقف عند القبر بيطوف، هل ستدعوه الأول لنبذ طواف القبر، أم تقول له الذهب حرام للرجال؟ الأول تنجيه من الشرك الذي هو موجود فيه، ثم بعدما تنجيه من الشرك تكلمه في أن الذهب حرام. هنا ليس المقصود أن أنت بتوقف حكم، لكن يوجد الأهم الآن، في التدرج معه في الدعوة أصالة، هذا هو التدرج.

لذلك في العهد المكي يظهر لك أن النبي صلى الله عليه وسلم الله عز وجل أمره أولًا بالدعوة سرًا، ثم بعد ذلك جهرًا، ولو تذكروا في بيعة العقبة الثانية لما قالوا: ننزل على أهل العقبة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا، ما أُمرنا بالقتال. لماذا؟ لأن الأمر ما كان مأذونًا به. وقتها، لأن هناك تدرج.

كذلك أنت، لما بنقول نعم خذوا بالأسباب المادية والتوكل على الله، أكيد سيوجد تفاوت، لكن أيضًا يوجد تدرج، فأنت لكي تأخذ بالأسباب المادية، لابد أن تُدَرِج؛ تربي الناس، وتعطيهم إيمان، وتعلمهم أن الأسباب التي معكم هذه ليست هي الأسباب التي ستنصركم وإن كانت مادية ونعدها ونتقنها، فأنت محتاج للتدرج أيضًا في تجهيز الناس. فهذه كلها كانت الفترة المكية موجودة من حيث السرية، ثم الجهرية، ثم بعد ذلك بدأوا بمواجهة المشركين أنهم يبينوا ويصبروا، و(أبو بكر) يقف يصلي في بيته ويسمعونه الناس، ثم يحاجهم بالقرآن: {وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا} [الفرقان: 52]. فحدث تدرج في مكة إلى أن انتهت هذه الفترة وانتقلوا إلى المدينة.

6-أيضًا من الفوائد المهمة التي كنا نقولها الآن **حماية المسلمين الجدد**؛ من خلال أنك تمنعه من المواجهة، المسلم الجديد ليس المقصود به كان كافر ودخل الإسلام حتى لو هو ضعيف الإيمان، أنك بتحميه من المواجهة واستعمال القوة حتى يستطيع. وهذه بنقولها لأن الناس

تظن أننا عندما نقول بالأسباب المادية أي القوهم في التهلكة! لا، فليس كل الناس يستطيعون أن يواجهوا، ولن تجد أحد واجه إلا بعد ظل سنين يتدرج. سيأتي في المدينة كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وصل المدينة بدأ يبعث بعثات؛ بعثة على الساحل لقريش، ثم بعث ناحية مكة، وظل يتدرج في البعوث حتى حدثت غزوة بدر الأولى، ثم بدر الكبرى، فكان حتى في القتال يتدرج في مسألة التحسس فيها.

فنقول هنا أيضًا في المسلمون الجدد أو الذين لم يتحسسوا، تمنعهم من المواجهة واستعمال القوة، قال تعالى: {كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ} [النساء: 77] أي لا تقاتلوا الآن، أقيموا الصلاة فقط لأن أنتم لستم أهل لهذه المواجهة. لأن أيضًا لابد الناس تفهم أن المسألة ليست "عنترة" كما يقال، لا، لابد من تجهيز. وهذا يبين لك أن في العهد المكي أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يجهز وأُمروا بكف أيديهم وإقامة الصلاة حتى تجهز الناس.

7-**في العهد المكي كان دائمًا هناك محاولة مستمرة للتوسع في الدعوة**؛ لماذا؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكتف بأهل مكة، بل كان عندما بيأتي الوفود يحاول يدعوهم في زمان المناسبات، ثم خرج للطائف وحول الطائف، ثم عندما كانت تأتي القبائل والوفود كان يدعو. إذًا في هذه المرحلة كان هناك توسع، نعم كان سرًا ثم جهرًا، لكن أيضًا كان هناك توسع في دائرة الدعوة. وهذا يبين لك بأنك تحرص حتى وان كنت تعمل في دائرة معينة أنك تحاول أيضًا أن تتوسع في دائرة الدعوة كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، لم يمنعه ما هو فيه في مكة أنه يتوسع.

8- **النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطط لمستقبل الدعوة**؛ وهذه مسألة مهمة أيضًا، وهذه طبعًا خاصة بالدعاة والشيوخ والعلماء، وللأسف نحن في هذا الزمن هذه المسألة تحتاج لنظر شديد، لأن الغياب هذا فكر ظاهر الآن عند علماء الأمة، لكن تأسية بالنبي صلى الله عليه وسلم لابد أن يكون هناك تخطيط للدعوة؛ الدعوة عمومًا في بلدك وفي البلاد الإسلامية، وكيف تنهض بالدعوة، وكيف يكون هناك تخطيط استراتيجي أو تخطيط لمستقبل

الدعوة. ولكن نتيجة للتقطيع، والصد، وغير ذلك تجد أن الكل بيعمل انفرادي للأسف، بيعمل بعدم رؤية، فهي توجد رؤية لكن رؤية لو اجتمعوا ولو كان هناك فكر موحد وصوب موحد لا شك بأنه سيفيد الأمة بأكثر من ذلك. وهذه فائدة تحتاج أن أهل العلم كما يجتمعون في الأمور الفقهية أن يكون هناك اجتماع حقيقة على كيفية الارتقاء بالدعوة والأساليب وغير ذلك، ويكون هناك هدف عام يحمله الناس جميعًا، هدف عام وموحد هو كيفية نصرة هذا الدين والإنتفاع بإيمانيات الناس وإخراج الطلاب وتحقيق الشريعة وغير ذلك، هذه من الأهمية بمكان، ويظهر لك أن النبي صلى الله عليه وسلم ما اكتفى في مكة بذلك، لأن بيعة العقبة لما جاء أهل المدينة أمرهم بأن يرجعوا يدعوا. فانظر.. طلب منهم الدعوة، وبيعة العقبة الثانية رجعوا ودعوا، بل بعد ذلك أرسل لهم (مصعب بن عمير) في بعثة ليدعوهم، ثم رجع. هذا يبين لك التخطيط، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وجد أن هذا المكان مستجاب فيه؛ أي هم يجيبونه في دعوته، فما تركهم هكذا، بل خطط لكيف ينشرون الإسلام في هذا المكان. حتى لما حدث الإنتشار انتقل، وهذا مهم، أن يكون لك خطط مستقبلية لنشر الدين في الارض، نحن ما وُجِدنا في هذه الدنيا إلا لذلك أصالة. وهذا أيضًا ما نستفيد منه من فعل النبي صلى الله عليه وسلم.

هذه كانت كلها دروس مستفادة حقيقة من مسألة الهجرة والعهد المكي، لانه بعد ذلك هندخل في العهد المدني.

فصل: دُخُولُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْمَدِينَةَ

وَقَدْ كَانَ بَلَغَ الأَنْصَارَ مَخْرَجُهُ مِنْ مَكَّةَ، وَقَصْدُهُ إِيَّاهُمْ، فَكانوا كل يوم يخرجون إلى الْحَرَّةِ ينتظرونه، فلما كان يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول على رأس ثلاث عشرة سنة من نُبُوَّتِهِ، وافاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتدَّ الضُّحَى، وَكَانَ قَدْ خَرَجَ الأَنْصَارُ يومئذٍ، فلما طال عليهم، رجعوا إلى بيوتهم. وكان أول من بَصُرَ بهِ: رجلٌ من اليهود – وكان على سطح أُطْمِهِ، فنادى بأعلى صوته: يَا بَنِي قَيْلَةَ! هَذَا جَدُّكُمُ الَّذِي تَنتَظِرُونَ! فخرج الأنصار في سلاحهم، وحَيَّوه بتحيَّةِ النُّبُوَّةِ.

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بِقُبَاءَ عَلَى كُلْثُومِ بنِ الْهَدَمِ.

وقيلَ: بَل عَلَى سَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ.

وَجَاءَ المسلمون يسلمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكثرهم لم يَرَهُ بعد، وكان بعضهم أو أكثرهم يظنه أبا بكر؛ لكثرة شيبه، فلما اشتد الحر، قام أبو بكر بثوب يُظِلُّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فَتَحَقَّقَ النَّاسُ حِينئذ رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

- هنا هذا الفصل عقده الإمام ابن كثير على دخول النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، بعد أن بلغ الأنصار أن النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج من مكة قاصدًا للمدينة، فكانوا يخرجون كل يوم لإستقبال النبي صلى الله عليه وسلم. وكان عندهم مكانين؛ الحرة الشرقية والحرة الغربية، فكانوا يخرجون باكرًا حتى يشتد الضحى؛ الشمس، ولما النبي صلى الله عليه وسلم لم يأت يرجعون إلى بيوتهم، فيخرجون الصباح حتى تشتد حرارة الشمس ثم بعد ذلك يرجعوا.
- فقال: **(فلما كان يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول)**، وقلنا أن يوم الإثنين له أكثر من مناسبة ذكرها (ابن عباس) رضي الله عنه وأرضاه؛ ولد يوم الإثنين، وبُعِث، نزل عليه أول

ما نزل يوم الإثنين، ثم هاجر يوم الإثنين من مكة، ووصل للمدينة يوم الإثنين، وتوفي صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين.

- قال: **(فلما كان يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول على رأس ثلاث عشرة سنة من نُبُوَّتِهِ، وافاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتدَّ الضُّحَى، وَكَانَ قَدْ خَرَجَ الأَنْصَارُ يومئذٍ، فلما طال عليهم، رجعوا إلى بيوتهم. وكان أول من بَصُرَ بهِ: رجلٌ من اليهود – وكان على سطح أُطْمِهِ)** أطمة: أي حصن من حجارة واقف عليه، ويبدو أنه كان له هذا الحصن أو شيء بيتابع أموره، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم و(أبو بكر)، **(فنادى بأعلى صوته: يَا بَنِي قَيْلَةَ!)**، بنو قيلة هم الأوس والخزرج، كانوا إخوة هم الإثنين وكانت أمهم تسمى (قيلة) فسموا: (بني قيلة)، وكانت قبيلتين؛ الأوس والخزرج كما بينا من قبل.
- فقال: **(يَا بَنِي قَيْلَةَ! هَذَا جَدُّكُمُ الَّذِي تَنتَظِرُونَ!)** هذا جدكم قد قدم، فخرج الأنصار، وطبعًا كانوا ينتظرونه.
- **(فخرج الأنصار في سلاحهم، وحَيَّوه بتحيَّةِ النُّبُوَّةِ)**، تحية النبوة أي كانوا يقولون: "السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله". فكانوا يسلمون بذكر الرسالة أو بذكر النبوة، هذه معناها تحية النبوة، أو "يا نبي الله"، أو "يا أيها النبي". حتى بعضهم قالوا: "جاء نبي الله.. جاء نبي الله". طبعًا مسألة "طلع البدر علينا من ثنيات الوداع"، هذه لا تكون لسبب، لأن "ثنية الوداع" ليست في طريق من يدخل من مكة إلى المدينة، لكن "ثنية الوداع" هذا طريق لمن يأتي من الشام إلى المدينة. لذلك النبي صلى الله عليه وسلم أتى من مكة إلى المدينة، فليس في طريقه "ثنية الوداع"، فهذه مدخولة لما قالوا "طلع البدر علينا من ثنيات الوداع". و"ثنية الوداع" حقيقة المكان موجود في المدينة لكنه يمر عليه من يأتي من الشام وليس من يأتي من مكة، لذلك هو ليس بصحيح هذه المسألة. و(ابن القيم) قال ذلك في "زاد المعاد" قال أن الذي يدخل المدينة قادمًا من مكة لا يرى ثنية الوداع ولا يمر بها لأنها تقابل القادم من جهة الشام.

- ثم قال: **(ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بِقُبَاءَ عَلَى كُلْثُومِ بنِ الْهَدَمِ. وقيلَ: بَل عَلَى سَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ.)** و(سعد بن خيثمة) لو تذكروا كان أحد النقباء الثلاثة من الأوس؛ كانوا ثلاثة من الأوس وتسعة من الخزرخ، فهو كان من نقباء الأوس.
- وقيل على بني (عمرو بن عوف)، والحق أن (ابن القيم) ذكر بني (عمرو بن عوف) وهو الأصوب والله أعلم في "زاد المعاد" قال: "هو الأثبت" أنه نزل على بني (عمرو بن عوف) لأنه جاء في صحيح البخاري من حديث (أنس) رضي الله عنه أن [قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَنَزَلَ أَعْلَى الْمَدِينَةِ فِي حَيْ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ]، فهذا أثبت حديثيًا على أنه نزل في (بني عوف).
- قال: **(وَجَاءَ المسلمون يسلمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكثرهم لم يَرَهُ بعد)**، كثير من أهل المدينة لم يكونوا يعلموا النبي صلى الله عليه وسلم، فالذين علموه فقط هم الذين رأوه في مكة وأخذوا البيعة منه ثم النبي صلى الله عليه وسلم أرسل (مصعب) يعلمهم ولم يروه، **(وكان بعضهم أو أكثرهم يظنه أبا بكر)**، كان أكثر شيبة، عنده شيبة، فكان بعضهم يظنون أنه (أبو بكر)، فلما اشتد الحر وقام (أبو بكر) يظلل على النبي صلى الله عليه وسلم علموا أن هذا هو النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا يستحيون أن يسألون، كانوا يهابون الأمر. **(فلما اشتد الحر، قام أبو بكر بثوب يُظِلُّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فَتَحَقَّقَ النَّاسُ حِينئذ رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ)**.

فصل: اسْتِقْرَارُهُ بِالْمَدِينَةِ

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بِقُبَاءَ أَيَّامًا. وقيل: أربعةَ عَشَرَ يومًا؛ وأَسَّسَ مَسْجِدَ قُباء، ثُمَّ ركب بأمر الله تعالى، فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، فصلاها في المسجد الذي في

بطن وادي رانونا، ورغب إليه أهل تلك الدار أن ينزل عليهم، فقال: [دَعُوهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ]، فلم تزل ناقته سائرة به، لا تمر بدار من دور الأنصار إلا رغبوا إليه في النزول عليهم، فيقول:

[دَعُوهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ]. فلما جاءت موضع مسجده اليوم، بركت، ولم ينزل عنها صلى الله عليه وسلم حتى نهضت وسارت قليلًا، ثُمَّ التفتت ورجعت، فبركت في موضعها الأول، فنزل عنها، وذلك في دار بني النجار، فحمل أبو أيوب رضي الله عنه رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله.

واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع المسجد، وكان مِربدًا ليتيمين، وبناه مسجدًا، فهو مسجده الآن، وَبَنَى لآلِ رسول الله صلى الله عليه وسلم حُجَرًا إلى جانبه.

وأما عليّ رضي الله عنه: فأقام بمكة ريثما أدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده، وغير ذلك، ثُمَّ لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم.

- هنا بعدما دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قيل أنه جلس بقباء أربع عشر يوم وهذا أيضًا جاء في صحيح البخاري من حديث (أنس) رضي الله عنه قال: [فأقام فيهم أربعَ عشرةَ ليلةً] وأسس مسجد قباء، المشهور حتى الآن وفيه ميزة النبي صلى الله عليه وسلم يأتيه يوم السبت فيصلي فيه ركعتين وقال أنه فيه أجر عمرة لمن ذهب ثم ركب بعد ذلك.
- قال: **(وأَسَّسَ مَسْجِدَ قُباء، ثُمَّ ركب بأمر الله تعالى، فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، فصلاها في المسجد الذي في بطن وادي رانونا)**، وبعضهم يقول أن هذه أول جمعة صلاها النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة، لكن الإشكال أن عندك أربعة عشر يوم جلس في قباء، فلابد أنه مرت عليه أيضًا جمعة، بعض الأئمة في كتب السير يقولون أن النبي صلى الله عليه وسلم أول جمعة صلاها في وادي رانونا الذي تكلم عنه الحافظ هنا، لكن لو قلنا لحديث (أنس) في البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم جلس في قباء أربع

عشر ليلة فلابد أنه صلى قبل ذلك جمعة على الأقل واحدة أو جمعتين قبل أن يدخل المدينة مرورًا برانونا، وهذا هو الصحيح أنه لابد أن يكون كذلك.

- ثم قال: **(ورغب إليه أهل تلك الدار أن ينزل عليهم، فقال: [دَعُوهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ])**، هنا القصواء أو ناقة النبي صلى الله عليه وسلم كانت مأمورة، إذًا المكان هذا مكان بوحي، أو أنها أُمرت بذلك على أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتركوها فإنها مأمورة، تستقر في موضع هو استقرار النبي صلى الله عليه وسلم، حتى جاءت إلى الموضع الذي هو فيه المسجد الآن.
- وطبعًا الناس كانوا يتنازعون على أن ينزل النبي صلى الله عليه وسلم ضيفًا عندهم رغبة في استضافة النبي صلى الله عليه وسلم. ولما استقرت عند ديار (بني النجار) وهم أخوال (عبد المطلب) جد النبي صلى الله عليه وسلم فقال: [أَنْزِلُ علَى بَنِي النَّجَّارِ، أَخْوَالِ عبدِ المُطَّلِبِ، أُكْرِمُهُمْ بذلكَ] أي نزول النبي صلى الله عليه وسلم عندهم اكرامًا لهم، لفضل النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا.
- فلما نزلت الناقة كان أقرب بيت للموضع الذي نزلت بيت (أبو أيوب الأنصاري)، هنيئا لـ (أبو أيوب الأنصاري) رضي الله عنه بأنه حمل رحل النبي صلى الله عليه إلى بيته. وحتى له قصة لم يتعرض لها هنا، أن كان له طابيقين فجعلهم أولًا في الأسفل، ثم أراد أن يكون في الأعلى لما قالت له امرأته كيف أن يكونوا أعلى، والنبي صلى الله عليه وسلم أسفل! إلى آخر القصة، هذه ممكن نمر عليها لاحقًا.
- وفي بعض الروايات أنه جلس في بيته سبعة أشهر حتى بنى المسجد وبنى البيوت التي هي بيوت النبي صلى الله عليه وسلم الملاصقة للمسجد. وظل النبي صلى الله عليه وسلم في هذه البيوت حتى دفن صلى الله عليه وسلم في حجرة (عائشة).

- قال: **(واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع المسجد)** وهو أصلًا كان ليتيمين المكان هذا، فأراد أن يشتريهم. وكان اليتيمين مكفولين من (أسعد بن زرارة) رضي الله عنه، وهو من النقباء، وأول من جمَّع في المدينة؛ أي جمع بالناس الجمعة.
- وكان مربدًا للتمر –مخزن للتمر أو غير ذلك– لسهيل وسهل غلامين يتيمين من الأنصار كانوا في حجر (أسعد بن زرارة) رضي الله عن الجميع. ثم دعاهما النبي صلى الله عليه وسلم وساومهما على المسجد، فقالا: [بل نهبه لك يا رسول الله].
- ثم بنى المسجد، ولبناء المسجد قصة – قد تأتي معنا– أنه كان يأخذوا اللبن أي الحجارة، وكان هناك ذكر يردد بين المهاجرين والأنصار مع النبي صلى الله عليه وسلم (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر اللهم للأنصار والمهاجرة). كان النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة يرددون ذلك أيضًا.
- ثم قال: **(وأما عليّ رضي الله عنه: فأقام بمكة)** و(عليّ) طبعًا تركه النبي صلى الله عليه وسلم في فراشه. وكان النبي صلى الله عليه وسلم أمينا في قومه، فكانوا يضعون عنده الودائع، ومع ذلك الودائع التي كانت عنده، ومع ما يفعلونه قريش فيه فكانوا قد خرجوا ليقتلوه، كان ممكن بسهولة أنه يستبيح الودائع، ويستبيح الأموال، وغير ذلك. ولكنه صلى الله عليه وسلم يبين لك كيف أن العدل يكون مع الكافر ومع المسلم. وقد يكون طبعًا الذين لهم ودائع ليسوا هم الذين كانوا يريدون قتل النبي صلى الله عليه وسلم، لكي نقول حكم المحارب أو شئ، لا، ومع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم كان حريصًا على أن يكلف (علي بن أبي طالب) أن يرد الودائع أولًا التي في ذمته لأصحابها، ثم يرجع بعد ذلك. وهذه تبين لك أنه مع قصد قتلهم للنبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا متربصين به، وغير ذلك. وهو كان معروفًا بالأمين، ومع ذلك كان حريصًا على أن يرد ذلك، أولًا: حتى لا يقال أنه أخذ ودائع الناس فيتهمونه في أمر هو معلوم عنه بالأمانة، وثانيًا: قد نقول فيها تفصيل يبين أن فيه أمور {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟} [المائدة: 8]، أي قد تكون هذه الودائع

لأناس ليسوا مشتركين في مسألة القتل هذه، فهذه حقوق لهم، ففيها تفصيل كما نقول، ولكن أمانة النبي صلى الله عليه وسلم أمانة عظيمة جدًا؛ مدرسة تدرس، لأن بعض الناس يستبيحون أموال أناس بالظن والشك فقط، وبعض الناس الذين يجلسون في ديار الكفر عند بعض الناس أحيانًا بيستحلون أموال الكفار وهو جالس بينهم؛ أخذ عهد أن يجلس بينهم، وأنه مؤمن! فمن قال لك أنك يجوز لك أن تتعدى على أموالهم! العدل عدل، والظلم ظلمات يوم القيامة. الله عز وجل يأمر بالعدل والإحسان بين المسلم والمسلم والمسلم والكافر، هذا هو الدين عندنا. و نعم عندنا من ليس معصومًا هو: "الحربي"، هذا ليس معصوم لدم ولا مال ولا شيء، هذا له حكم، لكن غير ذلك الذي كان معصومًا أو أمَّنك أو عهَّدَك ليس لك أنك تخونه وأن تغدر به، أو أنك تستبيح أمواله. هذا هو عدل الإسلام الذي جعل أناس كثير من الكفار يدخلون في الإسلام لما رأوا هذا العدل الذي ليس موجودًا في أي ملة أخرى عند هؤلاء الذين حرفوا الملل الموجودة.

فصل: مُوَادَعَةُ الْيَهُودِ، وَالْمُؤَاخَاةُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَفَرْضُ الزَّكَاةِ

وَوَادَعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بالمدينة من اليهود، وكتب بذلك كتابًا، وأسلم حبرهم: عبد الله بن سلام، وَكَفَر عَامَّتُهُم، وكانوا ثلاث قبائل :

1- بنو قينقاع.

2-وبنو النضير.

3-وبنو قريظة.

وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، فكانوا يتوارثون بهذا الإخاء في ابتداء الإسلام إرثًا مُقَدِّمًا على القرابة.

وفَرَضَ الله سبحانه وتعالى إِذْ ذاك الزكاة رفقاً بفقراء المهاجرين، وكذا ذكر ابن حزم في هذا التاريخ.

وقد قال بعض الحفاظ من علماء الحديث: إِنَّهُ أَعْيَاهُ فَرْضُ الزَّكَاةِ مَتَى كَانَ؟

- هذه الجزئية هي عندما دخل النبي صلى الله عليه وسلم للمدينة، وهنا انتقل إلى نوع جديد من الكفار؛ وهم اليهود. وكان اليهود يسكنون المدينة، وكانوا يسكنون مع الأوس والخزرج – كما قلنا في بداية بيعة العقبة لما قالوا أنه سيخرج رسول وسيكون من عندنا وسنقاتلكم قتل عاد وغير ذلك. وكانوا يهددون الأوس والخزرج، فلما نزلوا وجدوا النبي صلى الله عليه وسلم في مكة بايعوه ورجعوا، ثم انتشر الإسلام في المدينة، وجاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة.
- بدأ هنا أول أعمال النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة بعد الإنتهاء من المسجد. يبين الحافظ هنا بأن النبي صلى الله عليه وسلم وادع اليهود، وكانوا ثلاث قبائل كما قال: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة.
- وهو حقيقة يبين أيضًا أن في هذا الوقت كان قد مات (أسعد بن زرارة) رضي الله عنه أحد الستة الذين قد بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم؛ بيعة النساء الأولى لو تذكروا؛ الستة الأنصار الذين عرض عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وأسلموا.
- وفي هذه السنة الأولى هناك بعض الأمور أيضًا ما ذكرها الحافظ لكن نبينها؛ أن أول مولود ولد من المهاجرين هو (عبد الله بن الزبير)، وأول مولود من الأنصار (النعمان بن بشير) الذي جاء أبوه للنبي صلى الله عليه وسلم يقول أريد أن أشهدك على عطايا سيعطيها له فقال أعطيت كل أولادك مثله؟ قال لا، قال اذهب فإني [لا أَشْهَدُ علَى جَوْرٍ]. فـ (النعمان بن بشير) أول مولود من الأنصار بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة.

- **(وَوَادَعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بالمدينة من اليهود)**، وادع: أي كتب معاهدة معهم. وهنا طبعًا ستأتي أمور مع اليهود سنبين هنا كانت توجد معاهدة بينهم مع النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة مع اليهود، وأسلم حبرهم؛ -والحبر هو العالم- (عبد الله بن سلام) رضي الله عنه، كان من أحبار اليهود، أي من علماء اليهود، ومع ذلك، انظر.. كتب الله عز وجل له الهداية أن يكون من الصحابة ومن أهل الإسلام. وهو كان يقرأ وكان يعلم أن هناك رسول، فلما جاء للمدينة وشرح الله صدره طبعًا، فجاء للنبي صلى الله عليه وسلم وأسلم، لكن قال للنبي صلى الله عليه وسلم لا تخبرهم على أني أسلمت، [إن اليهود قوم بهت] ائت بهم الأول واسألهم عني ثم أخبرهم عن إسلامي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم اليهود يكذبون.
- وهذا هو دأب اليهود! دائمًا أهل بهت، وكذب، وكل شيء، لا أمان لهم، والذي يظن أنه ممكن أن يعاهدهم في شيء هذا موهوم أصالة، كذبوا على النبي صلى الله عليه وسلم نفسه وأرادوا قتله، بل قتلوه والصحيح أن الشاه المسمومة التي أكلها النبي صلى الله عليه وسلم كانت سببا فمقتل النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك، أراد الله عز وجل أن يجري السم بعد ذلك ويكون سببًا لمقتله. فهم قتلة الأنبياء أصالة، لا عهد ولا أمان ولا سلام مع هؤلاء، وقتالهم بيننا وبينهم إلى قيام الساعة أمر منتهي، وعقيدة لابد أن تثبت في عقول وفي أبصار وفي اعتقادات كل أحد، وإن كانت هذه أمور للوقت أو لعزة الإسلام أو الإستعداد يكون هناك بعض المهادنات والمعاهدات كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، لكن لابد أن نعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بين أنه لن تقوم الساعة حتى يقول الحجر للمؤمن: [يا مُسْلِمُ يا عَبْدَ اللهِ هذا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعالَ فاقْتُلْهُ]. فهذه مسألة مسطرة، هذه حرب عقيدة، هذه مسألة ليست حتى على أرض فلسطين ولا المسجد الأقصى، لا، هذا إيمان وكفر، إسلام وكفر، هذا هو الأصل في المسألة، حتى لا يصور أحد أن المسألة مسألة أرض، أننا لو

أخذنا الأرض نكون حلوين مع بعض! لا هذا الكلام خطأ، ولو أحد عنده العقيدة هذه فهذه عقيدة خطأ، خربة، ما تقيم لها راية أصالة.

- فـ (عبد الله بن سلام) قال له ذلك؛ أن اليهود يكذبون ويفترون فأريد أن تدعوهم قبل أن أعلن إسلامي وتسألهم عني. فجاءوا اليهود وطبعًا اختبأ (عبد الله بن سلام) في الداخل، فجاءوا للنبي صلى الله عليه وسلم فأول شئ دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم للإسلام، فأبوا، امتنعوا، وما رضوا الإسلام، قال: كيف عبد الله بن سلام فيكم؟ قالوا سيدنا وابن سيدنا، عالمنا وابن عالمنا، قال أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام ؟ قالوا: حاشاه أن يسلم، قال: أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟ قالوا حاشاه أن يسلم، قال: أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟ قالوا حاشاه أن يسلم. اعادها ثلاثًا، ثم خرج عليهم (عبد الله بن سلام) وأعلن إسلامه على الملأ: أي شهد بذلك، فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم، اتقوا الله ودعاهم للإسلام، وهو حبرهم وعالمهم، فمفروض يستجيبوا له، قالوا: كذبت كنت بئس القوم، وذموا فيه أمام النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يقبلوا، مع أنهم كانوا أعلوا مكانته، وفي دقائق جعلوه ليس له لا مكانة ولا شيء.
- وهذا كله كما قلنا لتعلموا، أنا عجبت أن بعض أناس التقيت بهم تغيُر في الأفكار، ومجتمعات أيضًا الآن يغيرون، يظنون بأن المسألة موادعة وأننا ماذا نفعل في المسألة هذه! كأنهم لم يقرأوا من قبل في الدين، مع أنه مجتمعات قرئ عليهم كتب شريعة كثيرة جدًا ويعلمون ما الصراع الذي بين اليهود وأهل الإسلام أصالة في العالم ككل، ولكن يريدون أن يضعوا رؤوسهم في الرمال، ويريدون أن يكونوا من أهل الإرجاف، ويريدون أن يضحكوا على أنفسهم، ويدلسوا على الناس أن المسألة ليست مسألة دينية، بل هي مسألة مجتمعات تقبل بعضها بعض!
- كل عامتهم كفروا **(وكانوا ثلاث قبائل: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة)**، وقلنا أن اليهود معروفين بالغدر والخيانة وعدم الوفاء، وكل قبيلة من هؤلاء –سيأتي معنا– أنها لم

تف بهذا العهد، وأن النبي صلى الله عليه وسلم عاملهم بعد ذلك بما يستحقون. وهم كانوا يسكنون المدينة فوادعهم النبي صلى الله عليه وسلم.

- **ثم (آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار)**، وهذه المؤاخاة من أعظم الأعمال، لأن فيها امتزاج العرب بعضهم ببعض، وذوبان الفوارق؛ المهاجرين مع الأنصار. والحقيقة بأن الأنصار قدموا أروع الأمثلة في الإيثار، حتى أن الله عز وجل أنزل فيهم آيات لذلك: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [الحشر: 9]، فهنا أروع الأمثلة في الإيثار كانت للأنصار.
- وقد آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، لأن المهاجرين جاءوا بلا مال ولا دار ولا أزواج بعضهم إلى غير ذلك، وهناك آخى النبي صلى الله عليه وسلم؛ حدد هذا مع من، وهذا مع من، وهذه موجودة في كتب السير –لعلنا نأتي بها. فآخى النبي صلى الله عليه وسلم هذه المؤاخاة، وهذه حقيقة كانت فيها مصلحة عظيمة جدًا، لأن فيها ذوبان المجتمع؛ أولًا: حدث ذوبان بين الأوس والخزرج بعدما كانوا أعداء ويقاتلون بعض في الجاهلية، فلما أسلموا أصبحوا الأنصار. انظر.. سُموا كلهم على بعض: "الأنصار". ثم لما جاء المهاجرون وآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهما أصبح كلهم أهل الإسلام.
- صحيح حُفِظ للمهاجرين اسمهم "المهاجرون"، لأن طبعًا لهم فضيلة الهجرة، ومن أجل العبادات الهجرة من مكة، والأنصار أيضًا قدموا أروع الأمثلة في استقبالهم للمهاجرين، وغير ذلك.
- **(فكانوا يتوارثون بهذا الإخاء في ابتداء الإسلام)**، في أول الإسلام قبل أن تنزل آيات المواريث والفرائض، كان الإخوة الذين آخى بينهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا مات أحد، أخوه يرث فيه، **(إرثًا مُقَدِّمًا على القرابة)** أي كان هناك التوارث بالإخاء؛ لو الأنصاري مات وكان أخوه المهاجر كان موجود يرث فيه قبل أولي القربى. بعد ذلك طبعًا نزلت آيات المواريث فأصبح لا يوجد إرث بالإخاء، وأصبح الإرث كما وضعه الله عز وجل.

- والله عز وجل كما قلنا أشاد بما فعله الأنصار: {وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَـٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ} [الحشر: 9]. طبعًا هو يُضرَب بالمثل بين (سعد بن الربيع) و(عبد الرحمن بن عوف) رضي الله عنهما، وكيف (سعد) لما استقبل (عبد الرحمن) وآخى بينهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: عندي دارين وعندي زوجتين وعندي مال خذ نصف مالي وداري واختر ما شئت من زوجاتي أطلقها لك فتعتد ثم تتزوجها. وهذا حقيقة نموذج عجيب.
- طبعًا أنا قريبا بعض الشباب من الناس الضعيفة العقول وضعيفة الأبصار كأنه يلمز على هذه القصة، كيف أن مثل هذا الإيثار يكون محمودًا ويظن أن هذا الإيثار مذموم والإسلام منعه وبعد ذلك، كيف الرجل يطلق إمراته أهي سلعة تباع وتشترى؟! طبعًا هذا قِصَر في إدراك القصة، وحتى بعضهم كتب: هل هذه علامة على الإيمان؟ قلت له هي المسألة ليست علامة على زيادة الإيمان أو نقص الإيمان، هو صورة من صور الإيثار الذي مدحها الله عز وجل، فإن كان الله مدحها فلابد أنك تعلم أنها صورة ممدوحة، وقد سمعها (ابن عوف) لو كان فيها ذمًا ما أقر (ابن عوف) على ذلك ولا النبي صلى الله عليه وسلم. فهي صور من صور الإيثار، ولا تظن أصلا، العرب كان عندهم مسألة الزواج والطلاق سهلة، أي ما كانوا في مثل زماننا، ممكن يتزوج ويطلق، فصاحبه يتزوج طليقته، وهذا يتزوج، ما كان عندهم أنفة في هذه المسائل، كانت المسألة عندهم يسيرة، ولا يُظَن بأن الرجل كان سيطلق امرأته بدون أن المرأة توافق! لأن هذه ستكون ثيب، والثيب لا تُجبَر على الزواج، فلابد أن تكون المرأة قد وافقت على ذلك أصالة، خاصة أنها بتتزوج صحابي مهاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم من العشرة المبشرين بالجنة أو غير ذلك. فالمسألة ليست إكراهًا كما يظن، وليست سلعة تباع وتشترى! لكنه فقه لا يفهمه هؤلاء، وهي قصة من قصص الإيثار، أي ليس فيها أكثر من أن نسردها كما جاءت لأنها صحيحة.

- ويبين لك بأن الرجل عرض عليه ذلك و(ابن عوف) استحيا من ذلك وقال: [دلني على سوق المدينة] أصبحت هذه الجملة أصل من الأصول؛ "دلني على سوق المدينة". فنزل (عبد الرحمن بن عوف) وكان تاجرًا ماهرًا، تاجر وكسب وربح، ثم تزوج بعد ذلك، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم عليه أثر صفرة؛ أي كأن عليه أثر طيب وصفرة فقال: يا عبد الرحمن بن عوف تزوجت؟ قال نعم، قال: [أولِم ولو بشاة] وسأله بماذا أمهرت؟ قال نعم نواة من ذهب. حتى في رواية قال: كأنكم تنحتون من أحد. طبعًا (عبد الرحمن بن عوف) كان غني أصالة، ربنا فتح عليه برزق، وكان من أغنياء المسلمين. الشاهد بأن هذه من صور الإيثار التي كانت عند الأنصار مع النبي صلى الله عليه وسلم.
- ثم قال: **(وفَرَضَ الله سبحانه وتعالى إِذْ ذاك الزكاة رفقاً بفقراء المهاجرين)**، وهنا يوجد خلاف في فرض الزكاة متى كانت؟ حتى أن الحافظ قال: أن بعضهم أعيوا كيف يثبت تاريخ الزكاة. فلعل بعضهم قال في السنة الثانية من الهجرة، وهذا كان لأن المهاجرين كان بعضهم فقراء، فكانت الصدقة تؤخذ من الأغنياء ترد على الفقراء من باب المواساة كما هو معلوم في ذلك.

وهذا كان آخر الكلام، نقف عند فصل (فرض الجهاد) هذا إن شاء الله فيه الغزوات والبعثات التي بدأ فيها النبي صلى الله عليه وسلم، هذه نجعلها إن شاء الله في محاضرة أخرى مستقلة نبدأ بها.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.. سبحانك اللهم وحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، استغفرك وأتوب إليك

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحاضرة الثامنة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد، على موعد مع شرح درس جديد من دروس السيرة، من كتاب (الفصول في سيرة الرسول) للحافظ ابن كثير عليه رحمة الله تعالى. كنا توقفنا الأسبوع الماضي بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ودخوله واستقراره في المدينة، وإنشاء المسجد النبوي وبنائه. وقفنا عند فصل (فرض الجهاد) وبدء نزول بعض الأوامر من الله عز وجل كما سنبين الآن.

فذكر الحافظ في كتابه قال:

فصل: فَرْضُ الْجِهَادِ

وَلَمَّا استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بين أظهر الأنصار، وتكفلوا بنصره، ومنعه من الأسود والأحمر، رَمَتْهُمُ العرب قاطبة عن قوس واحدة، وتعرضوا لهم من كل جانب، وكان الله سُبْحَانَهُ قَد أَذِنَ للمسلمين في الجهاد في سورةِ الحَجِّ، وَهِيَ مَكِّيَّةٌ في قوله تعالى: { أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ} [الحج: 39]، ثُمَّ لما صاروا في المدينة، وصارت لهم شوكةٌ، وَعَضُدٌ، كتب الله عليهم الجهاد كما قال الله تعالى في سورة البقرة: { كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ } [البقرة: 216]

- فالحافظ رحمة الله عليه ذكر هنا في هذا الفصل بداية فرضية الجهاد، وأن الله عز وجل قد كتب الجهاد والقتال على المسلمين، وهذه الفرضية جاءت بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وإن كان أُذِن في القتال لكن لم يأت فرض الجهاد كفرض إلا في المدينة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم.
- فعندما كانوا في مكة كان الحال ضعف وعدم تمكن، لذلك لم يُفرَض عليهم الجهاد. وهذه مسألة مهمة؛ أن الجهاد له مقومات، له أسباب، وطبعًا الآن قد فرض الجهاد.
- **والجهاد كما بينا على نوعين: جهاد دفع، أو جهاد طلب؛**
- جهاد طلب: أي أنك تجاهد الكفار لتدخلهم في دين الله عز وجل، فتذهب إلى ديارهم، تعرض عليهم الإسلام، فإن أبوا إن كانوا من أهل الكتاب تُلزِمهم بالجزية ويكونوا تحت لواء الإسلام، يعيشون تحت راية الإسلام بعد دفع الجزية، ويكونوا العلو لأهل الإسلام، فإن رفضوا فنقاتله. وأما إن لم يكونوا من أهل الكتاب؛ من أهل الشرك من غير الكتاب، فليس لهم إما الإسلام أو المقاتلة، وليس لهم الجزية. وهذا ما يسمى: جهاد الطلب، هذا يحتاج

إلى الإيمان، وإلى راية، وإلى قوة، وإعداد، وأن الهدف منه هو نشر كلمة "لا إله إلا الله"، ليست الهدف منها الحصول على أراضي أو ثروات أو إنشاء حكم أو ملك أو سلطة! لا، الهدف من هذا الجهاد الذي فُرِض هو أنك تنشر الإسلام. وهذه مهمة المسلم في الأرض؛ أن الله عز وجل أمره بالتبليغ وبنشر الإسلام ما استطاع إلى ذلك.

- لذلك جاء الفرض بالجهاد، وهذا لم يكن في حال مكة، لأنه كان هناك ضعف، فكان الجهاد باللسان فقط؛ الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم. ثم لما جاء المدينة، وكانت هناك دولة، وبدأ يستقر الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم، والأنصار قد تعاهدوا على نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وبايعوه على ذلك وانضم إليهم المهاجرين، فأصبح هناك دولة، أصبح هناك مجتمع مستقر، والنبي صلى الله عليه وسلم استقر في المدينة، فجاء الفرض بوجوب الجهاد.
- في الأول كان الجهاد كما قلنا بالقلب وباللسان، قال تعالى: {فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا} [الفرقان: 52]، وهذا يبين لك أنك حتى إن لم تستطع أن تجاهد بالسنان، فكان عليك الجهاد بالقول، وباللسان، والجهاد بالحجة وبالبيان، بالتعليم، حتى أن لم تستطع القتال فتنشر، وتعلم، وتحاج الكفار بالبيان وبالبلاغ، وتعلمهم، تدعو الناس إلى ذلك.
- وذلك الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم في مكة، ما كان عنده القوة، فكان يدعو الكفار في مكة بالحجة والبيان والبراهين والأدلة للإدخال، وهذا باب مفتوح لا ينغلق في أي عصر، فأنت تستطيع أن تفعل ذلك خاصة الآن مع انتشار وسائل التواصل، فأنت ممكن تخاطب الكفار في أي مكان وتنشر الدين، فهذا البيان والبلاغ، فهذا باب مفتوح.
- لكن لما فرض الجهاد وأصبح لأهل الإسلام قوة ومنعة ففُرِض هنا الجهاد بالسيف على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أهل الإسلام. ولذلك قال الحافظ: **(وَلَمَّا استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بين أظهر الأنصار)** وقلنا قد بايعوه على النصر والمؤازرة وأنهم يعضدونه ولا تأخذهم في الله لومة لائم في ذلك.

- **(وتكفلوا بنصره، ومنعه من الأسود والأحمر، رَمَتْهُمُ العرب قاطبة عن قوس واحدة)** لما العرب وجدت النبي قد هاجر ودخل المدينة وأصبح هناك استقرار ودولة، كفار قريش خشوا على أنفسهم بأن هذا يرد عليهم بعد ذلك في بلدهم وفي ملتهم، فأرادوا أيضًا أن يقاتلوا النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين، ولا يمكنوا لهم الدولة التي قاموا بإنشائها لكن ما زالت هي في البدايات أصالة.
- قال الحافظ: **(وتعرضوا لهم من كل جانب)**، أي بدأت العداوات تنتشر ويتعرضوا للمسلمين في المدينة ويناوشونهم من كل جانب. وهم بدأوا طبعًا ذلك في مكة أولًا، لأن بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم هناك أناس بقيوا من المسلمين في مكة، فاشتد أذى الكفار عليهم يعذبونهم، والبعض أخرجوهم من ديارهم وليس معهم أموالهم ولا شيء، تركوهم لكن أخذوا أموالهم، لماذا؟ لأنهم أرادوا الهجرة وأرادوا اللحاق بالنبي صلى الله عليه وسلم، ومنهم من قتلوهم. إذًا قتلوا بعضهم، آذوا بعضهم، أخذوا أموالهم.
- فتعرض لذلك أهل الإسلام حتى الذين بقيوا في مكة، فجاء فرض الجهاد من الله عز وجل على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى من معه، ونزلت في سورة الحج. وسورة الحج الأصل إنها مكية، لكن آيات الجهاد نزلت في المدينة، وهذا يبين لك أنك تعلم أنه قد تكون السورة في الأصل مكية، لكن هناك بعض الآيات نزلت في مكة، والبعض نزلت في المدينة، ومنها آيات سورة الحج.
- ثم فُرِض القتال أيضًا بعد ذلك في سورة البقرة: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ} [البقرة: 216]، وأيضًا من قوله تعالى: {وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ} [البقرة: 190]. في الأول كان الذي يقاتل تقاتله في أول الفرضية، {وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ}، ثم نزل فرضية قتال المشركين كافة بعد ذلك، أي لا تنتظر أنهم يُقاتلونك حتى تقاتلهم، لا، جاء فرضية قتال المشركين كافة. ففي أول الأمر أُذن بالقتال لمن يقاتل؛ من قاتلك من المشركين تقاتله. ثم بعد ذلك نزل فرضية جهاد الكفار، وقلنا أن هذا **جهاد الدفع**، **والصحيح أنه فرض**

كفاية على المشهور، بمعنى جنس الجهاد فرض عين، فكما قلنا الجهاد أنواع؛ قلب، ولسان، وبالسنان أو باليد. جنس الجهاد فرض عين، أي إما بالقلب أو اللسان أو بالمال أو باليد. فلابد أن تجاهد بنوع من هذه الأنواع. أما الجهاد بالنفس؛ الذي هو القتال، هذا هو فرض الكفاية في حالة جهاد الطلب، أن يكون هناك إمام ويدعو فيستنفر الناس، فلو خص أناس لابد أن يسمعوا ويطيعوا، وإن كان النفير عام وترك من أراد أن يخرج وخرج ما يحتاج إليه، وبقي وما خرج فلا حرج.

- **أما جهاد الدفع فهو فرض عين**، وجهاد الدفع هذا نوع آخر، وهو أكثر ما يكون في زماننا. ما هو جهاد الدفع؟ أي أن يداهم الكفار بلاد المسلمين، يعتادوا عليهم، فيستبيحوا الأموال والأعراض، ويريدون أن يبدلوا الدين ويعلوا الكفر في ذلك وهي أصلًا ديار إسلام ودخل الكفار لديار الإسلام، فهنا وجب على جميع المسلمين في هذه الديار، فرض عين؛ رجل إمرأة، شيخ كبير،صغير، الكل لابد يدفع الكفار، حتى أن بعض العلماء قالوا إن لم يجد غير أصابعه وأظافره ليدافع فليدافع بذلك. هذا بالنسبة لأصحاب الدار الذي دخل عليهم الكفار. إن لم يستطع أن يدفعوا وجب على من حولهم أن يساعدونهم، تنتقل فرضية العين لمن حول هذه الديار وهذه الارض أن يهبوا لنصرة المسلمين ويساعدونهم، وهكذا تتوسع الدائرة حتى يُدفَع الكفار عن ديار المسلمين، وهذا يسمى جهاد الدفع.
- وجهاد الدفع هذا ليس له شروط جهاد الطلب، أي لا تنتظر لوجود أمير، لا تنتظر لوجود راية، لا تنتظر لوجود عدة، لأنك أصلًا أنت بتدفع الكفار عن الديار، فلابد أن بقدر ما تستطيع، لأن الأصل ألا يعلو أهل الكفر على أهل الإسلام، {وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا} [النساء: 141]. فلذلك لم يُشترط عند العلماء الشروط التي اشترطوها في جهاد الطلب من حيث الأمير والراية والإعداد وغير ذلك، لكن هنا في (الدفع) الأمر يختلف.

- فقلنا الحافظ رحمه الله تعالى بيّن فرضية الجهاد من الآيات التي بيّناها قول الله عز وجل: {وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ } [الأنفال: 39]، واذا لابد انه من القتال وتحقيق النصرة والإعزاز لدين الله عز وجل. وهنا لابد أن تفهموا أمرًا هامًا؛ قال: {وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ }، أنت تقاتل ليكون الدين لله، ما تقاتل لجلب الأرض أو دفاع عن حدود أو عن موارد أو أموال ولا عن ملك ولا سلطان! لا، قال تعالى: {وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ }. وهذا لأن القتال لإعلاء كلمة الله، لابد من النية هذه، وهذه لابد أن تصحَح وتُستصحَب دائمًا. فالصحابة رضوان عليه والنبي صلى الله عليه وسلم ما قاتل إلا لإعلاء كلمة الله عز وجل، إلا لنشر دين الله عز وجل.
- ولذلك من الأهمية بمكان في دراسة السيرة أنك تدرس مسألة الغزوات، تدرسها بعين مجردة أي لا فيها إفراط ولا تفريط، ليس فيها غلو أو جفو. وهذه فريضة عظيمة جدًا، ذروة سنام الأمة هو الجهاد في سبيل الله عز وجل.
- ولابد عندما تتعرض للغزوات وآيات الجهاد أن تُنزلها منازلها، لأن البعض يُخلِّط إلى الآن في وقتنا، يتكلمون عن جهاد الدفع الذي هو في غزة أو في غير ذلك بعض الناس يتكلمون على أنه جهاد طلب! فيقول لك أين الأمير وأين الراية؟ وهذا خطأ، لأنك لابد أن تتعلم أنواع الجهاد وفقه كل نوع من هذه الأنواع حتى لا تقع في الخطأ وتظن أمورًا ليست بصحيحة.
- وهنا أيضًا من دراسة غزوات النبي صلى الله عليه وسلم يتبين لك كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطط ويدرس ومتى يقدم ومتى لا يُقدم، وهذه أمور ممكن إن شاء الله نتعرض إليها. لكن من الأهمية بمكان ضبط هذا الباب بضابط شرعي؛ لا يكون الضابط حمية ولا عاطفة سواء في الإفراط أو في التفريط، في الجفو أو في الغلو. فهذا باب خطير حقيقة ولابد لمن يتكلم فيه أن يضبطه ضبطًا صحيحًا ويكون على علم بذلك.
- لذلك من الأهمية بمكان أيضًا في هذه الجزئية أن دائمًا يُربى النشأ والناس والشباب على مسألة أن دائمًا الإسلام في عداوة مع الكافرين، وهذه العداوة لا تنتهي، هذه مسألة كونية

ومسألة شرعية؛ **كونًا**: الله عز وجل جعل لك صراع بين أهل الحق وأهل الباطل، وأهل الحق: هم الإسلام، وأهل الباطل: هم أهل الكفر. **وشرعًا**: الله قد كتب علينا الجهاد والقتال لإعلاء كلمة الله عز وجل.

- فلابد أنك تعلم أنه لا يمكن أن يأتي زمان ويتركك الكفار تعيش بسلام بإسلامك، أو يكون هذا الإسلام خاليًا من المقاتلة ومن الإبتلاءات ومن المنغصات وغير ذلك! هذا لا يمكن، ولن تجد ذلك من أول بداية بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة. فلابد أن تعلم أن العداوة مع الكافرين والمنافقين مستمرة، لا يوجد شيء يسمى "السلام"، الناس تتخيل أنهم يمكن أن يكون هناك سلام بين أهل الكفر وأهل الإسلام، هم أصلًا لن يتركوك أن تعيش بذلك. إن لم يقاتلوك صراحة بالمعدات، سيقاتلونك بالأفكار، وسيقاتلونك بالتغريب، وسيقاتلونك بالأمور الأخرى {حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ} [البقرة: 217]. فهذه المسألة لابد تربى وأن يعتقد كل منا على استمرار هذه العداوة، لأن البعض الآن يُخلَّط عليه، يظن أنه لا يوجد مشكلة ما بيننا، وكل واحد يأخذ حاجته وينتهي الأمر ولماذا نتعب أنفسنا؟! لا، هذا دين، هذا صراع بين الإيمان والكفر، هو يقاتلك لدينك، هو يقاتلك ليُضعِفك، سواء لو دخل مع القتال أنه يريد موارد، يريد أموال، يريد منافع ليحيا ويعيش ويزدهر، لكنه لا يريد لك علوًا أصلًا. فأصل القتال هو هذا، أنه لا يريد علوًا لأهل الإسلام، ولا يمكن لك ذلك. وهذا الأمر يحقق لك ولاء وبراء، لابد أن تعلم بأنك لابد أن توالي أهل الإسلام ولابد أن تتبرأ من أهل الكفر، لا يوجد شيء يسمى تولية أهل الكفر، أو المولاة معهم، أو السكينة معهم.
- لكن نعم ممكن أن تأتي أزمنة يكون هناك معاهدات، يكون هناك موادات كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية وغيره، هذه أمور يقررها أهل الأمر والعلم بالمصالح والمفاسد. لكن العقيدة المستقَرة عند أهل الإسلام: هو العداوة المستمرة بين أهل الإسلام وأهل الكفر.

- ومنها أيضًا أنه لابد أن يُشرح كتاب الجهاد شرحًا صحيحًا. جلسنا سنوات أول ما يأتي عند هذا الباب أو هذا الكتاب يُمَر من عليه، لا يُشرح، يُترك كأن شرحه يوجد مسبة أو البعض كان يخشى من ذلك. وهذا حقًا أدى إلى ظهور اعتقادات وأفكار خاطئة عند أجيال. فهو باب وكتاب كباقي كتب الفقه، افتح أي كتاب فقه ستجد (كتاب الجهاد) في وسط الكتب، والفقهاء يتناولون فيه أحكامه وأموره.
- ودائمًا معلوم بأن العلم بالشيء هو النور الذي يسير به المرء، أما لو تركته وتركت الناس على جهل سيتخبطون، سيتلقفهم أصحاب الأفكار الخاطئة فيُلبِّس عليه، لكن لما تشرحه شرحًا صحيحًا بضوابطه الشرعية فتُعَلِّم الناس.
- هذه عبادة من العبادات؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: [رأسُ الأمرِ الإسلامُ، و عمودُه الصلاةُ، و ذروةُ سنامِهِ الجهادُ]، فإذا كانت الصلاة هي أجل العبادات هي العمود، والجهاد هو ذروة سنام هذه الأمة، فأنت لابد أن تعلم أنه باب من أبواب الفقه لابد للمرء أن يتعلمه ويعلم ضوابطه وشروطه وموانعه وغير ذلك.
- ومنه أيضًا أنك تحبه كأي عبادة، هذا لابد أن يُزرع في الناس؛ أن الجهاد كحب الصلاة، كحب الصوم، كحب الصدقة، كحب الحج، حب الجهاد. نعم قد يكون كما قال تعالى: { كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ} [البقرة: 216] فأنت أيضا تحبه مع أن فيه الكره، وفيه طبعًا تقديم النفس لله، وفيه ما فيه، لكن هو من أجَلّ الطاعات.
- وطبعًا لا يخفى على الجميع مناقب الشهداء، ومناقب المجاهدين، والفضل الذي يأتيهم، كما مناقب الحج، والعمرة، والصلاة، والصدقة، والزكاة وغير ذلك. فهي عبادة أيضًا مثل عبادات أخرى في الدين عليك أن تحبها كما تحب باقي العبادات، بل هي كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (ذروة سنام الإسلام) إخلاصًا يقدم فيه المرء عملًا من أجل الأعمال، يقدم فيه النفس التي أمر الله عز وجل الناس ألا يقدموا أنفسهم أبدًا، وقتل النفس محرم في الشريعة

إلا في الحالات التي جاء فيها سواء العقوبات أو هذه العبادة الوحيدة التي أباح الله عز وجل فيها قتل النفس، وهي ليست قتل النفس إنما هي قتل النفس لحفظ الدين.. لماذا؟ لأنك لا تقدم نفسك لأمر من أمور الدنيا! قال النبي صلى الله عليه وسلم عندما سألوه من الشهيد؟ قالوا من قاتل شجاعة؟ أم من قاتل لمال؟ أم من قاتل لحمية؟ قال: [مَن قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هي العُلْيَا، فَهو في سَبيلِ اللَّهِ]، فجعل تقديم النفس لمسألة أعظم وهو حفظ الدين. فالقتال الأصل فيه هو حفظ الدين.

- الصحابة رضوان الله عليهم لما قاتلوا وفتحوا البلاد وجاهدوا في سبيل الله، هذا أدى إلى نشر الدين في هذه الأقطار التي نحن فيها الآن؛ مصر والشام والعراق وخراسان وما وراء ذلك، إلى أن انتشر الدين، فأصبح كم مليار الآن موجودين من أهل الإسلام. أصول ذلك هو الجهاد في سبيل الله والقتال الذي بدأ مع النبي صلى الله عليه وسلم كما سيأتي معنا الآن.
- لذلك الحث على ذلك وتوطئة القلوب على هذا الأمر هذا من الأهمية بمكان، فكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: [مَن ماتَ ولَمْ يَغْزُ، ولَمْ يُحَدِّثْ به نَفْسَهُ، ماتَ علَى شُعْبَةٍ مِن نِفاقٍ]. فأقل شيء أنك ترى أنها عبادة، وأنها هي ذروة سنام الإسلام، فأنت تحب ذلك كما تحب باقي العبادات.

هذه أول المقدمة التي بدأها المؤلف، سندخل الآن في أول المغازي والبعوث: (غزوة الأبواء)

فصل: غَزْوَةُ الأَبْوَاءِ

وكانت أوّلُ غَزَاةٍ غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة الأبواء، وكانت في صفر سنة اثنتين من الهجرة، خرج بنفسه صلى الله عليه وسلم حتى بلغ وَدَّان، فَوَادَعَ بَنِي ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة مع سيدهم مَجْدِي ابنِ عَمْرٍو، ثُمَّ كَرَّ راجعًا إلى المدينة، ولم يَلقَ حَرْبًا، وَكَانَ استخلف عليها: سَعْدَ بنَ عُبَادَةَ رضي الله عنه.

- هنا أول غزوة غزاها النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرة المدينة وبعد أن استقر، غزوة (الأبواء)، وتسمى أيضا غزوة (ودّان). والأبواء وودان مكانان متقاربان بينهما مسافة قليلة لذلك يُقال غزوة الأبواء أو غزوة ودان. وكانت في شهر (صفر) في سنة الثانية من الهجرة.
- قال: **(خرج بنفسه)**، إذًا النبي صلى الله عليه وسلم خرج في هذه الغزوة بنفسه، ودائمًا عندما يشارك في الغزوة تسمى (غزوة)، ولما لم يشارك ويرسل جماعة يسمونها (بعثًا). وبعضهم قالوا لو كان البعث ليلًا فيعتبر سرًا، هذا يسمى بعثا، لو كان ليلًا وسرية تكون (بعثًا)، ولو كان نهارًا فيخرج فيه النبي صلى الله عليه وسلم فغالبًا يكون (غزوة)، أيًا كان، هذه أو تلك.
- خرج النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه، لكن لم يحدث قتال، فهو خرج ووادع، ومعنى وادع أي حصل معهم صلح، لم يقاتل، حصل موادعة بينه وبين بني ضمرة سيدهم مجدي بن عمرو الضمري، وبعضهم قال مخشي بن عمرو الضمري في بعض المصادر، المهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذهب ما قاتلهم، لكن وادعهم، عمل معهم صلح.
- قال **(ثُمَّ كَرَّ راجعًا إلى المدينة، ولم يَلقَ حَرْبًا، وَكَانَ استخلف عليها: سَعْدَ بنَ عُبَادَةَ رضي الله عنه)**، أي استخلف على المدينة (سعد بن عبادة)، وهو من الأنصار.

<u>هنا أول غزوة فيها بعض الفوائد:</u>

1-قال: **(خرج بنفسه)**؛ ما الفائدة التي ممكن أن نستنبطها من: (خرج بنفسه)؟ مشاركة القائد أو المربي أو الأمير في الأمور التي يشارك فيها الجند أو الرعية أو بمعنى أصح ليس في القتال فقط؛ أن الداعية أو المربي يشارك في الأنشطة التي تكون مع من يقوم برعايتهم فيها. وفيا أن القائد يتصف بالشجاعة أيضًا ولا أن يجلس هو ويرسل الناس.

فأهل الإسلام دائمًا في القتال تجد القائد في المقدمة، أما أهل الكفر تجد القائد يقف في الخلف ويعملوا له منصة في الجيوش حتى قديمًا والجنود هم الذين يكونوا في الأمام! أما عند أهل الإسلام لا، القائد يكون في المقدمة، يفتح لهم ويقدم ويحتمون فيه، وهذا من علاماته.

2-أيضًا في الفوائد هنا النبي صلى الله عليه وسلم -وانتبهوا لأن هنا المسألة ليست سرد غزوات فقط- انظروا كما يقال تخطيط النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوات اللي ستأتي معنا إلى أن نصل إلى غزوة بدر الكبرى، انتبهوا معي كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم أولًا هو يعلم أنه لابد سيقاتل الكفار، لكن هو بيفعل بعض الأفعال في التخطيط كأنه استراتيجيات أنه يؤمن قبل القتال الطريقة التي ستحدث، فبدأ أولًا بأنه يريد أن يوادع؛ يصالح بعض القبائل التي حول المدينة حتى يجنبهم ما سيأتي لو حدث حرب يكونوا في حالة معاهدة فلا ينقلبوا على المسلمين. وهذا تفكير يبين لك كيف يخطط القائد، فالمسألة ليست هكذا، فبدأ النبي صلى الله عليه وسلم بأنه خرج وعمل موادعة مع هؤلاء القوم حتى يجنبهم لو حدث قتال فيكون هناك معاهدة معهم. وهذه تبين لك أنك أحيانًا تحتاج أنك تتقي شر بعض الأعداء، وهذه حكمة، فلا تبادلهم بالقتال، بل تُحَيِّدهم، تتفق معهم الآن على معاهدة أو شيء لتخرجهم من المعادلة من الدائرة التي تركز فيها. عندك عدو معين ستقاتله وأعداء آخرين، فلا تجعل الأعداء كلهم مرة وحدة عليك! لا، وهذه حكمة وقيادة.

3-فعل النبي صلى الله عليه وسلم وهو أنه استخلف على المدينة (سعد بن عبادة). يبين لك أنه ذا خرج القائد أو الأمير من مكانه لابد أن يترك بديلًا عنه في المكان الذي يتركه. وهذه تبين لك أنه لابد من وجود قيادة، لابد من وجود إمارة، لابد من وجود أحد يُرجَع إليه في المسائل وفي حُكم الناس. فالنبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من المدينة ما تركها هكذا، ولّى عليها أحدًا حتى يرجع إليه الناس ويكون قائدًا. وهذه تبين

لك أن حتى السنة جاءت بأنه إذا كان ثلاثة في سفر لابد أن يؤمروا أمير؛ أي لو سافرت لرحلة أو طلعت في مكان وكنتم أكثر من إثنين أو ثلاثة، فمن السنة أنه لابد أن تجعلوا أميرًا عليكم، يدبر الأمور ويوجه، لأنه لابد أن يحدث آراء واختلافات فلابد أن أحد يحسم. والسنة دائمًا جاءت بالجماعة، بالجمع، وعدم الإختلاف والتفرد. فلما يقال أن أنت أمير السفر فلما يحدث اختلاف يقول لا، سنجلس الآن في راحة، سنجمع الآن الصلاة، ثم نتحرك بعد نصف ساعة. فلا أحد يخالف.

ثُمَّ بَعثَ عَمَّهُ حَمْزَةَ رضي الله عنه في ثلاثين راكبًا من المهاجرين، ليس فيهم أنصاري إِلَى سِيفِ الْبَحْرِ، إِلَى أَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، وركب معه زُهَاءُ ثلاث مئة. فحال بَيْنَهُم: مَجْدِيٌّ بنُ عمرو؛ لأنه كان مُوَادِعا للفريقين.

- هنا بعثة ثانية، النبي صلى الله عليه وسلم بعث، فسُميت (بعثة) لأنه لم يكن فيها النبي صلى الله عليه وسلم. (حمزة) عم النبي صلى الله عليه وسلم وثلاثين راكبًا من المهاجرين. وليس منهم أنصار.
- **(إِلَى سِيفِ الْبَحْرِ)** أي حافة البحر. كأن النبي صلى الله عليه وسلم بدأ من على الخارج قبل أن يحدث اللقاء كما قلنا بعد ذلك مع كفار قريش. فهو الآن بدأ ببعثة في سيف البحر، وهذا الطريق الذي تمر منه القوافل القادمة من الشام. فكأن النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يخطط للإعتداء بعد ذلك على عير قريش، والتي أصلًا كانت بداية غزوة بدر. فذهب أولًا لمعاينة الطريق، فبعث بعثًا للطريق، وال طريق هذا يسمى "سيف البحر"، الطريق الذي بتمر به القوافل القادمة من الشام، وهناك كان عير لقريش عير (أبو جهل بن هشام) قادمين من تجارة من الشام والتي ستكون سبب غزوة بدر بعد ذلك.
- فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم هذا البعث من المهاجرين، على رأسهم (حمزة) عم النبي صلى الله عليه وسلم. هم أرادوا أن يعترضوا القافلة في الأول، وكأن فيه نوع من المناوشة

مع قريش، أي كأننا الان سنرد على ما فعلتموه في مكة بالمسلمين من إيذاء وأخذ الأموال والتعذيب والقتل، كأن النبي صلى الله عليه وسلم بدأ يتربص بهم ويريد أن يأخذ أموالهم التي جاءت من العير.

- وطبعًا قوافل قريش التي كانت تأتي من الشام كانت قوة اقتصادية قوية لهم. فهو كأنه أولًا أراد أن يرد على ما حدث للمسلمين، فبعث (حمزة) لذلك يعترضهم. وأيضًا أراد أن يأخذ من أموالهم ومن اقتصادهم ليضيق عليهم.
- ذهب هنا (حمزة) مع ثلاثين من المهاجرين لملاقاة (أبو جهل)، و(أبو جهل) كان معه ثلاثمائة، أي أن القافلة التي كانت فيها (أبو جهل) كان فيها ثلاثمائة رجل، والنبي صلى الله عليه وسلم أرسل ثلاثين، فكأن الواحد بعشرة. فالتقى هذا البعث وعلى رأسهم (حمزة بن عبد المطلب) رضي الله عنه بالقافلة. وكان القافلة فيها (أبو جهل). و(أبو جهل) هذا أشد أعداء النبي صلى الله عليه وسلم، وأكثرهم عنادًا وكفرًا وإيذاءا للنبي صلى الله عليه وسلم وإيذاء للمسلمين.
- حال بين القتال (مجدي بن عمرو) الذي حدث معه الموادعة –في أول الكلام– في غزوة الأبواء. كان موادع للنبي صلى الله عليه وسلم وموادع لقريش. فتدخل (مجدي) حتى لا يحدث قتالًا، هو موادع للإثنين فالإثنين سمعوا، وكان معه صلح مع المشركين أيضًا. استغل ذلك، فحاول أن يتكلم هنا ويتكلم هنا حتى استطاع (أبو جهل) أن يمر، فما حدث قتال.
- هنا في بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بعض أهل السير لاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل (حمزة) وثلاثة من المهاجرين فقط، وما أرسل أنصارًا، فقالوا أن أحيانًا في بعض المهام أنت تريد الرعيل الأول معك؛ والرعيل الأول هم المهاجرين. أثبت وأوثق، والحقيقة أن كلهم على ثقة، لكن كأنك أحيانًا في بعض المهام تأخذ من كان معك أولًا؛ الأقدم. وأيضًا لعل فيها بأن هؤلاء المهاجرين هم الذين ذاقوا الأذى من قريش، فتجد عندهم جَلَد وصبر ورد

ما لاقوه، بخلاف الأنصار، فالأنصار كانوا في المدينة فما وجدوا ذلك، فكأن من حُسن تدبير الإمام أو القائد أو الأمير أنه يختار لحسب المعركة أو المهمة الذي هو أولى بها. ولاشك أن هنا كان المهاجرين أولى، لأنهم سيقابلون أبناء العمومة، والذين لقوا منهم ما لقوا. وأيضًا كانك أحيانًا بتحتاج من بدأ معك، والذي تربيتك له أشد وأوثق في بعض المهام تقدمه على غيره. وهذا يظهر عندما النبي صلى الله عليه وسلم اختص المهاجرين فقط ولم يشرك واحد حتى من الأنصار، ليس تقليلًا، لكن كأن المرحلة هذه تحتاج إلى ذلك، هذا البعث يحتاج الى ذلك.

- توجد مسألة مهمة أيضًا أنك اعتراضك للعدو، الآن العدو موجود، في حالة وجود قوة حقيقية لك تستطيع أن تجابه بها العدو، جابه بها العدو. فالنبي صلى الله عليه وسلم لما أرسل (حمزة) ما أرسله إلا لأنه يعلم أنه قد يقاتل، وليست المسألة بالعدد، فكانوا ثلاثين لثلاثمائة، لكن عنده قوة الآن، عنده مكان يرجع إليه، عنده عتاد، فيستطيع. فأنت طالما رأيت أنك تستطيع أن تقاتل العدو فتستغل ذلك. فإذًا لك أنك إن وجدت منفعة في ذلك ومصلحة للمسلمين، فافعل. وهذا طبعًا يرجع لتقدير القائد والأمير في ذلك.
- وطبعًا الأهم سيأتي معنا، بأنه أراد أن يأخذ العير، وقلنا أن المسألة الإقتصادية من الأهمية بمكان. لذلك البعض يتكلم في مسألة المقاطعات الإقتصادية والتأثير الإقتصادي بأنه طالما قد ثبت أنها تؤثر في العدو، فأصبحت وجوبًا ومن أساليب الجهاد، ليست مسألة اختيارية، أي أنه إن ثبت أن هذه المقاطعات تؤثر وتُضعِف وتمنع عنه المال والإقتصاد الذي قد يتقوى به، خاصة لو كان يحارب المسلمين، فهذا وجوبًا لابد أن يلتزم به أهل الإسلام.

ثم بعث البعث الذي يليه قال:

وَبَعَثَ عُبَيْدَةَ مِنَ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ في ربيع الآخرِ فِي سِتِّينَ أَوْ ثمانين راكبًا من المهاجرين أيضاً إلى ماء بالحجاز، بأسفل ثَنِيَّةِ الْمِرَّة، فلقوا جمعًا عظيمًا من قريش،عليهم: عِكْرِمَةُ بنُ أَبِي جَهْلٍ.

وقيل: بَلْ كَانَ عَلَيْهِم مُكَرِّزُ بْنُ حَفْصٍ، فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهم قتال، إِلَّا أَنَّ سعد بن أبي وقاص رَشَقَ المشركين يومئذ بسهم، فكان أول سهم رمي به في سبيل الله، وفَرَّ يومئذٍ من الكفَّار إلى المسلمين : المقداد بن عمرو الكِندي، وعتبة بن غزوان رضي الله عنه.

فكان هَذَانِ الْبَعْثَانِ أَوَّلَ رايةٍ عَقَدَها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولكن اختُلف في أيهما كان أول.

وقيل: إنهما كانا مِنَ السَّنَةِ الأُولى من الهجرة. وهو قول ابن جرير الطبري. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

- هنا يذكر الحافظ ابن كثير –رحمه الله–أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث بعثًا آخر وهو (ابن الحارث بن المطلب). والغرض هنا أيضًا كان نفس غرض البعث الأول، أنهم أرادوا أيضًا أن يعترضوا كفار قريش ويردوا الظلم الذي فعلوه بالمسلمين في مكة. لكن الذي حدث أن لم يكن بينهم قتال، حدث بدايات للقتال لكن لم يحدث قتال، واستطاع الكفار أن يفروا من المسألة هذه، أي ما يقاتلون.

<u>بعض الفوائد:</u>

- أول سهم رُمي في الإسلام كان سهم (سعد بن أبي وقاص) رضي الله عنه، رشق المشركين يومئذ بسهم، فحدث تراشق، كأنه لم يكن هناك التحام لكن حدث تراشق. فكان (سعد) أول رمى سهمًا في سبيل الله.

- **(وفَرَّ يومئذٍ من الكفَّار إلى المسلمين:)** ناس كانوا خرجوا مع الكفار ومن أهل الإسلام **(المقداد بن عمرو الكِندي، وعتبة بن غزوان)**، فلما خرجوا مع الكفار متخفيين، وحدث الإلتحام انتقلوا من صف الكفار إلى المسلمين؛ هم كانوا من أهل الإسلام متخفيين، فاستغلوا خروجهم مع الكفار، فلما حدث اقتراب، انتقلوا إلى المسلمين وانحازوا إلى المسلمين، ولحقوا بإخوانهم من المسلمين في المدينة مع النبي صلى الله عليه وسلم.
- قال الحافظ: **(فكان هَذَانِ الْبَعْثَانِ)** بعث (حمزة)، وبعث (عبيدة) **(أَوَّلَ رايةٍ عَقَدَها رسول الله صلى الله عليه وسلم)**، **أي** أول راية للقتال في سبيل الله، كانت راية (حمزة)، لأن الأولى كانت رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج بصُلح، لكن (حمزة) عقد راية، وفي بعث (عبيدة) عقد راية أيضًا.
- **(ولكن اختُلف في أيهما كان أول)** فبعض أهل السير قالوا انهم الاثنين في السنة الأولى من الهجرة، وهذا قول ابن جرير الطبري.
- هنا أيضًا ممكن نستنبط أن إستمرارية البعث التي حدثت كانت توطئة، وتدريب، فالنبي صلى الله عليه وسلم يبعث بعثة ليعتاد المسلمون على مسألة القتال الذي سيأتي، فلم يكن هناك قتال بعد، فأولًا يخرج بهم، ثم يبعث بعث (حمزة)، ثم يبعث بعث (عبيدة) أيضًا، فكأن هذا نوع من التدريب. وهذا المفترض أنك لا تقاتل مرة واحدة، لكن تدرب الذين معك.

فصل: غَزْوَةُ بُوَاطٍ

ثُمَّ غزا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم غَزْوَةَ بُوَاطٍ، فخرج بنفسه صلى الله عليه وسلم في ربيع الآخر منَ السَّنَةِ الثانية، واستعمل على المدينة: السَّائِبَ بنَ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ، فَسَارَ حَتَّى بَلَغَ بُوَاطَ مِنْ نَاحِيَةِ رَضْوَى، ثُمَّ رجع، ولم يلق حربًا.

- بواط هو جبل من ناحية جبل رضوى من جهة ينبع؛ بلد أخرى في جانب المدينة من هذه الجهة، هناك جبل يسمى "جبل رضوى"، وتوجد منطقة هناك تسمى "بواط". وأيضًا هذا الخروج كان للتعرض لعير قريش، وهنا أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يتعرض لهم. وكان معهم (أمية بن خلف)، وهذا من أشد الأعداء أيضًا للنبي صلى الله عليه وسلم مع (أبو جهل)، وأذى كثير من المسلمين في مكة. وكان (أمية) معه عير وكان معه مئة رجل، وكان معهم ألفين وخمسمائة بعير قادمين من تجارة من الشام، أي معه أموال.
- وقد ذُكِر (أمية) في حديث للنبي صلى الله عليه وسلم من شدة كفره، حديث عن تارك الصلاة: [من حافظَ عليها كانت لَهُ نورًا وبرهانًا ونجاةً يومَ القيامةِ، ومن لم يحافِظ عليها لم تكُن لَهُ نور ولا نجاةً ولا برهان، وَكانَ يومَ القيامةِ معَ فرعونَ وَهامانَ وقارونَ وأبيِّ بنِ خلفٍ]. انظر.. النبي صلى الله عليه وسلم جعل (أبي بن خلف) مع قارون وهامان وفرعون، فقد كان من صناديد الكفر، وهذا يبين لك أن الكفر حتى فيه درجات، (أبو جهل)، و(أمية بن خلف)، و(أبو لهب).
- قال: **(فخرج بنفسه صلى الله عليه وسلم في ربيع الآخر)**، وهنا النبي صلى الله عليه وسلم خرج مع مئتان من الصحابة رضوان الله عليهم.
- **(واستعمل على المدينة: السَّائِبَ بنَ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ)** وجعل أيضًا هناك على المدينة قائدًا كما قلنا. وذهب، ولكنه رجع ولم يلق حربًا، أي ما استطاع أن يدركهم ويقاتل معهم ، لكنه أراد فيها قتالًا.

ثُمَّ كَانت بعدها غَزْوَةُ الْعُشَيْرَةِ. ويقال: – بالسين المهملة –

ويقال: الْعُشَيْرَاءُ.

خرج بنفسه صلى الله عليه وسلم في أثناءِ جُمَادَى الأُولَى حَتَّى بلغها، وهي مكان بِبَطْنِ يَنْبُعَ، وَأَقَامَ هُنَاكَ بَقِيَّةَ الشَّهر، ولياليَ من جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَصالِحَ بَنِي مُدلج، ثُمَّ رجع ولم يلق كيدًا، وقد كان استخلف على المدينة أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْأَسَدِ.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي إسحاق السبيعي، قال: قلتُ لزيد بن أرقم: كَمْ غَزَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً، أَوَّلُهَا: الْعُشَيْرَةُ، أَوِ: الْعُشَيْرَاءُ.

- هنا غزوة العشيرة أيضًا كانت في جمادى الأولى في أواخرها، وهو أيضًا مكان ببطن ينبع. وكل هذا انظر تردد النبي صلى الله عليه وسلم في البعوث وفي الغزوات محاولة أن يدرك أي شيء من العير التي كانت بتأتي، كان القتال ليس ناحية مكة، وليس قتال مباشرة مع الكفار، لا، هو أراد أن يتعرض لأموالهم –كما قلنا حتى ما نكرر– لكن هو خرج وعمل موادعة أخرى أو صلح مع بني مدلج. وكأنه أيضًا أمَّن بعض الأقوام حتى لا يعترضوا عليه بعد ذلك في الحروب، مصالحة جديدة صالحها النبي صلى الله عليه وسلم.
- **(استخلف على المدينة أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْأَسَدِ)**، لكن هنا سئل كم غزوة غزاها النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: تسعة عشر وأولها العشيرة. والحق أنها ليست الأولى، لأن قبل الأولى كانت بواط والأبواء. فالبعض قال أن (زيد) الذي روى ذلك كان صغيرًا، أول ما أدرك كانت العشيرة، لكن قبلها الأبواء وبواط، وهذه غزوتين، وممكن يضافوا لذلك. فنقول أن هناك غزوتين سابقتين على العشيرة؛ هم الأبواء وبواط، هذا هو الصحيح، ولا يُحمل كلام زيد لأنه لم يدرك إلا ذلك.
- وكانت في السنة الثانية من الهجرة.

[غَزْوَةُ بَدْرِ الأُولَى، وَتُسَمَّى: سَفَوَانَ]:

ثم خرج بعدها بنحو من عشرةِ أَيَّامٍ إِلَى بَدْرِ الأُولَى، وَذَلِكَ:

أن كُرْزَ بنَ جَابِرِ الْفِهْرِيَّ أَغارَ على سَرْحِ المدينة، فطلبه، فبلغ واديًا يقال له: سَفَوَانُ فِي ناحية بَدْرٍ، ففاته كرز، فرجع، وقد كان استخلف على المدينة: زَيْدَ بنَ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْه.

- قبل أن يصل لبدر الكبرى، جاء بدر الأولى، وهذا الخروج كان لسبب من النبي صلى الله عليه وسلم، **(أن كُرْزَ بنَ جَابِرِ الْفِهْرِيَّ)** وهذا رأس من رؤوس المشركين، **(أَغارَ على سَرْحِ المدينة)** أي مواشي خاصة بأهل المدينة (المسلمين) إبل وغنم أغار عليهم وانتهب، أخذهم إلى جهة بدر، أي دخل على مواشي وإبل وغنم المسلمين، نزل عليهم، أخذ بعضهم وذهب إلى جهة بدر، فالنبي صلى الله عليه وسلم ما وقف، **(فطلبه)** أي خرج في اثره وما تركه. وهذه تسمى (غزوة بدر الأولى). لكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدركه، ولم يستطع أن يلحق به، كان قد أخذ هذه المواشي وفر بها.
- فالنبي خرج في اثره أولًا ثم ما استطاع أن يدركه، فرجع بعد ذلك إلى المدينة، وكان قد أمَّر عليها (زيد بن حارثة).
- وسبحان الله (كرز بن جابر الفهري) هذا قصته عجيبة، لأنه وقت ما فعل ذلك لما نزل على سرح المدينة وأخذ المواشي والإبل، وفر، كان كافرًا، هو أسلم بعد ذلك، وبعدما أسلم كانت له قصة مع النبي صلى الله عليه وسلم. تذكروا العُرنيين الذين استوحشوا المدينة، قوم جاءوا للمدينة فمرضوا، فالنبي صلى الله عليه وسلم أذِن لهم أن يخرجوا إلى مكان الإبل الصدقة ليشربوا من الأبوال والألبان، فبعد أن شربوا وصحت أجسامهم قتلوا الراعي الذي كان يرعى إبل الصدقة للنبي صلى الله عليه وسلم وساقوا الإبل والمواشي وأخذوها. فالنبي صلى الله عليه وسلم وصله ذلك. فالنبي صلى الله عليه وسلم أرسل في إدراكهم، فالذي خرج في إدراكهم هو هذا، كان مسلمًا بعد ذلك (كرز) رضي الله عنه.
- والعجيب أنه أتى بنقيض ما كان يفعل؛ فهو الأول في كفره فعل ذلك، لكن هو خرج وهو الذي أدرك العُرنيين وأخذه. وطبعًا النبي صلى الله عليه وسلم أمره أولًا بتخزيق؛ أي بتسميل

العيون لأنهم فعلوا ما فعلوه في الراعي خزقوا العيون ثم قطعوا الأيدي والأرجل ثم قتلوه، فالنبي صلى الله عليه وسلم فعل بهم ذلك، حتى تركهم بدون ماء ولا طعام في أرض المدينة حتى ماتوا بعد ما قطع أيديهم وأرجلهم، فكما فعلوا بالراعي فعل بهم. فهم كانوا كفروا بعد إسلامهم، وبدلًا من أن يقابلوا شكر ما فعله معهم النبي صلى الله عليه وسلم قتلوا الراعي واخذوا الإبل والمواشي. فقد جاءوا ضعفاء ومرضى فنصحهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا يشربوا من أبوال وألبان الإبل الصدقة، فبعد أن صحت أجسادهم كفروا وارتدوا فقتلوا الرجل وأخذوا الأشياء هذه وفروا بها. فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم أرسل وخرج (كرز) هذا، وأتى بنقيض ما فعله في الجاهلية، فخرج لهؤلاء ورجَّع المواشي ورجع الأشياء وقبض على هؤلاء ثم فُعِل بهم ما فعل.

- والعجيب أن المفترض أن الذي بيفعل المعصية، لما بيتوب بعض الفقهاء والحكماء يقولوا أن ما تجعله يفعل عكس ما كان يفعله في الذنب، أي هو لو كان سارق وتاب فما تعطيه أموال، احترازا، وهو هنا فعل عكس ما فعله في الكفر، أبدله ذلك الله عز وجل في الإسلام لأنه فعل نقيض ما فعله في الكفر لكن للإسلام. كما أن (خالد بن الوليد) قاتل في كفره المسلمين– حال كفره إلى غزوة أحد– والله عز وجل جعله سيف من سيوفه بعد أن أسلم، في نفس الخصلة التي كان فيها في الجاهلية ومتفوق فيها أيضًا، وهو القتال. وهذا من عزة الإسلام، أن الإسلام يرفع أقوام.

فصل: سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ إِلَى نَخْلَةَ، وَالْقِتَالُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ

ثُمَّ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي وثمانية من المهاجرين، وكتب له كتابًا، وأمره أَنْ لا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثُمَّ ينظر فيه، ولا يُكْرِهَ أحدًا من أصحابه، ففعل، ولما فتح الكتاب، وجد فيه: [إِذَا نَظَرْتَ فِي كِتَابِي هَذا، فامض حتى تنزل نخلة بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ، وَتَرْصُدَ بِهَا قُرَيْشًا، وَتَعْلَمَ لَنَا مِنْ أَخْبَارِهِمْ]. فقال: سمعًا وطاعة، وأخبر

أصحابه بذلك، وبِأَنَّهُ لَا يَسْتَكْرِهُهُمْ، فَمَنْ أَحَبَّ الشَّهَادَةَ، فَلْيَنْهَضْ، وَمَنْ كَرِهَ الْمَوْتَ، فَلْيَرْجِعْ، وَأَمَّا أَنَا فَنَاهِضٌ، فَنَهَضُوا كُلُّهُمْ. فلما كان في أثناء الطريق، أضل سعد بن أبي وقاص، وعتبة ابن غزوان بعيرًا لهما كانا يَعْتَقِبَانِهِ، فتخلفا في طلبه. وتقدم عبد الله ابن جحش حتى نزل بنخلة، فمرت به عير لقريش تحمل زبيبًا وأدما وتجارة، فيها عَمْرُو بنُ الْحَضْرَمِي، وَعُثْمَانُ وَنَوْفَلْ ابْنا عَبْدِ اللَّهِ بنِ الْمُغِيرَةِ، والحَكَمُ بْنُ كَيْسَانَ مَوْلَى بَنِي المُغِيرَةِ، فتشاور المسلمون، وقالوا: نحن في آخر يوم من رجب الشهرِ الحَرَامِ، فَإِن قَاتَلْنَاهُم، انتَهَكْنَا الشَّهْرَ الحَرَامَ، وَإِنْ تَرَكْنَاهُمُ اللَّيْلَةَ، دَخَلُوا الْحَرَمَ،

ثُمَّ اتَّفَقُوا على ملاقاتهم، فرمى أحدهم عمرو بن الحضرمي فقتله، وأسروا عثمان، والحكم، وأفلت نوفل. ثُمَّ قَدِمُوا بالعير والأسيرين قد عزلوا من ذلك الخمس.

فكانت:

أَوَّلَ غنيمة في الإسلام.

وأوَّلَ خُمس في الإسلام.

وأول قتيل في الإسلام.

وأول أسير في الإسلام.

إلا أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنكر عليهم ما فعلوه، وقد كانوا مجتهدين فيما صنعوا.

واشتدَّ تَعَنُّتُ قريش وإنكارهم ذلك، وقالوا: مُحَمَّدٌ قَدْ أَحَلَّ الشَّهْرَ الْحَرَامَ، فَأَنْزَلَ اللهُ في ذلك: { يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ} [البقرة: 217]

- هذا بعث عبدالله بن جحش فيه بعض الفوائد الهامة أيضًا، وهذا آخر بعث قبل بدر الكبرى . وهذا أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل (عبد الله بن جحش) اقترب، توطئة لما سيكون في بدر، أرسله في مهمة استخباراتية كما يقال، لأن هو قال هنا اذهب إلى "نخلة" في جنوب مكة، اقترب، الأول كان يتجه ناحية الساحل، ناحية العير، ناحية الأماكن التي فيها التجارات القادمة من الشام، هذه المرة البعث وصل إلى جنوب مكة؛ بين الطائف ومكة، فاقترب. ماذا يعني ذلك؟ كأن كل ما سبق كلها مناوشات وخطط لاستطلاعات، وبدأ الآن القرار أننا سنقترب. فأرسل بعث (عبد الله بن جحش) رضي الله عنه إلى منطقة محددة، قالوا "نخلة" في جنوب مكة بينها وبين الطائف ليتستطلع لنا أخبار قريش، هو بعثه هنا للاستطلاع، ليعرف الأخبار. وهذا يبين لك كيف التخطيط للمعارك حتى من القديم موضوع الاستخبارات ومعرفة الاخبار حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم فعلها في الهجرة. وتذكروا كما بينا أيضًا في (عبد الله بن أبي بكر) لما أرسله لذلك أيضًا.
- فهذه المنطقة قريبة من مكة، وهم قلة وفيها مخاطرة أيضًا، ولذلك انظر للسياق الذي أمر يوجد النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في ذلك المسألة؛ المسألة تحتاج اقتراب من مكان كفار قريش وهم قلة ولن يستطيعوا أن يقاتلوا قتالًا، وهم أرادوا فقط الاستخبارات والمعرفة، فيحتاجون لهمة عالية.
- وانظر إلى فعل النبي صلى الله عليه وسلم؛ جعل كتابا وأغلقه وقال لـ (عبد الله بن جحش) لا تفتحه إلا بعد يومين، أمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه. وهذا فيه تعليم القائد والمربي لمن معه السمع والطاعة، وهذه مسألة مهمة جدًا، لا يكون اختلافا على الأمير وعلى القائد وعلى المربي أو على الداعية أو الشيخ أن يربي، لأنه قال له على الكتاب لا تفتحه إلا بعد يومين، وهنا تبين لك أيضًا أن الصحابه كانوا يلتزمون بهذه الأمور، كيف يسمع ويطيع لقائده، لأميره. فأنت في حرب وفي قتال، لا تفعل من نفسك، هناك من يخطط ومن يقرر، وهو القائد. وهذا صدق مِن مَن معه من الصحابة رضوان الله عليهم،

والتزام، والسمع والطاعة للنبي صلى الله عليه وسلم. وهذا الذي لابد أن يكون بالمحاكاة في القيادة وغير ذلك.

- ثم قال: بعد أن تفتحه انظر فيه ولا تُكرِه أحد من أصحابه. لماذا؟ لأنه بيان المهمة. وهذه موجودة الآن يقول لك "لا تخبر أحد" في المهمات السرية وبعد أن يخروجوا للعملية يخبرونهم في الطريق ماذا عليهم فعله، وإلى أين يتجهون، وذلك حفاظًا على سرية المعلومات.
- فهو بعد أن سار طريقه بيومين، كأنه أولًا يختبر أنه سيلتزم، ثانيًا ما يفتح ويعرف المعلومة إلا بعد أن فارق المدينة بيومين فلا ينتشر الخبر بين المجموعة التي هم موجودين فيها. فهذا تخطيط يُتعَلم منه، انظر..في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وما زال هذا يُنفَّذ.
- قال: **(ولا يُكْرِهَ أحدًا من أصحابه)** وهنا تبين لك أن {لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ} [البقرة:286] ما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يُكره أحد إلا إذا كان مستطيعًا، فهناك أمور قد لا يستطيعها الناس، فلا بد أن يفعلها وهو يشعر أنه لابد أن يفعلها، فهنا لا إكراه فيها، وهناك أمور قد يعلم القائد أنها لابد أن تُفعل فيلزم بها. وهنا قال: **(ولا يُكْرِهَ أحدًا من أصحابه)**، أي بعدما ستبلغهم بالمهمة خَيِّرهُم؛ من أراد أن يكون معك.. يمضي، ومن لم يُرد.. يرجع. لماذا؟ لأنه ممكن الذي لا يريد ويُجبَر يؤدي إلى خلل في التنفيذ، واحد ليس عنده الشجاعة والقدرة، ليس عنده الإحتمال، ممكن هذا لو أُجبِرَ يؤدي هذا إلى فساد العملية الذي يريدها. فهنا أيضًا حكمة يبينها النبي صلى الله عليه وسلم بأنه لم يكن يكره أحد من أصحابه على هذا القيام.
- فلما فتح الكتاب (عبد الله بن جحش) ونظر فيه، وبيّن له أن ينزل في "نخلة"؛ بين مكة والطائف، فحدد له المكان والجهة بعد يومين من السير. وقال: **(وَتَرْصُدَ بِهَا قُرَيْشًا، وَتَعْلَمَ لَنَا مِنْ أَخْبَارِهِمْ)**، مسألة استطلاع ورصد أخبار أصالة، لكن عن مكان قريب؛ عن كثب. تقترب جدًا من مكة فتفعل ذلك.

- فلما قرأ (عبد الله بن جحش) قال: "سمعًا وطاعة" في نفسه، قال أنفذ ذلك.
- لكن هنا النبي صلى الله عليه وسلم في أمره (عبد الله بن جحش) ليس فيه اختيارًا، لكن الإختيار كان لأصحابه. لذلك النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي أمَّرَه ويعلم أنه هنا سيوافق. وهذا يبين لك القائد متى يأمر من ومتى يُخَيِّر من، لأنه يعلم من حال الناس.
- **(وأخبر أصحابه بذلك)** وأطلعهم على كتاب النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: **(وبأَنَّهُ لَا يَسْتَكْرِهُهُمْ)**، أي لا يحملهم على هذا، ويجعله كرها لهم. قال: **(فَمَنْ أَحَبَّ الشَّهَادَةَ، فَلْيَنْهَضْ)** انظر.. كيف القائد يتكلم مع من معه، قال: **(فَمَنْ أَحَبَّ الشَّهَادَةَ، فَلْيَنْهَضْ، وَمَنْ كَرِهَ الْمَوْتَ، فَلْيَرْجِعْ)** فهنا هم اختاروا جميعًا أنهم يمضون.
- لكن هنا توجد فائدة حقيقة مهمة، أنك إذا أردت أن تكلف أحد بشيئًا فلابد أن تعلم أنه ليس من الحكمة إسناد الأمر لغير أهله، لذلك النبي صلى الله عليه وسلم خيَّرهم، فأنت اذا أسندت شيئًا؛ أيًا كان سواء في المعركة، في دعوة، في عمل، في شيء، الصحيح والحكمة عند القائد؛ عند المُكَلِّف أنه ينظر لمن يكلفه، ليس من الحكمة أن تسند الشيء لغير أهله. وهذا الذي جعل النبي صلى الله عليه وسلم يخيَّر هؤلاء، وألزم (عبد الله بن جحش).
- أيضًا دلالة على أن هذا كان اختبار نجح فيه (عبد الله بن جحش) في أنه استجاب لأمر النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يفتح الكتاب إلا بعد يومين، وهذه تبين كأنه كان اختبار من القائد لمن تحته، أو حتى في غير القتال، على أنه سيستجيب أم لا يستجيب؟ سيسمع أو لا يسمع؟ ممكن كان يأخده الفضول ليفتح الكتاب في أول المدينة، والآن هذا اختبار ليعلم المربي والقائد هل سيستجيب من تحته أم لا. طبعًا هذا في القتال أو غير القتال، هذه كلها أمور أصبحت الآن تُنفَّذ حتى في التربية والدعوة والتعليم والعمل وغير ذلك.
- ثم قال (يترصد)، وهذه تبين لك أن من النجاح في الحرب أن يكون عندك ترصُّد، اهتمام بمراكز الترصد والدراسات، والدراسات هذه أهم شيء، والحق أن المسألة ليست دراسات فقط وأنت تقاتل، لابد أن نتعلم من هذه السيرة، وللأسف سبقونا بها الكفار، بمعنى تجدهم الآن

يدرسون كل شيء في المسلمين، فالمسألة ليست في القتال فقط، ليست في الجيوش ولا في المعدات. أصل موضوع التواصل الاجتماعي والنت والأشياء هذه ما فُعِلَت أصالة إلا لإختراق شعوب المسلمين، الآن لو أراد أن يعرف خصائص أي شعب واتجاهاته وأفكاره، فأولًا يحلل، ثم بعد ذلك يوجه لأمر آخر، لكن هو أراد أن يحلل، كيف سيعرفها؟ من أفكار وسلوكيات الناس. وكل هذه موجودة في مسائل التواصل. فلو أراد أن يدخل لأي بلد، فيرى كيف يفكر هذا الشعب اليوم، فيستطيع أن يدخل لأنه متحكم في هذه الوسائل. فهو يستطيع أن يحلل سلوكيات وعبادات واعتقادات كل مجتمع في اجتماعات المسلمين، فيرصد، فيستطيع أن يعلم إن أراد أن يوجه هنا، ويوجه هنا، أو يفعل هنا. هذه مسألة الشعب، ليس مسألة نتكلم عن القتال كقوة.

- كلام القائد مهم جدًا (عبد الله بن جحش) لإخوانه لما قال لهم: **(فَمَنْ أَحَبَّ الشَّهَادَةَ، فَلْيَنْهَضْ، وَمَنْ كَرِهَ الْمَوْتَ، فَلْيَرْجِعْ)** يوجد نوع من الحث والإقدام والترغيب، وهذ أيضًا لابد للقائد أن يهيج المشاعر ويذكرهم بالثواب والأجور في ذلك.
- **(فَنَهَضُوا كُلُّهُمْ)** لم يتراجع منهم أحد، وهذا طبعًا دلالة حقيقة على قوة الإيمان وطاعتهم للنبي صلى الله عليه وسلم، وهذا اصطفاء، كانوا خيرة الخلق هؤلاء بعد النبيين في هذا الوقت. فهذا دلالة على ذلك.
- قال: **(فمرت به عير لقريش تحمل زبيبًا وأدما وتجارة، فيها عَمْرُو بنُ الْحَضْرَمِي، وَعُثْمَانُ وَنَوْفَلْ ابْنا عَبْدِ اللَّهِ بنِ الْمُغِيرَةِ، والحَكَمُ بْنُ كَيْسَانَ مَوْلَى بَنِي المُغِيرَةِ)** ما الذي حدث الآن؟ كان هذا آخر يوم من أيام رجب، وهو شهر من الأشهر الحرم وهي (رجب، ذو القعدة، ذو الحجة، محرم). فكان في آخر يوم من أيام رجب. قال: **(فتشاور المسلمون)** لماذا؟ لأن الأشهر الحرم كان الكفار في الجاهلية يعظمونها جدًا، أحيانًا كانوا يغيروها لمصلحتهم، لكن كانوا يعظمون الأشهر الحرم جدًا، ما كانوا يقاتلون يوجد؛ يكفون القتال فيه. فالصحابة كان

آخر يوم من رجب، والمجموعة تمر من أمامهم، فكأنها غنيمة، هل يتركوهم يفرون من بين أيديهم ويدخلون مكة، أم يعتدوا عليهم؟

- **(فتشاور المسلمون)** هنا انظر؛ المشورة، وهذا أمر مهم جدًا. توجد مشكلة الآن معهم، مشكلة أن لو مرت هذه المجموعة وفروا منهم، ومشكلة أيضًا أنهم في رجب، خاصة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يطلب منهم قتال. انتبهوا؛ هو طلب ترصد، وهذه إشكالية، هو طلب أن يرصدوا أحوال القوم. **(فتشاور المسلمون، وقالوا: نحن في آخر يوم من رجب الشهرِ الحَرَامِ، فَإِن قَاتَلْنَاهُم، انتَهَكْنَا الشَّهْرَ الحَرَامَ)** كان يعظمونه، **(وَإِنْ تَرَكْنَاهُمُ اللَّيْلَةَ، دَخَلُوا الْحَرَمَ، ثُمَّ اتَّفَقُوا على ملاقاتهم)**. هي المسألة طبعًا ممكن تنظر لها نظرة أن أصل البعث كانت ترصد، ولم تكن ملاقاة، لكن قد يكون أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشترط عليهم في الكتاب الترصد فقط، لكن كان أصل البعث الترصد ولا يمنع أنهم ممكن يفعلوا شئ، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقرهم، لكن هو لم يقرهم عن انتهاك الشهر الحرام، لكن هم كأنهم هل نصيب منهم أم لا نصيب؟ فاتفقوا. وهذه دلالة على المشورة والإتفاق، وأن مبدأ الشورى لابد أن يتعلمه الناس، ولابد أن يتدرب الناس على الشورى. والشورى تكون شورى حقيقية، كما سيأتي معنا في غزوة بدر، أي ليست شورى فقط للكلام.
- لكن هنا لابد أن نبين شيء، أن هذا كان اجتهادًا، لذلك النبي صلى الله عليه وسلم بين أنهم لم يوفقوا في ذلك، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقرهم على ذلك على مسألة الاجتهاد في الأشهر الحرم، أنهم يخالفون.
- وسنبين مسألة هنا –كأننا نعيش هذه الأيام– هم الأول نظروا للعادات الإجتماعية، لأن لم يكن هناك نصًا في الشرع في مسألة الأشهر الحرم، الأشهر الحرم هذه كانت موجودة من الجاهلية، فالعادة أنه لا قتال في الأشهر الحرم، انتبه، هم الآن يتكلمون في مسألة شرعية، فكأنهم خالفوا العادة، وغلبوا المصلحة التي رأوها شرعية، هم اجتهدوا، فهنا رأوا أن المصلحة الشرعية تقول أن نصيب منهم وإن خالفنا العادة. وهذا اجتهاد، ولم يقره النبي صلى الله عليه

وسلم على ذلك. وكأن عدم إقرار النبي صلى الله عليه وسلم أن قد يكون تقديم العادة بما لا يخالف الشرع له اعتبار. أي أحيانًا تأتيك العادة ولا تخالف الشرع، قدِّم العادة نعم لا إشكال، الأعراف الإجتماعية بما لا تخالف شرعًا، فـ (المعروف عرفًا كالمشروط شرطًا)، و(العادة مُحكَّمة)، هذه من القواعد الفقهية. لكن لو كان العرف يخالف للشرع، فهنا لابد أن تقدم الشرع.

- فلم يكن هناك شرعًا وقتها، كان عادة، لكن هم رأوا باجتهادهم أن يصيبوا منهم. فالذي حدث أنهم قتلوا، وأسروا وفر منهم. فقتلوا (عمرو بن الحضرمي) واسروا إثنين، وفر (نوفل) منهم. وطبعًا بيّن ذلك الله عز وجل في مسألة الأشهر الحرم بعد ذلك: { إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ} [التوبة: 36]. فجاء هنا نزولًا. فلذلك كانوا لا يقاتلون فيهم.
- لكن بعد ما أخذوا القرار بأنهم سيفعلوا ذلك رجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ومعهم أسيرين. قتلوا أول قتيل (عمرو بن الحضرمي).
- قال هنا: **(ثُمَّ قَدِمُوا بالعير والأسيرين قد عزلوا من ذلك الخُمس)**، الخُمس وهي الغنائم.
- **(فكانت: أَوَّلَ غنيمة في الإسلام، وأوَّلَ خُمس في الإسلام، وأول قتيل في الإسلام، وأول أسير في الإسلام)**
- أول قتيل هو (عمرو بن الحضرمي)، وأول خُمس كانت في هذا البعث؛ بعث (عبد الله بن جحش).
- قال: **(إلا أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنكر عليهم ما فعلوه)** أنكر عليهم الانتهاك لحرمة الشهر، أي هم اجتهدوا في القتال، فالمشكلة ليست في القتال، فيبدو أن هذا الباب كان مفتوح للاجتهاد، لكن أنكر عليهم الانتهاك لحرمة الشهر. والعرب كانت تُعظِّم جدًا هذه الأشهر.

- قال: **(وقد كانوا مجتهدين فيما صنعوا)**، وهذا اجتهاد من الصحابة رضوان الله عليهم، لو المجتهد أصاب له أجران، ولو أخطأ فله أجر واحد، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: [إذا اجتَهدَ الحاكمُ فأصابَ فلَهُ أجرانِ، وإذا اجتَهدَ فأخطأَ فلَهُ أجرٌ].
- لماذا النبي صلى الله عليه وسلم عاتبهم؟ لِما قالت قريش. لتعلم لماذا عاتبهم النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المسألة –في هذا الوقت– لأن الله عز وجل أنزل الآيات بعد ذلك– قال: **(واشتدَّ تَعَنُّتُ قريش وإنكارهم ذلك، وقالوا: مُحَمَّدٌ قَدْ أَحَلَّ الشَّهْرَ الْحَرَامَ)**، فأخذوا يتحدثون ويلوكون في الأمر، وينشرونه في الآفاق ويروجون في كل مكان: "محمد قد انتهك الشهر الحرام". كأننا في هذا الزمان، وهما في زمانهم. الناس يقتلون ويذبحون منذ سبعين سنة، وأُخرجوا من أراضيهم، فلما ضربوهم في السابع من أكتوبر تركوا كل الماضي ويروجوا في العالم كله بالذي حدث لهم في سبعة أكتوبر! وكذلك قريش أيضًا تركت كل الذي فعلته من إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم، وإيذاء الصحابة، وأخذ الأموال، وقتل المسلمين في مكة وتعذيبهم، ومنعهم من الهجرة، كل هذا ما يُعلَن عنه! ويعلن عن أن انتهك محمد صلى الله عليه وسلم الشهر الحرام، ويروجوه! هو منهج واحد، الكفر كله ملة واحدة. لذلك لابد أن يكون الإسلام أيضًا هو واحد، من أول زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة، تعلم بأنك لابد أن تسير على هذا الهدي الذي سار عليه النبي صلى الله عليه وسلم.
- لكن هنا النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يريد ذلك حقًا في وقتها، لذلك هو خَطّأ الصحابة لكن كان اجتهاد منهم، لكن أنزل الله عز وجل الآيات: { يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ} [البقرة: 217]، أي أنتم تتكلموا عن الشهر الحرام والقتال والصد، لكن قال: {وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ} الذي فعلتموه في أهل المسجد الحرام؛ أهل مكة المسلمين، أكبر عند الله مما يكون في هذا. فقال: {قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ}، لكن يبين الله عز وجل بأن إخراج أهله

منه أكبر عند الله من القتال في الشهر الحرام. وهذا يبين لك أن المسلم قدره عند الله كيف يكون، عزة المسلم، ونفس المسلم، والمسلم مقدم عند الله عز وجل على غير المسلمين.

- يقول ابن كثير: **(يقول سُبْحَانَهُ : هذا الذي وقع – وإن كان خطأ؛ لأنَّ القتال في الشهر الحَرَامِ كبير عند الله – إلا أنَّ ما أنتم عليه أيها المشركون – منَ الصَّد عن سبيل الله، والكفر به، وبالمسجد الحرام، وإخراج مُحَمَّدٍ وأصحابه الذين هم أهل المسجد الحرام في الحقيقة – أَكبَرُ عندَ اللهِ مِنَ القتال في الشَّهْرِ الحرام.)**، أي كفركم وصدكم عن سبيل الله وإخراج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المسجد الحرام كل هذا أكبر من القتال في الأشهر الحرم.
- ثم لما خُمَّسوا الغنيمة، النبي صلى الله عليه وسلم كان متوقف يأخذ الخُمس أم لا، فنزلت الآيات بعد ذلك في أمر الغنيمة فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم.

فصل: تَحْوِيلُ الْقِبْلَةِ ، وَفَرْضُ الصَّوْمِ وَزَكَاةِ الْفِطْرِ

وفي شعبان من هذه السنة:

حُوِّلَتِ القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة.

وذلك: عَلَى رأس ستَّةَ عشر شهرًا من مقدمه المدينة.

وقيل: سبعة عشر شهرًا. وهما في "الصحيحين".

وكان أول من صلَّى إليها: أبو سعيد بن المعلى، وصاحب له؛ كما رواه النسائي. وذلك: أنا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس، ويتلو عليهم تحويل القبلة، فقلت لصاحبي: تعال نُصَلِّي ركعتين، فنكونَ أَوَّلَ مَن صلى إليها، فَتَوَارَينا، وصلينا إليها، ثُمَّ نزلَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَصَلَّى بِالنَّاسِ الظهرَ يَوْمَئِذٍ.

وَفُرِضَ صَوْمُ رَمَضَانَ، وَفُرِضَتْ لأَجْلِهِ زَكَاةُ الْفِطْرِ قُبَيْلَهُ بِيَوْمٍ.

- في هذه الفصل تحدث عن ثلاثة أمور: تحويل القبلة، وفرض الصوم، وفرض زكاة الفطر، وكان هذا في شعبان في السنة الثانية.
- كان النبي صلى الله عليه وسلم لما وصل صلَّى في المدينة إلى بيت المقدس ستة عشر شهر أو سبعة عشر شهر، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن تكون القبلة إلى الكعبة حتى جاء في سورة البقرة: {قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ} كان النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إلى السماء يريد أن يصلي إلى مكة {فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ} [البقرة: 144]، فهنا النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الأول في مكة اتجاه الكعبة مع اتجاه بيت المقدس؛ فكان يصلي مستقبلًا الكعبة وبيت المقدس معًا، كانت الكعبة بينهم، فلما ذهب إلى المدينة ما استطاع استقبالهم، كانوا عكس في الاتجاه، فكان النبي صلى الله عليه وسلم ينظر يريد أن تتحول، كان يريد أن يصلي إلى الكعبة أصالة، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وجلس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا، الله عز وجل حوَّل القبلة بعد ذلك، كان يريد ذلك متطلعًا، كما قال الله عز وجل يقلب بصره في السماء، فحوَّل القبلة بعد ذلك إلى الكعبة.
- وأول صلاة صلاها في مسجده؛ مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، إلى الكعبة، قالوا هنا "الظهر" في الحديث، وفي روايات "العصر" ولكن الصحيح أنها الظهر–والله أعلم–.
- ثم القصة المشهورة في مسجد قباء الذين لم يكونوا يعلموا بتحويل القبلة حتى صلاة الفجر، فكانوا يصلون في الفجر، كانوا قد صلوا العصر والمغرب والعشاء لبيت المقدس، فدخل عليهم في الفجر، فقال إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى إلى الكعبة، فالتفوا إلى إتجاه الكعبة وهم يصلون الفجر، تحولوا تحول كامل، فكان الاتجاه للجهة الشمالية، انتقلوا إلى

الجهة الجنوبية، تحول كامل. وهذه دلالة على جواز الحركة في الصلاة إن استدعى ذلك، خاصة أن القبلة شرط لصحة الصلاة، فهم لما صلوا أولًا صلوا وبالشرع أيضًا قبل أن يعلموا التحويل، ولما علموا بالتحويل تحولوا وهم في الصلاة.

- وتوجد إشكالية أن البعض يذهب يزور وهذا خطأ بيقع فيه بعض الجهال أو العوام، يذهب يصلي ركعتين جهة المسجد الحرام ويصلي ركعتين جهة بيت المقدس في مسجد يسمى "القبلتين" وهذا خطأ، لأن الأمر انتهى لم تعد القبلة تجاه بيت المقدس، ما يصح أن يفعل ذلك، ولا يوجد مسجد في المدينة مخصص لهذه المسألة، فالآن ما على أحد أن يصلي إلا للكعبة فقط. فهذه نُسِخَت.
- وقال الله عز وجل عن اليهود: {سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ} [البقرة: 142]، فاليهود كانوا في فرح بأن النبي صلى الله عليه وسلم يصلي إلى بيت المقدس لأنها كانت قبلتهم، فلما تغيرت للكعبة حسدوا، قالوا كل شئ يريد أن يتغير أو يخالفنا يوجد، فكان اليهود يحسدون المسلمين على ذلك، وهم يحسدوننا على أكثر من ذلك، فقد جاء الحديث أنهم يحسدوننا على الجمعة، وعلى استقبال البيت الحرام، وعلى قول "آمين" في الدعاء، فهم يستكثرون علينا ذلك ويحسدوننا على ذلك. فهم يحسدوننا كانوا يظنون أن النبي صلى الله عليه وسلم سيأتي منهم، هم يعلمون حقيقة أنه لن يكون منهم، لكن كانوا يُمَنُّون أنفسهم بذلك.
- فهنا الله عز وجل حّول القبلة، وقولهم {سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ}، قال:{قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ} [البقرة: 142]، أي أن الأمر كله لله من قبل ومن بعد، ليس لكم يوجد شئ، الله يوجه هكذا، يُغّير هكذا، كما يريد سبحانه وتعالى وعلى الناس الالتزام سمعًا وطاعة. فجاء التحويل في شعبان من السنة الثانية.

- اعترض البعض وقال ما حال اخواننا الذين صلوا إلى بيت المقدس وماتوا، كيف تكون صلاتهم؟ قُبِلَت أم لا؟ فأنزل الله عز وجل: {وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمۡۚ} [البقرة: 143]، وهنا الإيمان يقصد به الصلاة، أي: ما كان الله يضيع صلاتكم، فالصلاة التي كانوا يصلونها إلى بيت المقدس–حتى الذين لم يموتوا وصلاها المسلمون في الأول–كانوا إنما كانت الجهة هنا طاعة لله وامتثالًا للأمر، فهي أيضًا صلاة مقبولة، فلا تضيع عليهم.
- ما الذي نستنبطه من قول الله تعالى: {وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمۡۚ}وأنه سمى الإيمان صلاة؟ أن الصلاة من الإيمان، دلالة على أن الإيمان قول واعتقاد وعمل، فهذا دلالة على أن الله سمى الصلاة إيمان، إذًا الأعمال من الإيمان. فالإيمان عن أهل السنة والجماعة: قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح.
- قال: **(وكان أول من صلَّى إليها: أبو سعيد بن المعلى، وصاحب له؛ وذلك: أنا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس، ويتلو عليهم تحويل القبلة)** فسارعوا هم بالصلاة أولًا، ليكونوا أول من صلوا.
- **(ثُمَّ نزلَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَصَلَّى بِالنَّاسِ الظهرَ)**: وهذه دلالة على أن البعض قال الظهر والبعض ضعف هذا الإسناد وقالوا أن أول صلاة صلاها النبي صلى الله عليه وسلم بعد تحويل القبلة كانت العصر.
- **(وَفُرِضَ صَوْمُ رَمَضَانَ، وَفُرِضَتْ لأَجْلِهِ زَكَاةُ الْفِطْرِ قُبَيْلَهُ بِيَوْمٍ)** فهذه كانت الفريضة الثانية في السنة الثانية؛ فريضة الصيام. وهذا يبين لك أن كثير من العبادات العملية فُرِضَت في المدينة، فمكة كما قلنا كان الأصل فيها التوحيد وفُرِضَت الصلاة، ثم في المدينة نزلت والشرائع، وكان هذا تدرج في نزول الشريعة، الآن لا يوجد تدرج، فكان هذا التدرج وقت نزول الوحي، لكن بعد اكتمال نزول الشريعة فأنت مطالب بالفرائض الخمسة كلها. فهنا لابد على المرء أن يأتي بما جاء به الشرع من فرائض.

- **(وَفُرِضَتْ لأَجْلِهِ زَكَاةُ الْفِطْرِ قُبَيْلَهُ بِيَوْمٍ)**، وزكاة الفطر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم صاع من الطعام طهرة للصائم، وعلى الراجح أنها تخرج قبل العيد مباشرة، وفيها خلاف فقهي لن نستفيض فيه، فالشافعية قالوا أنها ممكن أن تخرج أول رمضان، والأحناف قالوا من قبل رمضان، والحنابلة قالوا قبل العيد بيوم أو يومين لفعل (ابن عمر)، والأفضل لاشك أنها تخرج من بعد ظهور هلال شوال، ولا حرج أنها تخرج قبلها بيوم أو يومين. لكن زكاة الفطر أصبحت فريضة على كل من عنده زيادة عن قوت اليوم، وقال النبي صلى الله عليه وسلم أنها: [طُهرةً للصائمِ من اللَّغوِ والرَّفث وطُعمَةً للمساكينِ].

ثم سيأتي الكلام على غزوة بدر، نقف عندها إن شاء الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحاضرة التاسعة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد، على موعد اليوم مع دروس السيرة من شرح كتاب (الفصول في سيرة الرسول) للحافظ ابن كثير عليه رحمة الله تعالى. وقفنا عند غزوة بدر، سنبدأ إن شاء الله فصل: (غزوة بدر الكبرى) وهي إحدى غزوات النبي صلى الله عليه وسلم السبع الكبرى، وغزوة بدر هذه من الغزوات الهامة كما جاءت في القرآن، الله سماها "يوم الفرقان".

- وكل غزوات النبي صلى الله عليه وسلم وبعوثه وسراياه كانت بعد هجرته إلى المدينة، بدأ في إرسال البعوث والسرايا والغزوات. والفرق بين الغزوة وبين البعوث والسرايا أن الغزوة كان فيها النبي صلى الله عليه وسلم مع المجاهدين، والبعوث هو الذي يرسلها بغيره.

- والعلماء اختلفوا في عدد غزوات النبي صلى الله عليه وسلم؛ بعضهم قال سبع وعشرون، والبعض قال تسع وعشرون، والبعض قال خمس وعشرون، وقيل غير ذلك.

والذي شارك فيها بنفسه النبي صلى الله عليه وسلم تسعة وهي: بدر، أحد، الخندق، قريظة، المصطلق، خيبر، الفتح "فتح مكة"، حنين، والطائف.

- وقيل أيضًا أنه قاتل في بني النضير، ووادي القرى؛وهي كانت من بدايات خيبر.
- أما السرايا والبعوث فحوالي ستين.
- والغزوات الكبرى أو (الأمهات) سبع: بدر، وأحد، والخندق، وخيبر، والفتح، وحنين، وتبوك. هذه تسمى الغزوات السبعة التي هي الكبرى أو الأمهات.
- **وكل غزوة من هذه الغزوات السبعة نزل فيها سور وآيات؛**
  - غزوة بدر: نزل فيها سورة الأنفال؛
  - غزوة أحد: أواخر سورة آل عمران، من قوله تعالى: {وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ} [آل عمران: 121] الآيات، إلى قبل أواخر السورة بيسير.
  - وقصة الخندق وبني قريظة نزلت فيها صدر سورة الأحزاب؛ لو رجعتم لبداية صدر سورة الأحزاب تجدها تتكلم عن قصة الخندق وبني قريظة.
  - وسورة الحشر نزلت في غزوة بني النضير.
  - وقصة الحديبية وخيبر في سورة الفتح: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحا مُّبِينا} [الفتح: 1] أشير فيها إلى الفتح.
  - وذكر الفتح في سورة النصر: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ} [النصر: 1] أيضًا كان فيها الفتح.
- فهذه الغزوات السبعةجاءت فيها كما قلنا آيات أو سور نزلت فيها .
- وجُرِح النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة واحدة فقط: وهي غزوة أحد وكسرت رباعيته.

- والملائكة قاتلت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوتين: بدر وحنين.
- ونزلت الملائكة يوم الخندق ولم يكن قتالًا، لكن نزلت يوم الخندق، فزلزلت المشركين وهزمتهم وولوا بعد ذلك لما رُمِي الحصباء في وجوه المشركين فهربوا بعد ذلك.
- والفتح ذكر في غزوتين: بدر وحنين.
- وتحصن النبي صلى الله عليه وسلم في الخندق في غزوة واحدة فقط: وهي غزوة الخندق، الذي أشار فيها (سلمان الفارسي) رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق فيها.
- لاحظ العلماء بأن كل غزوة من غزوات النبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود كانت بعد غزوة كبرى، أي كان يغزوا ثم يرجع عليهم، وغالبًا لأن –كما سيأتي– كل غزوة نقضوا فيها العهد.
  - فكانت غزوة بني قينقاع عقب بدر؛ فلما انتهى من بدر أجلى بنو قينقاع
  - وكانت غزوة بنو النضير بعد غزوة أحد، لأنهم خانوا العهد في أحد وانحازوا للمشركين أيضًا؛
  - وغزوة بني قريظة أيضًا كانت بعد الخندق، لأنهم أيضًا نقضوا العهد فيها وذهب إليهم فيها.
  - والرابعة خيبر كانت بعد صلح الحديبية.
- فكانت كل غزوة من غزوات النبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود كانت بعد غزوة كبرى من غزواته مع المشركين. وإن شاء الله ونحن بنمر نجد أنه في كل مرة كانوا ينقضوا العهد، أو فعلوا فعلًا ينقضوا به العهد مع النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا يبين لك أن اليهود أصلًا هم أهل نقض عهود؛ أي لو تتبعت هذه السيرة نحن نتكلم الآن قبل أن ندخل على المغازي فهذا الأمر عظيم جدًا؛ مسألة تتعلم المغازي، لأن الكفار كانوا يرون إذا خاض المسلمون معركة من المعارك فيتحينون اليهود هذه الفرصة لينقضوا العهد الذي بينهم وبين المسلمين،

كأنهم يظنون أن في وقت قتال المسلمين مع المشركين أو غيرهم وينقضون العهد هذا سيضعف ويفتت في عدد المسلمين. فكانوا يتحينون هذه الفرصة وينقضون فيها العهد. لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم كلما ينتهي من غزوة من هذه الغزوات يرجع عليهم يقَتِّل منهم بعضهم أو يجليهم كما سيأتي معنا في الأربعة الذي تكلمنا عنهم.

- فبنو قيناع قاتلهم، وأيضًا بعد أُحد قاتل بني النضير، وبعد الخندق بني قريظة، وبعد الحديبية خيبر.
- وعلم المغازي حقيقة علم له مكانة عظيمة جدًا، وهو تعلُم غزوات النبي صلى الله عليه وسلم له مكانة. وقلنا في البداية في مقدمة هذا الكتاب أن السلف كانوا يعتنون جدًا بسرد سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وعلم المغازي للصغار.
- وأول من أفرد علم المغازي بالتصنيف تابعي من أكبر علماء التابعين وهو (عروة بن الزبير)، وهو كثيرًا ما كان يروي عن (عائشة) رضي الله عنها، فقيل أنه أول من صنف في المغازي .
- وقيل أول من أفرد في المغازي الإمام (الزهري)، وحتى أن (الزهري) قال: "علم المغازي علم الآخرة الأولى) أي يشير إلى مكانة هذا العلم وأثره.
- ولذلك أنت لما تقرأ المغازي وترى المواقف التي مرت على النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والجهد الذي بُذِل في هذه الأوقات، تعلم كيف هؤلاء نصروا الدين، وذبوا عن حمى الإسلام، ورفعوا راية التوحيد، وكان الدين كله لله. وهذا هو الأصل في الجهاد وفي الغزوات؛ أن يكون الدين كله فيه لله. لذلك قدموا دماءهم في سبيل الله ولنصرة دينه سبحانه وتعالى.
- كان اسماعيل ابن محمد ابن سعد ابن أبي وقاص يقول: "كان أبي – وهو محمد ابن سعد ابن أبي وقاص، رضي الله عن سعد – يعلمنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم،

ويعدها علينا وسراياه ويقول: " يا بني هذه مآثر آباءكم فلا تضيعوا ذكرها". فكان يهتم السلف بتعليم أولادهم هذه المغازي.

- جاء عن (العليّ بن الحسين) أنه قال: "كنا نُعَلَّم مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نُعَلَّم السورة من القرآن".
- إذًا هي ليست قصصًا كما تظنون، أو أنك بتقرأ لكي تتسلى! لا، هذا علم، كانوا الصحابة والتابعين يعلمون أبنائهم هذا العلم العظيم، لأنك لو أردت أن تتكلم عن الصحابة ليل نهار، أو عن جهد النبي صلى الله عليه وسلم وجهاده وغير ذلك، مهما تكلمنا ليس كمثل أن تقرأ وتتعلم فيما وقع بالفعل، وهي المغازي. فهذا يورث لك حبًا واجلالًا وتعظيمًا واحترامًا وتقديرًا لهذا السلف الصالح الذين سبقونا لرفع راية لا إله الله وراية الجهاد ونشر الإسلام في ربوع الأرض، وتبين لك كيف يكون البذل لنصرة هذا الدين، وكيف يكون الجهد في ذلك. وهذا يورِّث لك حب واقتداء واتباع، لأنك الآن عندما تسمع قصة بطل من الأبطال فعل شيء بتجد ميل قلبي وحب له، فما بالك لو قرأنا وتعلمنا مغازي النبي صلى الله عليه وسلم والسرايا. فحقيقة هي سيرة عطرة لابد تنشرح الصدور والقلوب عند سماعها، والتعلم من الفوائد التي تكون فيها.
- فنسأل الله عز وجل أن يعلمنا من هذه المغازي وأن نتدبرها وان نفقهها، والأهم أن نعمل بها. وهذا هو المراد من أي علم نتعلمه، ثمرته والهدف منه هو العمل. كان السلف لا يعدون العالم عالمًا إلا إذا كان يعمل بما يعلم، وأما مجرد حفظ العلم فقط وعدم العمل به فهذا ليس بعالم ولا طالب علم. وهذا هو المبتغى، فنحن لا نسرد هذه العلوم ونتعلمها لمجرد الحفظ فقط! لا، لابد أن تمارسها وتعمل بها وتعتقدها وتنقلها أيضًا في الوقت الذي تستطيع. فلو كل منا عمل بما علمه لكان هذا هو الفوز

- نبدأ إن شاء الله بغزوة بدر، ونقرأ ما قاله الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

فصل: غَزْوَةُ بَدْرِ الْكُبْرَى

نذكر فيه ملخص وقعة بدر الثانية، وهي الوقعة العظيمة التي فرق الله فيها بين الحق والباطل، وأعز الإسلام، وَدَمَعَ الكُفْرَ وأهله، وذلك: أنه لما كان في رمضان من هذه السنة الثانية،

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنَّ عِيرًا مقبلة من الشام، صحبة أبي سفيان صخر بن حرب، في ثلاثين أو أربعين رجلًا من قريش، وهي عير عظيمة، تحمل أموالًا جزيلة لقريش، فندب صلى الله عليه وسلم الناس للخروج إليها، وأمرَ من كان ظهره حاضرًا بالنهوض، ولم يحتفل لها احتفالاً كثيرًا، إلا أنه خرج في ثلاث مئة وبضعة عَشَرَ رجلًا، لِثَمَانٍ خَلَوْنَ من رمضان، واستخلف على المدينة وعلى الصَّلاةِ: ابن أم مكتوم، فلما كان بالروحاء، ردّ أَبا لبابة بن عبد المنذر، واستعمله على المدينة.

ولم يكن معه من الخيل سوى فرس الزبير، وفرس المقداد بن الأسود الكندي، ومن الإبل سبعون بعيرًا، يعتقب الرجلان والثلاثة فأكثر على البعير الواحد، فرسول الله صلى الله عليه وسلم وعليّ ومَرْثَدُ بنُ أبي مرثد الغنوي يعتقبون بعيراً، وزيد بن حارثة، وأنسة، وأبو كبشة موالي رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعتقبون جملًا، وأبو بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف على جمل آخر. وَهَلُمَّ جَرًا.

ودفع صلى الله عليه وسلم اللواء إلى مصعب بن عمير، والراية الواحدة إلى علي بن أبي طالب، والراية الأخرى إلى رجل من الأنصار، وكانت راية الأنصار بيد سعد ابن معاذ، وجعل على السَّاقة قيس بن أبي صَعْصَعَة. وسار صلى الله عليه وسلم، فلما قرب من الصفراء، بعثَ بَسْبَسَ بن

عمرو الجُهَنِيَّ، وهو حليف بني ساعدة، وعدي ابن أبي الزغباء الجهني حليف بني النجار إلى بدر يتحسسان أخبار العير.

- هذا الفصل الذي عقده الحافظ بداية من أول غزوة من غزوات النبي صلى الله عليه وسلم الكبرى والأمهات وهي غزوة "بدر"، سميت باسم "غزوة بدر الكبرى" أو "غزوة بدر العظمى" وتسمى أيضًا "غزوة بدر الثانية" لأن كانت هناك غزوة بدر الأولى. وسماها الله عز وجل "يوم الفرقان" كما جاء من قوله تعالى في سورة الأنفال: {وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ} [الأنفال: 41] لأن الله عز وجل فرق فيها بين الحق وبين الباطل، وبين الهدى وبين الضلال. ولذلك قال ابن كثير: **(وهي الوقعة العظيمة التي فرق الله فيها بين الحق والباطل، وأعز الإسلام، وَدَمَغَ الكُفْرَ وأهله)**.
- هذه الغزوة كانت في رمضان، **(لِثَمَانٍ خَلَوْنَ من رمضان)** أي بعد يوم الثامن من رمضان، سمع النبي صلى الله عليه وسلم بأن هناك عِير مقبلة من الشام تخص قريش، وكان عليها (أبي سفيان) ومعه ثلاثين أو أربعين من اتباعه في هذه العير.
- والعير: هي القافلة أو الإبل التي يحمل عليها التجارة والمتاع، كما جاء في قوله تعالى في سورة يوسف: {ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ} [يوسف: 70]. فكأنه يقول أنه علم النبي صلى الله عليه وسلم بإقبال قافلة تجارية كبيرة من الشام تخص قريش، وخاصة كان عليها (أبي سفيان) فهنا **النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يخرج للعير، وما أراد قتالًا.** انتبهوا... فهو أراد أن يخرج للعير، لأن طبعًا قلنا من قبل بأن كفار قريش تعرضوا للمسلمين في الأذى وأخذ الأموال قبل الهجرة، وغير ذلك، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يعاقبهم ويضيق عليهم لما فعلوه في المسلمين، فأراد أن يخرج ليأخذ هذه العير. وكانت العير طبعًا تجارة وأموال، فسيتضرر بها كفار قريش كثيرًا فأراد أن يعاقبهم بذلك، وأن يأخذ منهم هذه العير.

- **(فندب صلى الله عليه وسلم الناس للخروج إليها)** أي للخروج للعير. وانتبهوا.. "ندب" هو ما أَمَر، أي لم يكن الخروج على سبيل الأمر لأنه لم يكن قتال.
- **(وأمرَ من كان ظهره حاضرًا بالنهوض)** وهنا كأن المستطيع هو الذي يخرج، وغير المستطيع لم يخرج. لأنه قال هنا: **(وأمرَ من كان ظهره حاضرًا بالنهوض)** أي الذي كان عنده ركوب، عنده إبل جاهزة أو خيل أو غير ذلك، جاهزة حاضرة، هو الذي يخرج.
- **(ولم يحتفل لها احتفالاً كثيرًا)** لماذا؟ لأن بعض الأوس الذين خرجوا أكثر من الخزرج، الأوس كانت بيوتهم في أعالي المدينة، فكان بعض الناس أرادوا أن يستأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجعوا لبيوتهم ويحضروا البعير وغير ذلك، فلم يأذن، قال من كان حاضرا معه الآن هو الذي يخرج، ومن لم يكن معه حاضرا شيء فلا يخرج، سواء عير أو غير ذلك. إذًا هو أراد الجاهز فقط، وما أراد أن يعطي أوقاتًا ليتجهزوا، لذلك قال: **(ولم يحتفل لها احتفالاً كثيرًا)** أي لم يهتم بالتهيئة والإعداد، هو لم يكن يذهب لقتال، فلذلك لم يحتفل لها احتفالا كثيرا، لم يهيئ لها ويعد لها، لكن قال من كان ظهره حاضرا موجودا فلينطلق معنا، ومن لم يكن ظهره حاضرا فلا ينطلق.
- لأن بعض الصحابة كانت ظهورهم في عالية المدينة، أرادوا أن يستأذنوه ليشاركوه، فلم يأذن لهم. حتى جاء في صحيح مسلم قال: [فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظُهْرَانِهِمْ فِي عُلْوِ المَدِينَةِ، فَقَالَ: لَا، إِلَّا مَن كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا] يبين أن النبي صلى الله عليه وسلم في البداية لم يكن عنده اهتمامًا بجمع القوة والعتاد والمحاربين، لأنه لم يكن أرادها قتالًا، هو أراد فقط أن يخرج للعير، علم أن القافلة فيها ثلاثين أو أربعين فقط وهي ليست من أهل القتال، فأراد أن يخرج لذلك.
- **(إلا أنه خرج في ثلاث مئة وبضعة عَشَرَ رجلًا)** وكانت بداية المعركة –كما سيأتي– في السابع عشر من رمضان، أي هو خرج في الثمانية بعد ثمانية من رمضان، لكن المعركة كانت بعد ذلك بتسعة أيام، لأنه ما كان خرج قتالًا –كما سيأتي معنا– خرج للعير ثم رجع.

وسيبين لنا الآن كيفية القتال. لكن المعركة نفسها كانت في السابع عشر من رمضان، لكن هو خرج للعير بعد الثمانية **(لِثَمَانٍ خَلَوْنَ من رمضان)**.

- **(واستخلف على المدينة وعلى الصَّلاةِ: ابن أم مكتوم)** وكان (ابن أم مكتوم) غالبًا النبي صلى الله عليه وسلم كان يستخلفه على الصلاة عندما كان يخرج في الغزوات.
- لكن لما ذهب بالروحاء؛ وهذه بئر معروفة حوالي 80 كيلو من المدينة **(ردّ أَبا لبابة بن عبد المنذر، واستعمله على المدينة)** أي رجَّعه هو ليكون على المدينة.

الفوائد التي ستأتي معنا في هذا الجزء:

- ✓ **أنك قد تريد شيئًا والله يريد غير ذلك**، بمعنى قد تريد شيئًا ويقدر الله غير ما تريد. النبي صلى الله عليه وسلم خرج للعير، والله قدَّر أن تكون قتالًا، أو لما خرج خرج للعير، كما أتى معنا– أنه سيكون قتال، لكن هو أراد العير، والصحابة لما خرجوا خرجوا للعير، وخرجوا لأخذ الأموال، لكن الله كان قد قدر عليهم شيء آخر. لكن كل ما يقدره الله على العبد هو خير، والرسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لمقابلة عير قريش و(أبو سفيان) فقط، وقدر الله أن يقابل صناديد قريش وكفار قريش في قتالهم، وما قابل حتى (أبو سفيان)، لأن (أبو سفيان) فر بالقافلة بعد ذلك– كما سيأتي معنا –لكن قريش لما سمعت جاءت وما أرادت أن ترجع إلا بقتال.
- ✓ **أنك إن أردت أن تقاتل العدو، فليس كل القتال بالحرب فقط؛**
  - يمكن أنك تقاتل العدو بالإقتصاد الآن، مثلما نتكلم الآن في زماننا مسألة المقاطعات وغير ذلك، لأن النبي صلى الله عليه وسلم ما خرج قتالًا، لكن خرج ليأخذ مصادر أموالهم، تجارتهم، يضيق عليهم، فممكن النكاية في العدو بعدة صور؛ بقتال، بأنك تقطع الموارد الاقتصادية من عليهم.

- كما أيضًا موجود الآن مسألة الدعاية والإعلام وغير ذلك، فاسلوب الإعلام هذا أيضًا كما أنهم يستخدمونه فأنت تستخدمه.
- والدعاية النفسية والتأثير عليهم، وهذا موجود في القتال الحالي، هم يتأثرون، لذلك الذي يتابع الإعلام الخاص باليهود تجد أنه يوجد إغلاق تام في قنواتهم ووسائلهم على أي شيء يؤثر على معنويات الجنود، ولا يذيعون أي أخبار التي ترونها هنا مثلًا ترون فيديوهات أو قنوات تخص المسلمين وكذا، لكن لو انتقلت هناك لا يذكر شيء في قنواتهم العبرية التي تكون في التلفزيونات وغير ذلك عن أي أعمال؛ لا التي يقومون بها ضد المسلمين ولا التي تحدث من المسلمين تجاههم، فهذا توجيه، لأنه يريد أن يحافظ على من عنده، سواء معنوياته وغير ذلك. ففعلًا حجب كامل وكذب. فإنك لو استطعت أن توصل لشعبهم ما يُفعَل منهم وما أنت تفعل فيهم أيضًا فهذا ممكن يؤثر جدًا في إقبالهم على القتال والفعل. فهذا أسلوب. فيستفاد من هنا أن المسألة أنك تحتاج أن تبحث عن الأساليب والوسائل التي تفيدك في القتال وتفعلها.

وهنا النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك لما أراد أن يخرج للعير، وكانت مؤثرة جدًا اقتصاديًا معهم لو كان قدر الله ذلك، لكن الله قدر له خيرًا عن ذلك، وهو القتال – كما سيأتي معنا–وكانت فرقان بين الحق والباطل وكانت لها فوائد عظيمة بانتصار المسلمين بعد ذلك.

- ✓ أيضًا نود أن نبين مسألة أن **خروج النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة لأخذ عير قريش ليست للتكثر من ثروات الدنيا**، وهذه مسألة مهمة، أي لا تظنوا أنهم خرجوا من أجل الأموال والغنائم ولكي يزيد رزقهم وغير ذلك! لا، لم تكن المسألة من أجل حطام الدنيا، بل القصد الحقيقي كان للنكاية في الأعداء. وهذا الذي لابد أن يكون فيه النوايا، أي ما خرج النبي صلى الله عليه وسلم ليستكثر من المال، لا، بقدر ما أراد أن ينكل في العدو ويقطع

عليهم مصادر الأموال ويرد عليهم أو القصاص لما فعلوه مع المسلمين في مكة، فأراد أن يقتص، لأنهم أخذوا أموال (مصعب بن عمير) وغير ذلك من المسلمين.

- ✓ وفيها أيضًا بأن **ملاقاة العدو تحتاج لتخطيط** –كما سيأتي معنا– تخطيط واستعداد حتى لا تُضيِّع من معك بدون فائدة. وهنا النبي صلى الله عليه وسلم خطط لما جاء وقت القتال هو أولًا كان خرج للعير، ولما يأتي وقت القتال سنبين كيف نزل على الماء، ومنعهم من الماء لما أشار عليه (الحباب بن المنذر) على ذلك. لكن قبل ذلك خرج متوكلًا على الله عز وجل. وسيأتي مسألة الدعاء، وكيف دعا النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القتال.
- ✓ أيضًا فيها **أن القائد عليه ألا يُحمِّل الناس ما لا يطيقون**؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان معه مركب جاهز يخرج، من ليس معه لا يخرج، حتى الذين استأذنوه ليعدوا ويجهزوا، ما أذن لهم، ما أراد أن يحمل الناس ما لا يطيقون. وهذا أيضًا لابد أن ينظر القائد لمن معه سواء كان جهادًا أو غير ذلك، فالمسألة ليست كلها في القتال بل أتباعه ومن هو المسؤول عنهم أن لا يحملهم ما لا يطيقون.
- ✓ **شهر رمضان من الشهور العظيمة التي يكون فيها العبادات متنوعة**؛ البعض يظن أن رمضان يأتي وبعض الناس يفعل ذلك للأسف نوقف الدروس وما علينا إلا أن نفتح المصحف ونجلس ليل نهار نقرأ في المصحف فقط! وهذا لم يكن دأب النبي صلى الله عليه وسلم، بل أرجع لغزوات النبي صلى الله عليه وسلم تجد كثير منها كان في رمضان. إذًا رمضان ليس فقط شهر القرآن وشهر التراويح وشهر القيام! لا، هو شهر الجهاد أيضًا وشهر العلم لا إشكال، فلا يُتَوَقَّف في رمضان على طاعة، نعم هناك أفضلية في ليلة القدر وفي كذا وفي كذا، لكن أرجع للنبي صلى الله عليه وسلم، لما استدعت المصلحة، وكان الأمر يحتاج للخروج، خرج في رمضان للعير ثم قاتل أيضًا في رمضان، بل فتح مكة في رمضان أيضًا. الشاهد بأن شهر رمضان هو شهر جهاد وقرآن وطاعات تختلف أنواعها باختلاف الأحوال.

- **(ولم يكن معه من الخيل سوى فرس الزبير، وفرس المقداد بن الأسود الكندي، ومن الإبل سبعون بعيرًا، يعتقب الرجلان والثلاثة فأكثر على البعير الواحد)** وهذا يبين لكم كيف أن الأمر كان ليس ميسرًا! فكان فرسان فقط، قاتلوا في بدر بفرسين فقط، والباقي كان على الأرجل، بل كانوا يتبادلون. وهنا فيها مسألة أخرى بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتبادل معهم الركوب حتى أن (عليّ) رضي الله عنه وأرضاه جاء للنبي صلى الله عليه وسلم قال له: نحن نمشي وأنت تركب، ما رضي النبي صلى الله عليه وسلم، قال: [إنّكُما لستُما بأقوى على المشي منّي، ولا أرغبُ عن الأجرِ منكُما] فالنبي صلى الله عليه وسلم هو القائد وهو النبي، اقتسموا الطريق بينهم يمشون ويركبون يمشون ويركبون. فأراد الأجر أيضًا، أن تغبر قدماه في سبيل الله، تواضع.
- وهذا كان دأب أهل الإسلام القادة، يقاتلون في الأمام في المقدمة، فتجد قادة الكفار في القتال في الخلف، أما دائمًا قادة المسلمين تجده في الأمام والخلف هم الجنود. وانظر النبي صلى الله عليه وسلم هنا تواضع منه، مثله مثل الباقي، لم يقل أن العريش له والحماية وكل شيء، وما يمسه أحد! لا، يسير على قدميه ويركب مثلهم. وهذا لينزع من قلوب حتى الناس الذين معه أن هناك تمايز أو تفرقة! الكل واحد، الكل في سبيل الله عز وجل. وحتى لما يطالب الجندي أو أقل منه في شيء يجد أن قائده بيفعل مثله، فحتى يتحرج أن يقول هم يهلكوننا في المعارك وهم يكونون في الخلف. وهذه تبين لك تواضع النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف تكون علاقة القائد مع جنوده.
- وكان النبي صلى الله عليه وسلم هذه سنته، فلما كان ينزل حتى في رحلة من الرحلات وينزلوا في وادي، فكان كل الصحابة يتفرقون، الذي يريد أن يسبح ويريد أن يطبخ، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يذهب ليحتطب ويأتي بالحطب. فكان يشارك صلى الله عليه وسلم معهم ليبين أن كل واحد لابد أن يكون له عمل حتى مع علة قدر صلى الله عليه وسلم.

- **(ودفع صلى الله عليه وسلم اللواء إلى مصعب بن عمير، والراية الواحدة إلى علي بن أبي طالب، والراية الأخرى إلى رجل من الأنصار، وكانت راية الأنصار بيد سعد ابن معاذ، وجعل على السَّاقة قيس بن أبي صَعْصَعَة)** وهنا يبين لك أنه من السنة أن يكون هناك لواء ورايات. وهذه دائمًا سنة متبعة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وممكن يقسم، هنا كان الأنصار لهم راية، والمهاجرين كان ممكن يكون لهم راية، هذا لا يؤدي للتفرقة أو شيء، لكن كأن كل قوم موجودين لهم رايتهم، لكن كلها تحت راية واحدة طبعًا وهي الراية العامة للإسلام. لكن هذه كأنها تبين الأقوام الذين يحضرون المعركة، لا حرج في ذلك أن يكون لكل قوم أو لكل واحد راية بما لا يكون المقصد فيه التنازع طبعًا والتمايز أو غير ذلك! لا، فالمسألة تعبر عن المجموعات الموجودة.
- **(وجعل على السَّاقة قيس بن أبي صَعْصَعَة)**، ساقة الجيش أي مؤخرة الجيش. وجعل لـ (علي) رضي الله عنه راية أيضًا. والحق أن هذه تبين لك بأن المفترض أن المربي أو القائد أو الذي يتعامل مع مجموعات وأناس لابد أن يعلم أقدار الناس الذي معه، ويوزع الأعمال والتكاليف على حسب كل واحد يستطيع أن يفعل، هنا يوزع هذا للراية، هذا للواء، هذا للسقاية، وغير ذلك. فهذه تحتاج إلى علم من القائد بأحوال من معه، من الذي يُحسِن هذا ومن الذي يُحسِن هذا، وممكن أن يبدل بعد ذلك. والأصل أن الذي يجاهد في سبيل الله لا يهمه أين هو، في المقدمة أو في المؤخرة، أو في السقاية أو في الخلف، المهم أنه يجاهد في سبيل الله عز وجل أيًا كان موقعه.
- طبعًا أفضل مثال في ذلك ضربه لنا (خالد بن الوليد) رضي الله عنه وأرضاه، لما كان أميرًا وعزله (عمر بن الخطاب) ووضع مكانه (أبو عبيدة) فانظر ماذا فعل خالد؟ سلم الراية لـ (أبو عبيدة) وانظر لـ (أبو عبيدة) وهو يحكي لـ (عمر) كيف قاتل (خالد) في هذه المعركة قتالًا عظيمًا جدًا. حتى أن (عمر) بكى، لأنه قال والله كان (أبو بكر) أعلم مني بالرجال. وهذه مسألة أخرى ستأتي، كان (عمر) له نظرة في عزل (خالد)، لأن الناس بدأوا يتكلمون

أن الفتح كله عند (خالد) والفتوحات بسبب (خالد)، فكأن الناس ستُفتن بـ (خالد)، فأراد أن يبين أن الأمر كله من الله. فأراد أن يبين أن ليس (خالد) الذي يأتي بالفتح. وهذا نوع من التربية، لكن ما فعله (خالد) لما جاءه الخبر، وكان قبل بداية المعركة، فرجع، فكان كجندي من الجنود، لكن أبلى بلاء عظيمًا في هذه المعركة.

- وهذا يبين لك أن هؤلاء ما كانوا يقاتلون لا لقيادة، ولا لرياسة، ولا غنائم، ولا لأموال، بل يقاتلون لأمر واحد فقط؛ وهو رفع راية الإسلام و"لا إله إلا الله". وهذا الذي نريد أن نتعلمه؛ ما يهم دورك في المعركة، ما يهم دورك في نصرة الدين، أين أنت! كنت قائدًا، كنت طالبًا، كنت عالمًا، كنت مجاهدًا، كنت في أي وسيلة من الوسائل، المهم أنك أنت تضرب بسهم لنصرة هذا الدين، ما يهم مكانك، ما يهم أن تكون معروفًا أم لا.
- انظر لما جاءوا يقولون لـ (عمر) عن من قُتل في إحدى المعارك، فيعددون له أسماء، ثم قالوا وناس أُخَر لا تعلمهم يا (عمر)، فـ (عمر) قال: ما يهم (عمر) يعلمهم أم لا– في المعنى– لكن الله يعلمهم. ليس مهم أن (عمر) يعرف هؤلاء الناس أو لا يعرفهم، لكن الله عز وجل يعلم. فهنا يبين لك بأنك إن أردت الحق العمل للدين، ما تنظر أن يقال فعلت أو ما فعلت! افعل واجعل النية خالصة لله، وعملك مكتوب عند الله، ودرجتك ستكون عند الله عز وجل. وإن قيل لك أنت اليوم تترك هذا المجال وتفعل مجال آخر، أو أنت اليوم اترك هذا المنصب وافعل في منصب آخر أو في وسيلة اخرى، طالما كله لنصرة الدين، ما يهمك، ما تستقل شيء من ذلك، لأن الهدف الأصلي هو نصرة الدين أيًا كان أين عملك، لكن المهم أنك بتنصر به الدين، فهذا هو المطلوب.
- وهذا الذي كان يفعلونه الصحابة رضوان الله عليهم، ومن جاء من بعدهم، حتى حملوا الدين وانتشر إلى ما وصل لما نحن فيه.
- (عليّ) من أشجع الناس، ويحمل راية، وليس تقليلًا لكن يحمل راية، ومن أشجع الناس، وأيضًا (قيس بن أبي صَعْصَعَة) في سقاية الجند، لا يقول أنا لم أتي للسقاية أنا جئت

لأقاتل! فالسقايا عمل، ساقة الجيش مؤخرة الجيش تحمي الجيش، جعله في الخلف. ليست السقايا أنه يسقي فقط! لا، لكن لو أحد جُرح يحمله، لو أحد تأخر، لو في شيء حصل له شيء، من الخلف يحمي أيضًا، لكن ليس في المقدمة، ومع ذلك هو عمل يُقَدَّر فيه.

- **(وسار صلى الله عليه وسلم، فلما قرب من الصفراء، بعثَ بَسْبَسَ بن عمرو الجُهَنِيَّ، وهو حليف بني ساعدة، وعدي ابن أبي الزغباء الجهني حليف بني النجار إلى بدر يتحسسان أخبار العير)** نوع من الإستخبارات كما بنقول دائمًا، استخبارات ليعلم أين العير؟ أين وصلوا؟ ما حالهم؟ يأتون لهم بالمعلومات، وهذه مهمة جدًا، تدبير القتال لابد أن يكون مبني على معلومات حقيقية، لذلك مسألة الاستخبارات هذه من أعظم الأمور حاليًا. وقديمًا أيضًا، فالنبي صلى الله عليه وسلم في أول غزوة من الغزوات، لأن مهم جدًا تعلم حال العدو الذي أمامك؛ قدراته، معداته، حاله الآن، حالة الناس الذين معه، وهذه تحتاج لتحليلات ودراسات، لابد أن تأتيك بمعلومات تبني عليها قرارًا. فالنبي صلى الله عليه وسلم لما خرج أرسل إثنين: **(بَسْبَسَ بن عمرو الجُهَنِيَّ، وهو حليف بني ساعدة، وعدي ابن أبي الزغباء الجهني حليف بني النجار)**، ما أرسل من الصحابة المعروفين، أرسل إثنين، وأيضًا حلفاء هناك. وهذه مقصودة من النبي صلى الله عليه وسلم حتى ما يعلمهم أحد لو رأوهم من عير (أبي سفيان) لأنهم يعلمون المهاجرين، فهم كانوا معهم في مكة. فأرسل إثنين ليسوا من المهاجرين أيضًا حتى لو رآهم أحد لا يعلمهم مباشرة. وهذه مقصودة، كيف أنك ترسل من ولا ترسل من.

ثم قال:

وأما أبو سفيان، فإنه بلغه مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقصده إياه، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة مستصرخًا لقريش بالنفير إلى عيرهم؛ ليمنعوه من محمد وأصحابه.

وبلغ الصريخ أهل مكة، فنهضوا مسرعين، وأوعبوا في الخروج، ولم يتخلف من أشرافهم أحد سوى أبي لهب؛ فإنه عوّض عنه رجُلاً كان له عليه دين، وحشدوا فِيمَنْ حولهم من قبائل العرب، ولم يتخلف عنهم أحد من بطون قريش إلا بني عدي، فلم يخرج معهم منهم أحد.

وخرجوا من ديارهم كما قال الله عز وجل: {بَطَرا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ} [الأنفال: 47] . وأقبلوا في تحمل وحنق عظيم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لما يريدون من أخذ عيرهم، وقد أصابوا بالأمس عمرو بن الحضرمي، والعير التي كانت معه. فجمعهم الله على غير ميعاد؛ لما أراد في ذلك من الحكمة كما قال تعالى: {وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرا كَانَ مَفۡعُولا} [الأنفال: 42] الآية .

- ف (أبو سفيان) لما عرف بمخرج النبي صلى الله عليه وسلم وعلم أنه يريد أن يأخذ التجارة والعير، استأجر **(ضمضم بن عمرو الغفاري)** أن يذهب إلى مكة، ويستصرخ أهل مكة؛ أي يقول لهم أدركوا العير فإن محمد صلى الله عليه وسلم خرج لها لذلك، أي طلب منهم النصرة ليأتوا ويمنعوا النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك، ويحافظوا على أموالهم وعيرهم أيضًا.
- قال: **(وبلغ الصريخ أهل مكة، فنهضوا مسرعين، وأوعبوا في الخروج)** أي خرجوا بالعتاد والخيل والركاب وكل شيء. أوعبوا: أي جمعوا كل شيء عندهم ليخرجوا به.
- **(ولم يتخلف من أشرافهم أحد)** كل الأعيان والأشراف والكبراء خرجوا لذلك أيضًا، سوى (أبو لهب) فقط ما أراد أن يخرج، كان له دين عند أحد فأخرج أحد مكانه، أي كأنه أجره وأرسله نيابة عنه، فلم يشهد (أبو لهب) غزوة بدر. ولكن هو مات بعد الغزوة قالوا بأيام قليلة، ومات موتة عجيبة سبحان الله، إمرأة من المسلمين من أهل مكة ضربته بعصا في يديها فضربته ضربة– وهذا طبعًا من قدرة الله عز وجل – فلما ضربته ضربة أصيب بمرض سرى في البدن ككل، أي مرض حتى ما عرفوا له توصيفًا أصالة، حتى قالوا كأنه معدي عندهم، لذلك أولاده خافوا وما اقتربوا من البيت، أي تركوه في البيت لما ضُرب بهذا الضرب، وبدأ المرض

يظهر على جسده، خافوا من مرضه، فتركوه وتركوا البيت، حتى تركوه أيامًا حتى كان قد مات. فجاءهم رجل قال كيف تتركون والدكم وقد جَيَّف في البيت؟! أي مات حتى جَيَّف ، فقال أئتي معكم، خائفين أن يرجعوا أيضًا البيت من المرض الذي كان فيه، فرجع معهم فسحبوه ولم يغسلوه وخرجوا به لحفرة فرموه، وأهالوا عليه التراب عند مكة، ألقوه من جبل وأهالوا عليه صخور وحجارة ورجعوا. فهم كانوا يخافون أن يصابوا بمثل ما أصيب به. هذه فقط من ضربة عصا من إمرأة من المسلمين، فأنت ما تعلم جنود الله عز وجل. و(أبو لهب) نزلت فيه سورة {تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ} [المسد] وأنه في جهنم. وانظر كيف أراد الله أن يكون مقتله، في أمر يسير جدًا، فقدرة الله عز وجل يرينا لمن ظلم أهل الإسلام والمسلمين عظيمة جدًا. فنسأل الله عز وجل أن يسلط جنوده على هؤلاء اليهود الملاعين فيما يفعلونه ومن يعاونونهم على أهل الإسلام.

- قال: **(وحشدوا فِيمَنْ حولهم من قبائل العرب)**، أي خرجوا أتوا بقبائل العرب جميعًا، **(ولم يتخلف عنهم أحد من بطون قريش إلا بني عدي)** امتنعوا عن الخروج، وطبعًا خرجوا كما قال الله عز وجل: {بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ}، وهم جاءوا وهم في حالة –كما قال ابن كثير– تجمل وحنق عظيم على النبي صلى الله عليه وسلم. لماذا؟ لأنهم لم ينسوا قصة (عمرو بن الحضرمي) في سرية (عبد الله بن جحش) لما قتلوه وأسروا اثنين، وقالوا: لقد انتهك محمد الأشهر الحرم صلى الله عليه وسلم. وأخذوا الزبيب والأدم الذي كان معهم أيضًا. فهنا قالوا فعل ذلك من قبل في رجب، والآن يفعل بعيرنا! فلذلك خرجوا في حنق شديد وأرادوا أن ينتقموا لذلك.
- قال: **(فجمعهم الله على غير ميعاد)**، وهذا يبين لك أنه لم يكن هناك اتفاق على ذلك، قال تعالى: {وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا} [الأنفال: 42]، فهنا يبين لك بأن هذا تقدير الله عز وجل لغزوة بدر كما سيأتي.

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خروج قريش، استشار أصحابه، فتكلم كثير من المهاجرين فأحسنوا، ثُمَّ استشارهم، وهو يريد ما يقول الأنصار، فبادر سعد بن معاذ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، فقال: يا رسول الله ! كَأَنَّكَ تُعَرِّضُ بنا؟ فوالله يا رسول الله! لو استعرضت بنا البحر، لخضناه معك، فَسِرْ بنا يا رسول الله على بركة الله. فَسُرَّ صلى الله عليه وسلم بذلك، وقال:

[سِيرُوا وَأَبْشِرُوا؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ].

ثُمَّ رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزل قريباً من بدر، وركب صلى الله عليه وسلم مع رجل من أصحابه مستخبرًا، ثُمَّ انصرف، فلما أَمْسَى، بعث عليًا وسعدًا والزبير إلى ماء بدر

يلتمسون الخبر، فقدموا بعبدين لقريش، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي، فسألهما أصحابه: لِمَن أَنْتُمَا؟ فقالا: نحنُ سُقَاةٌ لقريش،

فكره ذلك أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم، وودوا أن لو كانا لعير أبي سفيان، وأنه منهم قريب ليفوزوا به؛ لأنه أخف مؤونة من قتال النفير من قريش؛ لشدة بأسهم، واستعدادهم لذلك، فجعلوا يضربونهما، فإذا آذاهما الضرب،

قالا: نَحنُ لأبي سفيان، فإذا سكتوا عنهما، قالا: نَحْنُ لِقُرَيشٍ. فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته، قال: [وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنَّكُمْ لَتَضْرِبُونَهُمَا إِذَا صَدَقَا، وَتَتْرُكُونَهُمَا إِذَا كَذَبَا].

ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: [أَخْبِرَانِي أَيْنَ قُرَيْش؟]، قالاً: وَرَاءَ هَذَا الْكَثِيبِ، فَقَالَ: [كم الْقَوْمُ؟]، قَالَا: لَا عِلْمَ لَنَا، فَقَالَ: [كَمْ يَنْحُرُونَ كُلَّ يَوْمٍ؟]، فَقَالَا: يَومًا عشرًا، ويومًا تسعًا، فقال صلى الله عليه وسلم:

[الْقَوْمُ مَا بَيْنَ التِّسْعِ مِئَةٍ إِلَى الْأَلْفِ]

هنا القصة هذه مهمة جدًا في مسألة استشارة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه فيها مسائل:

- أولًا لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خروج قريش- قبل أن يخرج النبي صلى الله عليه وسلم ويستنهض- لكن قبل أن يخرج استشار أصحابه، لماذا النبي صلى الله عليه وسلم استشار أصحابه قبل الخروج في عير قريش؟ ولماذا قال هنا: **(فتكلم كثير من المهاجرين فأحسنوا، ثُمَّ استشارهم، وهو يريد ما يقول الأنصار)** كأنه الحافظ وهو هذا الذي حقا حدث، لما تكلم (أبو بكر) وتكلم (عمر) ويقولون للنبي صلى الله عليه وسلم امضي للقتال ونحن معك، والنبي صلى الله عليه وسلم ما زال يستشير. فقال (سعد بن معاذ) **(كَأَنَّكَ تُعَرِّضُ بنا يا رسول الله؟)** و(سعد بن معاذ) من الأنصار. فقال في رواية: (نعم). لماذا كان مهتم جدًا بالأنصار مع أن المهاجرين أحسنوا وتكلموا؟

لأن في البيعة النُصرة كانت على داخل المدينة، إذا أتى أحد للمدينة فهم يمنعون النبي صلى الله عليه وسلم كما يمنعون أبنائهم وأولادهم، لكن ليست البيعة على أن يخرجوا ليقاتلون مع النبي صلى الله عليه وسلم، لم تكن البيعة على ذلك.

- وانظر إنصاف النبي صلى الله عليه وسلم لأنه ما أراد أن يكلفهم ما لم يتفق معهم عليه في الأول، لكن هو أراد أن يسمع منهم ما سيفعلونه. لذلك قال (سعد): **(كَأَنَّكَ تُعَرِّضُ بنا يا رسول الله؟)** تعرض بنا أي أنت تقصدنا. وفي رواية أخرى لم يذكرها هنا قال: [إنَّا لا نَقولُ لك كما قالت بَنو إسرائيلَ لِموسى: {اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} [المائدة: 24]، ولكنِ اذهَبْ أنتَ وَرَبُّكَ فقاتِلا، إنَّا معكم مُقاتِلونَ]. فسُرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، لأنه علم بأنهم قدموا النصرة مع النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك أيضًا. حتى قال: **(لو استعرضت بنا البحر، لخضناه معك، فَسِرْ بنا يا رسول الله على بركة الله)** وهذا بدون تردد، لم يترددوا في القتال.
- قال: **(فَسُرَّ صلى الله عليه وسلم بذلك)**، وهذا الكلام يبين صدق الأنصار كيف كانوا وعزيمتهم ونصرتهم التامة والكاملة مع النبي صلى الله عليه وسلم، والرغبة القوية في نصرة

الدين. أنت تجد بعض الناس يدَّعِي، لكن لما يأتي الأمر تجد التخاذل أو تجد الرجوع أو التردد، لكن هؤلاء ما وقفوا، ما ترددوا، بل قدموا وقالوا: نحن معك، بل هم كانوا الأوس والخزرج – كما سيأتي في أعداد غزوة بدر– أكثر من المهاجرين الذين كانوا موجودين، فقدموا ما قدموه.

- فقال: **(فَسُرَّ صلى الله عليه وسلم بذلك، وقال: [سِيرُوا وَأَبْشِرُوا؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ].** ما المراد بالطائفتين؟ الطائفة الأولى: **العير** التي كانت مقصودة أصلًا في الخروج؛ التي خرج النبي صلى الله عليه وسلم لها للمدينة، والطائفة الثانية: **الجيش** الذي خرج من مكة لنصرة هذا العير، فقال إن الله وعدني إحدى الطائفتين، إما العير وإما قتال قريش والنصر على قريش، لذلك قال **[سِيرُوا وَأَبْشِرُوا؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ].** كأن النبي صلى الله عليه وسلم جائته بشارات أن هناك أولًا نصر، مقصد سيتحقق، إما العير لذلك قال: {وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ } [الأنفال: 7] فهم كانوا يريدون العير أسهل، لكن الله عز وجل أراد الخير الأكثر لهم، نعم كان قتالًا، لكن كان نصرًا وعزًا، وسمعت العرب كلها بنصرة النبي صلى الله عليه وسلم على قريش. لأن الصحابة كانوا يودون أن تكون الملاقاة مع العير، كان أخف قتالًا، والمسألة ثلاثين أو أربعين واحد سيأخذوا أموال وينتهي الأمر، لكن قال النبي صلى الله عليه وسلم [فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ].

والقصة حقيقة هذه في مسألة مشاورة النبي صلى الله عليه وسلم لأنه لما شاور وبعد أن قالوا له ذلك، فالنبي صلى الله عليه وسلم خرج مع أصحابه، والرواية عند مسلم قال: [أَنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إقْبَالُ أَبِي سُفْيَانَ، قالَ: فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فأعْرَضَ عنْه، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ، فأعْرَضَ عنْه، فَقَامَ سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ، فَقالَ: إيَّانَا تُرِيدُ يا رَسولَ اللهِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ، لو أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا البَحْرَ لأَخَضْنَاهَا، ولو أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إلى بَرْكِ الغِمَادِ لَفَعَلْنَا، قالَ: فَنَدَبَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ النَّاسَ، فَانْطَلَقُوا حتَّى نَزَلُوا بَدْرًا،

وَوَرَدَتْ عليهم رَوَايَا قُرَيْشٍ، وَفيهم غُلَامٌ أَسْوَدُ لِبَنِي الحَجَّاجِ، فأَخَذُوهُ، فَكانَ أَصْحَابُ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يَسْأَلُونَهُ عن أَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ، فيَقولُ: ما لي عِلْمٌ بأَبِي سُفْيَانَ، وَلَكِنْ هذا أَبُو جَهْلٍ، وَعُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ، وَأُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ، فَإِذَا قالَ ذلكَ ضَرَبُوهُ، فَقالَ: نَعَمْ، أَنَا أُخْبِرُكُمْ، هذا أَبُو سُفْيَانَ، فَإِذَا تَرَكُوهُ فَسَأَلُوهُ، فَقالَ: ما لي بأَبِي سُفْيَانَ عِلْمٌ، وَلَكِنْ هذا أَبُو جَهْلٍ، وَعُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ، وَأُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ في النَّاسِ، فَإِذَا قالَ هذا أَيْضًا ضَرَبُوهُ، وَرَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَأَى ذلكَ انْصَرَفَ، قالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ، لَتَضْرِبُوهُ إذَا صَدَقَكُمْ، وَتَتْرُكُوهُ إذَا كَذَبَكُمْ. قالَ: فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: هذا مَصْرَعُ فُلَانٍ، قالَ: وَيَضَعُ يَدَهُ علَى الأَرْضِ هَاهُنَا، هَاهُنَا، قالَ: فَما مَاطَ أَحَدُهُمْ عن مَوْضِعِ يَدِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ] الله عز وجل كان قد أعلمه بمصارع القوم، وقد بشر الصحابة بذلك.

وطبعًا هنا في رواية الإمام أحمد: [قال رجُلٌ منَ الأنصارِ: إنَّما يُريدُكم] أي أن النبي صلى الله عليه وسلم يريد السماع منكم [فقالوا: يا رسولَ اللهِ، واللهِ لا نكونُ كما قالت بَنو إسرائيلَ لموسى: {اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} [المائدة: 24]، ولكنْ واللهِ لو ضرَبْتَ أكبادَها حتى تَبلُغَ بَرْكَ الغِمادِ لكُنَّا معكَ].

- **<u>هنا طبعًا مسألة المشورة</u>**، وهذه مسألة مهمة جدًا، أن من ذكاء المربي أو ذكاء العالِم أو من ذكاء القائد وصاحب العمل أو أي شيء، وحتى ولي الأمر في بيته وغير ذلك، أنه يزكي مبدأ الشورى. طبعًا مبدأ الشورى الحقيقي، ليس أن يقول لهم قولوا كما تريديون ثم في الآخر يفعل ما يريده! فهذه ليست الشورى، نعم هو لابد في الآخر أن يكون هناك أحد يفصل، لكن هي شورى حقيقية يريد أن يستمع لعله يجد فكر معين أو طريقة أو شيء فيُستفاد منها. فهنا هذا الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم، أنه أراد أن يتشاور مع الصحابة رضوان الله عليهم في هذه المسألة.

فمبدأ الشورى من الأمور الهامة وهو أصل من أصول الإسلام، قال تعالى: {وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ} [الشورى: 38]، و {وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ} [آل عمران: 159]. فهنا يدل أن الشورى أمر شرعي عندنا في السياسة الشرعية، ومن طرق استعمال الحاكم أن يتشاور مع أهل العلم والاختصاص وغير ذلك إذا أقبل على أمر.

- **فيه جواز التعريض بالقول**، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما قال ذلك هو أصالة ما أراد المهاجرين، لذلك لما تكلم (أبو بكر) أعرض، (عمر) أعرض، هو يريد أن يعرف رأي الأنصار في الخروج معه في القتال، وما قالها صراحة. فقال: **(كَأَنَّكَ تُعَرِّضُ بنا؟)** فالنبي صلى الله عليه وسلم سكت، لذلك قام رجل من الأنصار قال [إنَّما يُريدُكم]؛ أي يريد أن يسمع منكم. وهذا يدل أنك إن أردت أن تعرف شيئًا وأردت ألا تحرج أحد ممن تكلم، فممكن أن تعرض الأمر في صورة غير مباشرة، كأنك تريد أن تسمع جوابًا منه بدون أن تسأله مباشرة، وهذا اسلوب يبين لنا جواز أن تفعل ذلك حتى لا تحرج من أمامك، هب أنه يريد أن يعتذر، ما يريد أن يفعل، فهذا اسلوب مهم جدًا، وهو مسألة التعريض بالقول لأخذ رأي أحد في شئ معتبر.
- **أن أولوا الألباب هم الذين يفهمون مرام الكلام**، لأنه لما فهم (سعد بن عبادة) قال: [كَأَنَّكَ تُعَرِّضُ بنا؟] ورجل من الأنصار قال: [إنَّما يُريدُكم] النبي صلى الله عليه وسلم، فمن الذي فهم؟ أصحاب العقول، أولوا الألباب هم الذين يفهمون حقيقة مرام الكلام والمقاصد.

وهذا يهتم به من أراد أن ينشئ أو يدرب ناس أو ينشئ رجالًا يهتم بهؤلاء؛ أولوا الألباب، لأنه ممكن يضيع وقته مع أناس لا قيمة لهم، ما يفهمون هذا الأمر، ما يستطيعون أن يتدبرونه، ما يفهمون حتى تعليمه أو ما يفهمون خططه، أو ما يفهمون شيء. فهو لابد هنا أيضًا أنه يفهم ويتعامل مع أولوا الألباب الذين يفهمون، يركز معهم ويعتني بهم.

لذلك حتى العلماء كانوا دائمًا عندما يجدوا أحد من طلاب العلم ذو همة وذو ذكاء وذو كذا يهتمون به ويولون له الاهتمام، كما فعل الإمام (مالك) مع الإمام (الشافعي) كان الإمام

(مالك) ومازال (الشافعي) صغيرًا في العلم، فلما جاءه مرتحلًا من مكة إلى المدينة ليأخذ منه وكان (الشافعي) حفظ الموطأ لـ (مالك) من قبل أن يأتي لـ (مالك) وكان (الشافعي) سريعًا في الحفظ، كان لكي لا يحفظ الصفحة يضع يده عليها لأن عينه لو وقعت عليها ستُحفَظ، فكان يريد أن يركز في صفحة لأن ليس وقتها الثانية، فكان يضع يده علي الثانية حتى لا تراه عينه. فحفظ الموطأ، فلما ذهب إلى (مالك)، و(مالك) لم يكن يعرفه جاءه حتى بواسطة كما يقال عن طريق الأمير، وكان (مالك) له هيبة في المدينة حتى الأمير نفسه ما كان يستطيع أن يطلب منه مباشرة أن يعلم أحد هكذا، لكن لما رأى (الشافعي) وقال له اقرأ فسرد عليه (الشافعي) الموطأ، فقال له أنت تأتي معي البيت، فكان يأتيه كل يوم ولا يخبر أحد من الطلاب الآخريين، وكان قد خصه بعناية شديدة. لماذا؟ لما رأى فيه، قال سيكون لك شأن ثم نصحه ولكن كذا وكذا. وهذا لما ترى من الطلاب من تجد فيه نبوغًا أو قبولًا تهتم به، وإلا لو تجد أن فيه عدم اهتمام لم يكن العلماء يهتمون، أنت تريد أنت تعطي أوقاتك وعلمك لمن يقدر، فلما لم يجد اهتمام كان يتركونه. وهذا هو المفترض أن يكون.

- **<u>البشارة والتطمين من القائد لمن معه</u>**؛ هذه مسألة مهمة جدًا، فالنبي صلى الله عليه وسلم بشرهم قال: [أَبْشِرُوا] فمؤكد أن الذين دونك يحتاجون للتطمين والتبشير والتثبيت وغير ذلك. وهذه من سمات القائد أيضًا أنه يبشر من معه ويذكرهم بما هم مقبلين عليه، سواء كان في طاعة، كان في عبادة، بالأجور، بالتثبيت، باليقين. وهذه أمور مهمة جدًا كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع الصحابة.
- **(ثُمَّ رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزل قريباً من بدر، وركب صلى الله عليه وسلم مع رجل من أصحابه مستخبرًا، ثُمَّ انصرف، فلما أَمْسَى، بعث عليًا وسعدًا والزبير إلى ماء بدر يلتمسون الخبر، فقدموا بعبدين لقريش، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي، فسألهما أصحابه: لِمَن أَنْتُمَا؟ فقالا: نحنُ سُقَاةٌ لقريش، فكره ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وودوا أن لو كانا لعير أبي سفيان، وأنه منهم قريب**

ليفوزوا به؛ لأنه أخف مؤونة من قتال النفير من قريش؛ لشدة بأسهم، واستعدادهم لذلك، فجعلوا يضربونهما، فإذا آذاهما الضرب، قالا: نَحنُ لأبي سفيان، فإذا سكتوا عنهما، قالا: نَحْنُ لِقُرَيشٍ)، وهذه فيها فائدة، مسألة جواز الضرب لاستخراج المعلومة في الحرب. لأنهم الآن أخذوا الرجلين، لكن هي المسألة لها ضوابط، هما يظنون أن المسألة في (أبو سفيان) لكن هو النبي صلى الله عليه وسلم لم ينكر عليهم الضرب لاستخراج المعلومة، انتبهوا لهذه المسألة لأن يوجد ضوابط طبعًا ، لأنه بيحدث من بعض الناس يظبطوا أحد فعل شئ ما يبرحوه ضربًا لكي يعترف بأشياء لم يفعلها أصالة! لكن هو المشكلة أنه يوجد فرق بين استخراج المعلومة وأنك تقتله أو تُحدِث له عاهات أو أنك تفعل فيه أذى شديد.

- هي المسألة أن في الحرب الأحكام تختلف عن غيرها، فيمكن إذا احتجت أنك تضرب لاستخراج المعلومة، لكن طبعًا إن كان أثناء القتال فلها ضوابط.
- انظر..النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما انتهى من صلاته جاء للرجل قال: **[أَخْبِرَانِي أَيْنَ قُرَيْش؟]** **(قالاً: وَرَاءَ هَذَا الْكَثِيبِ)**، النبي صلى الله عليه وسلم علم أن الرجل صادق أنهم قريش وليس عير (أبو سفيان)، قال: **[إِنَّكُمْ لَتَضْرِبُونَهُمَا إِذَا صَدَقَا، وَتَتْرُكُونَهُمَا إِذَا كَذَبَا]** فالنبي صلى الله عليه وسلم علم أن الرجل يصدق في أن قريش التي تأتي الآن. هذا الواقع الذي لابد أنك تعيش فيه، فالصحابة كانوا يتمنون شئ، لكن الواقع أنك لابد أن تعيش في الواقع وتدبر خططك على هذا الواقع. فالنبي صلى الله عليه وسلم ترك ما يفعلونه.
- ثم قال له: **[أَخْبِرَانِي أَيْنَ قُرَيْش؟]** هذا الموقع، يسأل معلومات مهمة، ثم قال: كم العدد؟ **[كمِ الْقَوْمُ؟]** والكثيب: هي الرمال، حدد له الموقع، قال: كم العدد؟ قال: لا نعلم. انظر.. هو لا يعلم، لكن النبي صلى الله عليه وسلم سأل سؤالًا آخر من الأهمية بمكان: **([كَمْ يَنْحُرُونَ كُلَّ يَوْمٍ؟]، (فَقَالَا: يَومًا عشرًا، ويومًا تسعًا)** فخبرة النبي صلى الله عليه وسلم وهو من أهل مكة، وهم لكي ينحروا الشاة أو الإبل يأكلوها كلها وتنتهي. والمعلوم أن الإبل كان يطعمها مائة. **(فَقَالَا: يَومًا عشرًا، ويومًا تسعًا)** فقال إذًا لو الواحد بيأكله مائة فسيكون تسعمائة إلى

ألف. وهذا يبين لك كيفية السؤال لتاخذ المعلومة، فهو ما استطاع أن يعرف العدد فسأله كم ينحرون؟ فعلم عدد القوم، فقال القوم ما بين تسعمائة إلى ألف. وهذا يبين لك أن من عوامل النجاح التحري، كيف تتحرى وتطلب المعلومة الصحيحة الدقيقة التي تستفيد منها.

- ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم مع رجل أيضًا للاستخبار، وتركه بعد ذلك.

وأما بسْبَسُ بن عمرو، وعدي بن أبي الزغباء، فإنهما وردا ماء بدر، فسمعا جارية تقول لصاحبتها: ألا تقضيني ديني؟ فقالت الأخرى: إنَّما تقدم العير غدًا أو بعد غد،

فأعمل لهم، وأقضيك، فصدقهما مجدي بن عمرو. فانطلقا مقبلين لما سمعا، ويعقبهما أبو سفيان، فقال لمجدي بن عمرو: هل أحسست أحدًا من أصحاب محمد؟ فقال: لا، إلا أن راكبين نزلا عند تلك الأكمة، فانطلق أبو سفيان إلى مكانهما، وأخذ من بعر بعيرهما ففته، فوجد فيه النَّوَى، فقال: والله! هذه علائف يثرب، فعدل بالعير إلى طريق الساحلِ، فَنَجَا، وَبَعَثَ إِلَى قريش يُعلِمُهُم أَنَّهُ قَد نجا هو والعير، ويأمرهم أن يرجعوا.

وبلغ ذلك قريشًا، فأبى أبو جهل وقال: والله! لا نرجع حتَّى نَرِدَ مَاءً بدر، ونقيم عليه ثلاثاً، ونشرب الخمر، وتضرب على رؤوسنا القِيَانُ، فتهابنا العرب أبدًا، فرجع الأخنس بن شريق بقومه بني زهرة قاطبة، وقال :إنَّما خرجتم لتمنعوا عيرهم، وقد نجا، ولم يشهد بدراً زهري إلا عمًّا مسلم [بن عبيد الله بن عبد الله] بن شهاب بن عبد الله والد الزهري؛ فإنهما شهداها يومئذ، وقتلا كافرين.

فبادر رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشًا إلى ماء بدر، ونزل على أدنى ماء هناك، فقال له الحُباب بن المنذر بن عمرو: يا رسول الله! هذا المنزل الذي نزلته أمرك الله به؟ أو منزل نزلته للحرب والمكيدة؟ قال: [بَلْ مَنْزِلُ نَزَلْتُهُ لِلْحَرْبِ وَالْمَكِيدَةِ]، فقال: ليس هذا بِمَنْزِل، فانهض بنا حتى نأتي أدنى ماء من مياه القوم فَتَنزِلَهُ، ونغور ما وراءنا من القلب، ثُمَّ نبني عليه حوضًا،

فنملؤه، فنشرب ولا يشربون. فاستحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ذلك، وحال الله بين قريش وبين الماء بمطر عظيم أرسله، وكان نقمة على الكُفَّار، وَنِعْمَةً على المسلمينَ، مَهَّدَ لَهُمُ الأرض وَلَبَّدَهَا، وَبُنِيَتْ لرسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَرِيش يَكُونُ فِيهَا.

- بينا مسألة إرسال النبي صلى الله عليه وسلم للرجلين كانت أيضًا للتحري والاستخبارات ليعلموا العير، فوجدوا جارية تكلم جارية تسألها عن دين، فتحسس الأخبار فعلم بأن العير ستقبل.
- ولكن الإشكال أن لما جاء (أبو سفيان) وسأل (مجدي بن عمرو) هل أحد جاء المنطقة؟ فقال: لا رجلان جاءوا، ولا يعلم أنهم من أصحاب محمد، فخبرة (أبو سفيان) انظروا هذه طبعًا تبين لكم كيف المعلومات التي بتكون عند الإنسان، مهم جدًا أن تكون عندك معلومات أخرى غير القتال، أي معلومات عن طبيعة القوم، عن أكلهم، عن شربهم. هنا (أبو سفيان) لما ذهب للبعر (وهو ما يخرج من البعير) ووجده على الأرض، فركه فوجد فيه النوى المشهور به تمر المدينة، وهذه خبرة، فعلم أن الموجودين هم من المدينة. المسألة هنا هو يعلم حتى ما تأكله البعر من المدينة، ما هو أكل المدينة، فهذا يبين لك بأنك تحتاج في حياتك وفي جهادك سواء جهاد اللسان أو جهاد السنان أن تعلم عن المخالِف لك أمورًا كثيرة تفيدك في ذلك.
- حتى عندما تأتي لتدعو ناس مثلًا ليسوا من قومك فلو أنت تعلم لهم خصائص معينة أو معلومات تقربك لهم وأنت بتكلمهم عن أمورهم، بتحكي لهم أمور عندهم في بلدهم وفي قريتهم أو في اعتقادهم أو في شيء، تقرب لك أنك كيف تتعامل معهم.
- كذلك أنت لو بتجاهد كما هنا، فهو علم فقط من أمر يسير مثل هذا بأن الذين كانوا موجودين كانوا أصحاب محمد. فعلم أنهم في المنطقة، ففر من طريق آخر؛ وهو طريق الساحل، أخذ طريق الساحل وفر من هناك. فهي تبين لك بأن المعلومات ليست مسألة

معلومات حربية فقط، بل معلومات عن طبيعة، وأماكن وجغرافية واستعدادات القوم الذي أنت تتعامل معهم من الأهمية بمكان قد تفيدك في قتالك، أو في حتى دعوتك عمومًا.

- **(وأخذ من بعر بعيرهما ففته، فوجد فيه النَّوَى)** فقال إن هذه من تمر المدينة **(علائف يثرب، فعدل بالعير إلى طريق الساحلِ، فَنَجَا)**.
- وبعد ذلك لما حتى ورد ذلك لقريش ما رجعوا، وهنا {أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ} كما يقال. قال (أبو جهل) –وهو طبعًا كبيرهم الذي قتل في هذه المعركة أيضًا– قال: **(لا نرجع حتَّى نَرِدَ مَاءً بدر، ونقيم عليه ثلاثًا)** يشربوا ما يشربون ويعزفون ويرقصون ويفعلون كأنهم يتباهوا بأنهم انتصروا، فهو لا يوجد قتال لكن هم يعلنوا أنهم خرجوا ولن يرجعوا هكذا، ما رضي أن يرجع، وهذا كِبر. وفي رواية أن الشيطان جاءهم في صورة أحد منهم ليمنعهم من الرجوع وأنهم يظلوا حتى يردون ماء بدر، ويقاتلون، وغير ذلك. فهنا فعلوا كما قلنا ذلك ونزلوا.
- فهنا النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع بقدومهم **(فبادر رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشًا إلى ماء بدر)** وذهب إلى ماء بدر أولًا، وانظر هنا إلى **(الحُباب)** وأدبه مع النبي صلى الله عليه وسلم وكيف تتكلم مع الكبار، لأنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: **(يا رسول الله! هذا المنزل الذي نزلته أمرك الله به؟)** انظر هنا قبل ما تبدأ أن تنصح أو تنكر أو شيء، تستيقن، وهذه مسألة مهمة جدًا، لأن أنت كل شيء تأتي وتتكلم على شيخ قال كلمة أو أحد قال شيء أو أحد من الناس، تدخل عليه مباشرة تنكر عليه قبل ان تسأل أولًا وتتأكد هل قلت هذا الكلام؟ هل هذا ورد؟ هل هذا حدث؟ تستيقن. هنا (الحباب) لما نزل النبي صلى الله عليه وسلم لهذا المكان سأله، فممكن أن يكون وحي.. فقال: **(يا رسول الله! هذا المنزل الذي نزلته أمرك الله به؟)** استفسار بأدب مع الكبار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **[بَلْ مَنْزِلُ نَزَلْتُهُ لِلْحَرْبِ وَالْمَكِيدَةِ]**، إذًا ليس أمرًا إلهيًا. إذًا هذا الموطن ليس من الله، فممكن أن يؤمر أن ينزل هذا المكان. فلما علم (الحباب) أنه ليس مسألة وحي، لأنه لو كان وحي فانتهى الأمر، سمعًا وطاعة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

[بَلْ مَنْزِلُ نَزَلْتُهُ لِلْحَرْبِ وَالْمَكِيدَةِ]، فقال (الحباب): **(ليس هذا بِمَنْزِل)** يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، نحن نأتي هنا أمامه ونحوطه بحوض ونضع فيه الماء فنحن نشرب وهم لا يشربون، فأصبح البئر عندهم في منطقتهم، فلو أتوا الكفار فلن يقدروا أن يردوا على الماء فنمنع عنهم الماء. والماء كان أعظم شي، مهم جدًا عندهم لأنها صحراء. لذلك هو قال له: **(ثُمَّ نبني عليه حوضًا، فنملؤه، فنشرب ولا يشربون)**. فكان هذا رأي مسدد من (الحباب) رضي الله عنه، أخذ به النبي صلى الله عليه وسلم.

- وهنا يبين لك أنه لا مانع، فهو نبي، وهو يخطط في كل شي، لكن انظر عندما جاءته الفكرة من أحد الصحابة قَبِلَها، لا يوجد كِبر؛ أنا القائد، أنا الشيخ، أنا الذي أفهم! لا، لما علم الصحابي بأن المسألة حرب وخدعة، وهذا الذي فعله (سلمان) مع النبي صلى الله عليه وسلم قال: لو كانوا اجتمعوا علينا كنا نتخندق، لم تكن الصحابة تعلم الخنادق، فأشار (سلمان) عليه بالخندق، فتخندق النبي صلى الله عليه وسلم، حفروا الخندق، وكانت هذا سبب في منع الكفار عنهم. فهنا (سلمان) في الخندق، و(الحباب) في بدر، والنبي صلى الله عليه وسلم قَبِل. وهذا يبين لك بأن القائد يقبل ويجعل له مستشارين ويستفيد من ذلك.
- **(فاستحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ذلك، وحال الله بين قريش وبين الماء بمطر عظيم أرسله)** الله عز وجل أنزل المطر شديدًا على قريش، وجعل الماء على المسلمين يسيرا، وامتلأت الحوض بالماء وشربوا حتى لبَّد الأرض؛ أي جعلها ثابتة بالماء هذه على أقدام المسلمين، كأنه تجهيز. هنا الله عز وجل يريد أن يكون ماء المطر عظيم أرسله.
- **(وكان نقمة على الكُفَّار، وَنِعْمَةً على المسلمينَ، مَهَّدَ لَهُمُ الْأَرْضَ وَلَبَّدَهَا، وَبُنِيَتْ لرسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَرِيش يَكُونُ فِيهَا)** العريش: الشيء المرتفع كأنه مكان يرى منه المعركة ويتابع منها ويقود منها. وسيأتي أنه وُضِع له بعد ذلك حراس.

ومشى صلى الله عليه وسلم في موضع المعركة، وجعل يُرِيهم مَصَارِعَ رُؤُوسِ الْقَوْمِ واحدًا واحدًا، ويقول: [هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَهَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ، وَهَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ].

قال عبد الله بن مسعود: فوالذي بعثه بالحق! ما أخطأ واحد منهم موضعه الذي أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- انظر.. بعد ما نزل المكان جاءته البشرى من الله عز وجل، بل جاءه مصارع القوم، هنا يُقتل (أبو جهل)، هنا يقتل (أمية)، هنا يقتل (شيبة)، والنبي صلى الله عليه وسلم يذهب ويبشرهم.
- لكن طبعًا هنا مسألة مهمة؛ إن كنت تتكلم في أمر مستقبلي فالنبي صلى الله عليه وسلم قدم المشيئة، وطبعًا هنا المشيئة تحقيقًا، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان علم من ربه أن هذه مصارع القوم. لكن هو عمومًا أي شيء مستقبلي لابد أن تتكلم فيه بالمشيئة {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِل ذَٰلِكَ غَدًا، إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ} [الكهف: 23-24]. ومعروف قصة **(سليمان)** عليه السلام عندما قال: [لأطوفن الليلة على مائة امرأة فيأتيني الله عز وجل بالمائة ويقاتلون في سبيل الله] والملك يقول له: "قل ما شاء الله"، فما أتى إلا بنص رجل، فلو قال ما شاء الله لأتى بمائة رجل يقاتلون في سبيل الله.
- هنا قال: **[هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ]** "إن شاء الله" هنا تحقيقًا. ما المقصود بتحقيقًا؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد علم من ربه أن هذا سيكون، فإذًا هذا مستقبلي. لو مستقبلي لا تعلمه فتقدم المشيئة لأنك لا تعلم ستحدث أم لا، لكن لو قلت أن النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي، إذًا هنا كما قال تعالى: {لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ } [الفتح: 27]. هو الله عز جل الذي يتكلم، "إن شاء الله" أي تحقيقًا سيحدث. فهنا "إن شاء الله" على سبيل التحقيق. لكن بغير ذلك، فأنت تقولها في المستقبل لأنك لا تعلم

تحدث أم لا تحدث. و(ابن مسعود) يبين أن حدث بالظبط المواضع الذي بينها النبي صلى الله عليه وسلم.

وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة يُصلي إلى جِذم شجرة هناك، وكانت ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان، فلما أصبح، وأقبلت قريش في كتائبها، فقال: [اللَّهُمَّ هَذِهِ قُرَيْش قَدْ أَقْبَلَتْ فِي فَخْرِهَا وَخُيَلائِهَا، تُحَادُّكَ، وَتُحَادُّ رَسُولَكَ].

ورام حكيم بن حزام، وعتبة بن ربيعة أن يرجعا بقريش، ولا يكون قتال، فأبى ذلك أبو جهل، وتقاول هو وعتبة، وأمر أبو جهل أخا عمرو بن الحضرمي أن يطلب دم أخيه عمرو، فكشف عن استه، وصرخ: واعَمْرَاهُ وَاعَمْرَاهُ !، فَحَمِي القوم، ونشبت الحرب.

- هنا النبي صلى الله عليه وسلم بات في في تلك الليلة يصلي لجذم شجرة، أي أصل الشجرة، وقف عند أصل الشجرة يصلي في هذه الليلة، وجعلها أمامه كأنها سترة له في القبلة، **(وكانت ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان)**، وهذه كانت ليلة المعركة، فقام يصلي، ولما قام يصلي حتى لها قصة أخرى أنه كان يرفع يديه بالدعاء، ويلح على الله عز وجل، وهذه تبين لك أنه مع الاستعداد بالقوة، لكن لابد الأمر الأعظم هو الدعاء إلى الله عز وجل، والتضرع، والخشية، والتذلل، والخضوع قبل أي عمل تقوم به. فالنبي صلى الله عليه وسلم وقف يصلي ويرفع يديه بالدعاء، حتى أن (أبو بكر) جاء للنبي صلى الله عليه وسلم قال له: [يا رسول الله هون على نفسك فإن الله ناصرك]. ثم قال: [أبشر يا أبو بكر هذا جبريل جاء مع الملائكة] لما رأى (جبريل) جاء، ثم علم مصارع القوم وبينها لهم. وكان هذا اكثارًا من الصلاة والدعاء.
- لذلك من الأهمية بمكان؛ مسألة الدعاء، والذين يغفلون عن الدعاء يضيعون خيرًا كثيرًا. النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه استعد وجهز، لكنه جلس ليلته يدعو الله عز وجل أن ينصره الله عز وجل.

- قال: **(ورام حكيم بن حزام، وعتبة بن ربيعة أن يرجعا بقريش)** ما زال بعض قريش لم يكونوا يريدوا الحرب، و(حكيم بن حزام) أسلم بعد ذلك، هذا كان في حال كفره رضي الله عنه. ثم أراد أن يرجع، فما رضي (أبو جهل)، و(أبو جهل) كان صنديد من صناديد هذا الكفر، فمنع أن يرجعوا، كان يريد أن يرجعوا ولا يقاتلون.
- وأوحي لمن؟ تذكرون (عمرو الحضرمي) الذي قتل؟ ذهب لأخو (عمرو) لأن له دم، قتلوه في سرية (عبد الله بن جحش) رضي الله عنه، فأراد أن يهيج قريش، فذهب له وقال له أن: **(يطلب دم أخيه عمرو، وصرخ: واعَمْرَاهُ وَاعَمْرَاهُ !)** لكي يهيج قريش، أي يعيبهم لو رجعوا بدون دم أخيه. فقال هنا: **(أن يطلب دم أخيه)** وظل يصرخ، وكان عندهم عادات أنه يكشف عن استه: أي عورته، وقال: **(واعَمْرَاهُ وَاعَمْرَاهُ !)** كأنه يندب أخاه (عمرو).
- **(فَحَمِي القوم، ونشبت الحرب)** أي استثار قريش وطلب منهم دم أخيه، فاستعظموا أن يرجعوا بدون ذلك. وكان (عتبة بن ربيعة)، و(أبو جهل) ممن أرادوا ذلك أيضًا.
- وطبعًا هنا توجد مسألة ممكن أن نستنبطها، انظر إلى مسائل العاطفة، ما تأتي بخير. المسألة ليست عاطفة، هم أرادوا أن يستثيروهم بالعاطفة، بالدم، فقالوا لأخو (عمرو) أن يقول **(واعَمْرَاهُ)**. ودائمًا تجد الأمور التي فيها العاطفة والحمية لا تأتي بخير. فالحكمة أنك تسمع للقول وتنظر في دلائله وأدلته وقرائنه وتحكم، أما مسألة العاطفة التي تحركك ستؤدي إلى مفاسد غالب الأمر.
- الناس التي تحركهم العاطفة والحمية غالبًا بتكون المسألة النتيجة فيها ليست إيجابية بالمرة، بخلاف الذي يأتي بدلائل وبراهين ودراسات وغير ذلك. فالتهييج هذا ما يفيد بشيء أصالة.
- ودائمًا تجد أن الظلمة يهيجون الناس، يلعبون على العواطف، أي يكون ظالم ويهيج الناس عليه، مثلما فعلت قريش عندما قالت على النبي صلى الله عليه وسلم (قاتل في الأشهر الحرم) وهم كانوا من قبل يقتلوا المسلمين في مكة وأخذوا أموالهم وكل شيء، وهكذا. الظلمة

دائمًا يهيجون الناس ويلعبون على المشاعر والعواطف ويقلبون الحق باطلًا، أو الباطل عندهم كأنه حقًا!

وعدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف ، ثُمَّ رجع إلى العريش هو وأبو بكر وحده، وقام سعد بن معاذ وقوم من الأنصار على باب العريش يحمون رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخرج عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، ثلاثتهم جميعًا يطلبون البِراز، فخرج إليهم من المسلمين ثلاثة من الأنصار، وهم: عوفٌ ومعوذ ابنا عفراء، وعبد الله ابن رواحة، فقالوا لهم: من أنتم؟ فقالوا: من الأنصار، فقالوا: أَكْفَاء كِرَامٌ، وإنما نريد بني عمنا،

فبرز إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ، وَعُبَيْدَةُ بنُ الْحَارِثِ، وَحَمْزَةُ رضي الله عنهما، فَقَتَلَ عَلِيٌّ الْوَلِيدَ. وَقَتَلَ حَمْزَةُ عُتْبَةَ، وقيل: شيبة. واختلف عُبَيْدَةُ وَقِرْنَهُ بِضَرْبَتَيْنِ ، فأجهد كل منهما صاحبه، فكر حمزة وعلي، فتمما عليه، واحتملا عبيدة وقد قطعت رجله، فلم يزل طَمِثا حَتَّى مَاتَ بالصَّفْرَاءِ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وَرَضِيَ عَنْهُ –.

وفي الصحيح: أَنَّ عَلِيّاً رضي الله عنه كَانَ يَتَأَوَّلُ قَوْلَهُ تَعَالَى: { هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ } [الحج: 19] فِي بِرَازِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الآية فِي سُورَةِ الْحَجِّ، وَهِيَ مَكِّيَّةٌ، وَوَقْعَةُ بَدْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ، إِلَّا أَنَّ برازهم من أول ما دخل في معنى الآية.

- نقول هنا بدأت المعركة، وتقدم ثلاثة من الكفار أرادوا المبارزة، وخرج (عتبة بن ربيعة) و(شيبة بن ربيعة) و(الوليد بن عتبة) وهؤلاء من أعيان وكبراء المشركين وكانوا صناديد، أرادوا أن يبارزوا، وطبعًا القتال سيفًا، مبارزة أولًا، وبعد ذلك يلتحم الصفان، أي القتال.
- **(فخرج إليهم من المسلمين ثلاثة من الأنصار)** وأراد الأنصار من بني عمهم من المهاجرين؛ من قريش، فأثنوا عليهم لكن قالوا: **(نريد بني عمنا)** هم من يبارزونا.

- فبرز لهم (عليّ) و(حمزة) و(عبيدة)، وطبعًا قيل أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي قال: قم يا (عليّ)، قم يا (حمزة)، قم يا (عبيدة بن الحارث).
- **(فَقَتَلَ عَلِيٌّ الْوَلِيدَ. وَقَتَلَ حَمْزَةُ عُتْبَةَ، وقيل: شيبة. واختلف عُبَيْدَةُ وَقِرْنَهُ)** اختلف أي تقاتلوا مع بعض، حتى أنهم قالوا أن ضربه ضربة وهذا ضربه ضربة في مقتل. لكن لما (عليّ) و(حمزة) قتلوا الإثنين ذهبوا لـ(عبيدة) فأجهزوا على (شيبة بن ربيعة). لكن **(لم يزل طَمِثا)** أي لم يزل الجرح الذي جُرِحَه (عبيدة) رضي الله عنه ينزف، الضربة كانت شديدة حتى قطعت رجله أيضًا فيها، فحملوه حتى لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم "الصفراء" – وهي منطقة في رجوعه– قد مات متأثرًا بالإصابة هذه رضي الله عنه وتقبله الله عز وجل.
- فقال: **(أَنَّ عَلِيّاً رضي الله عنه كَانَ يَتَأَوَّلُ قَوْلَهُ تَعَالَى: {هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ})** أي يجعل هذه الآية مع أنها آية مكية نزلت في سورة الحج، لكنه يدخل فيها ما حدث من مبارزة {خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ } أي الذين قاتلوا أهل الإسلام مع أهل الكفر في هذا الوقت، لذلك هو يقول أن الآية مكية لكن دخل فيها هذا المعنى أيضًا في كتب التفسير.

ثُمَّ حَمِي الوطيس، واشتد القتال، ونزل النصر، واجتهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدُّعاء، وابتهل ابتهالًا شَدِيدًا، حتى جعل رداؤه يسقط عن منكبيه، وجعل أبو بكر يُصلحه عليه، ويقول: يا رسول الله! بَعْضَ مناشدتِكَ رَبَّكَ؛ فإنه منجز لك ما وعدك. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقولُ: [اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ لَا تُعْبَدُ فِي الأرض]، فذلك قوله تعالى: { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْف مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ} [الأنفال: 9] . ثُمَّ أَغْفَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِغْفَاءةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وهو يقول: [أَبْشِرْ يَا أَبَا بَكْرٍ، هَذَا جِبْرِيلُ عَلَى ثَنَايَاهُ النَّقْعُ].

- هنا طبعًا كأنه أتى بجزء هل النبي صلى الله عليه وسلم دعا قبل اشتداد المعركة؟ السياق هنا فيه نظر في الترتيب، لكن نقول أنه بعد أن قُتل الثلاثة حمى الوطيس، والتقى الصّفان والتحم الجيشان، وبدأت المعركة تشتد.
- **(واجتهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدُّعاء)** لو حملناه على أن هذا كان في وقت اشتداد المعركة، ولو قلنا إنه كان قبل المعركة بليلة إذًا هذا كان قبل المعركة، أو دعا أولًا في ليلة المعركة ودعا أيضًا في اشتداد الوطيس، لأنه قال: **(واجتهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدُّعاء، وابتهل ابتهالًا شَدِيدًا)**، والابتهال هنا: شدة المناجاة. انظر.. في معركة، والمسألة ليست قتال فقط، لتعلموا سلاح الدعاء، حتى للمقاتل في المعركة، فأثناء الوطيس وشدة معركة النبي صلى الله عليه وسلم يجتهد ويبتهل في الدعاء، وذلك يبين لك أن الدعاء له مكانة عظيمة جدًا، فأنت تقاتل وتدعو أيضًا، أيًا كان سواء الدعاء قبلها، أو الدعاء في اشتدادها، فأنت أيضًا بتدعو أثناء القتال أن ربنا ينصر، لأن النصر من عند الله عز وجل.
- فهنا انظر: **(واجتهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدُّعاء، وابتهل ابتهالًا شَدِيدًا)** لأن: {وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ} [الأنفال: 10] النصر ليس بإتخاذ الأسباب المادية فقط! وهذا يبين لك الجمع بين الدعاء وبين الأسباب المادية الأخرى، أن الناس لا تغفل عن ذلك، ولا أهل القتال يغفلون عن ذلك، ولا من وراءهم يغفلون عن ذلك. حتى من كثرة أن النبي صلى الله عليه وسلم يرفع يده في الدعاء **(رداؤه يسقط عن منكبيه)** ويأتي (أبو بكر) يصلحه له، رضي الله عنه، وصلى الله على النبي صلى الله عليه وسلم .
- وكلما سقط الرداء من شدة المناجاة والابتهال، انظر إلحاح على الله في طلب النصر، والهزيمة للكفار. وانظر إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم، و(أبو بكر) طبعًا يقول: **(يا رسول الله! بَعْضَ مناشدتِكَ رَبَّكَ؛ فإنه منجز لك ما وعدك)** وهنا انظر ليقين (أبو بكر) وصدقه، تعلموا كيف الذين يكونون مع الكبار كما مع النبي صلى الله عليه وسلم، كـ (أبو

بكر) وغيره، أو مع المرافقين الأقران الحواري، أو الذين مع القائد أو مع الأمير، انظر..كلما كان اليقين في قلوبهم قويًا وثابتًا لابد أنك تشعر بالنصر يأتي. (أبو بكر) يقول: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله منجز لك ما وعدك، بل يقول: هون على نفسك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو خفف على نفسك، قال: **(يا رسول الله! بَعْضَ مناشدتِكَ رَبَّكَ؛ فإنه منجز لك ما وعدك)** (أبو بكر) يقول هذا، يقين أن الله سينجز هذا الوعد، أن الله مستجيب للدعاء ومحقق لك ذلك. ثلاثمائة أمام تسعمائة، فرسين، وهم بكل عتادهم، ما قالوا خذلوا القوم ، لا، الله كتب وأراد أن يكون هذا قتالًا، فالآن تأخذ بما تستطيع، ومن أهمه الدعاء، لأن الله عز وجل وعد الأنبياء والمؤمنين بالنصر، قال: {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ} [غافر: 51]. لننصر الذين آمنوا، إذًا النصر معلق بالإيمان، لابد من إيمان في القلوب حتى يأتي النصر، ايمان وعقيدة ثابتة راسخة، فينزل النصر على ذلك، {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ} [الروم: 47] أهل الإيمان.

- ولكن الأهم أريدك أن تنتبه لشيء، النبي صلى الله عليه وسلم بيقول: [اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ لَا تُعْبَدُ فِي الأَرْضِ] ممكن نستنبط شيء من هذه الجملة، مهمة جدًا لما نحن فيه حاليًا، فيها فائدتين: فائدة نحتاجها في زماننا كثيرًا، وفائدة فيها مناقب للصحابة، **أن القتال قتال عقيدة**، النبي صلى الله عليه وسلم يقول: [اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ لَا تُعْبَدُ فِي الأَرْضِ] إذًا هم بيقاتلوا للدين، إذًا المسألة هنا مسألة أن الحرب الحقيقية حرب عقيدة، والمنقبة أن هؤلاء العصابة التي كانت موجودة هي التي تعبد الله عز وجل، أي المجموعة القلة هذه هي التي حقًا بتعبد الله عز وجل، لا يوجد غيرهم بيعبدوا الله. وهذا فضل طبعًا للصحابة الموجودين. لكن الأهم من الحرب هذه هي للدين.
- إذًا القتال هو قتال للعقيدة، ليس القتال للأرض، وللمال، وللعير! لا، القتال حرب عقيدة بين إسلام وكفر، فإذا جاء معها مصالح أنك تأخذ أموال، أنك تأخذ غنائم، أنك تضيق عليهم، أن تضيق عليهم أراضيهم وغير ذلك فلا مانع، لكن الأصل أنك [إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ لَا

تُعْبَدُ فِي الأَرْضِ]. إذًا القتال هو أصلًا لتعبيد الناس، القتال لنشر الإسلام، القتال لإستقرار وعلو الدين. هذا الأمر الذي لابد أن يستقر فيه أي قتال يكون بين أهل الإسلام وأهل الكفر، هذا المقصود.

- وفيه طبعًا منقبة للصحابة؛ أن هؤلاء كانوا صفوة الناس، خلاصة الناس في هذا الوقت، وهم الصحابة رضوان الله عليهم، لأنهم هم الذين كانوا فقط يعبدون الله، لأن قال النبي صلى الله عليه وسلم: [اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ لَا تُعْبَدُ فِي الأَرْضِ]، إذًا ليس هناك من يعبد في الأرض وقتها غير هؤلاء، وهذه منقبة كما قلت لهم.
- ثم قال: قوله تعالى: { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْف مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ} [الأنفال: 9]، وهذا يبين لك بأن الملائكة نزلوا فقاتلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا طبعًا جاء تصريح [أَبْشِرْ يَا أَبَا بَكْرٍ، هَذَا جِبْرِيلُ عَلَى ثَنَايَاهُ النَّقْعُ] ثناياه النقع: أي الغبار، أي عليه غبار القتال، أي هو بيجاهد، أن تغبر قدمي عبد في سبيل الله، فهو هنا الغبار، أي جاء يبشر النبي صلى الله عليه وسلم بالنصر، ومعه جند من الملائكة الذي أرسلهم الله عز وجل لنصرة المؤمنين.
- ثم قال: **(أَغْفَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِغْفَاءةً)** وهذه طبعًا تبين لك أن أحيانًا الإغفاء في وقت الشدة ووقت الحرب–وهو النوم اليسير– هذا من كرم الله ومن فضله. أي ممكن أحيانًا يُسَكِّنَك بغفوة أو شيء، ويعطيك قوة، ثم تقوم مرة أخرى.

وكان الشيطان قد تبدى لقريش في صورة سراقة بن مالك بن جعشم زعيم مُدْلج، فأجارهم، وزيّن لهم الذهاب إلى ما هم فيه، وذلك: أنهم خشوا بني مدلج أن يخلفوهم في أهاليهم وأموالهم، فذلك قوله تعالى: { وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَار لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ} [الأنفال: 48]، وذلك:

أنه رأى الملائكة حين نزلت القتال، ورأى ما لا قِبَلَ لهُ بهِ ، فَفَرَّ، وقاتلت الملائكة كما أمرها الله، وكان الرجل من المسلمين يطلب قرنه، فإذا به قد سقط أمامه.

ومنح الله المسلمين أكتاف المشركين، فكان أول من فَرَّ منهم: خالد بن الأعلم، فأُدرِكَ فأُسرَ، وتبعهم المسلمون في آثارهم، يقتلون ويأسرون، فقتلوا منهم سبعين، وأسروا سبعين، وأخذوا غنائمهم.

- الشيطان ظهر لقريش بصورة رجل؛ (سراقة بن مالك) زعيم مُدلج. وقبيلة مدلج كانت بينهم وبين قريش خصومة، فقريش خافت لما تخرج للقتال أن بني مدلج يهجمون على مكة يقتلون ويأخذون أموال وغير ذلك منهم، فكانوا مترددين في القتال. فجاءهم الشيطان في صورة (سراقة) وأوهمهم أن بني مدلج صاروا أنصارًا لهم، وقال: {وَإِنِّى جَار لَّكُمْ} أي كأنهم جيران له. فزين لهم الذهاب، واطمأنوا أنهم لن يهجموا عليهم، كأنه الشيطان جارهم، كأن هؤلاء القوم هم جار لكم، اعطوهم الأمان. لذلك قال تعالى: {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَار لَّكُمْ} أي لبس عليهم، {فَلَمَّا تَرَاءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ} لأنه طبعًا يرى جنود الله عز وجل من الملائكة.
- حتى قال: **(وذلك: أنه رأى الملائكة حين نزلت القتال، ورأى ما لا قِبَلَ لهُ بهِ ، فَفَرَّ)** وهذا يبين لك أن الشيطان يزين، وقد يوقع الإنسان في الباطل وفي كثير من الأمور بتزيين الشيطان له.
- **(وقاتلت الملائكة كما أمرها الله)** قال تعالى: {فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} [الأنفال: 12].

- ثم قال: **(وكان الرجل من المسلمين يطلب قرنه)** أي يريد أن يقتل أحد، فيجده مقتول أمامه. من الذي قتله؟ الملائكة. فهذا من تعاون الملائكة، هو بيقاتل مع أحد فيجده مقتول وقد سقط أمامه هكذا. فكان هذا من قتال الملائكة مع المسلمين.
- **(ومنح الله المسلمين أكتاف المشركين)** أي أعطى الله للمسلمين أكتافهم، أعطوهم الأكتاف أي فروا، أي كأنهم فروا هاربين. فمنهم من أجهز عليهم المسلمين خلفهم، ومنهم من أسروا، **(فقتلوا منهم سبعين، وأسروا سبعين)**. وكان من جملة من أُسِر (العباس) عم النبي صلى الله عليه وسلم، وبعضهم اختلفوا؛ هل خرج مسلمًا متخفيًا؟ أم خرج وهو على غير الإسلام؟ قولان لأهل العلم حقيقة، لأنه عندما جاء رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم قال: [إِنِيّ كُنْتُ مُسْلِمًا قَبْلَ ذَلِكَ وَإِنَّمَا اسْتَكْرَهُونِي] أي أنا مسلم واستكرهوني في الخروج. فلما ذُكر للنبي صلى الله عليه وسلم قال أنه لا يعفيه من الفداء، أي لابد أن يفدي نفسه، وهو عم النبي صلى الله عليه وسلم. وجاء بعض الصحابة يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم اعفاءه من الفداء؛ أن يفدي نفسه، فلم يعفيه النبي صلى الله عليه وسلم، بل دفع الفدية، بل دفع أكثر من غيره. وطبعًا الفدية كانت بتتفاوت على حسب قدر الشخص، وعنده أموال في مكة أم لا، فكانوا يتفاوتون، فإذا وجدوا عنده أموال يطلبون زيادة منه لأنه سيدفع قومه فيه. وأخذوا الغنائم أيضًا بعد ذلك.

ثم ذكر لنا الحافظ بعد ذلك:

فكان من جملة من قتل من المشركين ممن سَمَّى رسول الله موضعه بالأمس: أبو جهل، وهو أبو الحكم عمرو بن هشام – لَعَنَهُ اللهُ – قتله : معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعوذ بن عفراء، وَتَمَّمَ عليه: عبد الله بن مسعود، فاحتزَّ رأسه وأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فَسُرَّ بذلك.

وعتبة وشيبة **ابنا ربيعة والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فَسُحِبُوا إلى القَلِيبِ، ثُمَّ وقف عليهم ليلاً، فَبَكَّتَهُمْ وَقَرَّعَهُمْ، وقال: [بِئْسَ عَشِيرَةُ النَّبِيِّ كُنتُمْ**

لِنَبِيِّكُمْ، كَذَّبْتُمُونِي وَصَدَّقَنِي النَّاسُ، وَخَذَلْتُمُونِي وَنَصَرَتِي النَّاسُ، وَأَخْرَجْتُمُونِي وَآوَانِيَ النَّاسُ] .

ثُمَّ أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِالعَرَصَةِ ثلاثا.

- هنا يحكي الحافظ رحمه الله تعالى صناديد قريش الذين قتلوا في هذه المعركة؛ (أبو جهل) طبعًا قتله الإثنين لو تعرفوا القصة التي ستأتي، (معاذ بن عمرو بن الجموح) و(معوذ بن عفراء) كانوا صغيران. وبداية المعركة قال (عبد الرحمن بن عوف) جاء هذا عن يمينه وهذا عن يساره، فقالوا لي يا عم، أين عدو الله (أبو جهل)؟ أرنا إياه. فقال: ما لكم وما له؟ قالوا: سمعنا أنه كان يسب النبي صلى الله عليه وسلم– فهم لا يعرفون شكله–. فقال (عبد الرحمن بن عوف) لما رآه قال: دونكم هذا الرجل. وحتى نظر عن يمينه وعن شماله وأن يأتي هذا من إثنين صغار، فكان يريد من الكبار المقاتلين يكونوا معه كتف في كتف. فقال: نظرت إليهم أنهم من الصغار. ثم قال: رأيتهم الإثنين علوا على (أبو جهل) وقتلوه، كل أحد فيهم ضربه، وهو يقول: أنا ضربته أنا ضربته، أي أنا قتلته أنا قتلته. فجاء (عبد الله بن مسعود) فقعد على صدره حتى أن (أبو جهل) وهو يموت و(عبد الله بن مسعود) أخذ رأسه بعد أن ضربه أولًا (معاذ) و(معوذ) فقال: [لقد ارتقيت مرتقى صعبا] فقتله، وأتى برأسه للنبي صلى الله عليه وسلم فسُرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بذلك. ولم يكن هناك أكفر من (أبو جهل) وقتها، فقد فعل ما لم يفعله أحد مع النبي صلى الله عليه وسلم. فهذا يبين لك أن في القتال مع الكفار المسألة انتهت، أنت في قتال، فلا يوجد رأفة ولا رحمة ولا أخلاقيات ولا هذه الأمور، أنت في القتال، إيمان وكفر. وهذا الذي حدث.
- وقُتل طبعًا كما قال أيضًا (الوليد بن عتبة) و(عتبة) و(شيبة) ابنا ربيعة. و(أمية بن خلف) فالنبي صلى الله عليه وسلم أخذ بكل هؤلاء وسُحِبوا لما يسمى قليب بدر، القليب الذي دفنوا فيه قتلى بدر، ووضعوا فيه كانوا حوالي سبعين من الكفار، ثم وقف النبي صلى الله عليه وسلم وكلمهم. وهذه من الأحاديث التي بيستدل به البعض على جواز سماع الموتى– وإن

كانت المسألة فيها نظر ليس محلها هنا– لكن قال: [بِئْسَ عَشِيرَةُ النَّبِيِّ كُنتُمْ لِنَبِيِّكُمْ، كَذَّبْتُمُونِي وَصَدَّقَنِي النَّاسُ، وَخَذَلْتُمُونِي وَنَصَرَتِي النَّاسُ، وَأَخْرَجْتُمُونِي وَآوَانِيَ النَّاسُ] ونادى عليهم النبي صلى الله عليه وسلم قال: [يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا ، فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَسْمَعُوا وَأَنَّى يُجِيبُوا وَقَدْ جَيَّفُوا ؟ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا فَأُلْقُوا فِي قَلِيبِ بَدْرٍ].

- طبعًا هنا بعض العلماء أرادوا أن يستدلوا أن الموتى يسمعون، وقلنا أن هذه خصوصية خاصة، لأن الله قال:{وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ} [فاطر: 22] دلالة على أن الموتى لا يسمعون، لكن هذه كانت خصوصية لكفار قريش في هذه الوقت الذي كلمهم فيه النبي صلى الله عليه وسلم.
- **(ثُمَّ أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِالعَرَصَةِ ثلاثا)** العرصة: وهي ساحة ببدر، بعد انتهاء المعركة جلس ثلاثًا، كأنه استشفاء، أو ترتيب للأمور، هدوء، تنظيم بعد انتهاء المعركة لإدارتها، ثم ارتحل. حتى جاء عند حديث (أنس) في البخاري عن (أبي طلحة): [أَنهَّ كَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرْصَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ]، أي أقام بالمكان ثلاثة ليال قبل أن يعود إلى قومه بعد ذلك، يريح الأنفس وترييح الدواب الذي معه وغير ذلك، ثم يعود بعد ذلك.

ثُمَّ ارتحل بالأسارى والمغانم، وقد جعل عليها: عبدالله بن كعب ابن عمرو النجاري.

وأنزل الله في وَقْعَةِ بدر: سورة الأنفال، فلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصَّفْرَاءِ، قسم المغانم كما أمره الله تعالى، وأمر بالنضر بن الحارث، فضربت عنقه صبرًا، وذلك: لكثرة فساده، وأذاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرثته أخته – وقيل: ابنته قُتيلة – بقصيدة مشهورة ذكرها

ابن هشام ، فلما بلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال – فيما زعموا: [لَوْ سَمِعْتُهَا قَبْلَ أَنْ أَقْتُلَهُ، لَمْ أَقْتُلْهُ].

ولما نزل عِرْقَ الظبية أمر بعقبة بن أبي معيط، فضربت عنقه أيضًا صبرًا.

ثُمَّ إِنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار أصحابه في الأسارى: ماذا يصنع بهم؟ فأشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن يقتلوا، وأشار أبو بكر رضي الله عنه بالفداء، وهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر، فحلل لهم ذلك، وعاتب الله في ذلك بعض المعاتبة في

قوله تعالى: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ} [الأنفال:67] الآيات.

وقد روى مسلم في صحيحه: عن ابن عباس حديثًا طويلًا فيه بيان هذا كله، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فداءهم أربع مئة أربع مئة.

ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مؤيدًا، مظفرًا، منصورًا، قَدْ أَعْلَى الله كلمته، ومكَّنَ لهُ، وَأَعَزَّ نصرَهُ، فأسلم حينئذ بَشَرٌ كثير من أهل المدينة، ومن ثم دخل عبد الله بن أبي ابن سلول وجماعته من المنافقين في الدين تقيَّة.

- هنا طبعًا لم تكن الأنفال قد شُرِّعَت من قبل، وأنزل الله عز وجل الحق سورة الأنفال في وقعة بدر. لذلك بعضهم يسمونها سورة بدر، لأنها نزلت في الأنفال في معركة بدر، والله عز وجل سماها كما قلنا "يوم الفرقان". فلما نزلت فيها الأنفال وتوزيع الغنائم وقسم النبي صلى الله عليه وسلم الغنائم كما أمره الله عز وجل كما جاءت. وبعضهم قالوا أن هذه كانت أول غنيمة. لكن قلنا أن أول غنيمة أخذها (عبد الله بن جحش) في السرية. فممكن هنا تكون أول غنيمة كبيرة في غزوة، ليس في سرية أو بعث.

- والنبي صلى الله عليه وسلم قسم المغانم، وفيها أنه قسم لبعض من لم يشهد بدر؛ قسم لـ (عثمان بن عفان) رضي الله عنه مع أنه لم يشهد بدر، وجعل له قسمًا من غنائم بدر. قال لماذا؟ لأنه كان يريد الخروج، انتبهوا.. لأن بدر لم تكن إجبارًا، لكن كان يريد الخروج، كانت زوجة (عثمان) ابنة النبي صلى الله عليه وسلم مريضة فالنبي صلى الله عليه وسلم قال له ابق معها، أمره في تمريض زوجته (رقية) رضي الله عنها، فلما ماتت– وقد ماتت في هذا المرض– فالنبي صلى الله عليه وسلم جعل له سهمًا في بدر أيضًا، وطبعًا بعد ذلك تزوج (أم كلثوم) رضي الله عنها، وماتت بعدها.
- **(وأمر بالنضر بن الحارث، فضربت عنقه صبرًا)** وهذا كان من أكبر الذين يجاهرون بالكفر، ويعادون النبي صلى الله عليه وسلم، فأمر بقتله، كان شاعرًا فكان يأتي بأشعار يذم فيها النبي صلى الله عليه وسلم، ويهاجم فيها النبي صلى الله عليه وسلم، **(فرثته أخته قُتيلة)** أي بعدما قتل أخرجت قصيدة، فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بعضهم قال أنه قال: [لَوْ سَمِعْتُهَا قَبْلَ أَنْ أَقْتُلَهُ، لَمْ أَقْتُلْهُ] لكن هذا الخبر لم يصح، وأورده ابن هشام في السيرة لكن لم يذكر السند، ففي ثبوته كلام.
- **(ولما نزل عِرْقَ الظبية أمر بعقبة بن أبي معيط، فضربت عنقه أيضًا)** وهذا أيضًا كان من ألد الخصوم للنبي صلى الله عليه وسلم، وكان يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الذي جاء للنبي صلى الله عليه وسلم لما كان يصلي في الحجر فخنقه بثوبه الذي في مكة، فجاء (عقبة بن أبي معيط) فخنق النبي صلى الله عليه وسلم كان يريد قتل النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء (أبو بكر) وخلص النبي صلى الله عليه وسلم منه. وجاء أيضًا للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد ووضع سلا الجزور على ظهره، فجاءت (فاطمة) رضي الله عنها وأرضاها فرفعته عنه. فكان (عقبة بن أبي معيط) شديد الإيذاء للنبي صلى الله عليه وسلم. وكان قد أُسِر، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه. وهذا يبين لك أن القائد له أن يختار من يقتل من الأسارى، ومن يترك ويفدي، هذا حق له في الإسلام له إشكال.

- هنا قتل النبي صلى الله عليه وسلم البعض، وأخذ من البعض، ثم استشار النبي صلى الله عليه وسلم ماذا يفعل في الأسرى، فهنا ارتأى (أبو بكر) أن يفديهم، قال بنو عمنا ومن قومنا نستفيد بالمال ولعل منهم من يدخل الإسلام، فأشار (أبو بكر) رضي الله عنه أن يأخذ الفداء منهم، وكان يرى أن هذا قد يكون ترقيقًا أو ممكن يدخل منهم البعض في الإسلام ويستفيد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة من المال المقصود، أي يفدي نفسه. (عمر) ما رضي بذلك. [فَقالَ أَبُو بَكْرٍ: يا نَبِيَّ اللهِ، هُمْ بَنُو العَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ منهمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً علَى الكُفَّارِ؛ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلإِسْلَامِ، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: ما تَرَى يا ابْنَ الخَطَّابِ؟ قُلتُ: لا، وَاللَّهِ يا رَسولَ اللهِ ما أَرَى الَّذي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِن عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِن فُلَانٍ –نَسِيبًا لِعُمَرَ– فأضْرِبَ عُنُقَهُ؛ فإنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ ما قالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ ما قُلتُ، فَلَمَّا كانَ مِنَ الغَدِ جِئْتُ، فَإِذَا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي مِن أَيِّ شَيءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟ فإنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وإنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِن أَخْذِهِمِ الفِدَاءَ، لقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِن هذِهِ الشَّجَرَةِ –شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِن نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ– وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ} إلى قَوْلِهِ {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا} [الأنفال: 67 - 69]. نزلت معاتبة الله عز وجل لإختيارهم الفداء على القتل، لكن الله أرادها كونًا وقد أباحها، قال: {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا} أي الله عز وجل عاتب لكنه أباح لهم ما أخذوه، فكان النبي صلى الله عليه وسلم و(أبو بكر) يبكيان. وهذه من الأمور التي وافق فيها (عمر) القرآن، أو نقول إرادة الله الكونية.
- قال الحافظ: **(ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مؤيدًا، مظفرًا، منصورًا، قَدْ أَعْلَى الله كلمته، ومكَّنَ لهُ، وَأَعَزَّ نصرَهُ)** الشاهد في ذلك بأن دخل ناس كُثُر في المدينة

في الإسلام. ولذلك من فوائد وجملة الجهاد لما يجد ضعفاء النفوس قوة الإسلام وأنه انتصر وأصبح لهم تمكين، تجد الناس تدخل في الدين، وهذا خير، لأنه قال إن دخل ناس كثير في الإسلام، لكن دخل منافقين (عبد الله بن أبي بن سلول) دخل من جملة المنافقين، لأنه علم إن الشوكة بيتزيد لأهل الإسلام، فلا يمكن أن يظلوا على الكفر، فأرادوا أن يدخلوا في الإسلام ظاهرًا وليس باطنًا، فدخل في ذلك.

فصل: عِدَّةُ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا

وجملة من حضر بدرًا من المسلمين: ثلاث مئة وبضعة عشر رجلًا.

من المهاجرين: ستة وثمانون رجلًا.

ومن الأوس: أحد وستون رجلًا.

ومن الخزرج : مئة وسبعون رجلًا.

وإنما قل عدد رجال الأوس عن عدد الخزرج – وإن كانوا أشد منهم، وأصبر عند اللقاء – لأن منازلهم كانت في عوالي المدينة، فلما ندبوا للخروج، تيسر ذلك على الخزرج لقرب منازلهم.

- هنا يبين لك أن في السير وفي الغزوات من الأهمية أنك تعرف الأعداد، والأنواع. وطبعًا قلة المهاجرين عن الأنصار أولا كان ستة وثمانون رجل فقط من المهاجرين، والباقي من الأنصار، لكن قال إن الخزرج كانوا أكثر لأن منازلهم قريبة من المدينة، فلما استنهض النبي صلى الله عليه وسلم الأقرباء، والأوس منازلهم أبعد والنبي صلى الله عليه وسلم قال: من ليس جاهزًا لا يخرج، يخرج الجاهز، لذلك قل عدد الأوس، مع أنه يقول: **(كانوا أشد منهم، وأصبر عند اللقاء)** أي كانوا في القتال أصبر، ومع ذلك كانوا أقل، فيبين ويعتذر لهم لماذا

كان العدد عندهم أقل. وقلنا إن من لم يخرج في هذه الغزوة ليس عليه شيء، لأنه لم يكن نفيرًا للجهاد، فكان أصل الخروج للعير فقط، وتحولت بعد ذلك للجهاد.

وقد اختلف أئمة المغازي والسير في أهل بدر: في عدتهم، وفي تسمية بعضهم، اختلافاً كثيرًا، وقد ذكرهم الزهري، وموسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق بن يسار، ومحمد بن عمر الواقدي، وسعيد ابن يحيى الأموي في مغازيه، والبخاري، وغير واحد من المتقدمين، وقد سردهم –كما ذكرتهم – ابن حزم في كتاب «السيرة» له، وزعم: أن ثمانية منهم لم يشهدوا بدرًا بأنفسهم،

وإنما ضربَ لَهُم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسهمهم، فذكر منهم : عُثْمَانَ، وطلحة، وسعيد بن زيد .

وَمِنْ أَجَلِّ من اعتنى بذلك من المتأخرين: الشيخ الإمام الحافظ ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي – رحمه الله تعالى ، فأفرد لهم جزءًا، وضمنه في «أحكامه» أيضًا.

وأما المشركون : فكانت عدتهم – كما قال صلى الله عليه وسلم – ما بين التسع مئة إلى الألف .

وَقُتِلَ من المسلمين يومئذٍ: أَرْبَعَةَ عشر رجلًا:

سِتَّةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ.

وَسِتَّةٌ مِنَ الْخَزْرَجِ.

وَاثْنَانِ مِنَ الْأَوْسِ.

وكان أول قتيل يومئذٍ: مَهْجَعُ مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(وقتل): رجل من الأنصار، واسمه: حَارِثَةُ بنُ سُرَاقَةَ.

وقتل من المشركين : سَبْعُونَ.

وقيل : أقل.

وَأُسِرَ منهم مثل ذلك أيضًا.

وفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من شأن بَدْرٍ وَالْأَسْرَى فِي شَوَّالٍ .

هذه واضحة ما فيها شيء، سنقف عند فصل (غزوة بني سليم) . وهنا نكون انتهينا بفضل الله من الكلام عن غزوة بدر.

جزاكم الله خيرًا

سبحانك الله وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

السلام عليكم

المحاضرة العاشرة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد أخوتي الكرام،، على موعد مع درس جديد من دروس السيرة، وشرح كتاب (الفصول في سيرة الرسول) للحافظ ابن كثير عليه رحمة الله تعالى. كنا قد انتهينا من غزوة بدر، ووقفنا عند غزوة بني سليم.

قال الحافظ ابن كثير رحمة الله عليه:

فصل غَزْوَةُ بَنِي سُلَيْمٍ

ثُمَّ نهض بنفسه الكريمة صلى الله عليه وسلم بعد فراغه بسبعةِ أيام لغزو بني سُلَيْمٍ، فمكث ثلاثاً، ثُمَّ رجع، ولم يَلْقَ حَرباً، وقد كان استعمل على المدينة :

سِبَاعَ بنَ عُرْفُطَة.

وقيل: ابنَ أُمِّ مَكْتُومٍ.

- بعد أن ذكر المصنف غزوة بدر، وانتهاءها، وبعد سبعة أيام فقط؛ النبي صلى الله عليه وسلم ما مكث في المدينة إلا سبعة أيام، ثم خرج مرة أخرى أراد أن يغزو بني سليم، مكث ثلاثة أيام.
- وغزوة بدر كان قد خرج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة لثمانية خلت من رمضان، وبداية الغزوة كانت في السابع عشر من رمضان. ثم مكث بعد انتهاءها بسبعة أيام لغزو بني سليم، وأيضًا كانت في رمضان. وخرج النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه، لذلك سميت: "غزوة". وهنا أقام ثلاثة أيام، ولم يقاتل، أي لم يحدث قتالًا. فرجع، لأنه لما ذهب لبني سليم وعرفوا أنه قادم، فروا وتركوا خمسمائة بعير، كانت غنيمة للنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين، وفروا في الجبال لما سمعوا بقدوم النبي صلى الله عليه وسلم؛ خافوا وتركوا الغنائم ورجعوا.
- وهنا تنظر.. النبي صلى الله عليه وسلم خرج بنفسه، وقلنا دائمًا هذه من سمات القائد؛ أنه يخرج أحيانًا يتفقد بنفسه بعض الغزوات. انظر.. غزوة بدر؛ أعظم غزوة في التاريخ، فهي من أعظم الغزوات التي فيها الفرقان بين الحق والباطل.
- رجع النبي صلى الله عليه وسلم جلس سبعة أيام فقط، ثم نهض ليقاتل مرة أخرى. وهذه تستنبط منها الجد والتشمير ومتابعة الخُطى في أي شيء تفعله من العبادات، أي لا تكتفي، غزوة وانتصر فيها أهل الإسلام على أهل الباطل، ومن أعظم الغزوات، ومع ذلك ما لبث سبعة أيام فقط في المدينة ثم استنهض وقام مرة أخرى ليجاهد بنو سليم ويقاتل. وهذه تدل لك على أن الطريق المستمر أنت كنت في طاعة أو في عبادة ليست لها توقف، لأنه تجد عندما يدخل رمضان يشتد تشمير الناس؛ يصلوا ويصوموا ويقرأوا القرآن، ثم تأتي ليلة العيد

تجد المنحنى كأنه لم يكن في رمضان. فهذه تستنبط منها أنه جهاد عظيم، ما توقف النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الجهاد كلما احتاج ذلك، ما قال أنا استريح، أعظم غزوة، وقتلنا فيها المشركين وكان نصرًا عظيمًا! لا، سبعة أيام فقط وقام مرة أخرى يجاهد في سبيل الله.

- وهذه تبين لك إن كانت المصلحة ومقاصد الشريعة تستدعي الاستمرار في شيء فليس لك أن تتوقف عنه ما دام الشرع يطالبك بهذا الأمر فعليك أن تستمر فيه.
- وفيه أيضًا أن النبي صلى الله عليه وسلم استخلف على المدينة لما خرج، وستلاحظ في كل غزوة النبي صلى الله عليه وسلم يغزوها لابد أن يستخلف مكانه أحد على أهل المدينة، ويدل ذلك على وجوب أن يكون هناك من يتولي شؤون المسلمين، أي لا يمكن أن يكون الناس بدون قائد، بدون أمير، بدون ولي يباشرهم ويفصل في أمورهم. فالنبي صلى الله عليه وسلم ما كان يخرج إلا لما يولي غيره حتى يرتب شؤون المسلمين.

فصل غَزْوَةُ السَّوِيقِ

وَلَمَّا رَجَعَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى مَكَّةَ، وأوقع الله في أصحابه ببدر بأسه، نذر أبو سفيان أَنْ لا يمس رأسه بماء حتَّى يغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج في مئتي راكب، فنزل طرفَ العُرَيْضِ وبات ليلة وحده في بني النضير عند سلام بن مِشْكَم، فسقاه، وَنَطَقَ لَهُ من خبرِ النَّاسِ، ثُمَّ أصبح في أصحابه، وأمر فقطع أصواراً منَ النَّخْلِ، وقتل رَجُلاً مِنَ الأنصار، وحليفاً له، ثُمَّ كَرَّ راجعاً.

ونَذِرَ بهِ رسول صلى الله عليه وسلم ، فخرج في طلبه، والمسلمين، فَبَلَغَ فَرْقَرَةَ الْكُدْرِ، وَفَاتَهُ أبو سفيان والمشركون، وألقوا شيئاً كثيراً من أزوادهم مِنَ السَّوِيقِ، فَسُمِّيت: غزوة السويق، وكانت في ذي الحجة من السنة الثانية للهجرة، ثُمَّ رجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وقد كان استخلف عليها أبا لبابة.

- هذه غزوة أخرى، لما حدث ما حدث ببدر، وكان (أبو سفيان) قد فر بالعير ورجع فما شارك في حرب بدر. لكن طبعًا حدث ما حدث من قتل صناديد قريش الذين ماتوا؛ (أبو جهل) و(أمية)،وغير ذلك، فنذر أنه ينتقم لصناديد قريش.
- اولا تسمى: "غزوة السويق"، و"السويق" هو طحين القمح عندما يحمص أو الشعير عندما يطحن يسمى سويقًا. وكانت أكله طعام مشهور عند العرب في الجزيرة. فـ (أبو سفيان) نذر أنه لا يمسه ماء إلا أن يرجع لينتقم لصناديد قريش من ذلك. وكان عدد القتلى في بدر من قريش سبعين، والأسرى كانوا سبعين. فلما رجعوا بهذه الهزيمة وسمع بها (أبو سفيان) تواصوا بينهم ألا يكون حتى ينتقمون لقتلاهم، وعلى أسراهم أيضًا الذين أُسروا. وقالوا: ألا يسمع محمد بنا فيشمتوا فينا. فأرادوا ألا يقيموا أي مراسم للقتل ولا شيء حتى ينتقموا لقتلاهم. فنذر (أبو سفيان) ألا يمس ماء حتى ينتقم – كما قال الحافظ في كلامه: **(نذر أبو سفيان أَنْ لا يمس رأسه بماء حتَّى يغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم)**.
- **(فخرج في مئتي راكب)** وكان في ذي الحجة. والمعركة كانت في رمضان، فظل هذا الرجل لا يمس الماء شهرين لكي يرجع مرة أخرى. فجاء إلى جهة "العريض" متسللًا مع مئتي راكب.
- **(وبات ليلة وحده في بني النضير)**، والذي بات عنده كان يهوديًا، وأطعمه، وقالوا أنه أتى له بخبر القوم، **(وَنَطَقَ لَهُ من خبرِ النَّاسِ)** أي تحسس له أخبار المسلمين.
- وادي "العريض هذا وادي معروف في المدينة جهة الشرق. فجاء فجلس عند هذا الرجل، وعرف أخبار المسلمين.
- **(ثُمَّ أصبح في أصحابه)** ذهبوا إلى بعض نخيل المدينة الموجود على أطراف المدينة وقطعوه– عملية إنتقامية كما يقال– قطعوا الكثير من النخيل الصغير. وقتلوا رجلًا من الأنصار كان موجودًا وحليفًا لهم، ثم أراد الرجوع.

- فلما نَذِر –أي سمع– النبي صلى الله عليه وسلم به، لم يتركه، خرج في طلبه هو وبعض المسلمين، لكنه كان قد فر راجعًا، وما أدركه النبي صلى الله عليه وسلم وهو في فراره، وحتى يتخففوا من الأحمال كانوا يلقون بالطعام الذي معهم، وهو السويق هذا والأزواد، يلقونهم، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة، لذلك سميت: "غزوة السويق" لذلك.
- وهذه كانت في ذي الحجة في السنة الثانية. وأيضًا رجع النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ولم يحدث قتالًا فيها أيضًا.
- وهي فيها مسألة، أصل أصيل عندنا لابد أن تستنبطوه؛ أن أهل الكفر لا يمكن أن يتوقفوا عن كيدهم؛ قال تعالى: {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا} [الطارق: 15] أي حتى لو قُتلوا منهم في بدر فما زالوا بيخططون على الإنتقام، وما زالوا سيخططون حتى تأتي غزوة أحد والخندق وغير ذلك. وهذا يبين لك بأن أهل الكفر عمومًا لن يألوا جهدا في حرب وقتال المسلمين، هذا دينهم إلى قيام الساعة، الصراع بين أهل الكفر وأهل الإسلام، وأنك لو كان عندك فقه بالواقع الذي حدث أو بالتاريخ والسيرة ستعلم أن أهل الكفر لا يمكن يسالمون أهل الإسلام، وإن كان يحدث هُدَن قليلة في بعض الوقت لكن الصراع مستمر. لأن عقيدته أنه لا يريدك، وأنه يريد دائما أن يبيدك أو يقتلك أو يكون له هو العلو. هذا أصل عنده.
- فلذلك الصراع الذي بين أهل الكفر وأهل الإسلام هو صراع مستمر، ومغبون الذي يتصور أن الدنيا ممكن أن تعيش في سلام كما يدعون، وأن كل الناس تعيش مع بعض سواسية!
- إذًا الشيطان ما فائدة وجوده أصلًا؟! الشيطان ماذا يفعل أصالة؟! فإذا كان لا يترك أهل الإسلام بينهم وبين بعضهم، أي يجعل بينهم اختلافات وافتراقات، فما بالك بين أهل الكفر وبين أهل الإسلام!
- وسيأتي حتى في غزوة أحد أن الشيطان لما صاح في الغزوة قال: "قتل محمد" صلى الله عليه وسلم، ولما جاءهم في اجتماعهم لقتل النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة،

فالشيطان لن يترك هؤلاء، لكن هذا أصل لابد أن نتعلمه ونضبطه دائمًا؛ أن الصراع مستمر بين أهل الإسلام وبين أهل الكفر.

فصل: غَزْوَةُ ذِي أَمَرٍ

ثمَّ أقام صلى الله عليه وسلم بقية ذي الحجة، ثُمَّ غزا نجداً يريد غطفان، واستعمل على المدينة عثمان بن عفانَ رضي الله عنه، فَأَقَامَ هُنَاكَ صَفَرًا مِنَ السَّنَةِ الثالثة كله ، ثُمَّ رجع ولم يلق حربا.

- **(ثُمَّ غزا نجداً يريد غطفان)** لماذا غزا؟ سمع النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل غطفان تجمعوا لقتال النبي صلى الله عليه وسلم، فأراد أن يبادرهم هو قبل أن يبادروه. وهم كانوا في نجد. وبين المدينة ونجد حوالي ربعمائة وخمسين كيلو أو خمسمائة كيلو. فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى نجد، و(نجد) هي عاصمتها الرياض الآن.
- **(فَأَقَامَ هُنَاكَ صَفَرًا)** أي شهر صفر كاملًا من السنة الثالثة على الصحيح. **(واستعمل على المدينة عثمان بن عفانَ رضي الله عنه)** أيضًا. فأقام بنجد كل هذه المدة ثم رجع ولم يلقى حربًا، لأنه خرج النبي صلى الله عليه وسلم إليهم في أربعمائة وخمسون رجلًا. وهربت الأعراب أيضًا لما وصلوا إليهم، هربوا إلى رؤوس الجبال. فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ولم يقاتل في هذه الغزوة.

فصل: غَزْوَةُ بُحْرَان

ثم خرج صلى الله عليه وسلم في ربيع الآخر يريد قريشاً، واستخلف: ابن أم مكتوم، فبلغ بُحْرانَ معدِناً في الحجاز، ثم رجع ولم يلق حربا.

- أيضًا هذه غزوة بحران (بضم الباء) تسمى غزوة الفُرَع. والفُرَع هو وادي معروف يمر عليه من يذهب من المدينة إلى مكة. فخرج النبي صلى الله عليه وسلم هنا يريد "قريشًا". فهو الأول كان يريد غطفان في نجد، والآن خرج يريد قريشا، كأنه يريد قريش لكن هو يريد حقيقة إضعاف قريش. وخرج أيضًا للتجارة؛ خرج لإعتراض تجارتهم، ما خرج قتالًا كما كان في بدر. لكن هو علم بأنهم غيروا طريق التجارة من الساحل لطريق آخر، فهو خرج أيضًا في محاولة اعتراض أو الضغط عليهم في تجارتهم.
- واستخلف على المدينة (ابن أم مكتوم). وقلنا ما زال يستخلف النبي صلى الله عليه وسلم كلما يخرج، وبينا أن هذه سنة متبعة.
- **(فبلغ بُحْرانَ معدِناً في الحجاز)**، و"بحران" جبل، هو جبل يقال أنه يقع شرق مدينة رابغ. و"رابغ" هذا الميقات الخاص بأهل مصر والشام. فالذي يأتي من مصر أو من الشام يحرم من هذا الميقات أو الجحفة.
- **(ثم رجع ولم يلق حربا)** أيضًا، أي لم يدرك أحد فلم يلقى حربا. ثم كل هذه تبين لك تنوع أساليب الضغط على العدو؛ مرة بقتال، مرة بالذهاب للتجارة، مرة بمناوشات.

ثم تأتي غزوة بني قينقاع.

فصل: غَزْوَةُ بَنِي قَيْنُقَاعَ

ونقض بنو قينقاع – أحد طوائف اليهود بالمدينة – العهد، وكانوا تُجاراً وصاغة، وكانوا نحو السبع مئة مقاتل، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم عَلَيْهِمْ لِحِصَارِهِم. واستخلف على المدينة: بَشِيرَ بنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ. فحاصرهُم خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ونزلوا على حكمه صلى الله عليه وسلم، فشفع فيهم: عبد الله بن أبي ابن سلول ؛ لأنهم كانوا حلفاء الخزرج، وهو سيد الخزرج، فشفعه فيهم بعدما ألح على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا في طَرَفِ المدينة.

- بنو قينقاع إحدى قبال اليهود الثلاث التي كانت موجودة في المدينة؛ وهم بنو قريظة، وبنو قينقاع، وبنو النضير. فأول ما دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة عمل معاهدة بينه وبين اليهود؛ الثلاث قبائل، على ألا يتعرض لأعمالهم ولا مصالحهم ولا أموالهم ولا بيوتهم ولا غير شيء، وبشرط أنهم يوفوا بهذا العهد فلا يغدروا ولا يخونوا.
- وكعادة اليهود وهذه أصول، أنهم ما يوفون بعهد مطلقًا، حتى مع أنبيائهم ما كانوا يوفون بالعهود معهم، فكيف سيوفون مع النبي صلى الله عليه وسلم؟! لكن النبي صلى الله عليه وسلم كان لابد في دخوله للمدينة من السياسة أنه ينظر لمن معه من الأعداء، فيحاول أنه يرتب المسائل، فلا مانع أن تتم المعاهدات، لكن هو يعلم بحالهم، ولكن ينتظر إن خانوا العهد فلن يتركهم. وهذا الذي حدث في كل مرة سنراها الآن بفعل النبي صلى الله عليه وسلم معهم ما كان يتركهم إذا غدروا أو خانوا.
- وهذا أمر مشتهر في التاريخ، لابد أننا نؤصل وأنتم تعلمون وتنقلون ذلك لمن بعدكم بأن هذا الأمر متأصل في اليهود؛ الغدر والخيانة ونقض العهود، هذا أمر لابد أن يعلمه أهل الإسلام، فلا ينخدعوا بالدعاوى الكاذبة وما يروجونهم ويكتبونه في مناهج وتدرس في بعض البلدان. رأيت منهج تدريسي في بلد من البلدان، في الإبتدائي، "شالوم دخل يسلم على محمد" في الفصل وبيتقابلوا ولا توجد أي مشكلة! اليهودي مع المسلم وأنهم بيحاولوا أن ينقلوا للأولاد الصغار أن السلام ممكن مع هؤلاء! وهذا طبعًا كذب وبهتان وزور. ولابد أن تنتبهوا لهذه الدعاوي لأن هي أصبحت الآن بتغرز في الأجيال من تحت. لكن الحمد لله هم يكيدون والله عز وجل لا يترك ذلك. لكن لا بد تعلم هم لا بد سيكيدون، ويستخدمون المنافقين وغيرهم الذين يساعدونهم في ذلك.
- وطبعًا الناس بجهلهم وسيطرة الإعلام عليهم يظنون إمكانية المعايشة والسلام والوفاق وغير ذلك! وهذا أصلًا ليس موجودًا في أصولهم، بل هم في أصولهم ومعقدتهم إبادة المسلمين أصالة، لكن يستخدمون المنافقين ليصوروا لأهل الإسلام غير ذلك، حتى يأتي الزمن الذي

أتى من قبل في زمن التتار والمغول لما قالت المرأة للرجل للمسلم: "انتظر هنا سأذهب اشتري شيء وارجع اقتلك" من ذلة المسلم أنه كان ينتظر قتله بنفسه، فهو ينتظر، من كثرة تحكمهم وذلة المسلمين وضعفهم كانوا يُقتلون أهل الإسلام بهذه الطريقة، ونحن لا نصل إلى ذلك. ولا بد أن ننتبه لهذا الذي يحدث في زماننا.

- وأنا قلت بأن أكثر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم في كل غزوة كبرى رجع وقاتل اليهود؛ بعد بدر هنا بنو قينقاع، وسيأتي بعد أحد النضير، وسيأتي بعد ذلك في الخيبر، أنه في كل مرة النبي صلى الله عليه وسلم يذهب للقتال، هم يتحينون أي شيء لو علموا النبي قد فاز أو انتصر ما يقبلون ذلك أصالة.
- لذلك بنو قينقاع من قبائل اليهود التي نقضت العهد مع النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت إثر غزوة بدر– التي كنا نتكلم عنها. ولما حدث ذلك جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم ينصحهم؛ أي بعدما انتصر في بدر ذهب إليهم لينصحهم، على ماذا؟ أن لا يصيبكم مثلما أصاب كفار قريش. أراد أن ينصحهم وأيضًا يدعوهم. لما جاء عن ابن عباس في سنن أبي داود: [لمَّا أصابَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ قُريشًا يومَ بدرٍ وقدمَ المدينةَ جمعَ اليَهودَ في سوقِ بني قينُقاعَ فقالَ يا معشرَ يَهودَ أسلِموا قبلَ أن يصيبَكم مثلُ ما أصابَ قريشًا قالوا يا محمَّدُ لا يغرَّنَّكَ مِن نفسِكَ أنَّكَ قتَلتَ نفرًا من قريشٍ كانوا أغمارًا لا يعرِفونَ القتالَ إنَّكَ لو قاتَلتَنا لعرَفتَ أنَّا نحنُ النَّاسُ وأنَّكَ لم تلقَ مثلَنا]. فردوا على النبي صلى الله عليه وسلم، فالنبي حذرهم ونصحهم لكنهم لم يقبلوا.
- فحدثت قصة في السوق؛ امرأة مسلمة ذهبت لتشتري من الصائغ ذهب وكانت مستترة وثيابها تجر في الأرض، فجاءها في غفلة منها أحد اليهود فربط ثوبها بدون أن تشعر من الخلف؛ أي أخذ طرف الثوب وربطه بشيء من أعلى، فلما قامت انكشفت عورتها، كأنه رفع الثوب لما قامت، فضحك اليهود، مجموعة من اليهود ضحكوا لما رأوا ذلك، فسمع أحد المسلمين بهذا، فدبت فيه الغيرة على النساء المسلمات، ولما انكشفت عورتها غار، فقام فقتل الصائغ،

فاجتمعوا عليه اليهود فقتلوه، فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم بذلك لما رأى من خيانتهم وعدم الوفاء بعهدهم والتربص بالمسلمين، تربصوا بالمرأة ثم قتلوا الرجل أيضًا، فجاء فحاصرهم، كما قال الإمام ابن كثير وغيره من أهل العلم أن هؤلاء نزل فيهم قول الله عز وجل: {كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ} [الحشر:15]. نزلت هذه السورة في بني النضير، لكن الله عز وجل يتكلم عن بني النضير يقول: {كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ} وهم بنو قينقاع {قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ} أي الله عز وجل يقول على أن بني النضير سيكونوا مثل بني قينقاع، سيذوقوا العذاب.

- فالنبي صلى الله عليه وسلم اجتمع وحاصرهم خمسة عشرة ليلة؛ من منتصف شوال إلى هلال ذي القعدة، حتى قذف الله عز وجل في قلوبهم الرعب. فنزلوا على حكم النبي صلى الله عليه وسلم، هم سيُقتلون، فقالوا ننزل على حكمك، فسلموا أنفسهم. وفك الحصار ونزلوا على الحكم في الرقاب وفي النساء وفي الذراري وفي الأموال. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يقتل الرجال؛ يأخذ النساء والأولاد، أو يتركهم.
- **(فشفع فيهم: عبد الله بن أبي ابن سلول)** وهو رأس المنافقين، أسلم وظهر إسلامه بعد بدر، وطبعًا لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، قلنا من قبل إن مكة كانت إسلام وكفر فقط، المسلمين والكفار، لأن الكفر كان عالي في مكة، والإسلام هو المستضعف. فلما دخل المدينة، علا قدر الإسلام، والنبي صلى الله عليه وسلم أراد قيام الدولة، فأصبح هناك اليهود الكفار والمسلمين، وهناك صنف من المنافقين، منهم (عبد الله بن أبي بن سلول) كان من الخزرج وكان سيولَّى عليهم جميعًا قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم، فحسد طبعًا النبي صلى الله عليه وسلم وعلم أنه ضاع منه الرئاسة وضاع منه كثير، فأظهر إسلامه بعد بدر، ودخل في الإسلام لكنه كان يبطن النفاق.
- فلما حدث ذلك من بنو قينقاع، وهم كانوا على حلف مع الخزرج، وهو كان سيد الخزرج، فشفع فيهم عند النبي صلى الله عليه وسلم. والنبي صلى الله عليه وسلم قبل في ذلك

الشفاعة، شفع فيهم أي أراد أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقتل رجالهم ولا يسبي نسائهم وزراريهم أيضًا. فلذلك النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتلهم، وقَبِل الشفاعة لكن أجلاهم من المدينة وكان هذا في جمادى الآخرة.

بعض الفوائد من أحداث غزوة بني قينقاع:

1. كيف هبت غيرة هذا الرجل المسلم على المرأة المسلمة التي فُعِل بها ذلك، هذه نخوة وعزة تكون في قلوب المسلمين، ألا يرتضوا لنساء أهل الإسلام أن يُفعل بهم هكذا، وهذا أمر محمود لا شك في ذلك، وهو دافع عن المرأة، وطبعًا هو يدافع عنها لأنه يراه دفاعًا عن الإسلام أيضًا، لأنهم أرادوا أن يستهزوا بها ويستهزؤا بالمسلمين، فقام فدافع عن ذلك.
2. وفيها أن النبي صلى الله عليه وسلم ما قَبِل أن يحدث ذلك، وكان وقت عزة للإسلام، وأنه ذهب وأجلاهم لإمرأة حدث فيها في السوق ما حدث، ولقتل المسلم بعد ذلك، فأجلاهم جميعًا من المدينة. طبعًا هم خانوا العهد لأنهم كان المفترض يتعرضون للمسلمين ولا يفعلون ذلك لا بالنساء ولا بالرجال، فلما خانوا العهد وغدروا، النبي صلى الله عليه وسلم قام وأجلاهم عن المدينة.

وهذه تبين لك عِز الإسلام حقيقة، وكيفية الدفاع عن الإسلام وأهله، أسأل الله أن يعيد لنا هذه الأزمنة مرة أخرى.

3. لكن هناك علاقة يجب أن تفهمها؛ كيف العلاقة بين اليهود وبين النفاق؟ المنافقون دائمًا على علاقة مع اليهود، هذا أيضًا أصل وضابط لابد تعلمونه؛ اليهود لابد لكي يعمل، يكون له أطراف من المنافقين الذين يُظهرون الإسلام في ديار الإسلام. فالذي شفع فيهم (عبد الله بن أبي بن سلول) وهو رأس المنافقين كما هو معلوم.

وهذا أيضًا تجده في كل زمان لا يعمل اليهود مباشرة، لأن اليهودي لو جاءك مباشرة لن تقبله! فهو يأتيك عن طريق المنافقين، ويجعلهم في المقدمة، يتعامل هو من

الخلف ويحرك. لذلك الحذر كل الحذر من أهل النفاق الذين هم يسقطون دائمًا الدول والدويلات الإسلامية على مر التاريخ. لكن نبين بأنه لابد من علاقة وثيقة بين أهل النفاق وبين اليهود.

- وممكن أن نقول أن النبي صلى الله عليه وسلم، أو عمومًا القائد أو الأمير ممكن أن يقبل الشفاعة فيما ليس فيه ضرر على الدين ولا على المسلمين. فلعل النبي صلى الله عليه وسلم رأى في تهجيرهم وعدم تقليب باقي اليهود عليه فيه منفعة أكثر من الضرر، وهذه مسألة سياسة شرعية يقررها الحاكم أو الأمير، ممكن يكون هو لا يرى أنه لو كان قتلهم كلهم ممكن يقلب باقي اليهود عليه فقبِل.
- وهذه ممكن يقول لك أنك ممكن تقبل شفاعة حتى الكافر أو المنافق إن كان ليس فيه ضرر في الدين ولا على المسلمين، وهذا الذي يُظَن بفعل النبي صلى الله عليه وسلم أنه أجلاهم لذلك، فهو معه جبهة قتال مع قريش، وما يريد قتال آخر مع اليهود وما معه في المدينة، فلو قتل منهم ممكن يقوموا عليه. فهذه ترجع للسياسة الشرعية في المصلحة هنا أو المفسدة.

فصل: قَتْلُ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ

وأما كعب بن الأشرف اليهودي، فإنه كان رجلاً من طيئ وكانت أُمُّهُ من بني النضير، وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، ويُشَبِّب في أشعاره بنساء المؤمنين، وذهب بعد وَاقِعَةِ بدر لِمَكَّة، وأَلَّبَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وَعَلَى المؤمنين ، فندب رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم المسلمينَ إِلَى قتله، فقال: [مَنْ لِكَعْبِ ابْنِ الْأَشْرَفِ؟ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ]. فانتدب رجالٌ مِنَ الأنصار، ثُمَّ من الأوس، وهم: محمَّد بن مَسْلَمَةَ ، وعَبَّادُ ابْنُ بشرِ بن وَقش، وأبو نائلة، واسمه: سلكان بن سلامة بن وقش، وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة،

والحارث بن أوس بن معاذ، وأبو عبس بن جبر، وأذن لهم صلى الله عليه وسلم أن يقولوا ما شاؤوا من كلام يخدعونه به، وليس عليهم فيه جناح، فذهبوا إليه، واستنزلوه من أُطْمِهِ ليلاً،

وتقدموا إليه بكلام موهم التعريض برسول الله صلى الله عليه وسلم، فاطمأن إليهم، فلما استمكنوا منه، قتلوه – لَعَنَهُ الله – وجاؤوا في آخِرِ اللَّيلِ، وكانت ليلة مقمرة، فانتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي، فلما انصرف، دعا لهم، وكان الحارث بن أوس قد جُرِحَ ببعض سيوف أصحابه، فَتَفَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى جُرْحِهِ، فَبَرِيءَ من وقته، ثُمَّ أصبح اليهود يتكلمون في قتله، فأذن صلى الله عليه وسلم فِي قَتْلِ الْيَهُودِ.

- هذه قصة مهمة جدًا أيضًا؛ قصة قتل (كعب بن الأشرف) اليهودي، وهذا كان من رؤوس اليهود، وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يهجو في الشعر فيتكلم في النبي صلى الله عليه وسلم. وكان أيضًا يسيء للمسلمات في شعره وللمسلمين أيضًا، يشبب بنساء المسلمين فيتكلم فيهم. ثم ما اكتفى بذلك، بل بعد وقعة بدر ذهب إلى قريش وأراد أن يقلب قريش مرة أخرى على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين في المدينة، أي كأنه بيستنهضهم ويستحثهم على الرجوع لقتال النبي صلى الله عليه وسلم، ويعاهدهم أنه سيساعد وغير ذلك. وهذا كله خيانة وعدم وفاء بالعهد أيضًا، لأن المفترض أن هناك عهد بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قبائل اليهود في المدينة.
- فالنبي صلى الله عليه وسلم لما رأى منه ما رأى، وأنه لم يرجع عن ذلك، أراد قتله، فانتدب رجالًا من الأنصار –الذي قلناهم الآن المجموعة التي قالها– ومنهم أخًا له كان في الرضاعة، وذهبوا إليه. **(واستنزلوه من أُطْمِهِ)**، الأطم: هو الحصن الذي كان عنده؛ حصن من حجارة، وكان عنده قصر أيضًا. فاستنزلوه منه ليلًا؛ أي طلبوا أن ينزل يتكلمون معه.

- هنا طبعًا قبل أن يذهبوا، (محمد بن مسلمة) ومن معه استأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم أنهم سيخوضون فيه؛ أي سيضطروا أن يقولوا كلام عن النبي صلى الله عليه وسلم ممكن يؤدي إلى الكفر، فقط حتى يطمئن هو بأنهم جاءوا متضجرين وتاركين لما عند النبي صلى الله عليه وسلم فيستقبلهم– وهذا من الخداع. فاستأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم فأذن لهم أن يقولوا ما يقولوا.
- وهذه مسألة طبعًا لها تفريعات، لكن مهمة هنا لأنه قال: **(وتقدموا إليه بكلام موهم التعريض برسول الله صلى الله عليه وسلم، فاطمأن إليهم)** أي تكلموا في النبي صلى الله عليه وسلم، ولها قصة مطولة، فمن أراد أن يرجع في المطولات في "زاد المعاد" وغيره سيجد التوسع.
- فتكلموا هنا في النبي صلى الله عليه وسلم، فهو شعر بأنهم ينتقلون من النبي صلى الله عليه وسلم والإسلام رجوعًا له. حتى جاء في صحيح البخاري قصة ممكن نقرأها: [فَقَامَ مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ فقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، أتُحِبُّ أنْ أقْتُلَهُ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: فَأْذَنْ لي أنْ أقُولَ شيئًا، قالَ: قُلْ،] "أي قل ما تريد" [فأتاهُ مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ فقالَ: إنَّ هذا الرَّجُلَ قدْ سَأَلَنا صَدَقَةً،] "محمد بن مسلمة ذهب لليهودي (كعب) ويقول له أن النبي صلى الله عليه وسلم قد سألنا صدقة"" [وإنَّه قدْ عَنَّانا، وإنِّي قدْ أتَيْتُكَ أسْتَسْلِفُكَ،] "أي ضغط علينا أنه يريد منا مالًا" [قالَ: وأَيْضًا واللَّهِ لَتَمَلُّنَّهُ،] "أي: نحن تمللنا منه" [قالَ: إنَّا قَدِ اتَّبَعْناهُ، فلا نُحِبُّ أنْ نَدَعَهُ حتَّى نَنْظُرَ إلى أيِّ شَيءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ،] "أي: نحن دخلنا معه هننتظر لنرى إلى أين سيصل شأنه ونرى سنكمل معه أم لا نكمل معه" [وقدْ أرَدْنا أنْ تُسْلِفَنا وَسْقًا أوْ وَسْقَيْنِ، فقالَ: نَعَمِ، ارْهَنُونِي، قالوا: أيَّ شَيءٍ تُرِيدُ؟ قالَ: ارْهَنُونِي نِساءَكُمْ، قالوا: كيفَ نَرْهَنُكَ نِساءَنا وأَنْتَ أجْمَلُ العَرَبِ؟! قالَ: فارْهَنُونِي أبْناءَكُمْ، قالوا: كيفَ نَرْهَنُكَ أبْناءَنا، فيُسَبُّ أحَدُهُمْ، فيُقالُ: رُهِنَ بوَسْقٍ أوْ وَسْقَيْنِ؟!] "أي: هنرهن أبنائنا لأجل وسق أو وسقين!" [هذا

عارٌ عَلَيْنا، ولَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ] "أي: آلات السلاح؛ الدروع والسيوف، نرهنك هذه الأمور [قالَ سُفْيانُ: يَعْنِي السِّلاحَ] (سفيان) هو راوي الحديث. فوافق على ذلك واطمئنن إليهم.

- طبعًا القصة أطول من ذلك لها تفاصيل، فالأول، ذهب أخوه من الرضاعة –الذي ذكرنا اسمه– فكلمه فاطمئن إليه، فرجع وأحضر المجموعة، فتسللوا داخل القصر، ولما نادى عليه ونزل له هجموا عليه وقتلوه. **(فلما استمكنوا منه، قتلوه)**.
- وكان (الحارث) أحد سيوف المجموعة جاءت فيه جرحته؛ أي أصيب بسيف من أصحابه وهم يضربونه، فجُرح بذلك. فلما رجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكان يصلي– كانت الليلة قمرية كان يقيم الليل– بشروه بأنهم قد قتلوه، فالنبي صلى الله عليه وسلم تفل على جرح (الحارث بن أوس) رضي الله عنه، فبرئ كأن لم يكن به شيء. وهذه طبعًا من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم.
- وهنا الذين قتلوه كان أغلبهم من الأوس، فالأوس قتلوا (كعب بن الأشرف)، ثم الخزرج – سيأتي بعد ذلك– سيقتلوا أيضًا (أبي رافع بن أبي الحُقَيق) وهذا كان من كبراء يهود قريش، والنبي صلى الله عليه وسلم أراد قتله، سيأتي قصته بعد وقعة أحد، أيضًا سيقتل عن طريق مجموعة الخزرج هذه.

وهنا المسألة هذه فيها فوائد حقيقة مهمة:

1. تربية من النبي صلى الله عليه وسلم أن من حاد الله وحاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآذى الله وآذى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا من المحاربين، ولابد أن أن يُقتَص منه. ولابد أن يُنتصر، ولم يكن الإنتصار فقط لشخص النبي صلى الله عليه وسلم، بل كان الإنتصار للدين. وطبعًا أذية الرسول صلى الله عز وجل من أذية الله عز وجل ومن أذية الإسلام، لذلك نحن ليس لنا لمن سب النبي أو تعرض للنبي أن نعفو عنه، بل علينا أن نقتص للنبي صلى الله عليه وسلم منه إن استطعنا ذلك. لأن النبي صلى الله عليه وسلم يعفو في حياته إن أراد ذلك، أما بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فعلينا أن ندافع عن

النبي صلى الله عليه وسلم وعن عرض النبي صلى الله عليه وسلم وعنه، لأنه من تعرض له لابد له من وقفة، ولابد له من عقاب، ولابد من قصاص منه، وهذا طبعًا منوط بالاستطاعة، لكن هذا من حقوق النبي صلى الله عليه وسلم علينا. وهنا النبي صلى الله عليه وسلم يبين ويربي الصحابة على أنه من حاد الله وحاد رسوله وطغى وتجبر وأفسد وفتن الناس– فهو قد ألقى شعرًا يتكلم فيه في نساء المسلمات أيضًا– عليه أن يقام عليه حكم الله عز وجل في حال تمكن أهل الإسلام على ذلك.

2. وهنا يبين لك أيضًا، انظر (كعب بن الأشرف) ماذا فعل؟ اليهود لن يتوانوا عن المسلمين أبدًا، فلما حدثت غزوة بدر وانتهت وقُتل من قُتل، ذهب (كعب بن الأشرف) إلى قريش ليتمال مع قريش على أهل الإسلام، يحاول أن يحفزهم ويقول لهم نحن معك ويجمع لهم وغير ذلك، وهذا يبين لك أن المؤامرات اليهودية والمؤتمرات اليهودية ضد أمة الإسلام من عهد النبوة. انظروا! بعد أول غزوة؛غزوة بدر، وهزموا، ما (كعب بن الأشرف)، ذهب إليهم وعقد المؤتمر معهم والتحالف، كل هذا ليكيدوا بأمة الإسلام كما تمال (كعب) مع قريش على النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذا الذي نحن نعيشه ولابد أن نفهمه ونكرره مرارا وتكرارا؛ أن هذا دأب اليهود في كل زمان ومكان، وأنهم يعقدون المؤتمرات ضد المسلمين، ويتحالفون ضد المسلمين، وينتقون المنافقين من بين أهل الإسلام ليكونوا عملاء لهم يحققوا المآرب لهم. ولا بد أن نستيقظ ولابد أن نعلم أنه لا مهادنة ولا سلام ولا يمكن أن يكون مع هؤلاء غير ما شرعه الله عز وجل لنا من علو الإسلام عليهم ومعاملاتهم بالمثل كما يفعلون معنا.

3. هنا طبعًا مسألة مهمة أيضًا؛ اختيار النبي صلى الله عليه وسلم للمجموعة التي تنفذ، وهذه أيضًا في أي مجال سواء كنت في جهاد، كنت في دعوة، كنت في عمل، أنك تختار المجموعة المناسبة. فاختار لهم بعض الناس، أحدهم أخوه من الرضاعة، والثاني قريب له

حتى يستطيع أن ينفذ المهمة. من الأهمية بمكان أن القائد عندما يحتاج ليخطط، أن يختار العناصر أو الأناس الذين يساعدونه في تنفيذ المهمة.

4. فيها أيضًا مسألة مهمة جدًا كيف استجابة الأصحاب لأمر النبي صلى الله عليه وسلم، أول ما قال: [**مَنْ لِكَعْبِ ابْنِ الْأَشْرَفِ؟**] لم يتوقف أحد، فورًا، قام (محمد بن مسلمة) وغيره وغيره أرادوا أن ينالوا هذا الشرف عندما يأمر ويأتيك أمر شرعي فيه السمع والطاعة. كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال: (من؟) كيف انتدب هؤلاء لقتله في الحال تقربًا إلى الله عز وجل. وليس نحن الآن! الكفار يقتلون في المسلمين وما زال هناك أشخاص يتكلمون يقولون لك كيف تجاهد؟ وكيف لا تجاهد؟ وصحح جهادك؟ ما هذا الذي يحدث؟ يتكلمون في من يجاهد! بدلًا من أن يخرج ليؤيد الذي يجاهد –حتى لو عنده ما عنده– يؤيده ويدعمه ولا يخذله. لا، بل يتكلم عليه! ولو ظهر منه أشياء ممكن تحتاج إلى ضبط، ويترك الذي يخذل والذي لا يساعد ولا يتكلم! فأي هذا اتباع لأوامر الله عز وجل؟ الكفار لما يهاجموا على المسلمين الأصل أننا ندعم أهل الإسلام بكل ما عندنا، ولا نتكلم الآن في بعض ما يفعلونه، وقد يكون محل اجتهاد فيها تُقبَل أو لا تُقبَل.

وهذا الذي يبين لك الفارق أن هؤلاء لما يأتيهم الأمر ولما تكون المسألة علاقة بين إسلام وكفر، ينتهي الأمر! ليس الآن محل قبلية ولا أوس ولا خزرج ولا أنصار ولا مهاجرين! لا، هذا مع إسلام. فلا بد أن الكل يجتمع مع أهل الإسلام ويقاتلوا أهل الكفر.

5. فيها مسألة أيضًا، لابد أن يكون لك نوع من الحمية في الدين؛ فالورع الجاف هذا والزهد البارد لا ينفع! النبي صلى الله عليه وسلم لما قال [**مَنْ لِكَعْبِ ابْنِ الْأَشْرَفِ؟**] قام الناس حمية للدين. وليس كالآن! ورع وزهد بارد أصالة لا حتى يحزن ولا يقوم ولا ينتصر لإخوانه ولا للدين! وهذا مذموم. انظر كيف هؤلاء لما قال النبي صلى الله عليه وسلم، قاموا لذلك ودفاعا عن الإسلام، وعن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن الله عز وجل.

6. مسألة أخرى؛ لما حدث الخطأ مع (الحارث) عندما جرح بسبب إخوانه ما فعل لهم شيء، وما عنفهم، وهذا ممكن أن يحدث. فقد يصيبك شيء من بعض الإخوان من غير قصد، لابد من إقالة العثرة، وهذا الذي فعله (الحارث) رضي الله عنه، لأنه ما فعل شيئا لإخوانه لما جرحوه، بل انظر لما فعل (حذيفة) رضي الله عنه وأرضاه –كما سيأتي معنا في أحد– (حذيفة) أبوه قُتِل خطأ، كان معه في المعركة وظن المجاهدين أن أبوه من المشركين وحتى اجتمعوا عليه، و(حذيفة) يريد أن يدفع فقال كلمة ستأتي معنا في أحد، ففهموا أنه أيضًا من المشركين فقتلوه، ما لحقه، فالنبي صلى الله عليه وسلم عرض على (حذيفة) الدية، فقال: "هي لعموم المسلمين"، ما رضى أن يأخذ دية أبيه، قُتِل خطأ في أُحد وكان على أهل الإسلام، قتلوه خطأ وما أخذ فيه الدية، حتى قالوا ارتفع قدره عند النبي صلى الله عليه وسلم كثيرًا من بعد هذا الأمر، وكأنه أقال عثرة إخوانه الذين قتلوا أباه خطأ في أُحد.

فصل: غَزْوَةُ أُحُدٍ

مشتمل على: غزوة أحد مختصرة.

وهي وقعة امتحن الله عز وجل فيها عباده المؤمنين، واختبرهم، وميز فيها بين المؤمنين والمنافقين. وذلك: أن قريشاً حين قتل اللهُ سَرَاتَهُم بِبَدْرٍ، وأُصيبوا بمصيبة لم تكن لهم في حساب، ورأس فيهم أبو سفيان ابن حرب لعدم أكابرهم، وجاء – كما ذكرنا – إلى أطراف المدينة في غزوة السويق، ولم ينل ما في نفسه، شَرَعَ يجمع قريشاً، ويؤلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى المسلمين، فجمع قريباً من ثلاثة آلاف من قريش والحلفاء والأحابيش، وجاؤوا بنسائهم لئلا يَفِرُّوا، ثُمَّ أقبل بهم نحو المدينة، فنزل قريباً من جَبَلِ أُحُدٍ بمكان يقال له: عَيْنَيْنِ، وذلك في شَوَالٍ من السنة الثالثَةِ .

واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه: أَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ، أَمْ يَمْكُثُ فِي الْمَدِينَةِ؟ فَبَادَرَ جَمَاعَةٌ مِن فُضَلاءِ الصَّحَابَةِ مِمَّن فاته الخروج يوم بدر إلى الإشارة بالخروج إليهم، وألحوا عليه صلى الله عليه وسلم في ذلك، وأشار عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أُبَيْ ابْنُ سَلُولَ بِالْمُقَامِ بِالْمَدِينَةِ، وتابعه على ذلك بعض الصحابة، فَأَلَحّ أولئك على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنهض، ودخل بيتهُ، وَلَبِسَ لأمَتَهُ، وَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، وَقَدِ انْتَنَى عَزْمُ بعض أولئك، فقالوا: يا رسولَ اللهِ! إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَمْكُثَ فِي الْمَدِينَةِ، فَافْعَلْ. فقال: [مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لأمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ].

وَأَتَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، فَصَلَّى عَلَيْهِ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ .

- هذا الجزء الأول في غزوة أحد، وطبعًا هنا غزوة أحد ذكرها الحافظ هنا باختصار، سنتكلم معنا بقدر ما نستطيع، لكن من أراد أن يستمتع بالغزوة والفوائد والعبر التي فيها يرجع إلى "زاد المعاد" لابن القيم حقيقة أفرد في الفوائد والحكم والأمور المستنبطة. وحقيقة فيها كلام نفيس جدًا لمن أراد أن يزيد في المعرفة والتعلم فيرجع لذلك. نحن سنحاول إن شاء الله نبين ما نستطيع كما بينا في بدر نبين في أحد، لأن فيها أيضًا أمور كثيرة جدًا، فنسأل الله التيسير.
- وهذا الفصل ساقه الحافظ ابن كثير عليه رحمة الله تعالى اختصارا في غزوة أحد، وكانت غزوة أحد في شهر "شوال" من السنة الثالثة للهجرة. وهي معركة عظيمة كانت أيضا فيها محض ابتلاء وتمحيص من الله عز وجل للمسلمين وللمؤمنين أيضًا، وكانت بجوار المدينة من الناحية الشمالية من ناحية جبل أحد.
- وجبل أحد هذا من الذي جاء في السنة في حديث وأكثر، لما وقف النبي صلى الله عليه وسلم وقال: [أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ] ومع أنه جمادات. وتوجد رواية لما وقف هو و(أبو بكر) و(عمر) و(عثمان) فارتج أحد، فقال: [اثْبُتْ أُحُدُ؛ فإنَّما عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وصِدِّيقٌ،

وشَهِيدَانِ]، وكانت نبوءة؛ والنبي صلى الله عليه وسلم معروف، والصديق (أبو بكر)، والشهيدان كان (عمر) و(عثمان) رضي الله عنهما.

- واشتهرت هذه المعركة بين المسلمين والكفار بغزوة أحد لأنها وقعت بجوار هذا الجبل المعروف.
- قال هنا: **(وقعة امتحن الله عز وجل فيها عباده المؤمنين)**. وهنا عقد المؤلف فصلًا بهذه الغزوة التي أعز الله عز وجل فيها المؤمنين، وأيدهم أيضًا بتأييده، وميز فيها أهل الإيمان من أهل النفاق، هذه الواقعة أظهرت للمسلمين أهل النفاق من أهل الإيمان، سنبين، لما فعله (عبد الله بن أبي بن سلول) لما رجع بثلث من معه ممن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك.
- لأن المسلمون كان لهم شوكة بعد بدر وبدأ يكون لهم قوة ولهم هيمنة. وعندما يحدث دائمًا علو الإسلام لابد تعلم أن النفاق لابد أن يكون موجود.. لماذا؟ لأنه لا يريد علوك، فيبدأ أهل النفاق يعملون مع الكفار حتى يفتتون في العضد.
- وللأسف تجد بعض الذين مفترض أنه من أهل العلم ما ينتبه لما قد يُفعَل به ويُسحَب ليكون في جانب هؤلاء بدون أن يشعر! وهذه مكائد، لأن الشيطان حتى ممكن يأتي لبعض أهل العلم فيجعل له مكيدة فيجعله يتكلم بكلام هو أقرب لهؤلاء مع أنه ليس من هؤلاء! وهذه نسأل الله أن يعافينا جميعًا من ذلك وأن يثبتنا على الطريق الصحيح.
- فنقول بعد أن صار أهل الإسلام في شوكة وفي قوة، أراد كفار قريش أن يردوا على ما حدث في بدر، فاجتمعوا في أُحد في السنة الثالثة، وأراد الله عز وجل أن يميز صفوف أهل الإيمان عن أهل الكفر، وهذا الحدث لما انخزل (عبد الله بن أبي بن سلول) بثلث الجيش الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم لما تحركوا، وقد خرجوا من المدينة –كما سيأتي معنا– في ألف، وفي الطريق انخزل (عبد الله بن أبي بن سلول).

- قال: **(وهي وقعة امتحن الله عز وجل فيها عباده المؤمنين، واختبرهم، وميز فيها بين المؤمنين والمنافقين. وذلك: أن قريشاً حين قتل اللهُ سَرَاتَهُم بِبَدْرٍ)**، سرات: هم الخيار؛ أي خيارهم وكبراءهم وساداتهم، أغلبهم قتلوا في بدر.
- **(وأُصيبوا بمصيبة لم تكن لهم في حساب)** أي حدث فيهم في بدر ما لم يحتسبوا. وهم ما استطاعوا أن ينسوا ما حدث لهم في بدر في هذه الغزوة، كانوا يظنون أنهم سيذهبون يشربون الخمور ثلاثة أيام ويسبحون ويأكلون ثم يرجعون. والذي حدث أنهم ما رجعوا، غالبهم، الكبراء قتلوا، السبعين، ثم ترأسهم بعد ذلك (أبو سفيان بن حرب).
- وأبو سفيان لم يكن كبيرهم، كان كبيرهم (أبو جهل) و(أمية) وغيره، لكن لما قتل هؤلاء أصبح رأسهم بعد ذلك (أبو سفيان بن حرب) رضي الله عنه لأنه أسلم بعد ذلك، لكن كان رأسهم في أحد إلى الخندق **(لعدم أكابرهم)** كما قال الحافظ، لعدم وجود أكابر غير (أبو سفيان).
- قال: **(وجاء – كما ذكرنا – إلى أطراف المدينة في غزوة السويق، ولم ينل ما في نفسه)**، لما رجع ونذر أنه لا يمس ماء في غزوة السويق ما استطاع أن يفعل شيء، فرجع، فما زالوا أيضًا في حال غيظ وكيد يريدون أن ينتقموا لما حدث في بدر.
- فاجتمعوا، وأخذ يؤلب قريش ومن حول قريش حتى جمع **(قريباً من ثلاثة آلاف من قريش والحلفاء والأحابيش)** الحلفاء: الأحلاف الذين حالفوا قريش على النصرة، أي تعاهدوا معهم أن ينصروا قريش. والأحلاف هذه موجودة حتى في الجاهلية؛ أي فلان يحالف قريش أو يحالف بنو فلان، فلو حدث اعتداء فيحالفه، أي يقاتل معه، ولو طلبه في قتال يخرج ويقاتل معه، لأنه حليف له أصالة. والأحابيش: هؤلاء كما قال ابن إسحاق في سيرته: هم بنو الحارث ابن عبد مناة، والهون ابن خزيمة، وبنو المصطلق بن خزاعة. وقالوا أن هؤلاء سموا الأحابيش لأنهم تحالفوا في مكان اسمه الأحبش؛ جبل الأحبش عند مكة، فتحالفوا الثلاثة فسموا الأحابيش لذلك.

- فهؤلاء أيضًا اجتمعوا مع الأحلاف مع قريش واجتمعوا في ثلاثة ألاف مقاتل، **(وجاؤوا بنسائهم لئلا يَفِرُّوا)** لماذا لئلا يفروا؟ لأنه لما نساءهم تراهم وهم يفرون العرب لا تحتمل أن النساء تراهم هكذا، فأتوا بالنساء أولًا لتحرضهم على قتال المسلمين، وأيضًا إذا علم الرجال أن معهم نساءهم فلو هزموا فنساءهم سيكونوا في خطر، فيثبتوا ولا يفروا أبدًا. فهي علة أو الحكمة أن يأتوا بالنساء ليضمنوا أن يقاتلون حتى آخر قدر.
- **(ثُمَّ أقبل بهم نحو المدينة، فنزل قريباً من جَبَلٍ أُحُدٍ بمكان يقال له: عَيْنَيْنِ)** وهذا اسم الجبل الذي يقع على جنوب جبل أحد، وعُرِف هذا الجبل بعد ذلك بجبل الرماه، وهو الجبل الذي وقف عليه الرماه وحدث منهم ما حدث بعد ذلك.
- قال: **(وذلك في شَوَالٍ من السنة الثالثَةِ)** من الهجرة.
- **(واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه)**، لماذا استشار أصحابه هنا ؟ هو الآن استشار أصحابه لأنه الآن كان عنده اختيارين؛ إما أنه ينتظرهم يدخلوا المدينة فيقاتلهم في المدينة، وهذا كان ما أراده النبي أولًا صلى الله عليه وسلم أو ما كان يميل إليه، أو يخرج لقتالهم خارج المدينة. فالنبي صلى الله عليه وسلم شاور أصحابه، وهذه مصداقًا لقوله تعالى: {وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ} [آل عمران: 159]، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم يشاور الصحابة بين خيارين؛ البقاء في المدينة ويتحصنوا بالمدينة فإن دخل عليهم الأعداء قاتلوهم، أو يخرجوا لهم كما قلنا للمكان الذي وصلوا إليه ويقاتلونهم فيه.
- فبعض فضلاء الصحابة خاصة الذين لم يقاتلوا في بدر، فاتهم بدر، لأن قلنا بدر لم تكن خروج للقتال بل كان للعير، فأرادوا أن يشاركوا- فأشاروا على النبي صلى الله عليه وسلم بالخروج وألحوا في ذلك. والبعض قال إن شباب الصحابة كانوا يريدون ذلك أيضًا.
- أما (عبد الله بن أبي بن سلول) أشار على النبي صلى الله عليه وسلم بالمقام وعدم الخروج، وبعض الصحابة تابعه في ذلك أيضًا.

- لكن النبي صلى الله عليه وسلم لما وجد أن غالب الصحابة ووجد الشباب أيضًا كانوا يريدون الخروج **(فَأَلَحّ أولئك على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنهض، ودخل بيتهُ، وَلَبِسَ لأمَتَهُ، وَخَرَجَ عَلَيْهِمْ)** وبعدما دخل، بعض الصحابة لاموا الصحابة الذين ألحوا على النبي صلى الله عليه وسلم، كأنهم شعروا بأن النبي استحي منهم أو شيء أو دخل لذلك، فلاموهم على أنكم ألححتم في شيء واتركوه للنبي صلى الله عليه وسلم، فرجعوا بعضهم قالوا لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما لبس لأمة الحرب وخرج أرادوا أن يبينوا أن الأمر لك، لما شعروا أنهم ألحوا على النبي صلى الله عليه وسلم وأن هذا قد يكون فيه ما فيه، فأنه إن أراد أن يجعلها كما يريد في المدينة فيريد.
- **(فقالوا: يا رسولَ اللهِ! إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَمْكُثَ فِي الْمَدِينَةِ، فَافْعَلْ. فقال: [مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لأمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ])**، كأن لبس اللأمة في الحرب دلالة على عزم القائد على القتال– وهذه مسألة فقهية سنتكلم ممكن عليها في الدروس والعبر فيها– إنه كأنه شروع في القتال، ولذلك بعض الفقهاء قالوا لو لبس اللأمة كأنه بدأ في القتال، فليس له أن يعود، لأن في الأول قد يكون القتال عليك فرض كفاية، لكن لما تدخل أصبح فرض عين. أي هب أنك الآن كان الجهاد تطوع؛ جهاد طلب وليس دفع– وأنت شاركت، فطالما دخلت ليس لك أنك تقول اعذروني سأرحل! أصبح الآن عليك فرض عين بعدما كان فرض كفاية، كان الأمير مثلًا لم يستنهض الناس بالكلية وأشار لمن يريد أن يخرج يخرج، فإن دخل تحول عليه من فرض الكفاية لفرض عين. وهذا طبعًا في جهاد الطلب. فكأن النبي صلى الله عليه وسلم هنا بعد أن لبس اللأمة كأنه شرع في القتال، فليس له أن يعود فيه مرة أخرى، ولم يقبل النبي صلى الله عليه وسلم أن يخلع لأمته ويظل في المدينة.
- ثم قال: **(وَأَتَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، فَصَلَّى عَلَيْهِ)** وكانت جنازة لبني النجار وهو (مالك بن عمرو) رضي الله عنه كان توفي، فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وكان من بني النجار.

- ثم (اسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ).

وخرج إلى أُحُدٍ فِي أَلْفٍ، فَلَمَّا كانَ ببعض الطَّرِيقِ، انْخَزَلَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أبي في نحو الثَّلاثِ مئة إلى المدينة، فاتبعهم عَبْدُ اللهِ بنُ عَمْرِو بنِ حَرَامٍ وَالِدُ جَابِرٍ رضي الله عنهما يُوبِخُهُم، وَيَحْضُهُم عَلَى الرُّجُوعِ، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون، لم نرجع . فلما أبوا عَلَيْهِ، رَجَعَ عَنْهُمْ، وَسَبَّهُمْ وَاسْتَقَلَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بِمَن بقي معهُ حتَّى نزلَ شِعبَ أُحُدٍ فِي عُدُوةِ الوَادِي إِلَى الجبل، فجعل ظهره إلى أحدٍ، وَنَهَى النَّاس عن القتال حتى يأمرهم، فلما أصبح،

تَعَبّأ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلامُ للقتال في أَصحابه، وكان فيهم خَمْسُونَ فارساً، واستعمل على الرماة – وكانوا خمسين – عَبْدَ اللهِ بنَ جُبَيْرِ الْأَوْسِيَّ، وَأَمَرَهُ وأصحابهُ أَنْ لَا يَتَغَيَّرُوا مِنْ مَكَانِهِمْ، وَأَنْ يَحْفَظُوا ظُهُورَ الْمُسْلِمِينَ أَن يُؤْتَوْا مِن قِبَلِهِمْ .

وظاهر صلى الله عليه وسلم يوْمَئِذٍ بَيْنَ دِرْعَيْنِ .

وأعطى اللواء: مُصْعَبَ بنَ عُمَيْرٍ أَخَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ .

وَجَعَلَ عَلَى إِحْدَى الْمُجَنَّبَتَيْنِ: الزُّبَيْرَ بنَ العَوَّامِ. وعلى المجنبة الأخرى : الْمُنْذِرَ بنَ عَمْرِو الْمُعَنَّق لِيَمُوتَ .

واستعرض الشباب يومئذ، فأجاز بعضهم، وردَّ آخرين، فكان ممن أجاز:

1- سَمُرَةُ بنُ جُنْدَبٍ .

2- وَرَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ ؛ ولهما: خمس عشرة سنة .

وكان ممن ردَّ يومئذ:

1- أُسَامَةُ بنُ زِيدِ بنِ حَارِثَةَ.

2- وأسيد بن ظُهَيْرٍ.

3- والبراء بن عازب.

4- وزيد بن أرقم.

5- وزيد بن ثابت.

6- وَعَبْدُ اللهِ بن عمر.

7-وَعَرَابَةُ بْنُ أَوْسٍ.

8- وَعَمْرُو بنُ حَزْمٍ.

ثُمَّ أجازهم يوم الخندق .

وَتَعَبَّأَتْ قُرَيشُ أَيضاً، وهم في ثلاثة آلاف – كما ذكرنا –. فيهم:

مئتا فارس، فجعلوا على ميمنتهم خالد بن الوليد. وعلى الميسرة : عكرمة بن أبي جهل.

- هنا خرج النبي صلى الله عليه وسلم في أحد في ألف، ولما مشى بالطريق فعل فعلته (عبد الله بن أبي بن سلول) رأس المنافقين أراد أن ينخزل، وهذه مسألة عظيمة جدًا في الجيش، لما تخرج مجموعات ثم تذهب للقتال، ثم يرجع الثلث، فضعاف النفوس تهتز، وهذه حيلة معلومة عند أهل النفاق وعند الكفار أيضًا. لذلك من ضمن حِكَم قتل المرتد بعض الناس يقول لك لماذا بتقتل المرتد، ما الحكمة في قتله؟! هو كان مسلم وارتد! قلنا لأنه أصلًا بردته من حكم قتله زعزعته لإيمان بعض الضعفاء، بل كان كما قال الله عز وجل: {وَقَالَت طَّآئِفَة مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [آل عمران:72] فالضعفاء كانوا يدخلوا يسلموا أول اليوم ثم يكفرون

في آخر اليوم يقولون ما وجدنا في الإسلام ما أردنا، وكانت هذه حيلة منهم، وهم أصلًا ما دخلوا مسلمين، هم دخلوا يزعزعوا في ضعاف أهل الإسلام.

- فمن الحكم في قتل المرتد إن لو فتحت هذا الباب كل واحد يدخل ويخرج هيستغلوه مطية أهل الكفر يدخلوا ناس ويخرجوا ناس، ممكن يفعلوا ذلك للكيد بالإسلام. فجاء الإسلام ليقتل المرتد، أنت دخلت بإرادتك الإسلام ولم يجبرك أحد، هتخرج إما أنك تعود وتزيل الشبهة التي عندك وإما تعرف أن فيها قتل، لماذا؟ حتى نمنع الداخل أنه يدخل ويفت في عضد أهل الإسلام لأنه معناه أنه أراد سوءا. فهنا هذه مسألة مؤثرة جدًا. فالذي فعله (عبد الله بن أبي بن سلول) ليس بالأمر الهين؛ أن ثلث الجيش يرجع به ويتركه، فهذا يفت في عضد الجيش أصالة.
- لذلك لما رجع جاءه (عبد الله بن عمرو بن حرام) والد جابر رضي الله عنهما، وهذا طبعًا له قصة (عبد الله بن عمرو بن حرام) أنه قتل، هل أحد يعرف منقبته؟ أن الله عز وجل كلمه كفاحًا في الجنة، وطلب أن يعود، فقال كتب الله جل أنه لن يعود فيها من خرج، فقال أبلغ قومي بما رأيت، فنزلت فيه آيات لذلك. ولما جاء جابر يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أبيه قال أنها جنان وأن أبوك قد كلمه الله عز وجل كفاحًا.
- فـ (عبد الله بن حرام) رجع لـ (عبد الله بن أبي بن سلول) يعنفه ويسبه ويتوعده بما فعل أنه يرجع ويحثه على رجوع للقتال مع النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: **(لو نعلم أنكم تقاتلون، لم نرجع)** كأنه ليس هناك قتال، أنتم لا تقاتلوا! طبعًا هو لم يقاتل مع المسلمين في هذه المعركة أصالة.
- **(فلما أبوا عَلَيْهِ)** أي ما استجابوا لـ(عبد الله بن حرام) وبخهم ولامهم ورجع عنهم وسبهم أيضًا وقال: "سيغني الله عز وجل نبيه والمؤمنين عن نصرتكم". ولكن هذه طبعًا بينت لك التمايز. لذلك لا تحزنوا لما تجدوا في الابتلاءات وفي المصائب ظهور بعض الناس على حقيقتهم التي كانوا يخفونها، هذا تمايز من الله عز وجل لينقي الصفوف ليجعل أهل

الإيمان بحق هم الثابتين على الطريق، ويميز لك بين أهل النفاق. فأهل الكفر معلومين، لكن أهل النفاق أنت لا تعلمهم لأن المسألة في القلب، وقد يُظهِر لك أنه من أتقى الناس وأنت لا تعلم ما في قلبه، وهذه أمر يعلمه الله عز وجل، لكن لهم أمارات الله عز وجل يظهرها لنا، قال تعالى:{ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ} [آل عمران: 167]، طبعًا {وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ} هذا علم الظهور الذي تحدثنا عنه الأسبوع الماضي، أي يُظهِر لك أهل النفاق. وهم كاذبون {قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ} والله عز وجل بين لهم أنهم كاذبون في هذا القول، لأن أمر القتال ظاهر، والنبي صلى الله عليه وسلم خرج للقتال، لكنهم أهل كذب أصالة.

- ثم نزل بعد ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بما تبقى من الألف، حوالي سبعمائة معه نزل شعب أحد، وألصق نفسه بالجبل، أي جعل الجبل خلفه، **(فجعل ظهره إلى أحدٍ، وَنَهَى النَّاس عن القتال حتى يأمرهم)** أي لا أحد يقاتل حتى هو يبدأ أو هو يخبرهم، وهذه تبين لك وجوب طاعة الأمير في القتال. من أسوأ ما قد يأتي وهذا الذي حدث في أحد هنا مخالفة الأمير– ما بالك هنا مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم فيما أمر به– في القتال لأنه لابد من أمير وقائد في الحرب هو الذي يضع الخطة ويضع الطريقة وأنت عليك تنفذ، ارتضيته، هو عنده الحكمة، عنده الرشد، لأن المنازعة وكل واحد يعمل برأيه يحدث الفشل ولابد أن الناس يجتمعون على كبرائهم، لو كان قائد يُجتَمع عليه، لو كان عالم يُجتَمع عليه، وليس الذي يحدث! أن يفت في العلماء ويجرح فيهم ولا يسمع لكلامهم! وهذا يؤدي لاختلاف الناس عليهم. كذلك في القتال وفي الأمراء لابد أن يُستَمع لما يقوله، حتى في الجيش الحديث يقول لك نفذ الأول، لو عصى الأمر ممكن يقتلوه في الحرب لأنه الآن ليس مجال أنك تعصي وتخالف أمر القائد الموجود.

- فهنا النبي صلى الله عليه وسلم **(نَهَى النَّاس عن القتال حتى يأمرهم)** حتى يرتب الصفوف ويهيئ، ولا أحد يبدأ، **(فلما أصبح، تَعَبّأ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ للقتال)** أي تهيأ وتجهز للقتال. كان معه خمسون فارسًا واستعمل الرماه، جعلهم يصعدون الجبل، الذي هو ظهره له، وسيكون هو في ملاقاة كفار قريش يأتون عليه.
- وكانوا خمسين ومنهم أميرهم (عبد الله بن جبير) رضي الله عنه، وهو أوسي، أمَّره على الرماه وأمرهم ألا يتغيروا من مكانهم حتى قال: [إن رأيتُمونا تَخطفُنا الطَّيرُ، فلا تبرَحوا من مَكانِكُم هذا حتَّى أُرْسِلَ لَكُم] فلا تنزلوا من على الجبل، وهو إما أنهم سينتصروا أو سيُهزموا، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال: [إن رأيتُمونا تَخطفُنا الطَّيرُ] أي بنُقتَل، ما تنزلوا لنا، اصبروا أنتم على مكانكم، وطبعًا لو رأيتمونا حتى غنمنا ما تنزلوا اصبروا على مكانكم وغنائمكم ستكون لكم، أي أمرهم بعدم النزول من على الجبل تحت أي حالة من الحالات، بل الجلوس في جبل الرماه ولا يتغيروا من مكانهم أبدًا، لأن هذا ظهر المسلمين، هم بيحموا الظهر، فلو تركوا المكان، وهذا الذي حدث لما وجد (خالد بن الوليد) وقتها أنهم نزلوا فانكشف ظهر المسلمين فجائهم من الخلف، فقتل كثيرا منهم– فأكد عليهم هذا الأمر حتى قال: [إنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فلا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هذا حتَّى أُرْسِلَ إلَيْكُمْ، وإنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا القَوْمَ وأَوْطَأْنَاهُمْ، فلا تَبْرَحُوا حتَّى أُرْسِلَ إلَيْكُمْ.] في الاثنين لا تنتقلوا من مكانكم. وهذه طبعًا تعاليم واضحة صريحة من النبي صلى الله عليه وسلم لهم، أمرهم أن يحفظوا ظهور المسلمين.
- قال: **(وظاهر صلى الله عليه وسلم يَوْمَئِذٍ بَيْنَ دِرْعَيْنِ)**، أي ارتدى درعين النبي صلى الله عليه وسلم، ويستفاد من ذلك إتخاذ الأسباب، وهذا لا ينافي التوكل، بل هذا من تمام التوكل الأخذ بالأسباب، وإلا يكون تواكلًا! فأنت لما تخطط وتقاتل لابد أن تأخذ بالأسباب، ليس بالضرورة أن تكون أسبابك تفوق العدو، فالنبي صلى الله عليه وسلم خرج في ألف وأصبحوا سبعمائة، وهم ثلاثة ألاف، بل كان في بدر ثلاثمائة ونيف وهم كانوا تسعمائة، لكن المهم

أن تأخذ بأسباب القتال، فليست المسألة بالكثرة، ما قتلنا الناس بعدة ولا بكثرة لكن كان بشئ في القلب؛ إيمان وعقيدة مع أخذ بالأسباب، لذلك النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف ويدعو في الليل ومعه الأسباب، وهذا الذي لابد أن يكون؛ يجمع بين الاثنين. فهنا ظاهر بين درعين، وهذا من تمام التوكل الأخذ بالأسباب، وانظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم إمام المتوكلين، هو سيد الأنبياء والرسل سيد ولد (آدم)، ولبس درعين ليقاتل بهما ويتحصن بهما من ضرب العدو، وقلنا أن هذا من تمام التوكل.

- **(وأعطى اللواء: مُصْعَبَ بنَ عُمَيْرٍ)** اللواء: هو علم الجيش، وهذا كان من السنة، أن الجيش يكون له علم (راية) منها أنه يُرى من بعيد، ويعلم أن هذا جيش المسلمين، وفيه نوع من تحريك المشاعر وغير ذلك، والالتفاف، وهو أمارة وعلامة واضحة للجيش.
- **(وَجَعَلَ عَلَى إِحْدَى الْمُجَنَّبَتَيْنِ)** الجنب اليمين **(الزُّبَيْرَ بنَ العَوَّامِ)** والجنب اليسار **(الْمُنْذِرَ بنَ عَمْرِو الْمُعَنَّقَ لِيَمُوتَ)** وهنا (المنذر بن عمرو) هذا من الخزرج هو لقبه "المعنق ليموت" والمعنق أي المتقدم والمسرع، يقال أعنق ليموت: أسرع وتقدم ليموت شهيدًا في سبيل الله، فهو لُقِّب بذلك، كانت له سرعة في طلب الشهادة في سبيل الله، فهذا كان لقبًا له رضي الله عنه.
- و(المنذر بن عمرو) الخزرجي الأنصاري بدريّ ومن العقبة أيضًا، أي شهد بيعة العقبة وشهد بدرًا، وشهد أُحد طبعًا. وجعله النبي صلى الله عليه وسلم على الجنب الأيسر في الجيش، واستشهد بعد غزوة أحد وليس في الغزوة، لكن استشهد بعد الغزوة بحوالي أربعة أشهر تقريبًا، في غزوة أخرى تسمى (بئر معونة)– ستأتي معنا– وقُتِل فيها في أوائل السنة الرابعة، رضي الله عنه وعن الصحابة اجمعين.
- ثم ذكر: **(واستعرض الشباب)** وذكر لنا اسماء كُثُر من شباب الصحابة، هم كانوا بين الرابعة عشر والخامسة عشر، وليس كالآن! واحد وصل لثلاثين سنة وما زال لا يعرف شيئًا! أربعة عشر وخمسة عشر وهم تنازعوا والنبي صلى الله عليه وسلم لم يأخذ إلا إثنين:

(**سَمُرَةُ بنُ جُنْدَبٍ، وَرَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ**) و(رافع) أخذه في الأول. النبي صلى الله عليه وسلم كان بيتفقد الشباب، أي يسير يراهم، والذي يجده يستطيع القتال كان يأخذه، فأخذ (رافع بن خديج) أولًا فقط. فـ (سمرة بن جندب) قال لزوج أمه (وهو رجل أنصاري كان يربيه) قال: (أخذ النبي صلى الله عليه وسلم رافع، وأنا أصرع رافع) أي لو صارعته أضربه. فجاء الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله (سمرة) يقول كذا عن رافع، قال ائتِ بهما، فأتى به، قال: صارعه، فصارعه فصرعه (سمرة بن جندب)، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم معه. وأخذ (رافع بن خديج) لأنه كان ماهر في النبل؛ في الرمي، فهو كان مشتهر في الرمي بالنبل بطريقة جيدة. فأجاز النبي صلى الله عليه وسلم (رافع).

- (**وكان ممن ردَّ: أُسَامَةُ بنُ زِيدٍ، وأسيد، والبراء، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت، وَعَبْدُ اللهِ بن عمر**) وحتى (ابن عمر) له رواية، قال: [عَرَضَنِي رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يَومَ أُحُدٍ في القِتَالِ، وَأَنَا ابنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَلَمْ يُجِزْنِي، وَعَرَضَنِي يَومَ الخَنْدَقِ، وَأَنَا ابنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، فأجَازَنِي]. فلم يجز بعض الشباب، ولكنه أجازهم يوم الخندق وهم أبناء خمسة عشرة سنة، كما قلنا حديث ابن عمر في الصحيحين.
- وهنا يبين لك دور الشباب في الجهاد، وأنه إن كان الشباب مستطيع للجهاد فكانوا من قوام الجيش يقاتلون فيه، وليس أدل من ذلك على تولية النبي صلى الله عليه وسلم لـ (أسامة بن زيد) قيادة الجيش الذي أراد عن يخرجه قبل وفاته صلى الله عليه وسلم وامضاه (أبو بكر) وكان ابن ثمانية عشر سنة أيضًا.
- (**وَتَعَبَّأَتْ قُرَيشُ أَيضاً، وهم في ثلاثة آلاف – كما ذكرنا – فيهم: مئتا فارس، فجعلوا على ميمنتهم خالد بن الوليد. وعلى الميسرة : عكرمة بن أبي جهل**)

وكان أول من برز من المشركين يومئذ: أبو عامر الراهب، واسمه: عبد عمرو بن صيفي، وكان رأس الأوس في الجاهلية، وكان مترهباً، فلما جاء الإسلام، خُذِلَ، فَلم يدخل فيه، وجاهرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بِالعَدَاوَةِ، فَدَعَا عليه صلى الله عليه وسلم، فخرج من المدينة، وذهب

إلى قريش يُؤَلِّبُهُم عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَيَحُضُهُمْ عَلَى قِتَالِهِ، مع ما هم مُنْطَوُونَ عَلَى رسول الله وأصحابه من الْحَنَقِ، وَوَعَدَ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُ يستميل لهم قومه من الأوس يومَ اللقَاءِ حَتَّى يرجعوا إليه، فلما أقبلَ فِي عُبْدَانِ أَهل مكة والأحابيش، تَعَرَّفَ إِلَى قَوْمِهِ، فقالوا له: لا أَنْعَمَ اللهُ لَكَ عَيْناً يَا فَاسِقُ. فَقَالَ : لَقَدْ أَصَابَ قَوْمِي بَعْدِي شَرٌّ، ثُمَّ قَاتَلَ المسلمينَ قِتَالاً شديداً.

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذٍ : أَمِتْ أَمِتْ.

وَأَبْلَى يومئذٍ:

1 – أَبُو دُجَانَةَ سماكُ بْنُ خَرَشَةَ.

2– وَحَمْزَةُ عَمَّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، أَسَدُ اللهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ الله رضي الله عنه وأرضاه.

3–وكذا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

وجماعة من الأنصار، منهم :

4– أَنَس بنُ النَّضْرُ

5– وَسَعْدُ بنُ الربيع رضي الله عنهم أجمعين.

- هذا الجزء تعبئت قريش أي تجهزت للقتال، قلنا في ثلاثة آلاف وجعلوا (خالد بن الوليد) على جنب، وجعلوا (عكرمة ابن أبي جهل) على جنب –رضي الله عنهما لأنهم أسلموا بعد ذلك الإثنين.
- **(وكان أول من برز: أبو عامر الراهب)** وهو ليس براهب، هو كان من الأوس، وكان من أهل المدينة، ومع ذلك لما جاءه الإسلام خَذِل، الله عز وجل جعله من أهل الخذلان، ما قَبِل، بل إنحاز ترك المدينة وذهب إلى قريش، وما قَبِل الإسلام، وأصبح يؤلب قريش على

النبي صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك. والنبي صلى الله عليه وسلم دعا عليه، وسماه "الفاسق" ليس "الراهب"، هو كان يسمي نفسه "الراهب".

- وإبنه له قصة، وهذا مشهور جدًا **(حنظلة)** التي غسلته الملائكة- سيأتي الآن- وهو أيضًا من الذين قُتلوا في أُحد فـ (أبو عامر الراهب) هذا أبوه! انظر هذا الكافر الفاسق! فهو من صناديق الكفر الذين قاتلوا ضد النبي عليه السلام وكان يؤلب عليه، حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم سماه "الفاسق" وابنه كان من فضلاء الصحابة، حتى أنه لما سمع الجهاد كان متزوج جديد، وكان مع زوجته، فلما سمع "حي على الجهاد" تركها، وقاتل فقُتِل. فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم الملائكة تغسله، والأصل أن الشهيد لا يُغَسَّل، فقال: "ارجعوا فاسألوا أهل بيته"، فقالوا: "نعم كان على جنابته". سمع "حي على الجهاد" ما انتظر حتى يغتسل، فخرج إلى الجهاد. الله أكبر، انظر.. سرعة التلبية. فغسلته الملائكة. يكفيه هذا.. أن تُغَسِّلُه الملائكة.
- فلما ذهب هذا الفاسق (أبو عامر) وأراد أن يؤلب، فكأنه قال لقريش أنا سأضمن لكم قومي، سيؤلبهم ويكونون معه على النبي صلى الله عليه وسلم. فطبعًا لما رجع فقالوا: **(لا أنعم الله لك عينًا يا فاسق)**. علموا أنه فعل ما فعله، فقومه ما استجابوا إليه، كانوا آمنوا على إسلام، فما استجابوا إليه. هو أراد أن يكونوا يدًا له مع المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم، فهم قالوا له ذلك، فقال: **(لقد أصاب قومي بعدي شر)** هو كان يتوقع أنهم سيطاوعونه ويكونوا معه على النفاق والغدر والخيانة.
- **(ثُمَّ قَاتَلَ المسلمينَ قِتَالاً شديداً)** حتى أن (ابن كثير) يقول أن (أبو عامر الراهب) دخل المعركة وكان أول من تقدم للقتال، وكان عنده بغض شديد للمسلمين وكراهية، ونجى في تلك المعركة، أي ما قُتِل فيها.، ورجع إلى مكة، فلما فُتِحَت مكة فر هاربًا إلى الشام وبقي هناك كافرًا إلى أن مات.

- أما في معركة أحد قلنا أن ابنه (حنظلة بن أبي عامر) هذا ممن أبلى بلاء حسنًا في هذه المعركة، وحتى قالوا أنه سُمِّيَ بـ "غسيل الملائكة" قال النبي صلى الله عليه وسلم [رأيت الملائكة تغسله]. فلما سألوا عليه قالوا خرج إلى المعركة جُنُبًا. فانظر..الله لما يريد الهداية لأحد ويريد الخذلان لأحد فلا راد لقضائه سبحانه وتعالى. هذا كما يقال: "يخرج من الفاسق عالم" عند العوام يقولوا ذلك، انظر "غسيل الملائكة" وأبوه ظل كافرًا إلى بعد فتح مكة ومات في الشام كافرًا. وكان أبوه من ألد الأعداء وأشد الخصوم. قال تعالى: { يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ} [الروم: 19]، وحقًا هو حي والثاني هو الميت. (حنظلة) كان في تمام نصرة الإسلام والمسلمين، وينصر النبي صلى الله عليه وسلم، بل ما انتظر دقائق حتى يغتسل، وهذا يبين لك سرعة الاستجابة، سمع "حي على الجهاد" ما انتظر، قال أمر الله عز وجل وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالجهاد فخرج إلى الجهاد مسرعًا. وفي المقابل والده من ألد الأعداء وأشد الخصوم وأول المتقدمين لمقاتلة المسلمين.
- **(وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذٍ : أَمِتْ أَمِتْ)** وهنا الشعار يقصد به العلامة الصوتية، أي النداء الذي يكون بين أفراد كأنها كلمة السر التي تقال في الجيش الآن، يعرفون بعضهم بعض ويميزون، لأن كفار قريش من نفس بني جلدتهم، فالمهاجرين مع كفار قريش غير الأنصار، لكن ممكن يختلط كما حدث مع والد (حذيفة) رضي الله عنه وأرضاه لما قتلوه. فهم كان لهم شعار (أمت أمت) كأن هذه كلمة السر بينهم ويميزون بعضهم ببعض. فلو وجدوا في المعركة يسأله الكلمة، فلو قال له (أمت أمت) يعرف أنه من أهل الإسلام، وغير ذلك يعرف أنه من غير أهل الإسلام. وهذا يبين لك أن هذه سُنة، أنك ممكن يكن لك شعار أو شيء يعرف أهل الاسلام به بعضهم ببعض.
- **(وَأَبْلَى يومئذٍ: أَبُو دُجَانَةَ)** و(أبو دجانة) هذا يعني له قصص في هذه المسألة. وكان (أبو دجانة) رجلًا شجاعًا حقيقة. وهو له قصة أنه كان له عصابة يربطها بطريقة معينة، وكان لما يركب الفرس يدخل يتبختر بالفرس، فالنبي صلى الله عليه وسلم محمد قال: [إنها مشيةٌ

يبغضُها اللهُ إلا في هذا الموضعِ] لماذا؟ لأن هذه بتغيظ الكفار، تجعلك كأنك بتستهزئ بهم وأنت في قوة معنوية أعلى، وتفت في أعضادهم. والأصل أن التبختر هذا في الحياة العادية ليس للمسلم، لأن هذا تَكَبُّر، والكبر لا يكون إلا لله عز وجل سبحانه وتعالى هو له ذلك. أما المسلم فهذا ذم. فهنا (أبو دجانة) كان يفعل ذلك كان يتعصب العصابة ويفعل ذلك، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال له ما قال. وحقيقة أنه لما قال أنها مشية يبغضها الله إلا في هذا الموضع لأن يراد بها إغاظة الأعداء، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل يطوف في الكعبة، وقريش قالت سيأتيكم محمد وأصحابه الآن في وهن من حُمَّى المدينة، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال لهم أن يرملون؛ "الرمل"؛ أنهم يسيرون مسرعين حتى يبينوا القوة والجَلَد أمام الكفار فيغتاظ الكفار. وهذ سُنة، أنك أمام أهل الكفر تغيظهم، وأمام أهل الكفر تبين عزتك وعلوك، وأنك في ثقة، ولا أن تكون منكسر ومطأطئ رأسك! لا، إذا كان أصلًا (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه وأرضاه في العهدة العمرية لما فتح القدس وغير ذلك، اشترط على الكفار لما يسيروا في الطرقات يسيروا بجانبي الطريق، ويجعل صدر الطريق لأهل الإسلام، فأنت عندما تمشي كذلك فأنت مسلم فيك عزة تمشي في وسط الطريق وأي كافر يكون على جنبين، ولا يقف في وجهك وهو يمشي. أسأل الله عز وجل أن يرد هذه الأيام لنا وهذه الأزمنة. يبين لك كيف أن المسلم له عزة، وليس الآن! يقول لك المسلم مثل الكافر، اليهودي مثل النصراني مثل المسلم! هذا تضييع لاصل العقيدة وتكفير ويخرجوا الناس أصلًا من الدين! المسلم مسلم، الله عز وجل قال: {وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا} [النساء: 141]، و "الإسلامُ يعلو ولا يُعلَى عليه". ما قبل الله عز وجل أن المسلمة تتزوج من كافر، لماذا؟ لأن الرجل له قوامة، فكيف يكون للكافر قوامة على المسلم ولو كانت امرأة ؟! ولكن جعل الله عز وجل للمسلم أن يتزوج الكافرة لأن المسلم هو الذي له القوامة. فالإسلام يعلو في كل شيء، وله العزة في كل شيء، ولا بد أن تكون هذه عقيدتنا وعقيدة كل شبابنا ورجالنا ونسائنا أننا دائمًا نشعر بعزة الإسلام، حتى لو في وقت الضعف

والقت الذي فيه الهوان، لكن لابد أيضًا أن تشعر بداخلك بعزة ما أنت عليه وبقوتك أصلًا. هم يخافون من ذلك، لذلك هم يخافون من اجتماع الناس في الصلوات، يخافون من اجتماع الناس في الجمعة، يخافون من اجتماع الناس يوم الحج يصيبهم الرعب لما ينظروا لإجتماع المسلمين، لأنهم يعلمون أن اجتماع أهل الإسلام علامة على اجتماعهم وتآلف القلوب، فلا أحد يوقفهم. وهو شغلهم الشاغل كله هو فت عضد المسلمين والتفرقة بينهم أصالة. وللأسف البعض يستجيب لهؤلاء، بحجج واهية وينسحب لهذا الخيط، وتجده يتكلم بكلام يبلبل على الناس في هذه الأزمنة التي أصلًا نحن بالكاد نحاول نفهم الناس أصول الدين وأصول الإعتقاد وكيفية التعامل، فهو بدل ما يفهم الناس كيفية التعامل مع الكفر وكيف العقيدة، لا، بيتكلم في بعض أصناف المسلمين ونقدح في بعضنا بعضًا ونذم في بعضنا بعضًا. طبعًا أنا لا أتكلم عن بين الإسلام والكفر أو عن الطوائف التي قد كفرها أهل السنة والجماعة، أو التي تقول أقوال كفرية، لا، لا نتكلم مع هؤلاء، لكن نتكلم مع إخواننا من أهل الإسلام الذين لابد أن نتعامل معهم في أوقات معينة بطريقة فيها تحقيق مقصد من مقاصد الشريعة.

- **(وَأَبْلَى يومئذٍ: أَبُو دُجَانَةَ سماكُ بْنُ خَرَشَةَ، وَحَمْزَةُ)** وأيضًا (أبو دجانة) النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: [من يأخذُ هذا السيفَ بحقِّه؟] سيف النبي صلى الله عليه وسلم، فبعض الصحابة تقدموا. والمقصود (بحقه) أي ما يتركه، ما ينزله، يجاهد به طول اليوم في سبيل الله عز وجل. فأعطى السيف لـ (أبو دجانة)، وكان ممن أبلى بلاء حسنًا في قتال الكفار.
- لذلك كان دائمًا اذكر أحد الأخوة الأفاضل لما الشباب الصغار كانت تحفظ القرآن، وكان يعملوا حفلة تحفيظ القرآن، فكان دائمًا يقول له: (أتأخذ القرآن بحقه أم لا؟!) تعلم ما هو حق القرآن؟ فليس مجرد الحفظ فقط، بل العمل به، وهذا الذي لابد أيضًا أن نبينه، أن المسألة ليست حفظ الآيات والسور! لا، حق القرآن أنك تعمل به.

- ثم قال: **(وَحَمْزَةُ عَمَّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، أَسَدُ اللهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ الله رضي الله عنه وأرضاه)** وهو ممن استشهد طبعًا في أُحد –وله قصة لم يذكرها هنا– لكنه طبعًا أبلى بلاء حسنًا، والنبي صلى الله عليه وسلم أشد من حزن عليه في وفاته: كان (حمزة)، كان يحبه كثيرًا، كان قريب في السن بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم. لكن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحبه كثيرًا وقد قُتِل، وطبعًا معروف قصة (وحشي) في قتله.
- قال: **(وكذا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ)** وكان من أشجع الفرسان، كان سيفه له نصلان، لم يكن سيفًا عاديًا، لو ترجع للسير يقولون أن السيف تقريبًا كان وزنه قرابة الستين سبعين كيلو، أنا ما أدري كيف سيقاتل بسيف حوالي ستين سبعين كيلو! فيما اذكره الآن. فكان من أشجع الصحابة (عليّ) رضي الله عنه وأرضاه.
- قال: **(وجماعة من الأنصار، منهم: أَنَس بنُ النَّضْرُ، وَسَعْدُ بنُ الربيع رضي الله عنهم أجمعين)** كانت لهم قصص في معركة أحد ولهم بلاءات حسنة وظهور عظيم جدًا. و(أنس بن النضر) هو عم (أنس بن مالك). و(أنس بن النضر) له قصة، لم يحضر بدر، وحزن جدًا، فقال: لئن أبقاني الله لغزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم ليرين الله مني ما يراه" فلما حدث في أحد ما حدث، وجالت الدائرة على المسلمين وأشيع أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قُتِل، فجاء (أنس بن النضر) حمل سيفه ويدخل، قال: مالكم؟ قالوا: قُتِل النبي صلى الله عليه وسلم. قال: على ماذا تنتظرون في الدنيا؟ موتوا على ما مات عليه النبي صلى الله عليه وسلم. ثم قال: "**إني لأجد ريح الجنة من دون أحد يا سعد**"، فدخل فقاتل في الوقت الذي كانت الناس بترجع فيه، هو دخل فقاتل، وأبلى بلاء حسنًا، حتى قُتِل ووجدوا فيه سبعون ضربة، ما بين ضربة رمح أو سهم أو طعنة، سبعين، وبعضهم قال حتى كلها كانت أمامية، أي في صدره، ما كان مدبرًا بل كان مقبلًا، ما وقف، حتى ما عرفته إلا اخته ببنانه؛ ببعض أصابعه، من كثرة ما تغير في جسده من كثرة القتال والطعن وغير ذلك. ونزل فيه قول الله عز وجل: {مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَال صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ } [الأحزاب: 23]،

وأيضًا قال النبي صلى الله عليه وسلم: [إن من الناس من لو أقسم على الله لأبره]، قال وإن منهم أنس ابن النضر. قلنا استشهد في أحد وقاتل قتالًا عظيمًا لما قال: "**ما تصنعون في الحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم**" فقاتل حتى قُتِل.

نقف عند (فكانت الدولة أول النهار للمسلمين) لأن هذه فيها سياق المعركة وما فيها. نكتفي بهذا اليوم ونجعل الباقي مع الدروس المستفادة تكون في وقت آخر إن شاء الله.

سبحانك الله وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

جزاكم الله خيرًا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحاضرة الحادية عشرة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد،، على موعد اليوم مع درس من دروس السيرة والقراءة في كتاب (الفصول في سيرة الرسول) للحافظ ابن كثير–عليه رحمة الله تعالى– وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. كنا قد بدأنا الأسبوع الماضي في "غزوة أحد" وقطعنا فيها جزء من الكلام والنقل، وقفنا عند "وكانت الدولة في أول النهار للمسلمين".

قال الحافظ ابن كثير رحمة الله عليه:

وكانت الدولة أوّلَ النَّهار للمسلمين عَلَى الكُفَّارِ، فَانهَزَمُوا رَاجِعينَ حَتَّى وَصَلُّوا إِلَى نسائهم. فلما رأى ذلك أصحابُ عَبْدِ اللهِ بن جُبَيْرٍ، قالوا: يا قوم! الغنيمة الغنيمة، فَذَكَّرَهُم عَبْدُ اللهِ بنُ جُبَيْرٍ تَقَدُّمَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِلَيْهِمْ في ذلك، فظنوا أن ليس للمشركين رجعة،

وأنهم لا تقوم لهم قائمة بعد ذلك، فذهبوا في طلب الغنيمة، وَكَرَّ الْفُرْسَانُ مِنَ المشركين، فوجدوا تلك الفرجة قد خلت من الرماة، فجازوها، وتمكنوا، وأقبل آخرهم، فكان مَا أَرَادَ اللهُ تعالى كونه، فاستشهد مَنْ أكرمه الله بالشهادة من المؤمنين، فقُتِلَ جماعة من أفاضل الصحابة، وتولى أكثرهم، وَخَلَصَ المشركونَ إِلَى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَجُرِحَ فِي وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيتُهُ اليمنى السفلى بحجر وهشِّمت البيضة على رَأْسِهِ الْمُقَدَّسِ، وَرَشَقَهُ الْمُشْرِكُونَ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى وَقَعَ لِشِقِّهِ، وَسَقَطَ فِي حُفْرَةٍ مِنَ الْحُفَرِ الَّتِي كَانَ أَبُو عَامِرٍ الْفَاسِقُ حَفَرَهَا يَكِيدُ بِهَا الْمُسْلِمِينَ، فَأَخَذَ عَلِيٌّ بِيَدِهِ، وَاحْتَضَنَهُ طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ. وكان الذي تولى أَذَى رسول الله صلى الله عليه وسلم: عَمرو بن قَمِئَةَ، وَعُتْبَةَ ابْنَ أَبِي وَقَّاصٍ. وقيل: إِنَّ عَبْدَ اللهِ بن شهاب الزُّهْرِيَّ أَبَا عم مُحَمَّدِ بنِ مُسْلِمِ بنِ شِهَابٍ هُوَ الَّذِي شَجَّهُ صلى الله عليه وسلم.

وَقُتِلَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ رضي الله عنه بين يديه، فدفع صلى الله عليه وسلم اللواء إِلى عَلِيِّ ابْنِ أَبِي طالب رضي الله عنه، ونشبَتْ حَلَقَتَانِ مِنْ حِلَقِ الْمِغْفَرِ فِي وَجْهِهِ صلى الله عليه وسلم، فَانْتَزَعَهُمَا أَبُو عُبَيْدَةَ ابنُ الْجَرَّاحِ رضي الله عنه، وَعَضَ عَلَيْهِمَا حَتَّى سَقَطَتْ ثَنِيَّتَاهُ، فَكَانَ الْهَتْمُ يُزَيِّنُهُ، وَامْتَصَّ مَالِكُ بْنُ سِنَانٍ وَالِدُ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ الدَّمَ مِنْ جُرْحِهِ صلى الله عليه وسلم.

- هنا هذا الجزء يصف فيه الحافظ ابن كثير بدء المعركة؛ أول ما بدأت المعركة في أول النهار كانت الغلبة للمسلمين، والنصرة للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وكانت الهزيمة لأعداء الله ولكفار قريش. فحتى أن الكفار أعطوا المسلمين أكتافهم، أي هربوا من الخلف. هذه جملة دائمًا تجدوها في الكتب؛ بأنهم استداروا وأعطوهم الأكتاف وهربوا. فتركوا الساحة.
- والنبي صلى الله عليه وسلم- لو تذكروا- قد بيّن في أول الغزوة للرماة وكانوا عددهم (خمسين)، فخمسين رجلًا لما ارتقوا إلى جبل يسمى "جبل الرماة" وأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم ألا يغادروا الجبل تحت أي حال من الأحوال؛ قال حتى لو رأيتمونا تتخطفنا

الطير لا تنزلوا عن الجبل، ولو رأيتمونا أيضًا قد انقلبنا عليهم فلا تنزلوا، فالغنيمة لكم ستكون أيضًا.

- إذًا أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم ألا يتركوا مواقعهم في جبل الرماه، وألا ينزلوا من الجبل مهما كان الأمر حتى يأذن لهم النبي صلى الله عليه وسلم. وجعل عليهم (عبد الله بن جبير) الأوسي– رضي الله عنه.
- فلما رأى هؤلاء الصحابة – رضوان الله عنهم– الذين كانوا على جبل الرماة– جيش الكفار قد انهزم وولوا حتى وصلوا إلى نسائهم الذين كانوا معهم أيضًا، ورأوا بعض المسلمين أسفل يجمعون الغنيمة، فهنا رأوا النزول وترك الجبل حتى يشاركوا إخوانهم في أخذ الغنائم، ظنًا منهم أنهم أنه لن يرجع المشركين مرة أخرى، وهذا مخالفة لما أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال لا تنزلوا حتى آذن لكم.
- لذلك حاول (عبد الله بن جبير) –وكان أميرهم– ذكَّرهم بكلام النبي صلى الله عليه وسلم ومنعهم أن ينزلوا، لكنهم لم يسمعوا له، واعتقدوا أن المعركة انتهت وأن الأمر قد حُسِم، وأن الكفار قد ولوا مدبرين ولن يعودوا مرة أخرى ولا رجعة لهم. فقالوا: **(الغنيمة الغنيمة)** أي أدركوا الغنيمة وشاركوا في الغنيمة مع إخواننا، ومع ذلك (عبد الله بن جبير) يذكرهم بما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم، وأمرهم بعدم النزول، فذهبوا في طلب الغنيمة– وهذه أول مخالفة كانت في هذه المعركة من بعض الصحابة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم – وذهبوا في طلب الغنيمة.
- وقال الله عز وجل فيهم آيات في سورة آل عمران: {وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ} أي تقتلونهم بإذن الله عز وجل {حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ} [آل عمران: 152]. وهنا يصف الله عز وجل ما فعلوه، لأنه أراهم ما يحبون؛ أولًا أراهم النصر والغنائم موجودة لكنهم تنازعوا وفشلوا لأنهم عصوا النبي صلى الله عليه وسلم في أمره الذي أمرهم به ألا ينزلوا من الجبل. فلما رأوا الغنيمة ورأوا الجيش انهزم،

حصلت المخالفة من الرماة فنزلوا، فانكشف ظهر المسلمين، لأن كان الجبل هو ظهر المسلمين.

- والذي نظر في المسألة هذه (خالد بن الوليد) لما رجع فنظر فوجد الرماة ينزلون، فعلم بأن ظهر المسلمين انكشف، فدار من حول الجبل وأتى من الخلف في مكان الفرجة التي تركها الرماة، فكأنه ركب المسلمين من أعلى. فقتلوا كثيرًا منهم.
- لأنه في بادئ الأمر النصر كان لأهل الإسلام، فلما حدثت هذه المخالفة، فالذين انهزموا رجعوا، وكان معهم (خالد بن الوليد) رضي الله عنه– وقتها كان ليس على الإسلام– وقتلوا جماعة كبيرة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم –كما سيأتي معنا– بل أن النبي صلى الله عليه وسلم نفسه أصيب –كما جاء هنا– كسرت رباعيته وشج رأسه ووقع في الحفرة، وكادوا يصلون إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتلونه أيضًا.
- ويقال أن النبي صلى الله عليه وسلم –كما ذكر البخاري في صحيحه– قد رأى رؤية معبرة عن ما حدث، وفسرها بما حدث في معركة أُحد قبل وقوعها، جاء في صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: [رَأَيْتُ في رُؤْيايَ أنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا فانْقَطَعَ صَدْرُهُ، فإذا هو ما أُصِيبَ مِنَ المُؤْمِنِينَ يَومَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ أُخْرَى، فَعادَ أحْسَنَ ما كانَ، فإذا هو ما جاءَ اللَّهُ به مِنَ الفَتْحِ، واجْتِماعِ المُؤْمِنِينَ]. فكأن النبي صلى الله عليه وسلم قد رأى ما سيحدث في أُحد، وقد حدث كما قال.
- قال الإمام ابن كثير: **(وَكَرَّ الْفُرْسَانُ مِنَ المشركين، فوجدوا تلك الفرجة)** قلنا الفُرجة التي تركها الرماة في الجبل، فكروا عليها ووصلوا إليها.
- قال: **(قد خلت من الرماة، فجازوها، وتمكنوا، وأقبل آخرهم)**، أي من كان فر رجع لمّا علم بأنهم استطاعوا أن يصلوا إلى جبل الرماة، رجعوا مرة أخرى.
- **(فكان مَا أَرَادَ اللهُ تعالى كونه)** وهناك فرق بين الكوني والشرعي، "الكوني" هنا المشيئة؛ أراد كونًا أن يكون هذا، والكوني قد يقع في ما يحبه الله وما لا يحبه الله، وأما "الشرعي" الله لا

يأمر بالشرع إلا في ما يحبه سبحانه وتعالى. لكن أراده كونًا، لذلك قال: **(فكان مَا أَرَادَ اللهُ تعالى كونه)**.

- وقلنا أنه قتل كثير من الصحابة، قال: **(فاستشهد مَنْ أكرمه الله بالشهادة من المؤمنين، فقُتِلَ جماعة من أفاضل الصحابة، وتولى أكثرهم)** أي قتل حقيقة لما حدث هذا الأمر، وحدث فيه انقلاب من الكفار على المسلمين فقتلوا واستشهد كثير من الصحابة في هذه المعركة.
- **(وَخَلَصَ المشركونَ إِلَى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم)** أي بعدما قتلوا أيضًا كثير من الصحابة وصلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى كادوا يقتلونه كما شاع بعد ذلك الشيطان وقال "قُتِل محمد"–كما سيأتي معنا– فوصلوا إليه حتى أرادوا قتله، اقتربوا جدًا منه، لأن حتى (مصعب بن عمير) قُتِل دفاعًا عن النبي صلى الله عليه وسلم، هو الذي استقبل من جاء قتله، ثم دخل (طلحة) ودافع عن النبي صلى الله عليه وسلم وحتى أنه قُطِع منه ما قُطِع من يديه وغير ذلك.
- **(فَجُرِحَ فِي وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيتُهُ اليمنى السفلى بحجر)**؛ أي أتى أحدهم بحجر وصوبه على النبي صلى الله عليه وسلم، فكُسِرَت رباعية النبي صلى الله عليه وسلم في جبهته اليمنى السفلى، **(وهشِّمت البيضة على رَأْسِهِ)** التي كان يلبسها كخوذة، من كثرة ما ضربوا عليه تكسرت على رأس النبي صلى الله عليه وسلم، **(وَرَشَقَهُ الْمُشْرِكُونَ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى وَقَعَ لِشِقِّهِ)** أي سقط في الحفرة على جنبه من كثرة ما رشقوا النبي صلى الله عليه وسلم بالحجارة، وكانت الحفرة التي حفرها (أبو عامر الفاسق) حفرها كأنه نوع من الشَرَك أو شيء يكيد به المسلمين كما قال، فسقط فيها النبي صلى الله عليه وسلم، **(فَأَخَذَ عَلِيٌّ بِيَدِهِ، وَاحْتَضَنَهُ طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ)**.
- **(وكان الذي تولى أَذَى رسول الله صلى الله عليه وسلم: عَمرو بن قَمِئَةَ الليثي)** و(عمرو بن قمئة الليثي) هذا كان من أشد الكفار حقدًا وحسدًا وغيظًا من النبي صلى الله عليه وسلم،

أولًا تعرض له (مصعب)؛ أي جاء (مصعب) ليدافع عن النبي صلى الله عليه وسلم فضرب (ابن قمئة) (مصعب)، فاستشهد (مصعب) رضي الله عنه أمام النبي صلى الله عليه وسلم وأمام الصحابة أيضًا. فهو كان يظن أنه قد قتل النبي صلى الله عليه وسلم، فذهب يقول: "قتلت محمد". أو أنه بعد ذلك ضرب النبي صلى الله عليه وسلم ضربة أيضًا أراد أن يقتله، فقال: (خذها من ابن قمئة)، فقال النبي صلى الله عليه وسلم [أقمأك الله]. وكانت له قصة؛ لأنه ما مات في المعركة (ابن قمئة) هذا، فلما رجع بعد المعركة سلط الله عز وجل عليه في طريقه تيسًا من تيوس الجبال؛ تيس وحشي، فأخذ ينطح فيه حتى هلك ومات في هذا الموطن؛ في رجوعه بعد ذلك.

- قال: **(وكان الذي تولى أَذَى رسول الله صلى الله عليه وسلم: عَمرو بن قَمِئَةَ، وَعُتْبَةَ ابْنَ أَبِي وَقَّاصٍ. وقيل: إِنَّ عَبْدَ اللهِ بن شهاب الزُّهْرِيَّ أَبَا عم مُحَمَّدِ بنِ مُسْلِمِ بنِ شِهَابٍ هُوَ الَّذِي شَجَّهُ صلى الله عليه وسلم)** وطبعًا فيه فقيه مشهور جدًا عندنا في الفقهاء هو الإمام الزهري رحمه الله ورضي الله عنه، إمام فقيه، وقالوا أنه أول محدث أيضًا وأول من دوَّن السُنة في عهد (عمر بن عبد العزيز). فقيل أن من الذين اشتركوا في أذاه أبا عم (محمد بن مسلم الزهري) هذا.
- ولكن يوجد فرق، أن (عبد الله بن شهاب) هذا أسلم، و(ابن قمئة) ما أسلم ومات على الكفر. ستجد أن بعض الذين كانوا في أُحد وكانوا على الكفر وقتلوا كثير من المسلمين في هذه المعركة كثير منهم أسلم بعد ذلك، منهم هذا (عبد الله بن شهاب) أسلم بعد ذلك، بخلاف طبعًا (ابن قمئة) قد مات على الكفري كما قلنا.
- ولما حدث ذلك من المشركين والنبي صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة قال الحديث المشهور في الصحيح قال: [كيفَ يُفلِحُ قومٌ شَجُّوا وجهَ نَبيِّهم]، و [كيفَ يُفلِحُ قومٌ خضَّبوا وجهَ نبيِّهِم بالدَّمِ وَهوَ يَدعوهم إلى اللَّهِ] فهذا طبعًا أشد ما يكون؛ أن يقتل أحد نبي أو يؤذي نبي، فهذا عذابه شديد عند الله عز وجل أن يتعرض للأنبياء والرسل، سواء يقتله أو يؤذيه أو

غير ذلك. فالنبي صلى الله عليه وسلم هنا من شدة ما وجد قال هذا الكلام؛ أن كيف يفلح من كان بهذه الصفة، كيف يفوزون أو ينجون وهو يدعوهم إلى الجنة وهم يريدون النار.

- ولكن قلت أن بعض من هؤلاء أسلم، لذلك نزل قول الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم لما دعا قال: {لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ} [آل عمران: 128] كأن مسألة الهداية هذه من الله، ليس لأحد أن يعلم من يهديه الله ومن لا يهديه، ومتى تكون الهداية أصالة! لذلك النبي صلى الله عليه وسلم كان كثيرًا ما يدعو لقومه وليس عليهم قال: [اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ].
- ولذلك من هؤلاء الذين أذوا وقتلوا الصحابة في أُحد وغيرها، كثير –كما قلت– منهم قد شرح الله عز وجل صدورهم للإسلام، منهم (عبد الله بن شهاب) قلنا. بل (أبو سفيان). فـ (أبو سفيان) هو كان القائد وله كلام سيأتي معنا في المعركة مع النبي صلى الله عليه وسلم، كان قائد المعركة في أُحد، وقد منَّ الله عز وجل عليه بالإسلام. والأكثر من ذلك (خالد بن الوليد) الذي أدرك ورجع، وهو الوحيد من الصحابة الذي كان له في الكفر قتال على المسلمين، وكان طبعًا سيف لله عز وجل بعد ذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عنه. فتجد أن الله الله عز وجل أراد بكثير من هؤلاء أن يكونوا على الإسلام بعد ذلك.
- ولذلك يُنتبَه؛ فالبعض في القراءة في الأول لما يسمع هؤلاء ممكن يسارع في الدعاء عليهم وهو يقرأ، ما يعلم أنهم أسلموا، فمثلًا ونحن نقرأ فيقول: "عليه لعنة الله" وعليه كذا وكذا، وهو لا يعلم أنه قد أسلم بعد ذلك. فهنا يتمهل القارئ دائمًا في هذه الأمور حتى يتأكد وهو يقرأ في السِيَر أن هذا أسلم أم لم يسلم بعد ذلك قبل أن يدعو له أو يدعو عليه.
- ثم قال: **(وَقُتِلَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ رضي الله عنه بين يديه)** دفاعًا عن النبي صلى الله عليه وسلم، و(مصعب) كان من أول المهاجرين إلى المدينة، النبي صلى الله عليه وسلم أرسله بعد العقبة، عندما أرسله يُعلِّم الناس في المدينة، وأول من جَمَّع في المدينة، فأرسله النبي صلى الله عليه وسلم رسولًا عنه معلمًا يُعلّم الناس في المدينة.

- و(مصعب بن عمير) كان عليه خير كثير لأهل المدينة لأنه أرشدهم وأرسله النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى التوحيد وعلمهم الصلاة وغير ذلك. وهو أيضًا كان من المرفهين في قريش، كان شابًا مرفهًا، أي كان يلبس حسنًا وله مظهر، وكان لما يمشي في الطريق يُشتَّم عطر، وكان له قدر بين شباب قريش، وكان له قدر بين أبويه فكان له لباس حسن وسمت حسن، وكان يُتَحَدث به؛ أي كان معروف كما يقال في زماننا "ابن ذوات" والنعمة تظهر عليه واللباس والعطر وغير ذلك، وكان حسن الثياب وغير ذلك. ومع ذلك أنظر كيف مات رضي الله عنه وأرضاه! لما مات وقتل في أحد وقتل دفاعًا عن النبي صلى الله عليه وسلم، قدَّم نفسه لله عز وجل ودفاعًا عن النبي صلى الله عليه وسلم، ما وجدوا شيء يكفنونه به، كان فقط معه رداءه الذي معه وما كان يغطي كامل بدنه، أي إذا أرادوا أن يغطوا رأسه قَصُر الرداء عن ساقيه وقدميه، وإذا أرادوا أن يغطوا قدميه قَصُر عن نصه الأعلى، فجعلوا رداءه من أعلى يغطي رأسه ثم وضعوا عليه بعد ذلك الإذخر يغطوا رجليه، وكان الإذخر نبات يستخدمونه العرب يغطون به في القبور. فانظر! ما وجدوا رداء وهو كان من أنعم الناس، لكنه ترك كل ذلك لله عز وجل، والله عز وجل رزقه شهادة في أُحد دفاعًا عن النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه وتقبله في الشهداء.
- **(فدفع صلى الله عليه وسلم اللواء إِلى عَلِيِّ ابْنِ أَبِي طالب رضي الله عنه)** وقلنا أن من السنة أن يكون فيه لواء وراية أن يرفعها أحد ليراه.
- **(ونشبَتْ حَلَقَتَانِ مِنْ حِلَقِ الْمِغْفَرِ فِي وَجْهِهِ صلى الله عليه وسلم)** أي دخلت حلقتان من حلق المغفر في وجه النبي صلى الله عليه وسلم وغرزت من كثرة ما كان يُضرَب بالحجارة. و"المغفر" هو الذي يغطي الرأس، وهو الذي يسمونه الخوذة الآن أو غير ذلك، لئلا تضرب على الرأس النبال أو السهام أو غير ذلك وما تؤثر فيها.
- فجاء (أبو عبيدة بن الجراح) رضي الله عنه أمين هذه الأمة كما جاء عند البخاري: [لِكُلِّ أُمَّةٍ أمِينٌ، وأَمِينُ هذِهِ الأُمَّةِ أبو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ] رضي الله عنه، فعضَّ عليهما؛ أي دخل

بأسنانه، عضَّ حتى ينزعهم، **(حَتَّى سَقَطَتْ ثَنِيَّتَاهُ)** ثنيتا (أبو عبيدة بن الجراح)، فكان كما قال: **(فَكَانَ الْهَتْمُ يُزَيِّنُهُ)** أي الكسر الذي أصابه، الضروس والأسنان خرجت من كثرة غرزها في جلد النبي صلى الله عليه وسلم فأراد أن يخرجها بقوة فانكسرت ثنيتا (أبو عبيدة) فظل ذلك حتى توفاه الله عز وجل. قال: **(يُزَيِّنُهُ)** أي تظل هذه علامة شرف وعزة له بأنها كُسِرَت في سبيل إنقاذ النبي صلى الله عليه وسلم. **(وَامْتَصَّ مَالِكُ بْنُ سِنَانٍ وَالِدُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ الدَّمَ مِنْ جُرْحِهِ صلى الله عليه وسلم).**

وأدرك المشركون النبي صلى الله عليه وسلم، فحال دونه نفرٌ من المسلمين نحو من عشرة، فقُتِلُوا، ثُمَّ جَالَدَهم طَلحةُ حَتَّى أَجْهَضَهُمْ عَنْهُ صلى الله عليه وسلم، وَتَرَّسَ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بنُ خَرَشَةَ عَلَيْهِ صلى الله عليه وسلم بِظَهْرِهِ، والنَّبْلُ يقع فيه، وهو لا يتحرك رضي الله عنه.

وَرَمَى سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه يَوْمَئِذٍ رَمْيا مُسَدَّدا مُنْكِئَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: [ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي].

وَأُصِيبَتْ يَوْمَئِذٍ عَيْنُ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ الظُّفَرِي، فَأَتَى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فَرَدَّهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِيَدِهِ الكَرِيمَةِ، فكانت أَصَحَّ عينيه وأحسنهما.

وصرخ الشَّيطان – لَعَنَهُ اللهُ – بِأَعْلَى صَوْتِهِ: إِنَّ مُحَمَّداً قَدْ قُتِلَ، وَوَقَعَ ذلك فِي قُلُوبِ كثير من المسلمينَ، وَتَوَلَّى أَكثرُهم، {وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرا مَّقْدُورًا} [الأحزاب : 38]

وَمَرَّ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ بِقَوْمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ أَلْقُوا بِأَيْدِيهِم، فقال: مَا تَنْتَظِرُونَ؟! فَقَالُوا: قُتِلَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فقال: مَا تَصْنَعُونَ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَهُ؟! قُومُوا فَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ، ثُمَّ استقبلَ النَّاسِ، وَلَقِيَ سَعْدَ ابنَ مُعَاذ، فقال: يَا سَعْدُ! واللهِ! إِنِّي لأجدُ رِيحَ الْجَنَّةِ مِنْ دون أُحُدٍ، فقاتل حتَّى قُتِلَ، وَوُجِدَ بِهِ سَبْعُونَ ضَرْبَةً.

وجُرِحَ يومئذٍ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ نَحْواً مِنْ عِشْرِينَ جِرَاحَةً، بَعْضُهَا فِي رِجْلِهِ، فَعَرَجَ مِنْهَا حَتَّى مَاتَ رضي الله عنه.

- هنا يوصف لك (ابن كثير) حال الشدة التي كان فيها القتال؛ بعدما رجع الكفار على المسلمين ودارت الدائرة مرة أخرى قال: **(وأدرك المشركون النبي صلى الله عليه وسلم)** أي وصلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، **(فحال دونه نفرٌ من المسلمين نحو من عشرة)** أي تقدم المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء عشرة من الصحابة يحولون بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم؛ هم أرادوا قتله، وليس حول النبي صلى الله عليه وسلم إلا قلة فقط من الصحابة؛ قيل عشرة؛ بعضهم قالوا سبعة من الأوس، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: [مَن يرُدَّهم عنَّا فهو رفيقي في الجنَّةِ] الله أكبر. فاستبسل وقاوم العشرة الذين كانوا حول النبي صلى الله عليه وسلم واستشهد منهم سبعة من الأوس، واحد وراء الآخر، كلهم يدافعون عن النبي صلى الله عليه وسلم.
- **(ثُمَّ جَالَدَهم طَلحةُ)** رضي الله عنه طلحة، و(طلحة) هنا أبلى بلاء عظيمًا في هذا الوقت، حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم بعد ذلك: [دونكم صاحبكم.. ما ضر ما فعله بعد اليوم] (طلحة) رضي الله عنه أخذ يدافع عن النبي صلى الله عليه وسلم، و(طلحة) من العشرة المبشرين بالجنة. **(جَالَدَهم)** أي كان يضربهم بالسيف، حتى منعهم وصدهم عن الوصول للنبي صلى الله عليه وسلم، وحتى أنه من كثرة ما قاتل شُلَّت يده؛ من كثرة الضربات التي جاءت له وكثرة قتاله شُلَّت يده في ذلك الوقت، أي ما استطاع أن يُكمل بعد ذلك. حتى أنهم قالوا أنه جلس زمانا يقاتل في العشرة هؤلاء أو أكثر يدافع عن النبي صلى الله عليه وسلم.
- **(وَتَرَّسَ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بنُ خَرَشَةَ عَلَيْهِ صلى الله عليه وسلم بِظَهْرِهِ)** أي جاء (سماك أبو دجانة) في خلف النبي صلى الله عليه وسلم كأنه يحضن النبي صلى الله عليه وسلم من

الخلف وجعل ظهره لهم وهو يستقبل عن النبي صلى الله عليه وسلم بظهره النبل والسهام التي تقع عليه حماية للنبي صلى الله عليه وسلم.

- هؤلاء الصحابة الكرام أبلوا بلاء عظيمًا في هذه المعركة دفاعًا عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولو تذكروا قصة (أبو دجانة) لما قال النبي صلى الله عليه وسلم: [من يأخذُ هذا السيفَ بحقِّه] فتقدم كثير حتى جاء (أبو دجانة) فأعطاه له النبي صلى الله عليه وسلم، فقال (أبو دجانة): [أنا آخذُه بحقِّهِ] فقتل فيهم كثيرًا في أول المعركة (أبو دجانة) ولما تمختر أيضا بالفرس وقال: [هذه مشيةٌ يبغضُها اللهُ إلا في هذا الموضعِ].
- ثم جاء (سعد بن أبي وقاص) رضي الله عنه، و(سعد بن أبي وقاص) أيضًا من العشر المبشرين بالجنة، وهو الثالث في الإسلام، لأنه كان يقول: [ولقَدْ مَكَثْتُ سَبْعَةَ أيَّامٍ وإنِّي لَثُلُثُ الإسْلامِ] أي ظل الثالث واحد في الإسلام، فدخل بعض الناس في الإسلام، فظل هو ثلث الإسلام لمدة أسبوع. وهذه منقبة عظيمة لـ (سعد بن أبي وقاص) وهو أيضًا في مقام خال النبي صلى الله عليه وسلم.
- قال: **[ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي]** ما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأحد أن يفديه بأبيه وأمه إلا (سعد بن أبي وقاص)، وهذه منقبة لـ (سعد) لن تجدوها لأحد غيره في الصحابة. فكان (سعد) يأخذ السهام ويرمي دفاعًا عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقلت إن هذه لفظة اعتادت العرب أن تقولها "فداك أبي وأمي"، لكن لم يقلها النبي صلى الله عليه وسلم لأحد إلا لـ (سعد بن أبي وقاص) رضي الله عنه.
- قال الحافظ – رحمه الله– بعد ذلك: **(وَأُصِيبَتْ يَوْمَئِذٍ عَيْنُ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ الظُّفَرِي)** أصيبت في المعركة فوقعت حتى نزلت القرنية على خده، فذهب للنبي صلى الله عليه وسلم فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم وردها؛ تفل فيها فرجعت كأن لم يكن فيها شيء. طبعًا هذه من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم التي كما ذكرت في السير، أصيبت عينه يوم أحد أو يوم بدر، لكن الصحيح أنها كانت يوم أحد، فردها النبي صلى الله عليه وسلم.

- **(وصرخ الشَّيطان – لَعَنَهُ اللهُ – بِأَعْلَى صَوْتِهِ: إِنَّ مُحَمَّداً قَدْ قُتِلَ)** ويريد بذلك إضعاف المسلمين، وهذا قد حدث في بداية الأمر. لمّا تسمع نبي الله عز وجل قُتِل، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قُتِل، أعظم الخلق، وهو نبيهم ورسولهم وقائدهم وكل شيء. فيقصد هنا الشيطان أن يوهن قلوب الأنبياء وأهل الإسلام ويضعفها، يريد أن يلقي الخوف في قلوبهم، لذلك يقول الله عز وجل: {إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ} [آل عمران: 175]. وهذه لابد أن تعلموها، هذه سنة كونية بأن الشيطان في حرب مع الإنس دائمًا، وخاصة مع أهل الإسلام طبعًا، فهو يريد دائمًا أن يوقع فيهم الوهن والضعف والخوف، فتجده ما يترك مكانًا أو زمانًا إلا يريد أن يوقع الضعف في قلوب المسلمين. لذلك قال الله تعالى: {إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ} ما يخوف أولياء الله عز وجل، أولياء الله لا يخافون من الشيطان، قال: {فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ}.
- لكن **(وَوَقَعَ ذلك فِي قُلُوبِ كثير من المسلمينَ)** –كما قال الحافظ هنا وورد– وقع لما سمعوا هذا الكلام، حدث ما حدث. وهذه سبنينها في الفوائد المستنبطة، حكمة عظيمة جدًا من هذه الأمور، لكن ننتهي من السرد، ثم نتكلم عن الأحكام والفوائد من هذه المعركة.
- قال: **(وَوَقَعَ ذلك فِي قُلُوبِ كثير من المسلمينَ)**، أي تأثروا **(وَتَوَلَّى أَكثرُهم)** أي رجع أكثرهم، أو فروا، وانحازوا إلى ما كان، لأن الله قد بيّن، قال: {إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ} [آل عمران: 155]، عفى الله عنهم بعد ذلك. فكثير من الصحابة تولوا في هذا الوقت. فلما حدث أن بعض الصحابة سمعوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد قُتِل، دخلهم الخوف وتولوا، كما جاء قول الله عز وجل، حتى بعضهم قال (عثمان بن عفان) كان منهم وبعض الصحابة تولوا في أول الأمر ثم رجعوا بعد ذلك والتفوا حول النبي صلى الله عليه وسلم.
- قال: **(وَمَرَّ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ)** و(أنس بن النضر) له قصة، فهو قد تخلف عن بدر، ما كان يعلم أن هناك قتال، فالنبي صلى الله عليه وسلم كما قلنا في بدر خرج للعير، فهو حَزِن أنه

لم يقاتل مع النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: [لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ المُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ ما أَصْنَعُ]. حتى أن بعضهم قال أن فعل (أنس بن النضر) هنا في هذه المعركة نزل فيها قول تعالى: {مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَال صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ} [الأحزاب: 23]، لأنه لما حدث التقهقر ورأى الناس يرجعون، وقد قال في بدر أنه لو جاءته غزوة أخرى مع النبي صلى الله عليه وسلم لَيُرِيَ الله عز وجل ماذا يفعل.

- فمر (أنس بن النضر) والناس يرجعون، توقفوا عن القتال ورجعوا وتولوا. فقال لهم: **(مَا تَنتَظِرُونَ؟! فَقَالُوا: قُتِلَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم)** أي أنهم سمعوا أن النبي قد قتل، وطبعًا لذلك أثرت فيهم الكلمة فتوقفوا عن القتال. **(فقال: مَا تَصْنَعُونَ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَهُ؟! قُومُوا فَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ)** فدخل هو والناس يرجعون، فقاتل قتالًا شديدًا. وهذه سنبينها فيها فائدة لأنه دخل مقبلًا عليهم، انغماس في القوم، وهذه مسألة مهمة أن هل الإنغماس جائز أم لا؟ لأنه أنغمس فيهم وهو يعلم أن الناس بترجع وما في أحد معه، ولذلك دخل في الكفار يقاتلهم، حتى أنه قاتل قتالًا شديدًا بعد ذلك. وكما جاء بأنه ما عرفته إلا اخته ببنانه (بالأنامل) من كثرة ما طُعِن، رأوه وفيه أكثر من سبعين طعنة رمح أو ضربة سهم أو غير ذلك، حتى ما عرفوه من كثرة ما تغير جسده كله، إلا اخته عرفته ببنانه من كثرة ما فيه من ضربات. حتى قال: **(ثُمَّ استقبلَ النَّاسِ)** أي توجه للقتال.
- قال هنا: **(وَلَقِيَ سَعْدَ ابنَ مُعَاذ)** رضي الله عنه، و(سعد بن معاذ) اهتز له عرش الرحمن عند موته –وطبعًا سيأتي معنا. **(فقال: يَا سَعْدُ! واللهِ! إِنِّي لأجدُ رِيحَ الْجَنَّةِ مِنْ دون أُحُدٍ)** هذه أمور يعلمها أهل الجهاد والقتال، تأتيهم البشريات وتأتيهم الرؤى في أوقات المعارك أحيانًا، وإلى زماننا، بعض الناس يُبَشَّر ليلتها بأنه غدًا في المعركة يتقبله الله عز وجل عنده أو غير ذلك.
- **(فقاتل حتَّى قُتِلَ، وَوُجِدَ بِهِ سَبْعُونَ ضَرْبَةً)** وجاء عند صحيح البخاري: [فَما عُرِفَ] بسبب كثرة الضربات، وقد أبلى بلاء عظيمًا في قتاله مع الكفار ومجابهة الكفار.

- **(وجُرِحَ يومئذٍ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ نَحْواً مِنْ عِشْرِينَ جِرَاحَةً، بَعْضُهَا فِي رِجْلِهِ، فَعَرَجَ مِنْهَا حَتَّى مَاتَ رضي الله عنه)** كان من ضمن الذين أصيبوا في المعركة أيضًا (عبد الرحمن بن عوف) وهو من العشرة المبشرين بالجنة، وكان ممن يدافع عن النبي صلى الله عليه وسلم، جُرِح فوق العشرين جرحة، حتى أنه أصابه العرج، وظل على عَرَجِه حتى توفي بعد ذلك. وهو لم يتوفى في المعركة، لكن يقصد هنا أنه ظلت هذه العرجة معه حتى مات– رضي الله عنه وأرضاه.
- انظر! كل هذا تصوير من ابن كثير لِمَا لقى الصحابة رضوان الله عليهم من أذى ومن قتال ومن جراحات في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفي هذه المعركة التي كان فيها أذى شديدًا لهم.
- وفي هذه المعركة قُتِل (عمرو بن الجموح) أيضًا، و(عمرو بن الجموح) كان عنده عرج، والأعرج ليس عليه قتال {لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ} [الفتح: 17]، فأبنائه يخرجون للقتال، فقال: أريد أن أخرج، فقالوا أنت رَخَّص الله لك، نحن نقاتل عنك، فقال: لا، فأصر على الخروج، فجاءوا للنبي صلى الله عليه وسلم يقولون أن أبوهم (عمرو بن الجموح) ممن عُزِر في القتال ولكن أراد أن يخرج، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله بعرجتي هذه أدخل الجنة؟ قال: نعم، فقال: إذًا أنا أريد أن أطأ بعرجتي هذه الجنة يا رسول الله. فقاتل رضي الله عنه –مع أنه ليس عليه قتال– حتى قُتِل شهيدًا، حتى سيأتي أنه دُفِن مع (عبد الله بن حرام) والد (جابر) رضي الله عنه، والإثنين قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم: (ادفنوا هؤلاء المتحابين في الدنيا مع بعضهم) لمّا لم يجدوا أماكن كثيرة في الدفن فكان النبي صلى الله عليه وسلم يدفن الذين كان لهم مودة ومحبة في الدنيا مع بعضهم البعض في لحد واحد، فدُفِن (عمرو بن الجموح) و(عبد الله بن حرام) معًا في قبر واحد وفي لحد واحد.

- قال: **(وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو المسلمين، فكان أول من عرفه تحت المِغْفَرِ كَعْبَ بنَ مَالِكٍ رضي الله عنه)** طبعًا كان انحاز النبي صلى الله عليه وسلم في مكان وحاولوا أن يقتلوه، والمسلمين سمعوا بأنه قد قُتِل، ثم ظهر، أي رجع لهم النبي صلى الله عليه وسلم، قال: **(وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو المسلمين، فكان أول من عرفه تحت المِغْفَرِ كَعْبَ بنَ مَالِكٍ رضي الله عنه)** فرح فرحًا شديدًا لما علم بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُقتَل ولم يمت.
- **(فصاح بأعلى صوتهِ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ!، أَبْشِرُوا، هَذَا رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَأَشَارَ إِلَيْهِ صلى الله عليه وسلم: أَنِ اسْكُتْ)** أشار عليه النبي صلى الله عليه وسلم أن يسكت حتى لا يعلم المشركون، لأن أهل الشرك كانوا ظنوا أنه قُتِل حقًا، ما كانوا يعلموا أن النبي قُتِل أم لا، فالنبي صلى الله عليه وسلم أراد ألا يعلموا بخلاف ذلك حتى لا يعيدون الكرة ويرجعون مرة أخرى لمحاولة قتل النبي صلى الله عليه وسلم.
- قال: **(واجتمع إليهِ المسلمون)** أي الذين تولوا رجعوا للنبي صلى الله عليه وسلم مرة أخرى، **(وَنَهَضُوا معه إلى الشِّعْبِ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ، فِيهِمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعَلِيٌّ، وَالْحَارِثُ بنُ الصَّمَّةِ الأَنْصَارِيُّ، وَغَيْرُهُمْ. فَلَمَّا أسندوا في الجبل)** أي رجعوا وكان الجبل خلفهم كأنه غطاء لهم؛ أي للنبي صلى الله عليه وسلم مسلم ومن معه من الصحابة، **(أدركه أُبَيُّ بنُ خَلَفٍ عَلَى جَوَادٍ، يقال له: العود. زَعَمَ الْخَبِيثُ: أنه يقتل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم)**.
- و(أبي بن خلف) هذا أخو (أمية بن خلف) الذي قتل في بدر، والإثنين من أشد صناديد قريش كفرًا وإيذاء للنبي صلى الله عليه وسلم. فكان (أبي بن خلف) من ألد الأعداء والمعاندين للنبي صلى الله عليه وسلم. وكان كثيرًا يناقش ويجادل النبي صلى الله عليه وسلم في مكة أنه كان ينكر البعث وهو الذي مسك العظام وقال أتقول أن الله عز وجل يحيي هذه

العظام وهي رميم؟! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: [يحييها ويحييك ويجعلك في النار]، ثم نزل قول الله عز وجل في ذلك. فكان ممن يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم أيام مكة.

- **(فلما اقترب)** لما دخل عليه (أبي بن خلف) **(تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة منَ الْحَارِثِ بنِ الصَّمَّةِ، فطعنه بها)** ضربه بالحربة النبي صلى الله عليه وسلم **(فَجَاءَت فِي تُرْقُوَتِهِ، وَيَكُرُ عَدُوُّ اللَّهِ مُنْهَزِماً، فقال له المشركون: والله! ما بك من بأس)** ما في شيء، الأمر يسير، أي الإصابة ليست بليغة.
- **فقال: (وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَا بِي بِأَهْلِ ذِي الْمَجَازِ، لَمَاتُوا أَجْمَعِينَ)** أي يريد أن يقول أنه أصيب إصابة قاتلة ستؤدي إلى نهايته. لماذا؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: [أنا قاتلك]. فهم يعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم صادق، وأنه نبي. فعلم أن الضربة ستؤدي إلى قتله.
- وكان أخوه (أمية بن خلف) قد أعلمه (سعد بن معاذ) أيضًا بمقتله، لما كان في زيارة لمكة وكان على تواصل مع (أمية) قبل هذه المعركة فقال له أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنه سيقتله. فقال: بمكة؟ قال: لا أدري، لكنه قال ذلك. ولذلك في أول الأمر أصر (أبو جهل) في بدر أن يُخرجه معه، وخرج وهو كاره في أول الأمر خوفًا من النبي صلى الله عليه وسلم لأنه أتاه خبر أنه سيقتله، وقد حدث أنه خرج وقُتِل في بدر.
- فأراد أخوه (أبي بن خلف) أن يقتل النبي صلى الله عليه وسلم بقتل أخيه لذلك وقال: (والله لأقتلن محمدًا). فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وقال: [بل أنا أقتله إن شاء الله]. فلما قيل له ذلك فقال: (أنشدك بالله، أسمعته يقول ذلك؟) هو بيسأل هل محمد قال ذلك عني؟ قال: نعم. فوقعت في نفسه أنه لابد سيُقتل.
- قال: **(وَلَمْ يَزَلْ بِهِ ذَلِكَ)** أي أثر هذه الإصابة **(حَتَّى مَاتَ بِسَرِفٍ مَرْجِعَهُ إِلَى مَكَّةَ – لَعَنَهُ اللَّهُ)** أي بعد ما رجع إلى مكة مات.

- فالإثنين (أمية بن خلف) و (أبي بن خلف) علموا أنهم سيُقتلون، لكن الفارق أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن قتل (أمية) وليس النبي هو الذي سيقتله، والثاني (أبي) قتله النبي صلى الله عليه وسلم.
- قال: **(وجَاءَ عَلِيٌّ رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء ليغسل عنه الدم، فوجده آجنا، فَرَدَّهُ)**، النبي صلى الله عليه وسلم كان طبعًا أصيب بدم كثير، فجاء (عليّ) رضي الله عنه ليغسل عنه الدم بماء، فلما أراد أن يشرب منه النبي صلى الله عليه وسلم وجده متغيرًا، فعافه، "آجنا" أي فيه شيئًا ليس طيبًا، وجد منه ريحًا فلم يشرب منه النبي صلى الله عليه وسلم، لكن غسل به (عليّ) –رضي الله عنه– الدم من على وجه النبي صلى الله عليه وسلم.
- وقال: **(وأراد صلى الله عليه وسلم أن يعلو صخرة)** أراد أن يعلوا على صخرة فما استطاع من شدة الألم والضرب والجرح الذي كان فيه فلم يستطع لِما به من الإصابة، **(ولأنه ظاهر يومئذ بينَ دِرْعَيْنِ)** وكانوا درعين ثِقال من حديد، فأراد أن يصعد الصخرة ما استطاع، **(فَجَلسَ طلحة تحته حتَّى صَعِدَ)** أي وضع قدميه على ظهر (طلحة) ليصعد عليه كأنه سلم ثم صعد.
- قال: **(وَحَانَتِ الصَّلَاةُ، فَصَلَّى جالِسًا)** الله أكبر. حانت الصلاة، الناس بتقاتل! سيوف ورماح وأسهم، ويقع في حفرة ويقوم، ودماء تسيل، ثم دخل وقت الصلاة. في كل هذا.. النبي صلى الله عليه وسلم يقف ويصلي، ما استطاع أن يصلي قائمًا فصلى جالسًا بأصحابه جماعة، الله أكبر. انظر حالنا نحن الآن! لو تتصوروا المعركة، ليست مثل التي ترونها في الفيديوهات! لكن قتال حقيقي؛ سيوف ورماح وكلها منطقة وعرة وجبل وغير ذلك، والموت قريبًا لكل واحد، وقُتِل من قُتِل من الصحابة، الذي قطع يده وشُلَّت، والذي وقعت منه العين، وغير ذلك، ثم يدخل وقته الصلاة فالنبي صلى الله عليه وسلم يجمع من معه ويصلي بهم. وليس الآن! تكون متلحف بالغطاء ويؤذن للصلاة، أو بتأكل شئ، أو بتتفرج على شيء،

وتكون في نعمة وفي عافية وفي صحة وفي رخاء! بل بيكون أحيانًا في رحلات، أو في خروجات ويأتي وقت الصلاة، وتدخل المسجد في أي مكان، سواء في مول، أو نادي، أو حديقة، أو أي منطقة، شارع تجاري، ولا يخرج أهل الإسلام في المنطقة ليصلون، إلا من رحم الله طبعًا.

- لكن انظر عِظَم الصلاة، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال: [رأسُ الأمرِ الإسلامُ وعمودُه الصلاةُ وذروةُ سَنامِه الجهادُ] فتعلم أن الأصل الأصيل هو المحافظة على الصلاة، هو الأصل في هذا الدين، وقل ما تقل؛ أخلاقه جميلة، أصله حلو، أصله كلامه جيد، أصله هو كريم جدًا، بينفق، بار بأمه وأبوه وبأولاده. هل يصلي؟! لا أصله مفرض نوعًا ما في هذا الموضوع! فهذا هو الأصل. فلا يمكن أن يستقيم لأحد شيء إلا مع استقامة الصلاة.
- وانظر هنا.. وطبعًا لم يكن نزل وقتها صلاة الخوف أيضًا، لأن صلاة الخوف جاءت كيفيتها بعد غزوة الخندق. لكن المهم حرص النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الوقت مع التصوير الذي نتكلم عنه لما جاء وقت الصلاة فصلى بهم جالسًا. ويستدل من هذا بجواز أن يصلي الإمام جالسًا، لكن الخلاف كله هل يصلي المأمومين خلفه قيامًا أم جلوسًا. سنتكلم عنها في الفوائد المستنبطة.
- **(ثُمَّ مَالَ المشركونَ إِلَى رِحَالِهِم، ثُمَّ استقبلوا طريق مكة منصرفين إليها، وكان هذا كله يوم السبت).**
- **(واستشهد يومئذ من المسلمين نحو السبعين)** وهو عدد كبير، وحقيقة أكثر الذين قُتلوا في هذه المعركة كانوا من الأنصار؛ أغلب السبعين كانوا من الأنصار. حتى قيل أنهم قُتلوا منهم في "أُحد" سبعون، ويوم "بئر معونة" أيضًا –سيأتي معنا– القراء وغير ذلك، كانوا سبعون، ويوم "اليمامة" أيضًا في قتالهم لـ (مسيلمة). قُتل من الأنصار سبعون. فقدم الأنصار رضي الله عنهم كثيرًا من الشهداء.

- **(واستشهد يومئذ من المسلمين نحو السبعين، منهم: حَمْزَةُ عَمُّ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم. قتلَهُ: وَحْشِيٌّ مَولَى بَنِي نَوْفَلٍ، وَأُعْتِقَ لذلك، وقد أسلم بعد ذلك، وكان أحدَ قَتَلَةِ: مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ – لَعَنَهُ اللهُ)**، طبعًا (وحشي) له قصة– رضي الله عنه– هو قاتل (حمزة) رضي الله عنه، و(حمزة) هو عم النبي صلى الله عليه وسلم وكان من أحب الناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأقربهم. وكان إسلامه عزة، كما كان إسلام (عمر) عزة. فكان (حمزة) و(عمر) قد ساندوا الصحابة رضوان الله عليهم في وقت الاستضعاف. وكان (حمزة) رضي الله عنه قتل (طعيمة بن عدي بن الخيار) ببدر، فجاء (جبير بن مطعم) وقال لـ (وحشي) إن قتلت (حمزة) –لأنه قتل عمه (طعيمة)– فقال إن قتلته فأنت حُر. فترصد لـ (حمزة) (وحشي)؛ أي ظل مختبئ خلف الصخرة وهو يرقب (حمزة)، و(حمزة) يقاتل رضي الله عنه في المشركين، وكان مقاتلًا شديدًا وشجاعًا. فأول ما استطاع أن يرقبه رماه بالحربة فقتله.
- وحقيقة أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما أسلم (وحشي) فجاء للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: [أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ؟] قال نعم، قال: [فَهلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ وجْهَكَ عَنِّي؟]، فقد كان يحب (حمزة) جدًا فكان يتأثر. حتى أن (وحشي) أراد أن يفعل شيئًا، وطبعًا قد أسلم والإسلام يَجُبّ ما قبله، فانظر قتل من! (حمزة) رضي الله عنه، ثم أسلم بعد ذلك، فأكرمه الله عز وجل أن يقتل هو (مسيلمة الكذاب)، وأيضًا قتله برمح، و(مسيلمة الكذاب) قد ادعى النبوة، فقتله وقال لعل هذه تكون بقتلي (حمزة)، لأن الله جعله سبب في تخليص المسلمين من (مسيلمة الكذاب).
- وقد حرضه على قتل (حمزة) (جبير بن مطعم) ثم طبعًا بعد ذلك (جبير) أسلم أيضًا والله كتب له الهداية. لذلك دائمًا لما تنظر لقوله تعالى وتقرأ: {لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ} [آل عمران: 128] تستعجب سبحان الله، انظر! كل هؤلاء الذين نتكلم عنهم فعلوا ما فعلوا في النبي صلى الله عليه وسلم وفي الصحابة يوم أحد، ومنهم من فعل أكثر في مكة قبل ذلك، ومنهم من سيفعل في الأحزاب، و(خالد) انظر ماذا فعل لما دارت

الدائرة على المسلمين! وربنا أكرم هؤلاء بعد ذلك بالإسلام. لذلك لابد أنك لا تستبعد هداية أحد حتى وإن رأيت منهم ما رأيت من فسق وضلال. بعض الناس للأسف يحكمون على الناس في حالهم، وليس لك أنت هذا الحكم! أنت لا تدري ماذا سيختم الله عز وجل لك ولا لهؤلاء.

- فانظر.. ليس هناك بعد الكفر شيء، صناديد الكفر، بل قتلوا من قتلوا من الصحابة، وأراد الله عز وجل أن يكون لهم هداية، والله أنزل هذه الآيات ليبين للنبي صلى الله عليه وسلم: {لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ} فالهداية من الله، ما تعلم، ممكن يكون من أكفر أهل الأرض، ومن أفسق أهل الأرض، ثم الله عز وجل يكتب له هداية قبل موته أو أثناء حياته. فنحن ليس لنا ذلك، هذه المسألة لله عز وجل لا دخل لأحد، حتى النبي صلى الله عليه وسلم ما كان له في ذلك شيء، وقد بينه الله عز وجل له.
- وكثير من المهاجرين قتلوا؛ قال: **(وَعَبْدُ اللَّهِ بِنُ جَحْشٍ حَلِيفٌ بَنِي أُمَيَّةَ)** وهذا له قصة، **(وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وعُثْمَانُ بنُ عُثْمَانِ، وهو: شَمَّاسُ بنُ عُثْمَانَ الْمَخْزُومِيُّ، سُمِّيَ: بِشَمَّاسٍ؛ لِحُسْنِ وَجْهِهِ. فهؤلاء أربعة من المهاجرين، والباقون من الأنصار)**، انظر! من السبعين أربعة فقط مهاجرين، والباقي كله من الأنصار الذين استشهدوا في معركة أُحد.
- و(عبد الله بن جحش) رضي الله عنه له قصة أيضًا، وكل أولئك ينزلون تحت قوله: {مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب: 23]. تمنى (عبد الله بن جحش) وقال: [اللهم لقني من المشركين رجلا عظيما كفره، شديدا حرده، فأقاتله، فيقتلني فيك، ويسلبني، ثم يجدع أنفي، وأذني، فإذا لقيتك، فقلت: يا عبد الله بن جحش، فيم جدعت؟ قلت: فيك يارب] فدعا الله بذلك، فاراد الله أن يكون كما كان، قابله أحد من صناديد قريش فقاتلوا بعضهم حتى قتله الثاني وجذع أنفه وأذنه، فقُتِل، فكأنه أرادها لله، حتى أن بعض أهل العلم يقولوا بجواز أن يسأل المرء الشهادة أو الموت في سبيل الله عز وجل، وهذا ليس فيه إنكارًا. هذا كان (عبد الله بن جحش) رضي الله عنه.

- قال: **(فدفنهم في دمائهم وَكُلُومِهِم، ولم يُصَلِّ عَلَيْهِمْ يومئذٍ)** وهنا هذه مسألة مهمة جدًا؛ أن الشهيد لا يُغَسَّل، ويُكَفَّن في ملابسه، ولا يُصلَّى عليه، هذا شهيد المعركة، كما جاء عند البخاري في حديث (جابر) رضي الله عنه: [كانَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَجْمَعُ بيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِن قَتْلَى أُحُدٍ في ثَوْبٍ واحِدٍ، ثُمَّ يقولُ: أيُّهُمْ أكْثَرُ أخْذًا لِلْقُرْآنِ، فَإذَا أُشِيرَ له إلى أحَدِهِما قَدَّمَهُ في اللَّحْدِ، وقَالَ: أنَا شَهِيدٌ علَى هَؤُلَاءِ يَومَ القِيَامَةِ، وأَمَرَ بدَفْنِهِمْ في دِمَائِهِمْ، ولَمْ يُغَسَّلُوا، ولَمْ يُصَلَّ عليهم]، وهذا قلنا سنة مع شهداء المعركة، بأنهم لا يُكَفَّنوا إلا في ملابسهم، إلا إن لم يوجد له ملابس، لأن (حمزة) رضي الله عنه وأرضاه لما قتلوه مثَّلوا به وسلبوا ملابسه، وبقروا بطنه وغير ذلك، فأرسلت (صفية) رضي الله عنه وأرضاها ثوبين للنبي صلى الله عليه وسلم ليكفنه، فأخذ واحدًا كَفَّن به (حمزة)، والثاني أعطاه لأحد الشهداء من المسلمين فكفنه به. فقالوا هنا: إن لم يكن عنده رداء أو غير ذلك يُعطى له، لكن لو كان عنده ما يستره فلا يُكَفَّن إلا في ما قُتِل فيه، ولا يُغَسَّل؛ يظل بجراحه هكذا، ولا يُصلَّى عليه أيضًا، لأن النبي لم يصلي عليهم.
- وسيأتي الكلام في مسألة أنه قبل موته بوقت قصير ذهب إلى شهداء أحد- كما جاء- فصلَّى عليهم. والمقصود هنا أنه دعا لهم، ولم تكن الصلاة صلاة جنازة. وهذا طبعًا بعد سنوات، لأن هذا كان قبل موته بأشهر أو بأيام في السنة العاشرة، وأُحد كانت في الثالثة. فهو لم يصل عليهم، وهذا هو الصحيح، لأنه ورد بأنه صلى عليهم وكان يضع (حمزة) أمام كل واحد، فيصلي على الشهيد وعلى (حمزة)، فكأنه صلى على (حمزة) سبعين مرة، وهذا الحديث ضعيف، الصحيح أنه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يصل على شهداء أحد وقت ما دفنهم.
- ثم ذكر: **(وَفَرَّ يومَئِذٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَعْيَانِ، منهم: عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ رضي الله عنه. وَقَدْ نَصَّ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى الْعَفْوِ عَنْهُم)** لأن طبعًا من ضِمن الذي أُخِذ على (عثمان) قبل مقتله، الذين خرجوا على (عثمان) في زمان (عثمان) –كما سيأتي– أنهم

أخذوا عليه بعض الأمور التي قد فعلها، فأرادوا أن يقدحوا فيه؛ بأنه أولًا لم يشهد بدر، وثانيًا قالوا هو فرَّ يوم أحد، ولم يكن في بيعة شجرة الرضوان. فجاء رجل من الخوارج يقول لـ (ابن عمر) فيقرر، قال: نعم، فقال: الله أكبر – كأنه فرح– فقال له تعال: أما الأولى. (يقصد بدر) فقد أذِن النبي صلى الله عليه وسلم أن يمرض بنت النبي صلى الله عليه وسلم وزوجته، حتى ماتت في هذا المرض، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قد استنهض الصحابة للقتال، فهو لم يتخلف عن القتال، وقد تركه النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة ليطبب ابنته وزوجته بل وضرب له سهمًا في بدر؛ أي جعله من الذين شهدوا بدر، وأما يوم أحد فقد تولى كما تولى وقد غفر الله عز وجل لهم وله، لما قال تعالى: { إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ} [آل عمران: 155]، إذًا الله أنزل عفوه عن كل من تولى، وهذه الثانية. وأما الثالثة في بيعة الشجرة فالنبي صلى الله عليه وسلم قالوا لم يجد أقرب وأفضل من (عثمان) يكون رسولًا لكفار قريش في مكة، لأن القصة أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسله إلى مكة يكلمهم في الدخول، فلما ذاعوا خبر بأن (عثمان) قد قُتِل في مكة، فالنبي صلى الله عليه وسلم أخذ البيعة "بيعة الرضوان" على أن الصحابة كلهم يبايعون على أنه سيذهب ليقاتل، فحتى رفع يده اليمنى وقال: [هذِه يَدُ عُثْمَانَ]، أي بايع النبي صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة، كأن عثمان معه يبايع، مع أن عثمان أصلًا هو رسول، وهو الذي حُبِس هناك، فهو ما تخلف أصلًا، لكن النبي صلى الله عليه وسلم بايع له بيده، قال: [هذِه يَدُ عُثْمَانَ]. فقال فخذها وطر بها أو انصرف بها، أراد (ابن عمر) أن يرد على هذا الخارجي ما قال.

- فهنا (عثمان) من ضمن الذين تولوا أو فروا كما قال: **(وَفَرَّ يَومَئِذٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَعْيَانِ، منهم: عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ رضي الله عنه. وَقَدْ نَصَّ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى الْعَفْوِ عَنْهُم)**، لابد أن تعلموا هذه الأمور لأنه ممكن يُلْمَز عليها، فلابد أن تعرفوا الحُكم في هذه المسائل.

- **(وَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ مِنَ المشركين: اثنان وعشرون، وقد ذكر سُبْحَانَهُ هذه الوقعة في سورة آل عمران حيث يقول:{ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }).**

هذه غزوة أحد، وحقيقة فيها فوائد كثيرة وحِكَم لابد ألا نتركها هكذا بل نبينها، فسنمر عليها بقدر ما نستطيع ونذكر الأحكام والأمور الفقهية والفوائد المستنبطة من هذه الواقعة.

بعض الفوائد من هذه الغزوة المباركة (غزوة أحد):

1- **أن الجهاد يلزم بالشروع فيه**؛ وذلك لما النبي صلى الله عليه وسلم لَبِس لأمته؛ لبس الحرب، فلما دخل ولبس وخرج، ظن بعض الصحابة أنهم استعجلوا النبي صلى الله عليه وسلم الناس في الخروج، فقالوا لك الأمر، ممكن ألا نخرج؛ أي نقاتلهم، فقال: [مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لأمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ] فهنا بعض الفقهاء قالوا إذا شُرِع في الجهاد –كأنه من ضمنه اللبس– ليس له أن يعود حتى يقاتل العدو.

2-**أن قتال الكفار لا يلزم الخروج لهم خارج المدن**؛ أي ممكن أنك تقاتلهم خارج المدينة، وممكن أن تنتظرهم –إن كانت هذه المصلحة– أن يأتوا لك وتقاتلهم داخل المدينة، وذلك لما طلب النبي صلى الله عليه وسلم المشورة، فكان الأمر خيارًا، الداخل أو الخارج على حسب المصلحة في ذلك.

3-أن النبي صلى الله عليه وسلم في طريقه دخل في أملاك بعض الأنصار في المدينة، اضطر أن يسير بالجيش في هذه الأملاك، والرجل كان يريد أن يمنع، والنبي دخل فهذا كان طريق غزوه، فاستدل الفقهاء على **جواز أن يسلك الإمام بالجيش في بعض أملاك الرعية إن احتاج إلى ذلك، لأن هذه مصلحة عامة، فهنا قال المصلحة العامة تقدم على المصلحة الخاصة**، وهذا الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم في طريقه اضطر أن يدخل من بعض أملاك

الأعراب أو غير ذلك، فحتى وإن لم يرض المالك فمن حقه أن يدخل في ذلك كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم لأن المصلحة العامة تقدم على المصلحة الخاصة هنا.

4-**من لا يطيق القتال من غير البالغين فليس عليه قتال**؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم رد بعضهم لصِغَرهم، ما يطيقون قتال، فليس عليهم قتال، مثل (أسامة بن زيد)، و(عبد الله بن عمر) وعددنا كثير منهم.

5-طبعًا هنا القصة ليست مطولة، فما ذُكِر مثلًا فِعل (فاطمة) رضي الله عنها وأرضاها، كانت في الغزوة، أنه لما النبي صلى الله عليه وسلم جُرِح وأرادت أن تُسَكِّن الدم فما كان يقف، فجاءت بحصير أو شيء فأحرقته فكوت به حتى يتوقف الدم. وأيضًا كانت (أم عمارة) موجودة رضي الله عنها. فالعلماء هنا قالوا **جواز الغزو بالنساء والاستعانة بهم في الجهاد**، هو لم يذكرها هنا ابن كثير في المختصر، لكن طبعًا لو رجعتم ستجدوا فعل (فاطمة) و(أم عمارة)، فدل ذلك على الجواز الاستعانة بالنساء في الجهاد، ممكن يستعينوا بهم في التطبيب، يستعينوا بهم في المناولة، ولو قاتلوا يجوز أيضًا، لأنه يجوز الغزو بالنساء.

6-فعل (أنس بن النضر) رضي الله عنه يدل على **جواز الإنغماس في العدو**، لما وجد أن كلهم رجعوا، وهو دخل. وانتبهوا! هناك فرق بين الإنغماس في العدو أو بين قتل النفس. فهنا الإنغماس في العدو، والنبي صلى الله عليه وسلم أثنى على فعله، وأيضًا كما فعل (البراء) لما أُلقِي من خلف السور ونزل وفتح الباب، وأيضًا لما حدث مع (أبو أيوب الأنصاري) لما رأوا رجلا دخل في مقدمة الجيش يخترق العدو، فقالوا أهلك نفسه، وقال تعالى: {وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ} [البقرة: 195] فقال (أبو أيوب الأنصاري): والله ما نزلت في هؤلاء، بل نزلت فينا نحن معشر الأنصار وإخواننا من المهاجرين لما فتح الله عز وجل علينا، فانشغلنا نحن الأنصار بالزروع، وانشغل إخواننا المهاجرين بالتجارة، فنزل قول الله عز وجل: {وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ} وبترك الجهاد والجلوس في المدينة أو غير ذلك. إذًا مسألة الإنغماس في العدو جائزة، وقد يكون فيه غلبة ظن أنه ممكن لا ينجو، لكنه دخل ليقاتل، لكن ليست بيقينية،

وكثير من الصحابة فعلوا ذلك كانوا يدخلون ويخرجون، بل بعضهم دخل وأتى بقائدهم قتله وأتى به ورجع. فالإنغماس فيهم، والقتل فيهم، والإثخان فيهم هذا جائز. هذه غير المسألة التي نقولها الآن أنه يُفَجِّر نفسه، **تفجير النفس مسألة غير هذه انتبهوا**.. لأن الإنغماس هو يقاتل ويقتل فيهم كثيرًا وممكن يرجع وممكن لا يرجع، هذه قوة وشجاعة وإرهاب في العدو جاءت على الجواز، غير مسألة قتل النفس؛ أي أنه يقتل نفسه أمامهم، هذه مسألة أخرى حتى لا ندخل فيها الآن. لكن أنا أقول الإثخان هذه ممكن، مثل أحد دخل معه دبابة أو سيارة أو معه شيء ودخل في وسطهم يضرب فيهم كلهم، ممكن جدًا يقضي عليهم ويعود، وممكن لا يعود، فممكن تعتبر أن هذا إنغماس في العدو، أو يدخل في بيت هم فيه ودخل فيهم ويستطيع أنه يقتل فيهم ما يقتل، نقول هذا جائز ليس فيه شيء.

7-**أن الإمام يستطيع أن يصلي جالسًا إذا جاء وقت الصلاة إن عجز عن القيام**؛ وهذا الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يأتي خلاف فقهي –ليس محلها الآن– إن لو صلى هو جالسًا يصلى المأمومين خلفه جلوسًا –وهذه مسألة إن شاء الله ندرسها في الفقه– أو يصلوا خلفه قيامًا. المهم بأن الإمام –إن كان هو الإمام الراتب أو كان هو القائد– إن عجز عن القيام فله أن يصلي جالسًا كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم واستمر حتى على ذلك.

8-**جواز الدعاء أن يُقتَل المرء في سبيل الله**؛ لما قال (عبد الله بن جحش): [اللهم لقني من المشركين رجلا عظيما كفره، شديدا حرده، فأقاتله، فيقتلني فيك، ويسلبني، ثم يجدع أنفي، وأذني، فإذا لقيتك، فقلت: يا عبد الله بن جحش، فيم جدعت؟ قلت: فيك يارب] إذًا للمرء أن يتمنى الشهادة أو يتمنى القتل في سبيل الله، هذا غير "اللهم أحيني إن كانت الحياة خيرًا لي وأمتني إن كان الموت خيرًا لي" هذه مسألة أخرى غير مسألة القتال والجهاد في سبيل الله، لأنك إن قُتِلت في سبيل الله فهي طاعة، وإن كان الأفضل لاشك بأن المرء يتمنى أن يجاهد ثم يجاهد ثم يجاهد وأن يأتيه الأجل وهو يجاهد، أي تكون شهادة، لكن لا يتعجل، فالأولى ألا يتعجل القتل في سبيل الله، فهذا الأفضل، أن الله عز وجل يستعملك في القتال مرة واثنين

وثلاثة، وتقتل في الكفار، وتنشر "لا إله إلا الله"، وغير ذلك، ثم لمّا يأتيك الأجل تقول "أتمنى أن أقتل شهادة في سبيل الله"، وإلا (خالد) رضي الله عنه، هل هناك أكثر من (خالد بن الوليد) مشهور في تاريخنا الإسلامي كله في مسألة القتال والقيادة، ومع ذلك مات على سريره، حتى قال: "قاتلت في سبيل الله وما في جسدي إلا أثر من طعنة رمح أو رمية سهم أو ضربة سيف وها أنا أموت على فراشي فلا نامت أعين الجبناء". فهو كان يتمنى طبعًا أن يُقتل شهادة، لكن هو له مناقب (خالد) رضي الله عنه، وهو سيف من سيوف الله عز وجل. لكن أقصد أن نقول أن المرء يتمنى أن يكثر من الطاعات، ولما يأتيه الأجل يأتيه أيضًا على طاعة، هذا الأولى أنه يسارع في ذلك، لكن يجوز.

9-توجد قصة في أُحد لرجل يسمى (قزمان)، هو ما ذكره هنا لكن في المطولات تأتي. و(قزمان) هذا كان يوم أحد قد أبلى بلاء شديدًا في أول المعركة، ولو قصة، فالصحابة كانوا يتتبعونه ويرون ما فعله، فالنبي صلى الله عليه وسلم لما أشاد به الصحابة، قال: [هو من أهل النار]، فالصحابة يرون أن الرجل أبلى بلاء في القتال رهيب والنبي صلى الله عليه وسلم يقول هو من أهل النار! فهناك صحابي قال: والله لأرقبنه ذلك اليوم. فقال: ظللت أتابعه ويقاتل ويقاتل ويقاتل حتى ضُرِب ضربة، فما احتمل الألم فوضع السيف بين ثدييه وضغط عليه فقتل نفسه. فرجع الصحابي للنبي صلى الله عليه وسلم يقول أشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ماذا؟ قال الذي قلت عنه أنه من أهل النار فعل كذا وكذا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إني رسول الله، أشهد أنني رسول الله. **فهنا هذه دلالة على أن المنتحر من أهل النار لكن الصحيح الراجح أن المنتحر ليس بخالد في النار، إن مات على الإسلام طبعًا وكان من أهل الإسلام فليس بخالد في النار، لكن هذا الفعل من الكبائر** الذي قتل نفسه، كما قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم أنه من أهل النار.

10- **حكم فقهي أن السنة أن الشهيد لا يُغَسَّل ولا يُصلَّى عليه ولا يُكَفَّن في غير ثيابه بل يدفن فيها**؛ إلا إن لم يوجد ثياب. وهذا الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم مع شهداء أحد.

11- **إن مات جُنُبًا يُغَسَّل**؛ لأن الملائكة غَسَّلَت حنظلة، فاستنبط العلماء قالوا إن قتل جُنُبًا يُغَسَّل لأن الملائكة غسلته، وقالوا أما إن لم يكن جُنُبًا فلا يُغَسَّل.

12- أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يدفن الشهداء دفنهم في مصارعهم، **ولابد أن يُدفَن الشهداء في أماكنهم ما يُنقَلون**، لأن (جابر بن عبد الله) لما قُتِل أبوه (عبد الله بن حرام) وخاله فحملتهما عمته على دابة ودخلت بهم المدينة لتدفنهم في مقابرهم، فنادى منادي من النبي صلى الله عليه وسلم يأمركم أن النبي صلى الله عليه وسلم يأمركم أن ترجعوا بالقتلى فتدفنوها في مصارعها، فرجعوا بـ (عبد الله بن حرام) وحتى النبي صلى الله عليه وسلم دفنه مع (عمرو بن الجموح) في قبر واحد، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ادفنوا هذين المتحابين في الدنيا مع بعضهما أو في قبر واحد. فالسنة أن يُدفن شهداء المعركة في مكان ما قتلوا فيه. طبعًا إلا لو يَصعُب ذلك فسينتقلون، لكن ذلك الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم.

13- **أن من قُتِل في الجهاد مظلومًا فديته على بيت مال المسلمين**؛ وهو (اليمان) والد (حذيفة) الذي كان من ضمن المجاهدين وقتل خطأ في المعركة؛ قتلوه أهل الإسلام، فالصحابة ظنوه من الكفار يوم أحد فقتلوه، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يعطي الدية لـ (حذيفة)، ف (حذيفة) ما رضي، امتنع عن أخذ الدية وتصدق بها على المسلمين.

14- **فائدة عظيمة جدًا** ما أستطيع أن أغلق قبل أن أقولها، وهي من ضمن الحِكَم، لأن طبعًا هذه الغزوة فيها حقيقة أمور كثيرة جدًا، لكن هي من أهم المسائل فيها، **أن وقعة أُحد كانت مقدمة وإرهاصًا- كما قال ابن القيم في زاد المعاد- على موت النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك، وماذا يفعل أهل الإسلام**، لأن النبي صلى الله عليه وسلم ميت لا محالة، لأن لمّا أشيع في أحد "قُتِل محمد" حدث ما حدث من رجوع المسلمين، والبلبلة التي حدثت، وغير ذلك، والإنقلاب بعد ذلك، والله عز وجل كأنه يوطئ فقد نزلت آيات في سورة آل عمران فيها توبيخ للصحابة وكأنه يقول ماذا ستفعلون حقًا عندما يموت النبي، لأن النبي لابد سيموت، فنزلت الآيات: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُول قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ

وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ} [آل عمران: 144]. فهنا عاتب الله عز وجل ووبخ، لأن لما انتشر مقتل النبي صلى الله عليه وسلم كأن حدث ما حدث بين الصحابة. ووقعة أحد كانت في السنة الثالثة، والنبي صلى الله عليه وسلم سيموت في السنة العاشرة، لكن هذه تربية من الله عز وجل، فوقعة أحد تجهيز لما لابد أن يحدث، وهو موت النبي صلى الله عليه وسلم، فكأنه شيء حدث فكان هذا رد الصحابة، فأنزل الله عز وجل الآيات في سورة آل عمران يوبخ ويبين بأن الله عز وجل ينكر عليهم ماذا ستفعلون إن قُتِل النبي صلى الله عليه وسلم؟ هل بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ينقلب الأمر وترجعون؟ وكأن الله عز وجل هنا في هذه المعركة كان يربي الصحابة رضوان الله عليهم. لذلك لمًا حدث الامر حقيقة بعد ذلك انظر إلى ما فعل (أبو بكر) في حروب الردة، وما فعل (عمر) و(عثمان) و(عليّ) فعرفوا قدر هذه النعمة كما قال تعالى: {وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ}، فثبتوا حتى ماتوا أو قتلوا. ويظهر هذا العتاب أثره يوم موت النبي صلى الله عليه وسلم. انظروا العتاب متى؟ في غزوة أحد، لكن أثره يأتي في موت النبي صلى الله عليه وسلم وتعامل الصحابة وتعامل أهل الإسلام وأهل المدينة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، وما دُفِن النبي صلى الله عليه وسلم إلا وقد وُلِّيَ (أبو بكر). فبعض الناس ينظرون لما حدث في موت النبي صلى الله عليه وسلم كأنه واقعة مرة واحدة فجأة! لا، انظر إلى ما حدث في أُحد لتعلم أن المسألة مُجَهَّز لها قبلها بسنوات، لمّا أشيع أن النبي صلى الله عليه وسلم قُتِل ماذا حدث، لذلك لمّا فُعِل في يوم سقيفة بني ساعدة ومقتل النبي صلى الله عليه وسلم وحرص المسلمين على التولية، حتى قبل دفن النبي صلى الله عليه وسلم، لتستقيم الأمور، لم يأت هكذا فجأة! لا، هذا يأتي بتربية سابقة لِما حدث يوم أحد وإشاعة خبر مقتل النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآيات من الله عز وجل يوبخهم؛ ماذا ستفعلون لو قُتِل؟ هل ستنقلبون أم لا؟ فكان تجهيزًا لما سيكون بعد ذلك. فهذا ربط مهم جدًا يبين لك أن ما حدث في يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وما تم، هذا أمر كان مُرَبَّى عليه الصحابة ومُستَيقن في قلوبهم أنه سيحدث

وكان كأنهم يتعاملون مع الحدث– مع شدته– على أن هناك مصلحة أعظم وهو أنه لابد أن يكون هناك خليفة للنبي صلى الله عليه وسلم موجود يدير شؤون المسلمين، ثم بعد ذلك يحارب الردة، وتحدث الفتوحات، وهذا هو المطلوب، فالدين لله، ومحمد رسول قد نزل رسل من قبله وماتوا والرسالة باقية، وكلنا نعيش في هذه الدنيا لننشر هذا الدين، فنعيش كما قال (أنس بن النضر): "ماتوا على ما مات عليه النبي صلى الله عليه وسلم"، وحريّ بكل منا أن نحيا في الدنيا كما عاش النبي صلى الله عليه وسلم ونموت على ما مات عليه النبي صلى الله عليه وسلم في سبيل هذا الدين، وفي سبيل هذه الدعوة.

هذه أهم فائدة حقيقة نلتقطها الآن لأنها من الأهمية بمكان، وإلا فهناك فوائد كثيرة، ممكن ترجعوا لكتاب "زاد المعاد" أبدع (ابن القيم) حقيقة في هذا الباب في استخراج الفوائد والحكم من هذه المعركة، لمن أراد أن يستفيد ويتزيد أنا أوصي بالرجوع إليه. نقف عند هذا القدر اليوم.

المحاضرة الثانية عشرة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد،،على موعد اليوم مع دروس السيرة وشرح كتاب (الفصول في سيرة الرسول) للحافظ ابن كثير–عليه رحمة الله تعالى– وندخل في فصل **(غزوة حمراء الأسد)**، وهي من بعد غزوة أحد، قد انتهينا منها الأسبوع الماضي.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله:

فصل: غَزْوَةُ حَمْرَاءِ الأَسَدِ

وَلَمَّا أَصْبَحَ يَوْمُ الأَحَدِ، ندبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى النهوض في طلبِ العَدُوِّ؛ إِرْهَاباً لَهُم، وهذه غزوة حَمْرَاءِ الأَسَدِ، وَأَمَرَ أَنْ لاَ يخرج معه إلا من حضر أحداً،

فلم يخرج إلا من شَهِدَ أَحداً، سِوَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ كَان أبوه استخلفه في مهماته، فقُتل أبوه يوم أحد، فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى حَمْرَاءِ الأَسَدِ، فأذن له.

فنهض المسلمون كما أمرهم صلى الله عليه وسلم، وهم مُثْقَلُونَ بِالْجِرَاحِ، حتى بلغ حمراء الأسد، وهي على ثمانية أَمْيَالٍ من المدينة، فذلك قوله تعالى: {ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [آل عمران: 172].

وَمَرَّ مَعْبَدُ بنُ أَبِي مَعْبَدٍ الْخُزَاعِيُّ عَلَى رَسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابِهِ، فَأَجَارَهُ حَتَّى بَلَغَ أَبَا سُفْيَانَ وَالْمُشْرِكِينَ بِالرَّوْحَاءِ، فَأَخْبَرَهُمْ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد خرجوا في طلبهم، فَفَتَّ ذلك في أَعْضَادِ قُرَيشٍ، وكانوا أرادوا الرجوع إلى المدينة، فثناهم ذلك واستمروا راجعين إلى مكة.

وَظَفِرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ بِمُعَاوِيَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بنِ أَبِي الْعَاصِ، فَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ صَبْراً، وهو والد عَائِشَةَ أُمَّ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، فلم يُقتل فيها سواه.

- هذا الفصل عقده الإمام ابن كثير– عليه رحمة الله تعالى– في الحديث عن غزوة حمراء الأسد، ونسبة هذه الغزوة –حمراء الأسد– نسبة إلى جبل لونه أحمر كان قرب المدينة إلى جهة الجنوب، بعد ذي الحليفة، وذو الحليفة حوالي عشرين كيلو إلى جهة مكة. فنُسِبَت هذه الغزوة إليه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم انطلق إلى هذا المكان.
- وكان ذلك في اليوم التالي لغزوة أحد، فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم التالي مباشرة– وقد بينا ما حدث للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في غزوة أحد وما أصابهم من قتل ومن جراح وشدة. لأن الغزوة كانت يوم السبت، ويوم الأحد استنهض النبي صلى الله عليه وسلم الذين كانوا معه في أُحد الى الخروج إلى حمراء الأسد.

- فأمر النبي صلى الله عليه وسلم الذين شهدوا أُحد فقط أن يخرجوا معه، أما الذين لم يشهدوا أحد فلم يأذن لهم أن يخرجوا معه. حتى أن جاءه (عبد الله بن أبي بن سلول) أراد أن يخرج معه فمنعه النبي صلى الله عليه وسلم أن يخرج معه. وطبعًا لما حدث منه وقت بدر.
- النبي صلى الله عليه وسلم لمّا أمر بذلك كان المقصد كما قال الحافظ: "ارهاب العدو"، لأنه لما حدث ما حدث في أحد، النبي صلى الله عليه وسلم خشي أن قريش تدخل المدينة، لذلك هو أرسل عينًا له قال انظر.. إن تركوا الخيول وركبوا النوق سيتجهون إلى مكة، وإن رأيتهم على خيولهم ولم ينزلوا إلى نوقهم إذًا سيدخلون المدينة. فلما تتبعوهم وجدوهم قد استبدلوا الخيل بالنوق فعلم أنهم سيرجعون إلى مكة ولن يدخلوا المدينة يستبيحوا المال والذراري.
- فقصد النبي صلى الله عليه وسلم بذلك إرهاب العدو، أي يخبر كفار قريش أنه ما زال مع ما أصابهم في أحد فما زالوا على قوتهم وما زالوا على صبرهم وجَلَدهم، وإيصال رسالة للعدو بأنهم لم ينهاروا أو لم يبادوا وما زالوا على قوتهم، مع أنهم في ضعف حقًا وتوجد جراح، لكنه – كما سيأتي معنا في الفوائد المستنبطة– أنك بتصدر رسالة للعدو حتى لا يفكر أن يعود عليك فيستأصلك بالكلية.
- وهذا الذي تباحث فيه كفار قريش – كما سيأتي في السياق الآن– أنهم تباحثوا ولاموا أنفسهم لماذا يرجعون! فهم لم يستأصلوا محمد والمسلمين جميعًا، هم فقط قتلوا منهم ما قتلوا لكن أرادوا أن يستأصلوا الشوكة بالكلية. ففكروا أن يعودوا. لكن لما جاءهم الخبر بأن النبي صلى الله عليه وسلم يأتي إليهم، فأثناهم ذلك ورجعوا.
- فكان هدف النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك أن يبين أن المسلمين لا يزالوا على قوتهم، وعلى نشاطهم، وعلى شدتهم، بل هم يلاحقون العدو الذي كان يقتل فيهم أمس. وهذا طبعًا ليفت عضد العدو ويوقع فيه الخوف من أهل الإسلام، وهذا كان مقصودًا. والحق أن فيه لاشك دلالة على شجاعة وصبر وقوة تحمل النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الذين معه. فمع كونهم مصابين وفي جراح والمعركة كانت شديدة عليهم، ومع ذلك في صباح

الأحد أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا. لذلك قال تعالى: {مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ} أي فيهم الجروح والشدة التي أصابتهم ومع ذلك خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم.

- ويقول أن سبب هذه الغزوة أن (موسى بن عقبة) قال: قدِم رجل من أهل مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستخبره أن (أبو سفيان) وأصحابه يقولون أنهم يريدون الرجوع مرة أخرى، فهو مر عليهم فقال نازلتهم– أي نزلت قريبًا من مكانهم، فسمعتهم يتلامون – أي كفار قريش– يقول بعضهم لبعض: لم تصنعوا شيئًا، أصبتم شوكة القوم وحدهم ثم تركتموهم ولم تبتروهم – أي لم تستأصلوهم– فتبقى معهم رؤوس محمد وبعض أصحابه، فغدًا يجمعون لكم مرة أخرى. فسمع (موسى) ذلك فجاء يخبر النبي صلى الله عليه وسلم. فلذلك النبي صلى الله عليه وسلم عندما علم باحتمال أن يرجعوا– ورجوعهم كان سيكون فيه شدة على النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم ليسوا في حالة تسمح، فأراد أن يباغت هو بأن يرسل لهم رسالة أنه قادم إليهم حتى لا يفكرون في العودة للقتال وينصرفوا. فكان هذا من سياسة النبي صلى الله عليه وسلم في إدارته لهذه المعركة، حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [لا ينطلق معي إلا من شهد القتال]، أي لا يخرج معي اليوم إلا من كان يقاتل معي في غزوة أُحد.
- إذًا النبي صلى الله عليه وسلم خرج ليرهب العدو –كما قلنا– وحتى يخمد الفكرة التي كانت عند كفار قريش أن يعودوا مرة أخرى ويكون القتال مع النبي صلى الله عليه وسلم. لذلك غزوة حمراء الأسد تعتبر تتمة لغزوة أحد.
- هنا ذكر الحافظ ابن كثير قال: **(وَلَمَّا أَصْبَحَ يَوْمُ أَحَدٍ)** وكان يوم الأحد، وكانت لحوالي ستة عشر ليلة مضت من شوال في السنة الثالثة للهجرة؛ هذا توقيت انتهاء أُحد وبداية حمراء الأسد. في اليوم الذي كان فيه المشركين يرجعون إلى مكة، وبعد أن حققوا ما يرونه انتصارا على المسلمين أصالة.

- لكن هنا أهل السِيَر يقولون إن حتى كفار قريش لم يكن عندهم تَطَلُّع أصالة، أي أن المفترض أن الذي يفوز في حرب لا يسارع في العودة، فيمكث في المكان ويجلس لأنه مسيطر –كما يقال– فالنبي صلى الله عليه وسلم عندما قاتل في بدر وانتصر، جلس في مكان بدر ثلاثة أيام ثم رجع للمدينة بعد ذلك. هم بعد ما حدث منهم من أُحد أسرعوا بالخروج وكأنهم أصالة ليس عندهم تخطيط أو ما كانوا يعتقدون أنهم ممكن أن يفوزوا أو أن ينتصروا، فمع ذلك لم يتقدموا إلى المدينة! كان المفروض أنه فائز وعلى بعد ستة أميال من المدينة أو شيء أو قريب من ذلك أن يذهب إلى المدينة ينهب ما فيها من ثروات، أي يأخذ الأموال والذراري ويستبيحهم، لأن المسلمون كانوا في ضعف وقتها وفي قرح وجراح، فلم يرجعوا بالغنيمة، أي ما أخذوا غنيمة وأموال من المسلمين أصالة.
- ولذلك تبين كأنهم لم يصدقوا أنفسهم بأنهم قد انتصروا في هذه المعركة. لكن لا شك كان خسارة للمسلمين، حوالي سبعين من الذين اصطفاهم الله عز وجل في هذه المعركة ليكونوا شهداء فقتلوا في سبيل الله عز وجل، حتى أن الصحابة كما ردوا على (أبو سفيان) قالوا له: [قَتلانا في الجنَّةِ وقتلاكُم في النَّارِ]، وهذا حق، وهذه منقبة وفضل من الله عز وجل على من قُتل في سبيله فهو يكون من أهل الشهادة وله ما له من المناقب للشهيد– هذه سيأتي ذكرها في محلها– لذلك تجد أهل الإسلام يقبلون على القتال والجهاد رغبة فيما عند الله عز وجل من درجة الشهادة.
- **(ندبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى النهوض في طلبِ العَدُوِّ؛ إِرْهَابَاً لَهُم، وهذه غزوة حَمْرَاءِ الأَسَدِ، وَأَمَرَ أَنْ لاَ يخرج معه إلا من حضر أحداً، فلم يخرج إلا من شَهِدَ أَحداً، سِوَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ)**، وهنا (جابر بن عبد الله) صحابي جليل حقيقة، له بعض الوقفات في السيرة عمومًا تبين لك هذا الصحابي الجليل العظيم القدر، وأبوه (عبد الله بن حرام) الذي أيضًا كان له منقبة عظيمة أن كلمه الله عز وجل كفاحًا لما قُتِل في أُحد، وكلمه الله عز وجل وقال تمنى، فقال أتمنى أن أعود فأُقتَل في سبيلك، وذلك مما رأى من فضل

ونعم في الجنة، فقال الله عز وجل أني قد قضيت أن من مات لا يعود، فقال أبلغ قومي. فالنبي صلى الله عليه وسلم أبلغ (جابر) رضي الله عنه على منقبة ودرجة (عبد الله بن حرام) في الجنة وأن الله قد كلمه كفاحًا سبحانه وتعالى.

- فهنا انظر.. كان (عبد الله بن حرام) خرج في أُحد مع النبي صلى الله عليه وسلم، وكان عنده (جابر) فقط والباقي بنات، فقال لـ (جابر) أخلفني في البنات؛ أي أخواته البنات عنده تسعة تقريبًا، فلم يخرج (جابر) في المعركة لأن أبوه الذي خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو استخلفه على البنات يرعى شؤونهم، وكانوا صغارًا، سبع بنات تقريبًا، والبعض قال تسع، (البخاري) قال سبع، فيرعى البنات ويتولى شؤونهم وغير ذلك. فلما جاء استأذن النبي صلى الله عليه وسلم قال له أن يجاهد في اخوته ويجلس معهم، ويكفي أن (عبد الله بن حرام) أبوه قد خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في المعركة. فقتل أبوه يوم أُحد. فاستأذن (جابر) النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون بديلًا عن أبيه لأنه النبي صلى الله عليه وسلم ما أمر أن يخرج معه إلا من كانوا يقاتلون معه في أُحد، والوحيد الذي أذن له النبي صلى الله عليه وسلم هو (جابر بن عبد الله) أن يخرج، كأن مكان أبيه الذي قد قُتِل في أُحد، فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم.
- وحقيقة انظر لفعل (جابر)! كأنهم يخرجون للجهاد يتمنون ذلك، يتمنون الجهاد والقتال، غيره يقول عندي تسع بنات وأبي قتل في أُحد، وهذا كان ثاني يوم أُحد. وهذا يبين لك كيف كان الصحابة يطبقون الدين. المسألة ليست السماع فقط والحضور! لا، المسألة في التطبيق. الرجل أبوه مات في المعركة وأخواته بنات فقط، وهو العائل الوحيد لهم، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر أن يخرج، بل قال لا يخرج معي إلا من كان في أُحد، كان ممكن يجلس ويقول أنا أصلًا غير مأمور بالخروج، وأنا جلست في أُحد للبنات. لكن انظر إلى شوقه للقتال مع النبي صلى الله عليه وسلم، وشوقه لإقامة الدين هذا، وأنه يرفع راية لا إله إلا الله. فاستأذن من النبي صلى الله عليه وسلم أن يخرج كأنه مكان (عبد الله بن حرام). فأذن له

النبي صلى الله عليه وسلم. وهذه منقبة لـ (جابر) تبين لك كيف الصحابة رضوان عليهم كانوا يقدمون الدين في كل شيء، تضحيات عظيمة جدًا.

- بل هو (جابر) حقيقة له تضحية أخرى مشهورة جدًا، وهو حديث أخر يسمى حديث (جابر) حديث البعير، الذي كان في الرجوع من غزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم، وكان (جابر) عنده بعير لا يسير؛ أي كان ضعيف، فكان في أخر الركب، فالنبي صلى الله عليه وسلم وجده في النهاية في أخر الركب مع (جابر) هذا البعير فقال ماله؟ قالوا استبطئ وليس عندي غيره، هذا الذي أخذته من والدي، فضرب عليه النبي صلى الله عليه وسلم ضربة، فقال (جابر) كان ينطلق أسرع مما كان. والنبي صلى الله عليه وسلم يتسامر مع (جابر) في الطريق قال: "بعنيه" فقال: هو لك، قال: لا بعنيه، فباعه واشتراه النبي صلى الله عليه وسلم منه في الطريق على أنه يسلمه له جابر يركبه حتى يصل إلى المدينة. ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم [تَزَوَّجْتَ قُلتُ: نَعَمْ، قالَ: بكْرًا أمْ ثَيِّبًا قُلتُ: بَلْ ثَيِّبًا] – يتفقده– قال: [فَهَلَّا بِكْرًا تلاعبُها وتلاعبُكَ، وتضاحِكُها وتضاحِكُك] أي يقول له لماذا لم تتزوج البكر؟ فهو أصلًا بِكر فيتزوج بِكر أفضل له، فقال: يا رسول الله –انظر إلى (جابر) رضي الله عنه – قال: [إنَّ لي أخَوَاتٍ] – انتبه وانظر إلى الأخ هنا– [فأحْبَبْتُ أنْ أتَزَوَّجَ امْرَأَةً تَجْمَعُهُنَّ، وتَمْشُطُهُنَّ، وتَقُومُ عليهنَّ] أي عنده تسع أخوات، فأراد ألا يأتي بامرأة بِكر مثلهم، فأراد أن يأتي بواحدة ثيب تكون عندها خبرة فتستطيع أن تتعامل مع هذه البنات فتساعدهم وتتولى شؤونهم وتراعيهم وتكون سندًا لهم. فقال: [تُوُفِّيَ والِدِي ولِي أخَوَاتٌ صِغَارٌ، فَكَرِهْتُ أنْ أتَزَوَّجَ مِثْلَهُنَّ] أي شابة صغيرة مقاربة في السن لهن، [فلا تُؤَدِّبُهُنَّ، ولَا تَقُومُ عليهِنَّ، فَتَزَوَّجْتُ ثَيِّبًا]. فهذه حقيقة تضحية أيضًا، ومن الأمثلة الرائعة العظيمة التي يبينها لنا (جابر) ، ووصية أبيه له أن يتعهد إخوته البنات فتزوج لهم ثيب تراعيهم وقدَّم مصلحة أخواته على أن يختار الأفضل لنفسه أصالة. فكان هذا أيضًا من مناقب (جابر) رضي الله عنه وأرضاه.

- وطبعًا (جابر) له أحاديث في الحج مشهورة جدًا، من أهم أحاديث الحج التي تروي صفة النبي صلى الله عليه وسلم في الحج، وحديث (جابر) من عمدة الأحاديث في الحج.
- قال الإمام ابن كثير: **(فنهض المسلمون كما أمرهم صلى الله عليه وسلم، وهم مُثْقَلُونَ بِالْجِرَاحِ، حتى بلغ حمراء الأسد، وهي على ثمانية أَمْيَالٍ من المدينة)** أي مثقلين بالجراح بالإصابات التي فيهم، لتعلم أن القتال هناك كان قتال بالسيوف والرماح وأشياء، ولم يكن هناك تخدير أو عمليات والأمور هذه، فكانت الجراح شديدة عليهم.
- لكن هنا المسألة كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم استنهض، وكيف هم قاموا! لم يقولوا يا رسول الله نحن خرجنا من المعركة للتو وكذا وكذا! لا، استنهضهم يوم الأحد وقاموا كلهم معه ما تخلف عنهم أحد، بل جاءهم –كما جاء– (جابر) يريد أن ينضم. وهذا مثال لقوله تعالى: {ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [آل عمران: 172] وهذا حقيقة استجابة عظيمة جدًا، الله مدحهم في ذلك. انظر! تنزل آيات تمدح الصحابة، لابد أن تعلموا قدر هؤلاء القوم، الله ينزل آيات! يثني عليهم الله عز وجل ويبين لك حالهم. قال لهم الرسول استنهضوا نهضوا، أمرهم..استجابة فورا! ليس نحن الآن! تسمع الأذان وأنت متلحف بالغطاء وما تستطيع أن تقوم والأذان نداء من الله عز وجل أنك تقوم تصلي، وتجد نفسك بتكافح لتقوم لتصلي أو لكي تنزل المسجد ويكون الجو شديد البرودة أو شيء فكأنك عملت عمل بطولي لأنك فقط استجبت للأذان!
- فانظر إلى هؤلاء! كيف مع شدتهم وقتالهم إذا سمعوا قال الله وقال الرسول صلى الله عليه وسلم، الاستجابة فورية! وهذا الفارق، التطبيق، نحن نسمع كثيرًا ونتكلم لكن عندما يأتي التطبيق كيف تطبق؟ كيف تعمل؟ هذا هو المحك. ولذلك أثنى الله عز وجل عليهم بهذه الآيات.
- ثم قال: **(وَمَرَّ مَعْبَدُ بنُ أَبِي مَعْبَدٍ الْخُزَاعِيُّ عَلَى رَسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابِهِ)**، و(معبد بن أبي معبد) كان أولًا قد جاء للنبي صلى الله عليه وسلم فأسلم، فأمره

أن يلحق بـ (أبي سفيان) ولا يخبره أنه أسلم. وينظر لهم القوم ماذا يقولون وماذا يفعلون. وهذا عين، كأنه جاسوس، لكنه كان مسلمًا. بل قال له أن يلحق به ويخذِّله؛ أي يحاول أن يخذلهم على أنهم يعودوا إلى المدينة ويقاتلوا. فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بمهمة كما يقال استخباراتية أولًا، وأيضًا مهمة تخذيل؛ أنك تخذل القوم حتى لا يعودوا مرة أخرى.

- فلما رجع (معبد) مر بالنبي صلى الله عليه وسلم في حمراء الأسد، فأمره أن يذهب لـ (أبو سفيان) ويخذلهم هناك. وقال له قل لهم أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه انطلقوا في ساقتكم؛ أي انطلقوا يريدونكم؛ أي أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه سيقدمون إليكم ومعهم العتاد والجيش وغير ذلك، حتى يخذل المشركين.
- وهم أصلًا كانوا في حالة اختلاف بينهم: يرجعون أم لا يرجعون إلى المدينة؟ بعضهم غضب قال نحن ما فعلنا شيء غير أننا قتلنا بعضهم لكن ما زالوا موجودين أصالة. والبعض كان يريد أن يكتفي. فعندما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم (معبد) على أنه يخبرهم كأن محمد قادم والجيش معه، فهنا جعل غالبهم يأخذون قرار الرجوع إلى مكة وينصرفون عن المدينة.
- قال: **(فَأَجَارَهُ حَتَّى بَلَغَ أَبَا سُفْيَانَ وَالْمُشْرِكِينَ بِالرَّوْحَاءِ)**، والروحاء حوالي ثمانين كيلو أو أكثر من حمراء الأسد– أي بعد عشرين كيلو أيضًا من المدينة– حوالي ثمانين كيلومترا.
- قال: **(فَأَخْبَرَهُمْ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد خرجوا في طلبهم، فَفَتَّ ذلك في أَعْضَادِ قُرَيشٍ)**، بدأ يخذلهم، أنهم سيأتوا من ورائكم مرة أخرى. **(وكانوا أرادوا الرجوع إلى المدينة، فثناهم ذلك واستمروا راجعين إلى مكة)** فرجعوا إلى مكة بعد أن علموا أن النبي صلى الله عليه وسلم يأتي خلفهم في الطريق.
- ثم (أبو سفيان) في رجوعه لقي رجلًا، قال: إلى أين متوجه؟ قال: إلى المدينة. قال: ألا أعطيك رسالة تبلغها لمحمد، وإذا جئت مكة أملأ لك حمل بعيرك زبيبًا– أي يعطيه مكافأة زبيب حمل البعير–. قال: نعم. قال له: إذا أتيت محمد وأصحابه أبلغهم أن القوم قد جمعوا

لكم– أي تجيشوا واستعدوا– وقالوا إنا قادمون في العام القادم. فكأن (أبو سفيان) أيضا يبعث رسالة ليُرهب النبي صلى الله عليه وسلم والأصحاب ويخوفونه. لذلك نزل قول الله عز وجل: {ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ، فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ} [آل عمران: 173-174]. وهنا في الآيات وقالوا (حسبنا الله ونعم الوكيل) لما قال (قد جمعوا لكم فأخشوهم). كأنه يريد أن يخيفهم، فما خاف الصحابة وما خاف النبي صلى الله عليه وسلم بل قال: {فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا} و"زادهم إيمانًا" فيها دلالة على أن الإيمان يزيد وينقص. جده يزيد عن أحسن. هنا قالوا "حسبنا الله ونعم الوكيل" وهذه الكلمة عظيمة جدًا، وهي كلمة توكل واستعانة بالله. الناس بعضهم عندما يحصل له شيء يقولون "حسبنا الله ونعم الوكيل"، يحسبن عليك، هو يظن أنه بذلك يدعو! وهذا خطأ عند العوام. "حسبنا ونعم الوكيل" ليس دعاء على الغير! لا، "حسبنا الله ونعم الوكيل" في الأصل هي كلمة توكل واستعانة بالله، وهي تكون في طلب الخير، وطلب العافية، وطلب النعمة تطلبها من الله، وتقال أيضًا في طلب دفع البلاء والضر إذا كان الإنسان يخشى شيئ. لأن الآية قالت: {ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ} أي توكلوا واستعانوا بالله على أن يدفع عنهم هذا الضر، وهذا الأذى والبلاء وغير ذلك.

- إذًا إذا كان الإنسان يخشى من إمرئ معين، من سلطان ظالم، أو أحد بلطجي –كما يقال– أو شيء ممكن يضر به، فهنا ممكن يقول في هذا المقام "حسبنا الله ونعم الوكيل"، أي يطلب الحسب من الله، والاستعانة والتوكل من الله أن يدفع عنه هذا الضر أو هذا الأذى الذي يكون.
- وأيضًا إذا خرجت أنت في طلب الخير؛ كأن تتاجر، ذاهب لإمتحان، أو تفعل شيء فيه خير فتطلب "حسبنا الله ونعم الوكيل"، أي أنت تتوكل وتستعين بالله يعينك على هذا الأمر.

كلمة عظيمة جدًا، من أعظم الجمل التي يحتاج المرء أن يرددها دائما ويفقه معناها أين تقال.

- قال: **(وَظَفِرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِمُعَاوِيَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بنِ أَبِي الْعَاصِ)**، (المعاوية بن المغيرة بن أبي العاص) هو كافر وقُتِل، وقد مَثَّل بـ (حمزة) رضي الله عنه بعدما قتل، مَثَّل بجسده فقطع منه أجزاء وعبث به، قطع الأذن والأنف وفعل أشياء في الوجه إلى غير ذلك. وبعد أن فعل ذلك فر وخرج من المدينة، ثم نام قريبًا من المدينة من التعب، فبَعُدَ عن جيش الكفار المشركين، ونام قليلا، فجاء بعض الصحابة وجدوه فأخذوه، استطاعوا أن يمسكوا به. فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه صبرا؛ أي شد وثاق اليد والرجل وقُتِل وهو مشدود الوثاق، أي شُدت يداه ورجلاه وأمسكه أحد وضُرِب عنقه، هذا يسمى صبرا، لأن الصبر هو الحبس. الذي يُقتل في ساحة المعركة لا يقال قُتِل صبرا لأنه يقاتل، لكن الشخص الذي يُمسَك ويشد عليه ويوثق ويُكَتَّف ويحبس ثم يقتل، هذا الذي يسمى "قُتِل صبرا"، نوع من النكاية فيها أكثر.
- فقال: **(هو والد عَائِشَةَ أُمَّ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، فلم يُقتل فيها سواه)** أي يقصد غزوة حمراء الأسد لم يقتل فيها أحد سواه.

فوائد من غزوة (حمراء الأسد الأسد):

1-هنا الحقيقة توجد فائدة أريدها قبل أن ندخل على "بعث الرجيع" نحتاج إليها حقيقة في زماننا، وهي فعل النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما حدث في أُحد وثاني يوم في الإستنهاض والذهاب إلى حمراء الأسد، وإن كانت مسألة في القتال، لكن هي لها فائدة عظيمة جدًا أيضًا: إن أهل الدعوة وأهل العلم وأهل الدين وأهل الجهاد إذا حدث نوع من الضعف في فترة ما، أي هب أنه قتل قائد عسكري، أو مات عالم، أو قتل أحد من أهل الفضل والصلاح وكان مؤثرًا في الدعوة، وحدث نوع من الاهتزاز لاستمرار الدعوة أو لاستمرار القتال أو استمرار العلم، فهذا الضعف الذي قد يحدث- سواء كان موت عالم، أو

موت قائد، موت أحد منا من الذين يفعلون ذلك– لا بد ألا يؤثر على مسيرة العطاء في الدعوة وفي القتال وفي الجهاد وفي إقامة الدين. لأنه قُتِل (حمزة) رضي الله عنه، وقُتِل سبعين من الصحابة، وحدث ما حدث في هذه الغزوة، لكن النبي صلى الله عليه وسلم في سويعات خرج مستنهضًا أراد أن يبين للعدو أنه في القوة، بمعنى: حتى وإن كنت في ضعف وأصابك نوع من الإنكسار، أو أصابك نوع من الهزة؛ سواء كما قلنا بموت أحد من القادة أو من العلماء أو مُنِعت عن شيء في دعوة وفي غير ذلك، لا تظهر للعدو أنك في حالة خسران، ولا تظهر له أنك متراجع، بل من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم أَقْدِم حتى وإن كان عندك جراح وكان عندك ضعف في شيء، لكن لا تظهر ذلك لعدوك، بل عليك أن تستنهض نفسك سريعًا وأنك تقوم، لا أن تجلس تبكي على ما يكون. وهذا دأب السلف حقيقة ودأب القادة والعلماء الذين يتتبعون سيرة النبي صلى الله عليه وسلم. وهذه تظهر جليًا في ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم الثاني لغزوة أحد.

2–أيضًا التربية العظيمة الذي رباها النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه تظهر لك في هذه المواطن، بمعني عندما استنهضهم استجابوا مباشرة، وهذا لا يكون إلا عن تربية للنبي صلى الله عليه وسلم لهم، جلس يربيهم في مكة– قلنا من قبل ذلك– فلما جاءت المواقف التي يراد فيها التطبيق وجدت الاستجابة والطاعة بدون أدنى تفكير من الصحابة رضوان الله عليهم، وهذه تبين لك أن التربية الصحيحة العميقة تجعل المتربي هذا يبذل عند الحاجة إلى ذلك مباشرة ولا يفكر، وهذه ثمرة عظيمة من ثمرات التربية الحقيقية وثمرة من ثمرات التضحية.

3–فعل (جابر) يبين لك كيف يكون الإبن البار بأبيه. فأولًا سمع له لما استخلفه في بناته، ثم لما أراد أن يتزوج تزوج (جابر) رضي الله عنه وأرضاه بما ينتفع به أخواته، وهذا كله بر بأبيه. وأيضًا من البر أنه أراد أن يتبع طريق أبيه، لأنه لما قُتِل خرج للقتال هو أيضًا مع النبي صلى الله عليه وسلم، أي أراد أن يتبع الطريق الذي كان عليه أبوه، وهذا من تمام البر الذي فعله (جابر) رضي الله عنه وأرضاه.

4-هناك أيضًا إمكانية أنك تخص بعض الناس ببعض الفضائل، بمعنى: النبي صلى الله عليه وسلم استنهض الذين قاتلوا في أُحد فقط. واولًا لابد أن تعلموا أنهم كانوا يتشوقون إلى القتال، فالقتال بالنسبة لهم كان منقبة، وكان اصطفاء، ودرجة، فالنبي صلى الله عليه وسلم خص الذين كانوا يقاتلون في أُحد فقط بحمراء الأسد معهم، ولم يأذن للباقي. مثل أن يكون العالِم عنده طلبة متميزين أو قدامى، أو غير ذلك، فيخص البعض بخير أو بنعمة أو بفضل عن الباقي، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما قال أن لا يخرج معه إلا فقط الذين خرجوا في أُحد فهذا اختصاص، وطبعًا هذا اختصاص لينالوا أجرًا عظيمًا في القتال أو في الشهادة مع النبي صلى الله عليه وسلم.

5-أيضًا هناك دلالة على أن التكليف وقت الشدة لا يكون إلا لأولي العزم، وهذا الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه، ليس الكل خرج معه، وهذا يدل على أن أولوا العزم وأولوا الهمم العالية هم الذين يحملون على أكتافهم هذا الدين ويقومون به.

6-هناك مسألة مهمة أن القائد، والأمير، والعالِم، والمتصدر، والحاكم لا بد أن يكون عنده فقه بمقاصد الشريعة والمصالح، لأن الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم لمّا أسلم (معبد) أرسله ليكون عينًا له وليخذل، وهذه تحتاج لفقه بمقاصد الشريعة أيضًا.

7-وأيضًا فيه أن الأخبار- **وهذه مهمة جدًا**- لأننا في زمن شيوع الأخبار الكاذبة، ومن مئة خبر تجد خبر واحد هو الصحيح والباقي تلفيق! بل بعض الناس ممن يريدون الخير أصبحوا يلفقوا أخبار ويخرجوها للناس من باب رفع معنويات الناس! وتكون أخبار عن الأعداء أو عن شيء وهي أصلًا مفبركة! وهذا كذب أصلًا ولا يليق حتى لو كان يظن أنه بيفعل الخير برفع المعنويات أو يفت في العضد، فهذا ليس بصحيح! فالأخبار لا تُبنى إلا على أساس صحيح ومع عدول ثقات لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يعلم خبر القوم أرسل من عنده أحد ليأتي لهم بخبرهم؛ ماذا يفعلون وماذا يقولون، وهذا لابد أنك تستوثق في الأخبار وأنك تبنيها على أساس صحيح، لا تأخذ الأخبار من أي أحد.

8-ويبين لك هنا أيضًا أثر الإشاعات على القرارات، لأن النبي صلى الله عليه وسلم جعله يشيع أن محمد والجيش سيأتون، قال "خذلنا" وعندما سمعوا بذلك- قريش- رجعت. وهذا يبين لك أن هذا سلاح قوي جدًا، بل هذا الذي يفعله العدو مع المسلمين، وأيضًا يجب عليك أن تستخدمه، لكن أنك تستخدم إذاعة الأخبار وإشاعتها لتفت في عضد الغير.

فصل: بَعْثُ الرَّجيع

ثُمَّ بعث صلى الله عليه وسلم بعدَ أُحُدٍ بَعْثَ الرَّجِيعِ، وذلكَ فِي صَفَرَ مِنَ السَّنَةِ الرابعة، وذلك:

أنه صلى الله عليه وسلم بعث إلى عَضَلٍ وَالْقَارَةِ بِسُؤَالهم رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ذلكَ حينَ قَدِمُوا عَلَيْهِ، وذكروا أن فيهم إسلاماً، فبعث ستة نفر في قول ابن إسحاق .

وقال البخاري في صحيحه: كانوا عشرة.

وقال أبو القاسم السهيلي: وهذا هو الصحيح.

وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ: مَرْثَدَ بنَ أَبِي مَرْثَدِ الغَنَوِيَّ رضي الله عنه.

وَمِنْهُمْ: خُبَيْبُ بنُ عَدِي.

فذهبوا معهم، فلما كانوا بالرجيع – وهوَ: مَاءٌ لِهُذَيْلٍ بِنَاحِيَةِ الْحِجَازِ بِالْهَدْأَةِ، غَدَرُوا بِهِمْ، وَاسْتَصْرَخُوا عَلَيْهِمْ هُذَيْلاً، فَجَاؤوا فأحاطوا بهم، فقتلوا عامتهم، واسْتَأْسَرُ منهم: خُبَيْبُ بنُ عَدِي، وَرَجُلٌ آخرُ، وَهُوَ : زَيْدُ ابنُ الدَّثِنَّة، فذهبوا بهما فباعوهما بمكة، وذلك بسبب ما كانا قتلا من كُفَّارِ قريش في يوم بدر.

فأما خُبَيْبٌ رضي الله عنه، فَمَكَثَ عِنْدَهُمْ مَسْجُوناً، ثُمَّ أجمعوا لقتله، فخرجوا به إلى التَّنْعِيمِ لِيَصْلِبُوهُ، فاستأذنهم أن يصلي ركعتين، فأذنوا له: فَصَلاهُما، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ! لَوْلَا أَنْ تَقُولُوا: إِنَّ مَا بِي جَزَعٌ، لَزِدْتُ، ثُمَّ قَالَ:

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أَقْتَلُ مُسْلِماً عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ للَّهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

وقد قال له أَبُو سُفْيَانَ: أَيَسُرُّكَ أَنَّ مُحَمَّداً عندنا تضرب عنقه، وأنك في أهلك؟ فقال: واللهِ! ما يَسُرُّنِي أَنِّي فِي أَهْلِي، وَأَنَّ مُحَمَّداً فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ.

ثُمَّ وَكَّلُوا به من يحرسه، فجاء عَمْرُو بنُ أُمَيَّةَ، فاحتملهُ بِخُدعَةٍ ليلاً، فذهب به فدفنه.

وأما زَيْدُ بنُ الدَّثِنَّةِ رضي الله عنه، فَابْتَاعَهُ صَفْوَانُ بنُ أُمَيَّةَ، فَقَتَلَهُ بِأَبِيهِ.

- هذا البعث؛ بعث الرجيع، والرجيع: هو ماء يقع في شمال مكة على قرابة سبعين كيلو قبل عسفان بقليل. ولذلك لما حدثت الوقعة هناك، فسميت بـ (بعث الرجيع).
- قال ابن كثير رحمه الله: **(ثُمَّ بعث صلى الله عليه وسلم بعدَ أُحُدٍ بَعْثَ الرَّجِيعِ، وذلكَ فِي صَفَرَ مِنَ السَّنَةِ الرابعة)**، غزوة أُحد كانت في شوال، وبعد شوال طبعًا ذو القعدة وذو الحجة، ثم محرم وصفر، أي بعد أربعة شهور تقريبًا، قال: **(أنه صلى الله عليه وسلم بعث إلى عَضَلٍ وَالْقَارَةِ)** وهما من الهون ابن خزيمة؛ قبائل، وهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم حين قدموا قالوا إنا عندنا ناس مسلمين، **(يسُؤَالهم رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ذلكَ حينَ قَدِمُوا عَلَيْهِ، وذكروا أن فيهم إسلاماً)** ، أي عندهم في المنطقة إسلام ومسلمين، فطلبوا أن يرسل النبي صلى الله عليه وسلم معهم من يشرح لهم الإسلام ويعلمهم شيئا من القرآن. وهم هنا جاؤوا بغدر، جاؤوا للنبي صلى الله عليه وسلم أن عندنا مسلمين فأرسل من عندك نفرًا، علماء، قراء يقرؤون ويعلمون الإسلام.

- **(فبعث ستة نفر في قول ابن إسحاق. وقال البخاري في صحيحه: كانوا عشرة)** والصحيح أنهم كانوا عشرة.
- **(وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ: مَرْثَدَ بنَ أَبِي مَرْثَدٍ الغَنَوِيَّ رضي الله عنه)** لكن أيضًا البخاري قال أمَّر عليهم (عاصم بن ثابت) وهذا هو الصحيح، لأن له قصة ستأتي معنا. **(وَمِنْهُمْ: خُبَيْبُ بنُ عَدِي)** وأيضًا له قصة بمقتله– رضي الله عنهم جميعًا–. أصبحوا عشرة، فذهبوا.
- **(فلما كانوا بالرجيع – وهوَ: مَاءٌ لِهُذَيْلٍ بِنَاحِيَةِ الْحِجَازِ بِالْهَدْأَةِ، غَدَرُوا بِهِمْ)** وصلوا المكان وهم جاءوا ليسوا للقتال وليس معهم العتاد ولا شيء، فنادوا على هذيل أن يخرجوا جميعًا، فخرجوا وأحاطوا بهم، ظهر أنهم لا يريدون لا إسلام ولا شيء، أرادوا أن ينتقموا من النبي صلى الله عليه وسلم ويغدروا ببعض الأصحاب، فالتفوا حول العشرة فقتلوا سبعة منهم. قالوا أولًا سلموا أنفسكم، فثلاثة رضوا أن يسلموا أنفسهم وهم (خُبَيْبُ) و(ابنُ الدَّثِنَّة) وثالث، وسبعة رفضوا وحاولوا أن يدفعوا عن أنفسهم فقتلوهم.
- وقال الحافظ هنا: **(وكان في شأنهم رضي الله عنهم آيات)**. وحقيقة العشر هؤلاء لو تتبع في السير لكل واحد فيهم آية سواء في قتله أو بعد مقتله تجد أن الله عز وجل جعل لهؤلاء آيات؛ سنتكلم عن بعضهم الآن.
- و(عاصم بن ثابت) كان قائدهم، فلما قُتِل وعلمت قريش أنه قُتِل– و(عاصم بن ثابت) في بدر قتل كثيرًا من كفار قريش– فكانوا يريدونه–مطلوب كما يقال– فلما علموا أنه قُتِل، قالوا ائتونا بجزء من جسده– أي اقطعوا جزء من جسده لنتأكد أنه قد قُتِل– فكلما ذهبوا إلى (عاصم) ليقطعوا جزء، الله عز وجل أرسل حشرة كالنحلة (الدبَر) جاء منها عدد كبير جدًا كانوا كأنهم غمة –سحابة– ظللت على (عاصم) رضي الله عنه بالكلية، فكلما يأتوا ويقتربوا ليقطعوا منه شيء، لا يستطيعوا أن يقتربوا، تأتي الظلة من الحشرات الطائرة هذه التي تحيط بـ (عاصم) حتى لا يستطيعوا أن يقتربوا فيرجعوا، حتى أنهم ما اقتربوا إلى جسده وما استطاعوا أن يأخذوا منه شيء، فرجعوا دون أن يتحققوا وتركوه رضي الله عنه وأرضاه. وهذه

القصة ذكرها البخاري في صحيح البخاري. وهذه كانت قصة (عاصم بن ثابت) رضي الله عنه. وهو أيضًا عندما التفوا وأرادوا أن يقتلوه، قال (عاصم) رضي الله عنه: [اللهم أبلغ نبينا أمرنا] فأبلغ الله عز وجل نبيه، وبلغه في وقتها بما حدث لهؤلاء النفر. فتوجد آيات كثيرة، لكن الحافظ لم يذكر هذه، ممكن في المطولات لم نتعرض إليها.

- قال: **(واسْتَأْسَرَ منهم: خُبَيْبُ بنُ عَدِي، وَرَجُلٌ آخرُ، وَهُوَ : زَيْدُ ابنُ الدَّثِنَّة، فذهبوا بهما فباعوهما بمكة)** والحقيقة أنهم استأسروا ثلاثة، فقد قالوا سلموا أنفسكم، سبعة منهم رفضوا، فقالوا أنهم أصلًا أهل غدر فلن نسلم أنفسنا وسنقاتل حتى نُقْتَل، وقد قتلوا. وثلاثة منهم رأوا أن يسلموا أنفسهم؛ وهم (خُبَيْبُ بنُ عَدِي)، و(ابنُ الدَّثِنَّة)، ورجل ثالث لم يسميه ابن كثير. وبعد أن سلم نفسه رأى أنهم بيشدوا وثاقهم ويكتفوهم، فعلم أنه سيكون هناك غدرًا آخر، وأنهم سيأخذونه ليبيعونه، فحاول أن يتحرر أو يقاتلهم، فقتلوه. فتبقى (خُبَيْبُ بنُ عَدِي) و(زَيْدُ ابنُ الدَّثِنَّة). فذهبوا بهم إلى مكة؛ يبيعونهم في مكة، وهم أصلًا مطلوبين لأنهم قتلوا من كفار قريش في بدر، فعليهم دماء –كما يقال– لقريش. فباعوهم في قريش.
- فـ (خُبَيْبُ بنُ عَدِي) بيع على بني الحارث ابن العامر ابن نوفل، لأنه قتل أباهم، فبنيه اشتروه، فأخذوا وسجنوا أولًا عندهم فترة، ثم أرادوا أن يقتلوه، كما قال الحافظ: **(فَمَكَثَ عِنْدَهُمْ مَسْجُوناً، ثُمَّ أجمعوا لقتله، فخرجوا به إلى التَّنْعِيمِ لِيَصْلِبُوهُ)** لماذا خرجوا به إلى التنعيم؟ لأن مكة كانت حرم، والتنعيم هو الحِل، فكأنهم يعظمون الحرم فلا يقتلون فيه! فأخرجوه ليقتلوه في الحِل، تعظيمًا منهم لحرمة مكة مع أنهم كفار، فكانوا يقتلون بالخارج، مع أن دم المسلم أشد حرمة عند الله عز وجل من حرمة البلد الحرام. فيتورعون عن قتله في البلد الحرام احترامًا للبلد ثم يقدمون على قتل مسلم! وطبعًا هم كفار ما تفرق معهم! لكن المسلم عندنا دمه أعز عند الله عز وجل من البلد الحرام بالكلية.
- قال: **(فاستأذنهم أن يصلي ركعتين، فأذنوا له: فَصَلاهُما)**، لما خرجوا ليقتلوه استأذن أن يصلي ركعتين، فقال: **(وَاللَّهِ! لَوْلَا أَنْ تَقُولُوا: إِنَّ مَا بِي جَزَعٌ، لَزِدْتُ)** وكان يحب الصلاة

جدًا، وكان يريد أن يطيل لكن ظن أن يقولوا أن به جزع وخوف، فما أراد حتى أن يعطيهم هذا الشعور فيظنون أنه في حالة ضعف أو استكانة. فطوَّل في الصلاة، لذلك الإمام البخاري قال عنه (فكان أول من سَنَّ الركعتين عند القتل) رضي الله عنه.

- لذلك البعض عندما يقيموا على أحد الإعدام يقولوا له صل ركعتين إن أردت. وقد فُعِلَت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فكأنه أقره أو استحسنه، فقد وصل الأمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فكان من باب الإقرار– لأنها لم يفعلها النبي صلى الله عليه وسلم ولو يقل بها. لذلك البعض يقول أن من كُتِب عليه أن يُقتَل وطلب أن يصلي ركعتين كانوا يعطوه، حتى الناس إلى الآن الذين ليس لهم في الدين لو قال لهم أصلى ركعتين سيتركوه، إذا كان كفار قريش تركوه!
- ثم قال الأبيات:

(وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أَقْتَلُ مُسْلِماً * عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ للَّهِ مَصْرَعِي)** لا يهم طالما سيُقتل مسلمًا سيموت على "لا إله إلا الله"، هنيئا له الشهادة بذلك.

(وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ * يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ)** أي جسم ممزع مقتول سيبارك الله عز وجل فيه، يجمعه الله ويدخله به الجنة إن شاء الله. فلم يكن مباليًا أن يسوقونه للقتل وأن تزهق الروح طالما تخرج في سبيل الله عز وجل.

- يُقال أن من آيات (خُبَيْبُ) كانت إحدى بنات بني الحارث عندما كان مقيد ومسجون كانت تدخل عليه، تقول: (كنت أدخل عليه فأجد عنده عنبًا وفواكه لم تكن في مكة في هذا الوقت)، فكانت آية من آيات الله أن الله يرزقه، ما تدري من أين يأتيه الرزق، وهذا روته بعد ذلك. ونقول أن هؤلاء العشرة كانت لكل واحد منهم قصص وآيات كما قال الحافظ.
- **(ثم قام إليه عقبة ابن أبي حارث النوفلي فقتله)** و(عقبة بن أبي حارث) هذا أصلًا كان أسيرًا عند النبي صلى الله عليه وسلم في بدر والنبي صلى الله عليه وسلم فداه، أي أخذ أموال وتركه، لكنه قتل (خُبَيْبُ) بأبيه أو بعمه (ما أتذكر الآن). وبعد ذلك (عقبة بن

الحارث) هذا أسلم حتى تعلموا، قلت لكم انتبهوا دائمًا عندما نتكلم في السيرة تسمعون بعض الذين قتلوا الصحابة أسلموا، فالذي قتل (خُبَيْبُ) هذا أسلم، حتى لا تبادر إلى ذمه. و(وحشي) الذي قتل (حمزة) أسلم أيضًا رضي الله عن الجميع. ولا تعجب، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [يَضْحَكُ اللَّهُ لِرَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُما الآخَرَ كِلاهُما يَدْخُلُ الجَنَّةَ، قالوا: كيفَ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: يُقْتَلُ هذا فَيَلِجُ الجَنَّةَ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ علَى الآخَرِ، فَيَهْدِيهِ إلى الإسْلامِ، ثُمَّ يُجاهِدُ في سَبيلِ اللهِ، فيُسْتَشْهَدُ]، فيلتقيان في الجنة، وهذا قاتل هذا، والإثنين في الجنة، وهذا من نعمة الله وفضل الله عز وجل.

- لذلك (عقبة بن الحارث النوفلي) كان من مسلمة الفتح؛ أي أسلم في فتح مكة، وهذا إكرام من الله عز وجل له– أيًا كان ما فعله في كفره. و(خالد بن الوليد) قتل من المسلمين في غزوة أحد، وانظر..هو سيف سيوف الله عز وجل بعد ذلك. و(أبو سفيان) الذي كان قائد المشركين–رضي الله عنه– في أُحد، ثم انظر إلى (أبو سفيان) بعد ذلك وقد منَّ الله عز وجل عليه بالإسلام.
- وقد جاء حتى (أبو سفيان) لـ (خُبَيْبُ) وقال له: **(أَيَسُرُّكَ أَنَّ مُحَمَّداً عندنا تضرب عنقه، وأنك في أهلك؟)** أي في مكانك وفي أهلك، والرجل في لحظة القتل، وانتبه، قد تكون لمن ليس عنده تثبيت من الله وثبات وإيمان، لحظة القتل أصعب لحظة! فهناك فرق بين أن يأتيك الأجل وأنت لا تعلم، وبين لحظة القتل هذه وأن تُقتَل وأنت تنتظره، تحتاج لثبات. فعندما يأتيك يقول لك ما رأيك؟ أن تكون أنت في أهلك معافى ومحمد عندنا هو الذي يُقتَل؟! فانظر إلى رده، ويبين لك كيف كانت هذه القلوب، وانظر إلى حبه للنبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: **(واللهِ! ما يَسُرُّنِي أَنِّي فِي أَهْلِي، وَأَنَّ مُحَمَّداً فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ)**. هذا هو الحب الحقيقي للنبي صلى الله عليه وسلم، هو حب لذات النبي صلى الله عليه وسلم لأننا أمرنا بذلك لأنه الرسول صلى الله عليه وسلم، وحب للدين الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم. قال ما يهمني، انظر كيف يفدون النبي صلى الله

عليه وسلم؟ كيف كانوا يتقاتلون على نخامته وعلى عرقه وعلى دمه وعلى وضوئه من شدة حبهم. فهو يقول له ذلك في وقت القتل. لذلك (أبو سفيان) تعجب، قال لم أرى أناس يحبون رجلًا مثل أصحاب محمد لمحمد.

- طبعًا ستأتي قصة (سهيل) مع (أبو بكر) في صلح الحديبية عندما قال للنبي صلى الله عليه وسلم يفرون عنك، انظر ماذا قال (أبو بكر) له: قال (امصص بظر اللات أنحن نفر عنه؟!)، أي قال له كلمة مسبة في ذلك، لماذا؟ لأنه قال فقط أن هؤلاء أوباش سيفرون عنك. ليبين لك كيف كان حب الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم.
- وحقيقة حب الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم هذا يحتاج أنك تتبع سيرة الصحابة في الحب فقط، في كيف يظهرون حبهم للنبي صلى الله عليه وسلم، لتعلم أن هذا هو الحب الحقيقي، وأننا إن لم نرى النبي فحبنا للنبي صلى الله عليه وسلم في اتباعه، حبنا للنبي في الدفاع عنه بعد موته، حبنا للنبي في إقامة ما جاء به، هذا حق تطبيق لهذا الحب.
- الآن الذي يحب فقط أحد من المخلوقين الموجودين صاحب نجاح في شيء، تجده متيم به يقرأ ويسمع له، ولو رحل من كان يحضر له، وهذا بشر.. ما الذي فعله! لكن انظر لنبيك، لرسولك كيف يكون حبك؟ فحبك له طاعة لله عز وجل، أنت تتقرب إلى الله عز وجل بذلك. فالصحابة حتى ضربوا أروع الأمثلة وأجملها وأعظمها وأرفعها في تحقيق المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم، حقيقة حب ملأ القلوب، فظهر في أكثر من قصص تظهر لك محبة هؤلاء. وليست محبة مصطنعة! فأنت ممكن تصطنع حبك حتى مع شيخك، مع مربيك، مع صاحبك، لكن عندما يحدث شيء فيظهر عدم التوافق! لكن هذا حب حقيقي في القلب، فقد أحبوا النبي صلى الله عليه وسلم حبًا عظيمًا جدًا.
- لماذا نقول هذا الأمر؟ أنت الآن ممكن تصل إلى الدرجة العليا عند الله عز وجل بمحبتك فقط للنبي صلى الله عليه وسلم. ومن أعظم الأحاديث التي قالها النبي صلى الله عليه وسلم حتى (أنس) رضي الله عنه وأرضاه عندما ذكر الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

[أَنْتَ مع مَن أَحْبَبْتَ] ، فقال (أنس): [فَما فَرِحْنَا بشيءٍ، فَرَحَنَا بقَوْلِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أَنْتَ مع مَن أَحْبَبْتَ قَالَ أَنَسٌ: فأنَا أُحِبُّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وأَبَا بَكْرٍ، وعُمَرَ].

فأنت عندما تحب هؤلاء الأفذاذ؛ الصحابة الكرام، فأنت معهم، فهذه من أعظم الكلمات (أنت مع من أحببت)، فأنت عندما تتعبد إلى الله عز وجل بحبك للنبي صلى الله عليه وسلم تكون معه، عندما تتقرب إلى الله بالذين رضي عنهم الله عز وجل من الصحابة الكرام– وهم بشر، تتغاضى عن ما وقعوا فيه من أخطاء وتحبهم وتتقرب إلى الله بذلك لأن الله قد رضي عن الصحابة الكرام، فأنت تكون معهم بإذن الله. ففي الطريق قد لا تستطيع أن تفعل أعمال كثيرة، لكن لو امتلأ قلبك بحبك للنبي صلى الله عليه وسلم وحبك للصحابة قد تفوز وقد تكون لم تعمل أعمال كثيرة في الدنيا. لكن هذا فقه لمن أراد، لأنه ليس كل أحد يستطيع أن يفعل كل شيء، لكن القلب هذا عندما تؤهله وتجعله يتبع حب النبي صلى الله عليه وسلم وحب الصحابة تفوز، تكون كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (المرء مع من أحب).

- فلذلك قال الله عز وجل: {يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوف رَّحِيمٌ} [الحشر: 10]. لذلك أنت تعلم أن الروافض الخبثاء ومن معهم الذين يسبون الصحابة هؤلاء خارج هذا الدعاء الحمد لله، لأن الله عز وجل قال: {وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟} فهم في قلوبهم غل وحسد وحقد على الصحابة الكرام، فهم ليسوا منهم وليسوا معنا وليسوا مع الصحابة، الآية هذه كفيلة بأن تبين لك حال هؤلاء الذين يسبون الصحابة ليل نهار ويكفرونهم ويقولون فيهم ما يقولون. أما أهل السنة يحبون الصحابة، ويحبون الذين سبقوهم ويدعون لهم. قال النبي صلى الله عليه وسلم: [اللهمَّ إني أسألُك حُبَّكَ، وحُبَّ من يُحبُّك، وحُبَّ عملٍ يُقرِّبُني إلي حُبِّكَ] انظر.. وسائل كلها لك في حب الله عز وجل كيف تصل بها.
- ثم لما قال في (خُبَيْبُ): **(ثُمَّ وَكَّلُوا به من يحرسه، فجاء عَمْرُو بنُ أُمَيَّةَ، فاحتملهُ)** أي بعد أن صلبوه وقتلوه أخذه بجذعه، وفي رواية بخدعه، ووجد وقتًا لأنهم قد غابوا عنه فأخذه فقد

كانوا تركوه مصلوبًا، فدفنه بعد ذلك رضي الله عنه وتقبله عنده. **(وأما زَيْدُ بنُ الدَّثِنَّةِ رضي الله عنه، فَابْتَاعَهُ صَفْوَانُ بنُ أُمَيَّةَ، فَقَتَلَهُ بِأَبِيهِ)**، – و(صفوان بن أمية) أسلم بعد ذلك أيضًا– وقتل **(ابنُ الدَّثِنَّةِ)** لأنه كان قد قتل أبيه في بدر، فقتله بذلك.

المحاضرة الثالثة عشرة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبا

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلا سَدِيدا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد،،على موعد مع شرح دروس السيرة المباركة من كتاب (الفصول في سيرة الرسول) للحافظ ابن كثير عليه رحمة الله تعالى. وقفنا عند فصل: **بعث بئر معونة** نبدأ إن شاء الله الكلام فيها. وقول الحافظ رحمه الله تعالى:

فصل: بَعْثُ بِئْرِ مَعُونَةٌ

وَفِي صَفَرَ هَذَا بَعَثَ إِلَى بِئْرِ مَعُونَةٌ أيضاً، وذلكَ: أَنَّ أَبَا بَرَاء عَامِرَ ابْنَ مَالِكِ الْمَدْعُو: مُلاعِبَ الأَسِنَّةِ، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فدعاه إلى الإسلام فلم يُسْلِم، ولم

يَبْعُد. فقال: يا رسول الله! لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى دينك، لرجوت أن يجيبوهم، فقال: إني أخافُ عليهم أهل نجد، فقال أبو براء: أنا جار لهم.

فبعث صلى الله عليه وسلم – فيما قاله ابن إسحاق – أَرْبَعِينَ رَجُلاً مِنَ الصَّحابة.

وفي الصحيحين: سَبْعِينَ رَجُلاً. وهذا هو الصحيح .

وَأَمَّرَ عليهم: الْمُنْذِرَ بنَ عَمْرٍو أَحَدَ بَنِي سَاعِدَةَ. وَلَقَبُهُ: الْمُعْنِقُ لِيَمُوتَ رضي الله عنهم أجمعين.

وكانوا من فضلاء المسلمين وسادتهم وقُرَّائِهِمْ، فنهضوا فنزلوا بئر معونة، وهي بين أرض بَنِي عَامِرٍ وَحَرَّةِ بَنِي سُلَيْمٍ، ثُمَّ بعثوا منها حَرَامَ بنَ مِلْحَانَ أَخَا أَمْ سُلَيْمٍ بكتابِ رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى عَدُوِّ اللَّهِ عَامِرِ ابْنِ الطُّفَيْلِ، فلم ينظر فيه، وأمر به، فقتله رجل ضربه بحربة، فلما خرج الدم، قال: فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ.

وَاسْتَنْفَرَ عَدُوُّ اللَّهِ عَامِرٌ: بَنِي عَامِرٍ إلى قتال الباقين، فلم يجيبوه؛ لأجل جوار أَبِي بَرَاءٍ، فَاسْتَنْفَرَ بَنِي سُلَيْمٍ، فَأَجَابَتْهُ عُصَيَّةُ، وَرِعْلٌ، وَذَكْوَانُ، فأحاطوا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقاتلوا حتَّى قُتِلُوا عن آخرهم رضي الله عنهم، إِلَّا كَعْبَ بنَ زَيْدٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ؛ فَإِنَّهُ ارتُثَّ مِنْ بَيْنِ الْقَتْلَى، فَعَاشَ حَتَّى قُتِلَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ.

وكان عَمْرُو بنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِي، وَالْمُنْذِرُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عُقْبَةَ في سرح المسلمين، فرأيا الطَّير تحوم على موضع الوَقْعَةِ، فَنَزل المنذُرُ ابنُ مُحَمَّدٍ هذا، فقاتل المشركين حتَّى قُتل مع أصحابه، وأُسِرَ عَمْرُو بنُ أُمَيَّةَ، فَلَمَّا أَخْبَرَ أَنَّهُ مِنْ مُضَرَ، جَزَّ عَامِرٌ نَاصِيَتَهُ، وَأَعْتَقَهُ – فِيمَا زَعَمَ – عَنْ رَقَبَةٍ كَانَتْ عَلَى أُمِّهِ.

وَرَجَعَ عَمْرُو بنُ أُمَيَّةَ، فَلما كان بِالْقَرْقَرَةِ مِنْ صَدْرِ قَنَاةَ، نزل في ظل، ويجيءُ رَجُلانِ مِنْ بَنِي كِلاَبٍ، وَقِيلَ: مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، فَنَزَلاَ مَعَهُ فِيهِ، فَلَمَّا نَامَا، فَتَكَ بِهِمَا عَمْرُو وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ قَدْ أَصَابَ

ثَأْراً مِن أَصْحَابِهِ، وَإِذا مَعَهُمَا عَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَمْ يَشْعُرْ بِهِ، فَلَمَّا قَدِمَ، أَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِمَا فَعَلَ، قال: لَقَدْ قَتَلْتَ قَتِيلَيْنِ لأَدِيَنَّهُمَا. وَكَانَ هَذَا سَبَبَ غَزْوَةِ بَنِي النَّضِيرِ (هَذَا الصَّحِيحُ كما ورد).

- هذه الواقعة التي تكلم عنها الحافظ –رحمه الله– عن بئر معونة، وفيها مخادعة حدثت في بعث بئر معونة. وبئر معونة تبعد عن المدينة من ناحية نجد –ناحية الرياض– حوالي أربع مراحل حوالي مائة وستين كيلو تقريبًا؛ لأن المفترض المرحلة تكون أربعين؛ أربعة في أربعين تساوي مائة وستين كيلو تقريبًا. فهنا بعث النبي صلى الله عليه وسلم بعثًا إلى جهة بئر معونة إلى بني سُليم.
- وكانت أصل القصة أن: **(أَنَّ أَبَا بَرَاء عَامِرَ ابْنَ مَالِكٍ الْمَدْعُو** "أي الملقب": **مُلاعِبَ الأَسِنَّةِ)**، والأسنة: هي الرماح، أي كان مشهورًا جدًا بأنه ماهر في مسألة اللعب بالرماح والضرب وغير ذلك، ويستخدمها في القتال، وكان عنده جسارة وكان معروف بالشجاعة والإقدام، فكان يدخل في الحروب ويقدم فيها ولا يهاب؛ أي يدخل مقدامًا فلا يهاب، كأنه يلاعب الرماح؛ يدخل في المعركة بالرماح كأنه يالعبها وليس في قتال، فلذلك لُقِّب بـ "ملاعب الأسنة" أو "ملاعب الرماح" في بعض المصادر تجده يقول "ملاعب الأسنة" أو "ملاعب الرماح".
- **(قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فدعاه إلى الإسلام فلم يُسْلِم، ولم يَبْعُد)** أي لم يسلم ولم أيضًا يرد إنكارا ويسيء، أي كأنه سمع وسكت، فلم يظهر إسلامًا ولم يبعد أي لم ينكر ذلك ويذم أو يسب أو غير ذلك. فهناك من الناس من يكَذِّب، فهذا الذي يُبعد، أي يكذب وينكر، وهناك من يُسلم، وهناك من لا يسلم ولا يُبعد، أي كأنه سمع الكلام، وممكن أن يكون يفكر فيه أو غير ذلك، لم يعلن.

- فعرض على النبي صلى الله عليه وسلم قال له أن يرسل النبي صلى الله عليه وسلم بعثًا إلى بني سليم من أهل نجد لعلهم يدخلون الإسلام، أي كأنه يقول سمعنا أن هناك أناس قد يجيبون للإسلام أو يدخلون. فالنبي صلى الله عليه وسلم عندما عَرض عليه ذلك أن يرسل مجموعة من أصحابه خشي النبي صلى الله عليه وسلم عليهم من أهل نجد لأن فيهم ضراوة أو فيهم عداوة وغير ذلك، فخشي عليهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يصيبهم شيء لأنهم كانوا خصوم وأعداء وكانوا ما يريدون للدين انتشارا.
- فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **(إني أخافُ عليهم أهل نجد، فقال أبو براء: أنا جار لهم)** أي سأجيرهم، يدخلوا في جواري. وكان العرب لما يدخل أحد في جوارهم لا يتعرضون إليه كما دخل النبي صلى الله عليه وسلم في جوار (المطعم بن عدي) في مكة بعدما رجع من الطائف.
- وجاء في السير عن ابن اسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل **(أَرْبَعِينَ رَجُلاً مِنَ الصَّحابة. وفي الصحيحين: سَبْعِينَ رَجُلاً)**.
- **و**(أبو براء) كان له كان له هيبة حقيقة وله مكانة، فلو قال "أنا جار لهم" فلن يتعرض أحد أن يخفر هذه الجيرة من العرب، كانت كبيرة هذه أن يعلمون أنه أحد أجار أحد ويتعرضون له.
- **(وَأَمَّرَ عليهم: الْمُنْذِرَ بنَ عَمْرٍو أَحَدَ بَنِي سَاعِدَةَ. وَلَقَبُهُ: الْمُعْنِقُ لِيَمُوتَ)**، و(المعنق ليموت) كان له دور في غزوة أحد؛ كان على أحد جانبي الجيش، وكان على الجانب الثاني (الزبير بن العوام). و"المعنق" أي: "المسرع" ليموت، كأن هذا الرجل من شدة حرصه على الشهادة لُقِّب بـ (المعنق ليموت)، كان يدخل في كل معركة مقدامًا مسرعًا كأنه يريد نيل الشهادة فلُقب المعلق ليموت أي كأنه المسرع لينال الشهادة. كان هذا لقبًا له.
- قال: **(وكانوا من فُضَلاء المسلمين وسادتهم وقُرَّائِهِمْ)** انظروا السبعين الذين أرسلهم النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء كانوا كلهم قراء. هل تعلموا ما معنى قراء في زمان النبي صلى

الله عليه وسلم؟ أي حفاظ وفقهاء، ليس مجرد حفاظ القرآن فقط! فهم يُعَلِّمون أيضًا، ليس الحفظ الذي هو موجود في زماننا الذي هو يسرد القران سردًا فقط! لا، هذا معنى حفاظ. وكما جاء عنهم في صحيح البخاري عن (أنس بن مالك) رضي الله عنه قال: [كُنَّا نُسَمِّيهِمُ القُرَّاءَ في زَمَانِهِمْ، كَانُوا يَحْتَطِبُونَ بالنَّهَارِ، ويُصَلُّونَ باللَّيْلِ] أي يعملون بالنهار ويقومون الليل، وكانوا هؤلاء أفاضل، أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم القراء، كانوا أيضًا يحتطبون لينفقوا على أنفسهم ثم في الليل كانوا أهل العبادة والعلم والزهد والقراءة وغير ذلك.

- فكانوا..أنظر كما قال الحافظ ابن كثير **(كانوا من فُضَلاء المسلمين وسادتهم وقُرَّائِهِمْ)** أي هؤلاء الطبقات العليا في الصحابة كانوا هؤلاء الذي أرسلهم النبي صلى الله عليه وسلم ليعلمون الناس.
- **(فنهضوا فنزلوا بئر معونة، وهي بين أرض بَنِي عَامِرٍ وَحَرَّةِ بَنِي سُلَيْمٍ)** وقلنا أنه على بعد مائة وستين كيلو من المدينة في اتجاه نجد.
- **(ثُمَّ بعثوا منها حَرَامَ بنَ مِلْحَانَ أَخَا أَمْ سُلَيْمٍ)** وأم سليم هي أم الصحابي الجليل (أنس بن مالك) كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم وأتت به وهو صغير قالت له: (خويدمك أنس). فـ (حرام بن ملحان) يكون خال لـ (أنس) رضي الله عنه.
- (حرام بن ملحان) ذهب **(بكتابِ رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى عَدُوِّ اللَّهِ عَامِرِ ابْنِ الطُّفَيْلِ)** وكان من رؤساء المشركين وكان عندما جاء للنبي صلى الله عليه وسلم كان عنده جبروت وعنده حقد وحسد على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الإسلام كما جاء عند (البخاري)، فلما جاء قابل النبي صلى الله عليه وسلم وعرض على النبي صلى الله عليه وسلم حتى يدخل الإسلام ثلاثة أمور، قال: "أدخل في دينك، ويكون لك أهل السهل ولي أهل المدر"، أي أنت لك أهل الحضر والمدن، وأنا لي أهل البوادي– أنت سيد هنا، وأنا سيد هنا، هذا أول شيء حتى أدخل في الدين معك، أي يتقاسموا الزعامة، يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم زعامة أهل الحاضرة والمدن، وهو أهل المدر الذي هو أهل الخيم والبوادي وغير

ذلك تكون له هو–. ثم قال: "وأكون خليفتك"، أي لو مات النبي صلى الله عليه وسلم يكون هو الخليفة له ويعلن ذلك بين الناس أيضًا. وقال: "أو أغزوك بأهل غطفان بألف وألف" أي يجمع عليه قبائل غطفان بألف وألف ويغزو النبي صلى الله عليه وسلم.

- كان متغطرس متكبر معاند معاديًا لله عز وجل ولرسوله، فطبعًا النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل ذلك منه وقتها. فعندما أرسل له كتاب (حرام ابن ملحان) جاء أولًا في أول الأمر يدعوه للإسلام، لم ينتظر، والمفترض أن الرسل لا تُقتَل، هذا عُرف موجود حتى عند الأعاجم والعرب أن الرسل لا تُقتَل، فمجرد أن دخل (حرام) وقف أمامه، أشار مباشرة إلى من ضرب (حرام) من خلفه بالحربة فقتله؛ وهو واقف أمامه يعطيه الرسالة، جاءت إشارة من (عامر بن الطفيل) من الخلف وطعنه بحربة فقُتِل، ثم وهو يموت قال: [فُزْتُ ورَبِّ الكَعْبَةِ] رضي الله عنه.
- وانظر سبحان الله عندما الله عز وجل يريد الهداية لأحد! هو يُقتَل في سبيل الله ويقول [فُزْتُ ورَبِّ الكَعْبَةِ] فالذي ضربه عجب من قول الرجل، قال أضربه بالحربة ويموت وهو يموت يقول "فزت ورب الكعبة"! هو ما فهم ماذا فاز؟ كيف يفوز وهو يموت! وكان هذا الذي ضربه يسمى (جبار بن سلمى). فقال عندما سمعته يقول "فزت ورب الكعبة" قلت في نفسي كيف فاز وأنا أقتله؟ حتى سألت عن ذلك بعد ذلك، سأل الناس يقول الرجل أقتله ويقول فزت ورب الكعبة؟!" فقالوا هو يقصد الشهادة، أنه قد فاز بالشهادة. فقلت: "فاز لعمر الله". وهذا الرجل (جبار بن سلمى) أسلم، وكان من سبب إسلامه ما سمعه من (حرام) وهو يموت وهو يطعنه ويقول "فزت ورب الكعبة". ظلت معه الكلمة يسأل عنها، وأنعم الله عز وجل عليه بالإسلام بعد ذلك.
- وحقيقة ليس هو فقط، فكثير من الذين دخلوا في الإسلام حدث لهم مواقف مشابهة تأثروا جدًا وحتى إلى زماننا تجد بعض الناس لذلك لا تعجب أنت عندما ترى الحروب الموجودة عندنا والقتال وغير ذلك، فتجد أناس من الكفار عندما يرون ذلك ويرون بعض أعمال الإخوة

الذين يجاهدون أو بعض صبر المرابطين أو الناس الذين يُقتلون في بلاد المسلمين من الكفار، فيعجبون من ثباتهم، ويعجبون من كلامهم فتجده يقع في قلوبهم فيدخلون الإسلام. وهذا واقع مشاهد في زماننا. فالأحداث الأخيرة هذه أثرت في بعض الكفار، تأثروا جدًا مما رأوه وشاهدوه من رباط أهل غزة وغيرهم، فكان لهم مردود عجيب لهم أنهم يسألون ويدخلون.

- وهذا الرجل صحابي دخل في الإسلام نعم بعد أن فعل ذلك بـ (حرام) أثر ذلك فيه حتى أسلم بعد ذلك. وانظر (جبار) هذا الله عز وجل أكرم (حرام بن ملحان) بالشهادة على يديه ثم كان لـ (حرام) أن كان له الأثر في إسلام هذا ودخوله في الدين، فعجيب حقيقة!
- وحقيقة هناك مواقف ذكرها بعض كُتاب السير أيضًا مثل هذا الموقف شبيه له. ذكره الإمام (البخاري) في صحيحه في فتح خيبر مع (أبي هريرة) رضي الله عنه وسيأتي معنا أنه أسلم في خيبر ولم يشهد خيبر، لكن جاء وقت خيبر والنبي صلى الله عليه وسلم يقسم سهام المعركة، فطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون له سهمًا، فكان عند النبي صلى الله عليه وسلم وقتها رجل يسمى (أبان بن سعيد)، فلما (أبان بن سعيد) وجد (أبو هريرة) رضي الله عنه يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم سهما وهو لم يكن في خيبر، قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "هو لم يشهد" أي (أبو هريرة) لم يشهد ذلك. و(أبان بن سعيد) كان قد قتل (النعمان بن قوقل) في أُحد. فـ (أبان بن سعيد) كان كافرا وقت ما قتله، ثم أسلم (أبان بن سعيد) بعد ذلك. فقال (أبو هريرة): "يا رسول الله هذا قاتل ابن قوقل". يذكره بأنه قاتل (ابن قوقل)، أراد أن يردها له (أبو هريرة).
- انظر ماذا قال (أبان بن سعيد)، قال له: [واعجبًا تنعي عليّ قتل رجل مسلم أكرمه الله على يدي، ولم يهُنِّي على يديه!] أي أكرمه إن الله جعله سببًا في شهادة هذا الرجل "ولم يهنه على يديه": لو كان (ابن قوقل) قتله لمات كافرا، فكانت إهانة له. فكان سببًا أن أسلم بعد ذلك، فكان لـ (قوقل) فضل الشهادة على يد هذا الرجل وهو يقول: "ولم يهني عليّ يديه". فلا تنكر عليّ في ذلك لأنه لو كان (ابن قوقل) قتله لكان أهانه.

- و(النعمان بن قوقل) صاحب حديث مشهور جدًا عندنا في الفقه، جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن شرائع الإسلام: [يا رَسولَ اللهِ، أرَأَيْتَ إذا صلَّيْتُ المَكْتوبةَ، وصُمْتُ رَمَضانَ، وأحلَلْتُ الحَلالَ، ولم أزِدْ على ذلك، أدخُلُ الجنَّةَ؟ قالَ: نعمْ، قالَ: واللهِ لا أَزيدُ على ذلك شَيئًا]. ولم يذكر الزكاة ليس عنده مال ولم يذكر الحج لم يكن الحج قد فُرِض على الغالب. وهذا كان (النعمان بن قوقل) الذي قُتِل في أحد، حديث مشهور جدًا.
- ف (جبار) هذا أسلم، و(أبان بن سعيد) أسلم، والذي قتل (ابن الدثنة)، فالذي قتله هو (صفوان بن أمية) قتله بأبيه لأن (ابن الدثنة) قتل (أمية بن خلف) أشد أعداء النبي صلى الله عليه وسلم في يوم بدر، فأسروه وقتله (صفوان بن أمية)، و(صفوان بن أمية) أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه رضي الله عنه. فكل هؤلاء كما قلنا كثير ممن ترونهم قد أنعم الله عز وجل عليهم. وكما قلنا في (وحشي) مع (حمزة) إلى غير ذلك، رضي الله عن الصحابة جميعًا.
- وهنا بعد أن قُتِل (حرام بن ملحان) أراد عدو الله (عامر) –كما قال الحافظ ابن كثير– أن يستنفر باقي القبائل جميعًا للقتال، فهناك من أجابه وهناك من لم يجبه، وطبعًا بني سليم الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم أرسل لهم القراء ليعلموهم لم يتجاوبوا مع (عامر)، لماذا؟ لأنه يوجد جوار لـ (أبو براء) وهم يعلمون ذلك، وهذا (عامر ابن طفيل) خالف ونقض الجوار الذي كان أعطاه (أبو براء) للنبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه. فهنا هو خالف هذا الجوار مع أنه يعلم به، لكن نقض هذا العهد وقتل (حرام)، واستنفر كل القبائل التي حوله ليخرجوا معه ليقتلوا السبعين من القراء **(فلم يجيبوه؛ لأجل جوار أَبِي بَرَاءٍ)**، لأن (أبو براء) قال للنبي صلى الله عليه وسلم: (هم في جواري).
- **(فَاسْتَنْفَرَ بَنِي سُلَيْمٍ، فَأَجَابَتْهُ عُصَيَّةُ، وَرِعْلٌ، وَذَكْوَانُ)** وهؤلاء الثلاثة الذين دعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم –كما سيأتي معنا– في قنوت النوازل بالإسم على هذه القبائل الثلاثة لأنهم هم الذين اشتركوا في قتل السبعين من قراء النبي صلى الله عليه وسلم.

- فقال: **(فأحاطوا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقاتلوا حتَّى قُتِلُوا عن آخرهم رضي الله عنهم)** كانوا سبعين رجلًا، وهم أصلًا لم يذهبوا للقتال، لكنهم لما حوصروا قاتلوا حتى قُتلوا جميعًا، **(إِلَّا كَعْبَ بنَ زَيْدٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ؛ فَإِنَّهُ ارتُثَّ مِنْ بَيْنِ الْقَتْلَى)** ارتث: من الارتثاث؛ أي أصيب بجراح شديدة، ومات بعد ذلك في الخندق، فهو الوحيد الذي نجا؛ فهم وجدوه في جراح شديدة فظنوا أنه مقتول فتركوه، فكُتِب له النجاة وعاش حتى قتل في يوم الخندق بعد ذلك.
- حتى أن هؤلاء نزل فيهم قرءان ثم نُسخ، قال (أنس) رضي الله عنه في الصحيح: [فَقَرَأْنَا فيهم قُرْآنًا، ثُمَّ إنَّ ذلكَ رُفِعَ] نزلت فيهم آيات ورفعت بعد ذلك: [بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أنَّا لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وأَرْضَانَا]، هذه كانت نزلت ثم نسخت. انظر لأجورهم التي أخذوها عند الله عز وجل.
- ثم قال: **(وكان عَمْرُو بنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِي، وَالْمُنْذِرُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عُقْبَةَ في سرح المسلمين، فرأيا الطَّير تحوم على موضع الوَقْعَةِ)** هؤلاء كانوا من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، لما رأوا الطير تحوم، فعلموا أن هناك دماء في هذا الموطن، فظنوا أن هناك شيئًا، فذهبوا فوجدوا إخوانهم قد قتلوا عند البئر.
- وحدث حتى بعد ذلك أنه قُتِل (المنذر بن محمد)، لأنه قاتل معهم فقتلوه، وأُسِر (عمرو بن أمية الضمري)، ولما أُسِر وقال لهم أنه من مضر، جز رأسه وتركه لأنه كان له مع مضر عهود أو لهم فيها أناسا، فلم يقتله وجز رأسه وتركه.
- ثم هذا الذي رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وحكى له ما حدث بعد ذلك، قال: **(وَرَجَعَ عَمْرُو بنُ أُمَيَّةَ، فَلما كان بِالْقَرْقَرَةِ)** أي نزل لمكان فكان بالقرقرة وجد اثنين معه في نفس المكان، ظن أن هؤلاء من القوم فأراد أن يثأر لأصحابه فقتلهم، ولكن هؤلاء كانوا لهم عهد مع النبي صلى الله عليه وسلم، فهو ظن بأن هؤلاء الرجلان كانوا من بني كلاب وبعضهم قالوا من بني سليم، وبني سليم لم تقاتل مع (ابن الطفيل)؛ رفضوا للجوار ولذلك قتلهم

(عمرو) يرى أنه قد أصاب ثأرا من أصحابه، أي ظن بأنه يأخذ ثأره من أصحابه فقتلهم لذلك.

- فلما رجع للنبي صلى الله عليه وسلم وأخبره قال: [لقد قتلتَ قتيلين لأديَنَّهما] أي أنه سيدفع ديتهما لأنهم لهم عهد، وهذا الذي سيكون سبب في غزوة بني النضير –كما سيأتي معنا– لأنه حدث هنا إخفار. وانظر الفرق عندما أخفرت ذمة النبي صلى الله عليه وسلم بغير قصد سيدفع ديتهما لقومهما، لأنه كان لهم عهد مع النبي صلى الله عليه وسلم أن لا أحد يتعدى عليهم. قال: [لقد قتلتَ قتيلين لأديَنَّهما] أي لأدفعن ديتهما، وهذا لعهد وذمة مع النبي صلى الله عليه وسلم معهم، فوفاء عظيم، وبين لك الإسلام، لأن الآن بعض الناس لا ينتبهون لهذه المسألة، يظنون أن هذه العهود والجوار والوفاء يباح لأي أحد أن يخفره. فانظر الرجل (عمرو بن أمية)، قُتِل سبعين من قراء النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا من الأفضل وقتل اثنين يظن أنه يثأر لهما، وأخطأ لا شك في ذلك لأنهم كانوا لهم عهد أو ذمة مع النبي صلى الله عليه وسلم، دفع لهم الدية، وفّى لهم ذلك، مع أن أصحابه قُتِل منهم سبعين من نفس القوم، لكن بني سليم لم تشترك، لكن هم هؤلاء القوم كان لهم عهد مع النبي صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء لم يخفروا العهد، فحفظ لهم النبي صلى الله عليه وسلم عهدهم. تفرقة مهمة جدًا، لتفهموا المسألة في مسائل العهود والمواثيق، والتعرض وقتل النفس هذه لابد فيها من ضبط علمي شديد ويُعلَم فيها الأصول الشرعية التي تكون.
- قال: (**وَكَانَ هَذَا سَبَبَ غَزْوَةِ بَنِي النَّضِيرِ "هَذَا الصَّحِيحُ كما ورد"**)، أي سبب غزوة بني النضير – ستأتي معنا– النبي صلى الله عليه وسلم ذهب ليهود بني النضير ليطلب منهم أن يساعدوه في الدية لأنه كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين بني النضير عهد أيضًا على أنهم إن أصابوا شيئًا أو أصاب هو شيئًا، يحتاج الديات، يتعاهدوا على أن يساعدوا بعضهم بعضا، فذهب لهم –كما سيأتي معنا– يطلب منهم المساعدة في الدية فحاولوا قتله. ثم ستأتي معنا معركة بني النضير.

- النبي صلى الله عليه وسلم لما ذهب إليه (عمرو) قال: [هذا عملُ أبي براءٍ قد كنتُ لهذا كارِهًا مُتخوِّفًا] هو قال له الرسول صلى الله عليه وسلم [إني أخاف عليهم أهل نجد]، فقال (أبو براء): [إني جار لهم] ومع ذلك حدث ما حدث أيضًا. فهنا النبي صلى الله عليه وسلم بيّن أنه كان يخشى، ومع ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسلهم لمصلحة دعوة الناس للإسلام ودخولهم وتعليمهم الدين وغير ذلك، مع أنه كان كارهًا ومتخوفًا. **ما الفائدة التي تؤخذ من هذه المسألة؟** أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب، قال تعالى: { وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ } [الأعراف: 188]، فذلك يدل على بشرية النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا يدل على من يغالون في النبي صلى الله عليه وسلم ويجعلونه إلها، ويجعلونه يعرف الغيب، هذا دليل هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لو كان يعلم الغيب ما أرسل السبعين. قال [قد كنتُ لهذا كارِهًا مُتخوِّفًا] وهذه دلالة على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم أن السبعين من أصحابه سيقتلون، بل كان كارها، ومع ذلك كما قلت أراد أن يقدم مصلحة الدعوى وغير ذلك، ولكنه طبعًا أخذ بالأسباب لأن (أبي براء) قال (**إني جار لهم**). لكننا نتكلم هنا عن مسألة مهمة جدًا التي هي بشرية النبي صلى الله عليه وسلم.

بعض الفوائد من بعث بئر معونة:

1-**كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم فإن على الداعية حقيقة، أو العالِم، أو الذي يعمل لدين الله أن يبذل وسعه لهداية الناس**، فإن استجابوا فهذه منة ونعمة من الله عز وجل، وإن أبوا فقد أدى الداعية ما عليه، وأدى العالِم ما عليه، لأنه هذا ما كلفه الله عز وجل به، وهذا الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الواقعة، بأن النبي صلى الله عليه وسلم حرصه على أن يؤدي ويدعو الناس.

2-**أنك لابد إن كنت قائدًا أو كنت تتعامل مع أناس أن تعلم أحوال الناس وطباعهم**؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم قال: [إني أخشى عليهم أهلَ نجدٍ] وهذا يدل على أن النبي صلى الله

عليه وسلم كان يعلم بطباع وأخلاق أهل نجد، فكان يخشى على أصحابه منهم. وأنت إذا كنت صاحب سياسة، أو صاحب قيادة، أو لك في التعامل مع الناس، فلابد أن تعلم طبائع الشعوب، حتى لو كنت تعمل في الدعوة أو تعمل في دعوة الناس، لابد تعلم عندما تنزل مكان وتدعو الناس فيه، أول شيء لابد أن تعلم طبائعهم، ما الذي يحبونه؟ وما الذي يكرهونه؟ ما هي مفاتيح التعامل معهم؟ هذه مهمة جدًا تستنبط، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كره في أول الأمر، لأن أهل نجد كانوا أهل غلظة ويوجد عداء ما بينهم، فأنت لابد أيضًا أن يكون لك بصيرة وأنت تتعرض لقبائل أو شعوب مختلفة.

3-**إن أردت أن تتعامل مع المخالف لدينك لابد لك أن تتعلم كيف تتعامل معه بالأحكام والشروط**، من فعل النبي صلى الله عليه وسلم عندما أراد أن يرسلهم لدعوة الناس، أول شيء أمَّن أصحابه بالجيرة؛ جوار (أبي براء)، وهذه لابد لك أنك تعلم وأنت تتعامل مع المخالف لك، لأن (أبو براء) لم يكن أسلم، وهو تعامل معه على أنه غير مسلم، وأرسل الصحابة إلى ذلك أيضًا، لكن هنا لابد أن تكون على علم بالأحكام والشروط التي تستطيع أن تتعامل فيها مع المخالف، حتى تحافظ على سلامة من معك من أهل الإسلام، فما قَبِل النبي صلى الله عليه وسلم أن يرسلهم إلا لما علم بالجوار.

4-**أنك لا تتردد في مسألة الدعوة**؛ لم يتردد النبي صلى الله عليه وسلم، في بادئ الأمر فقط خشي على أصحابه، ثم عندما أتى له الجوار أرسلهم. وفيه أنك أيضًا في الدين وفي العلم وفي النشر وفي الدعوة لا تتردد، في الخير لا تتردد، في الطاعة لا تتردد، ما دام قد أخذت بالأسباب وتبين لك الأمر، فلا تتردد في ذلك، بل تُقدم على هذا الأمر.

5-**أنك تراعي ألا تزج بأتباعك وأعوانك في أمور لا تعلم عواقبها**؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرسلهم هكذا! لا، بل أخذ بالحيطة. وذلك يستنبط أنك لابد أن تراعي المصالح، ولابد أنك لا تزج بأتباعك؛ سواء جيشك أو إخوانك، أو على حسب الأمر الذي نتكلم عنه،

أنك لا ترسلهم إلى أماكن تجهل العواقب فيها ولا تعلم مردودها، لابد من الدراسة في ذلك والاستيثاق.

6-**فِعل (حرام بن ملحان) رضي الله عنه بأن المؤمن الموقن بما في غيب الله عز وجل يستبشر بالشهادة ويفرح بها عند النزول**، لأنه يرى كرامات وفضل، ما قال (فزت ورب الكعبة) إلا وقد رأى أو بُشِّر بشيء، وهذا حال المؤمن. قال (أنس بن النضر) [يا سَعْدُ، إنِّي أجِدُ رِيحَ الجَنَّةِ دُونَ أُحُدٍ] رجل يدخل مقبلًا والصحابة يرجعون، لكنه شعر أو جاءه ما جاءه. وهذه حقيقة واقع مشاهد، بعض الذين يجاهدون في سبيل الله قبل مقتلهم تجد إما يُرَى لهم شيء في الليلة، أو يشعر بشيء في ليلة القتل أو قبلها كأنه بُشِّر بذلك. وهذا المؤمن الموقن بما عند الله يستبشر بذلك مما يأتيه أيضًا.

7-**فِعل (عامر) عدو الله. ماذا فعل؟ مسألة مهمة. عندما أراد أن يتعرض للقراء استنفر كل القبائل حوله، وهكذا الكفار، هكذا أعداء الدين يستنفرون كل أحد لحرب أولياء الله عز وجل.** هذه سنة كونية لابد أن تعلمها،- وسيأتي معنا في الخندق ماذا فعل اليهود عندما ذهبوا لقريش يُقلِّبوا كل قريش ومن معهم –ستأتي التفاصيل فيها إن شاء الله- يبين لك، لكن هنا هو مشرك أراد أن يقاتل أولياء الله عز وجل، وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فاستنفر كل أحد من المشركين حوله، فاجتمع أهل النفاق والكفر معًا على مصلحة واحدة، وهو قتل أهل الإسلام. وهذه سنة كونية لابد أن تعلموها، لا فرق بين كافر وكافر، يوجد فرق في درجات البغض والكره، لكن الكل له عقيدة واحدة، ومأرب واحد له وهو: العداء لأهل الحق؛ لأهل الإسلام.

ولذلك يجب أن يُربّى الناس على عدم الاستسلام، ويربى الأجيال على عدم الخنوع، بل لابد أن يعلموا أن هذه الحرب وهذا القتال مستمر إلى قيام الساعة بين أهل الحق وأهل الباطل، والمواصلة إما شهادة أو نصر، طبعًا بالضوابط التي نتكلم عنها، لكن لابد أن يكون هذا مستيقن عند أهل الحق وأهل الإسلام، وهذا لابد أن يربى في نفوس الأجيال جميعًا أصالة.

و(كعب بن زيد) انظر..كان سيُقتَل، فيكتب الله له نجاة، ثم يُقتَل في الخندق ولا يُقتل هنا، فأنت لا تدري متى تُقتل، ليست الشهادة مقصد، هذا خطأ الذي يظن أن الشهادة مقصد، هي وسيلة، الأصل في الجهاد إعلاء كلمة "لا إله إلا الله" وتجعل الإسلام في الديار، فهذا هو المقصد، ليس المقصد أنك تنال الشهادة، الشهادة وسيلة للجنة، لكن الأحسن منها والأفضل أنك تظل تقاتل ثم تقاتل ثم تقاتل لتنشر دين الله عز وجل، ثم يكتب لك الله عز وجل الأجل أينما كان في أي موطن، وقد تأتيك الشهادة وأنت على فراش الموت.

8-**فِعل (عمرو بن أمية الضمري) حقيقة فيه النصرة لإخوانه**؛ فهو لما قتل الإثنين ما قتلهم إلا ثأرًا لأصحابه، وهذا الذي لابد أن يربى عليه أيضًا أهل الإسلام، وأنك لابد ألا تنسى حقوق إخوانك من المسلمين، ولابد أن تنتصر لإخوانك من المسلمين قدر ما استطعت ذلك، وأنك تبتعد عن أهل التخذيل والإرجاف، وتعلم أن لإخواننا المسلمين حقوق علينا إن استطعنا أن نؤديها لهم فلابد أن نسعى في ذلك، وإلا فإننا نعتذر إلى الله عز وجل. انظر إلى (عمرو بن أمية) ما وقف، وإن كان اجتهد فأخطأ، لكن لما ظن أنه قد يستطيع أن يثأر لأصحابه ما تهاون لحظة في أنه يفعل ذلك.

9-**الإجتهاد الخاطئ كما فعل (عمرو بن أمية) يُعفَى عنه**؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يعنفه ولم يلومه، لكن هو بيّن له أنه قد أخطأ وأنه سيُدَيَّن هؤلاء؛ أي يجعل لهم الدية، لكن [إذا اجتَهَد فأصاب فله أجرانِ، وإن اجتَهَد فأخطَأَ فله أجرٌ] إذًا الاجتهاد الخطأ مرفوع عنه ويغفر له.

10- **الوفاء بالعقود والعهود**؛ وهذا من عدل الإسلام، وحتى مع الكفار، فهذا الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم مع هؤلاء الإثنين عندما قُتلوا فأراد أن يدفع لهم ديتهما.

- قال: **(وزعم الزهري أن غزوة بني النضير بعد بدر بستة أشهر، وليس ذلك كما قال، بل التي كانت بعد بدر بستة أشهر هي غزوة بني قينقاع، وأما بنو النضير فبعد أحد، كما أن**

قريظة بعد الخندق، وخيبر بعد الحديبية، وغزوة الروم عام تبوك بعد فتح مكة وأمر صلى الله عليه وسلم عند موته بإجلاء اليهود والنصارى من جزيرة العرب) بعض كتاب السير يوجد خطأ في النقل، يظنون أن غزوة بني النضير بعد بدر، لكن لو تذكرون قلنا بعد كل غزوة من الغزوات الكبرى كان هناك جلاء لأحد أقوام اليهود، فكانت في بدر بني قينقاع، وهنا سيأتي بعد أحد بني النضير، زعم الزهري بذلك، وأن الصحيح أن بني النضير بعد أُحد، وقريظة بعد الخندق، وغزوة الروم عام تبوك بعد فتح مكة.

- وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته بإجلاء اليهود والنصارى؛ حديث [أَخْرِجُوا المُشْرِكِينَ مِن جَزِيرَةِ العَرَبِ]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: [لأُخْرِجَنَّ اليَهُودَ، والنَّصارَى مِن جَزِيرَةِ العَرَبِ حتَّى لا أَدَعَ إلَّا مُسْلِمًا] هذه وصية النبي صلى الله عليه وسلم. وكان (عمر) فعل ذلك بعد ذلك عندما أجلى يهود خيبر من خيبر، وقال لهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم (إلا أن نشاء)، وقد شئنا أن نخرجكم. وفعل (عمر) كان لوصية النبي صلى الله عليه وسلم بإخراج المشركين من جزيرة العرب. البعض يلمز طبعًا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخرجهم، و(أبو بكر) لم يخرجهم! قلنا لأن النبي صلى الله عليه وسلم انتهت الرسالة وما عاش، قال: [لأُخْرِجَنَّ اليَهُودَ، والنَّصارَى مِن جَزِيرَةِ العَرَبِ حتَّى لا أَدَعَ إلَّا مُسْلِمًا] أي هذا كان منتوي كما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال [لَئِنْ بَقِيتُ إلى قَابِلٍ لَأَصُومَنَّ التَّاسِعَ]، و [لوِ استَقْبَلْتُ مِن أَمْرِي ما استَدْبَرْتُ ما سُقْتُ الهَدْيَ، وجعَلْتُها عُمْرَةً] أي يكون تمتعًا، ولم يدرك الأجل النبي صلى الله عليه وسلم أن يفعله، فوصّى أن نفعله. و(أبو بكر) انشغل بقتال الردة، فكان أولى في المصلحة العامة أن ينشغل، فلما انتهت أيضًا خلافة (أبو بكر) "سنتين"، وانتهت حروب الردة وتقلد (عمر بن الخطاب) إمارة المؤمنين بدأ في تنفيذ وصية النبي صلى الله عليه وسلم وإخراج اليهود والمشركين من جزيرة العرب، وهذا أمر للنبي صلى الله عليه وسلم ألا يتواجدوا في جزيرة العرب.

فصل: غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ

ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسهِ الكَرِيمةِ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ لِيَسْتَعِينِ عَلَى دِيَةِ ذَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ؛ لِمَا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَهُ مِنَ الْحِلْفِ، فقالوا: نَعَمْ. وَجَلَسَ صلى الله عليه وسلم هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ وَطَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ رضوان الله عليهم تَحْتَ جِدَارٍ لَهُمْ، فَاجْتَمَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَقَالُوا: مَنْ رَجُلٌ يُلْقِي بهذهِ الرَّحَا عَلَى مُحَمَّدٍ فَيَقْتُلَهُ؟ فانتدب لذلك عَمْرُو بنُ جِحَاشٍ – لَعَنَهُ اللَّهُ –، وَأَعْلَمَ اللهُ رَسُولَهُ بِما هَمُّوا به، فَنَهَضَ صلى الله عليه وسلم من وقته من بينِ أَصْحَابِهِ، فلم يَتَنَاهَ دُونَ الْمَدِينَةِ. وَجَاءَ مَنْ أَخْبَرَ: أَنَّهُ رَآهُ صلى الله عليه وسلم دَاخِلاً فِي حِيطَانِ الْمَدِينَةِ، فقام أَبُو بَكْرٍ وَمَن معه فاتبعوه، فأخبرهم بما أعلمه الله من أمرِ يَهُودَ، فندبَ النَّاسَ إِلَى قتَالِهِمْ،

فخرج، واستعمل على المدينة: ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَذَلِكَ فِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ، فَحَاصَرَهُم سِتَّ لَيَالٍ مِنْهُ وَحِينَئِذٍ حُرِّمَتِ الْخَمْرُ، كَذَا ذَكَرَهُ ابْنُ حزم، ولم أره لغيره.

وَدَسَّ عَبْدُ اللهِ بنُ أَبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ وأصحابه من المنافقينَ إِلَى بَنِي النضيرِ: أَنَّا مَعَكُمْ نُقَاتِلُ مَعَكُمْ، وَإِن أُخرجتُم، خرجنا معكم. فاغترَّ أولئك بهذا، فتحصَّنُوا فِي آطَامِهِمْ، فأمر صلى الله عليه وسلم بِقَطْعِ نَخِيلِهِمْ وَإِحْرَاقِهَا، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يُجْلِيَهُمْ، وَيَحْقِنَ دِمَاءَهُمْ، عَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا حَمَلَتْ إِبِلُهُمْ غَيْرَ السِّلاحِ، فَأَجَابَهُمْ إِلى ذلك، فتحمَّل أَكَابِرُهُم ؛ كَحُيَيِّ بنِ أَخْطَبَ، وَسَلامِ بنِ أَبِي الْحُقَيْقِ بِأَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ إِلَى خَيْبَرَ، فَدَانَتْ لَهُمْ، وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ إِلَى الشَّامِ.

وَلَمْ يُسْلِمْ منهم إلا رَجُلانِ، وَهُمَا: أَبُو سَعْدِ بْنُ وَهْبٍ، وَيَامِينُ ابْنُ عُمَيْرِ بنِ كَعْبٍ.

وكَانَ قَد جَعَلَ لِمَن قتل ابنَ عَمِّهِ عَمْرَو بْنَ جِحَاشٍ جُعلاً؛ لِمَا كَانَ قَدْ هَمَّ بِهِ مِنَ الْفَتْكِ برسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَأَحْرَزُوا أَموالهمَا، وَقَسَّم رسول الله أموال الباقين بين المهاجرين الأولين خاصة، إلا أنَّهُ أَعطى أَبَا دُجَانَةَ وَسَهْلَ بنَ حُنَيْف الأَنْصَارِيَّيْنِ لِفَقْرِهِمَا، وَقَدْ كانت أموالهم مما أفاء الله على رسوله، فَلَمْ يُوجِفِ المسلمونَ بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ.

وفي هذه الغزوة:

أنزلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ سُورَةَ الْحَشْرِ.

وَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما يُسَمِّيهَا: سُورَةَ بَنِي النَّضِيرِ.

- هذا الفصل عقده الحافظ رحمه الله، يذكر غزوة النبي صلى الله عليه وسلم مع بني النضير، وبني النضير أحد قبائل اليهود الثلاثة؛ بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة.
- فالنبي صلى الله عليه وسلم كان قد هادن اليهود عندما دخل المدينة؛ هادن اليهود وعمل معهم معاهدات حتى يتقي شرهم أولًا، وهذه من السياسة كما قلنا لفعل النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك. فكان بينهم وبين هذه القبائل عهد.
- وأول قبيلة نقضت العهد بنو قينقاع لما نقضت العهد في بدر، فأجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم، وثاني قبيلة نقضت العهد قبيلة بني النضير. كيف نقضوا العهد؟
- ونقض العهد هو سبب هذه الغزوة قلنا إن (عمرو بن أمية الضمري) لما قتل القتيلين الذين لهما عهد عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: [لأدينَّهما] أي سيدفع ديتهم، فذهب النبي صلى الله عليه وسلم لبني النضير يطلب منهم ويستعينهم في دية القتيلين.. لماذا؟ لأنه بينه وبينهم عهد على أن يتعاونوا في هذه الديات، أي عندما يتحمل النبي صلى الله عليه وسلم دية فهم يشاركون معه، وهم عندما يتحملون شيء يشارك معهم.
- فذهب إليهم يكلمهم في ذلك، فنهض إليهم إلى بني النضير، وكان كبير بني النضير (حُيي بن أخطب)، يستعين بهما في قضاء دية هذين الإثنين، فقالوا له: نعم سنساعد، فالنبي صلى الله عليه وسلم جلس ينتظر إلى حائط؛ إلى جدار، ومعه (أبو بكر) و(عمر) و(عليّ) وطائفة من الصحابة رضي الله عنهم جميعًا، وصلى الله على نبينا.

- فهم أرادوا أن يغدروا بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ جاءتهم فرصة أنه جالس عند الجدار، فأرادوا أن يصعد أحد ويرمي عليه رحى؛ طوب كبير، حجارة تنزل فتقتل النبي صلى الله عليه وسلم؛ أرادوا قتله. وهذا دأب اليهود، وهم الذين سموا النبي صلى الله عليه وسلم وأراد الله أن يكون هذا تأثير السم بعد ذلك في وفاته الذي أطعمته المرأة اليهودية للنبي صلى الله عليه وسلم. فهم أرادوا أن يقتلوه، فأجمعوا من يفعل ذلك، فقال رجل وهو (عمرو بن جحاش): أنا أفعل ذلك؛ أن يصعد ويرمي على النبي صلى الله عليه وسلم رحى؛ وهي الحجارة الكبيرة ليقتله.
- فالله عز وجل أعلم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك؛ أرسل له وحيًا يُعْلِمَه بما سيفعل، فقام النبي صلى الله عليه وسلم مسرعًا من المكان حتى ما توقف إلا داخل حيطان المدينة، لدرجة أنه ترك (أبو بكر) و(عمر) و(عليّ) وأصحابه جالسين، لم ينتبهوا، حتى قيل لهم أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المدينة. فقاموا خلفه فأعلمهم بما أعلمه الله عز وجل له. وكان هذا يعد نقضا للعهد؛ فهم أرادوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم فنقضوا العهد.
- فهنا النبي صلى الله عليه وسلم استعمل على المدينة (ابن أم مكتوم) وكان هذا في ربيع الأول، وحاصرهم، رجع لهم استنهض الصحابة ومن معه من أهل المدينة على أنهم نقضوا العهد وهموا بقتل النبي صلى الله عليه وسلم، فكان على النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤدبهم على ذلك وأن يقاتلهم، وحاصرهم ست ليالي.
- قال هنا الحافظ أن حُرِّمت الخمر حينئذ، (ابن حزم) ذكر في كتابه: "نزل تحريم الخمر بالكلية في هذا الوقت"، قال: **(ولم أره لغيره)** أي لم يرى في كتب السير أحد سبق (ابن حزم) في ذلك.
- لكن انظر فعل المنافقون في ذلك؛ (عبد الله بن أبي بن سلول) رأس المنافقين في المدينة هو وأصحابه أرسلوا لبني النضير يقولون له لا تخرجوا. فالنبي صلى الله عليه وسلم طلب

أولًا أن يخرجوا. فتحصنوا في الآطام؛ أي الجبال والحصون، وقالوا نحن معكم، أرسلوا إليهم يثبتونهم ألا يخرجوا.

- قال: **(وَدَسَّ عَبْدُ اللهِ بنُ أَبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ وأصحابه من المنافقين إِلَى بَنِي النضيرِ: أَنَّا مَعَكُمْ نُقَاتِلُ مَعَكُمْ، وَإِن أُخرجتُم، خرجنا معكم. فاغترَّ أولئك بهذا، فتحصَّنُوا فِي آطَامِهِمْ).** انظر! فعل آخر من (عبد الله بن أبي بن سلول)، ففي أُحد أيضًا أُحد رجع بثلاثمائة وأراد أن يخذل، هنا أيضًا عندما بلغه هذا الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قد تهيأ لإخراج بني النضير، لأنه في الأول أمرهم أن يجلوا من المدينة والخروج منها، فـ (ابن سلول) أرسل إليهم قال: لا تفعلوا ولا تقبلوا، إنا معكم سنقاتل.
- والله عز وجل فضحهم في ذلك في سورة الحشر: {أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ، لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ، لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْم لَّا يَفْقَهُونَ، لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ} [الحشر:11-14] آيات عظيمة جدًا لابد الوقفة فيها، هنا قال: **(تحصَّنُوا فِي آطَامِهِمْ)** كما قال (ابن كثير) والله عز وجل يقول: {لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْم لَّا يَعْقِلُونَ، كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم} الله عز وجل يقول أن يهود بني النضير كيهود بني قينقاع الذين اجلاهم الله عز وجل {كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم}[الحشر: 15]. فالله عز وجل يبين أن هؤلاء سيكون مآلهم كمآل بني قينقاع.
- لكنه هنا الله عز وجل يصف لك كيف اليهود حقيقة وغيرهم من هؤلاء الذين من أهل الكتاب وغير ذلك، كيف يقاتلون أهل الإسلام، قال:{لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرى مُّحَصَّنَةٍ}، وفي قوله تعالى في آية أخرى: {وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ}[الحشر:2] قبل أن يخرجوا أتلفوا ممتلكاتهم بأنفسهم لم يتركوها للنبي صلى الله عليه

وسلم، هم لا يقاتلون إلا في قرى محصنة، كحال اليهود الآن، هو لا يستطيع أن يقاتلك وجها لوجه، ليس لديه هذه العقيدة، هو إما يتخفى داخل الدبابة أو يتخفى في الطائرة أو في الأراضي التي اغتصبوها، ويجعلون قبة حديدية وحصار وغير ذلك، لكن أن يقاتلك أمامك!! ما يستطيع. ولا يقاتلك إلا كما قال تعالى: { فِى قُرى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ} كأنهم هم يفعلون الجدر يتحصنون فيها، هذا قول الله عز وجل من ألف وأربعمائة وخمسة وأربعين عامًا، وهذه مواصفات لابد أن تعلمونها لليهود ولغيرهم. هم كذلك، قال: {تَحْسَبُهُمْ جَمِيعا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ}، هم يظهرون لك كأنهم دولة، وهم في الداخل قلوب شتى متفرقة، ليسوا على قلب واحد أصالة.

- هنا انظر النبي صلى الله عليه وسلم أولًا حاصرهم ست ليالي، فأمر بقطع نخيلهم وإحراقها، فحتى أنهم قالوا: انظروا إلى محمد صلى الله عليه وسلم يفسد؛ يقطع النخيل ويحرقه، فقال تعالى: {مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ} [الحشر: 5] لما قالوا أن هذا إفساد، أخبر الله عز وجل أن هذا العمل الذي قام به النبي صلى الله عليه وسلم كان بإذن من الله، وهذا خزي لهم {وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ}، يروا بأعينهم قبل أن يرحلوا ممتلكاتهم تُحرق، بل هم أصلًا قبل أن ينتقلوا وبعدما أذن لهم النبي صلى الله عليه وسلم أتلفوا ممتلكاتهم أصالة.
- بعد ذلك عندما حوصروا فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يجليهم، فأذن لهم بالخروج– حقن الدماء– وقالوا نخرج بالإبل عليها متاعنا من غير السلاح. منعهم السلاح. لماذا؟ حتى لا يتقووا بأخذ سلاحهم. لذلك نحن دائمًا نقول لابد في المحارب ألا تمكن له أن يكون عنده سلاح؛ لا بالمال ولا بغيره أصالة. فلا يأخذون معهم شيئًا من السلاح.
- **(فَأَجَابَهُمْ إلى ذلك)**، ولما أراد يخرجوا قال لهم لم تبقوا شيء من ممتلكاتك؛ أي لن تأخذوا منها شيء، فنزل قوله تعالى: {يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى

ٱلْأَبْصَٰرِ} [الحشر:2] فجعلوا يحرقون أمورهم لأنهم لن يأخذوها معهم حتى لا يتركونها للمسلمين.

- فخرج اثنان من كبرائهم وهو (حُيي بن أخطب) و(سَلامِ بنِ أَبِي الْحُقَيْقِ)، أغلبهم ذهبوا للشام، وهؤلاء الإثنين بعائلاتهم انتقلوا إلى خيبر –وسيأتي الكلام عليهم في خيبر بعد ذلك.
- **(وَلَمْ يُسْلِمْ منهم إلا رَجُلانِ، وَهُمَا: أَبُو سَعْدِ بْنُ وَهْبٍ، وَيَامِينُ ابْنُ عُمَيْرِ بنِ كَعْبٍ)**، و(يَامِينُ ابْنُ عُمَيْرِ بنِ كَعْبٍ) هو ابن عم الذي أراد أن يرمي على النبي صلى الله عليه وسلم الرحى وهو (عمرو بن جحاش)، فجعل جُعلا لمن يقتله. انظر.. بعدما كان مع اليهود، أسلم، فأول شيء يفعله أن يعلن عن جُعل لمن يقتل ابن عمه الذي أراد أن يقتل النبي صلى الله عليه وسلم...قلوب تتغير! من سويعات كان مع اليهود الذين يريدون قتل النبي صلى الله عليه وسلم، وإن لم يكن هو الذي سيقتل لكن كان مع اليهود، كتب الله له الهداية والإسلام. وهذا يبين لك كيف علينا أننا ندافع عن النبي صلى الله عليه وسلم ونذب عنه بعد موته. ولا بأس لأنه علم أن هذا كان يريد أن يقتل النبي صلى الله عليه وسلم فجعل له جُعلا لمن يقتله.
- والإيمان لما يدخل القلوب، ينتهي الأمر. انظر سحرة فرعون لما رأوا الآيات {فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ، قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ، رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ} [الشعراء:46-48] تحول! ثم قال: {لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ} [الشعراء: 49] قالوا في آيات أخرى: {قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ} [طه:72]، { إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ} [طه: 73]، انظر دخل الإيمان في القلوب فتحولوا من بعد ما كانوا يقولوا {أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ، قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ} [الشعراء:41-42] سيكونون من أعوان فرعون، لكن لما رأوا الحق وانقلبت القلوب إلى الإيمان تركوا كل شيء حتى لو عُذِّبوا ويقتَّلوا ويصلبوا كما هددهم فرعون، لكن الإيمان لما يدخل القلوب يتغير حال المرء بالكلية أصالة.

- ثم أن النبي صلى الله عليه وسلم قسم الأموال التي أخذها منهم على المهاجرين الأولين، لكن استثنى من الأنصار فقط **(أَبَا دُجَانَةَ وَسَهْلَ بنَ حُنَيْف الأَنْصَارِيَّيْنِ لِفَقْرِهِمَا، وَقَدْ كانت أموالهم مما أفاء الله على رسوله)** والفيء هو من غير قتال، والغنيمة تكون بالقتال؛ أي لو كان هناك قتال؛ محاربة، ثم انتصر أهل الإسلام فالمال هذا غنيمة، فحق للمجاهدين الذين يُقسَّم لهم بين الغانمين، لكن لو كما حدث هنا بأن لم يحدث قتالًا، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أجلاهم، فيكون الفيء حق لإمام المسلمين يقسمه كما يريد، لكن الغنيمة للذين اشتركوا في القتال فلهم الحقوق شرعية، أسهم تقسم، لكن الفيء أعطى لمن يريد؛ أعطى للمهاجرين، واستثنى من الأنصار إثنين.. لماذا؟ لأن هذه يقدرها ولي الأمر، الأمير في المعركة والقائد، وغير ذلك، قال: **(فَلَمْ يُوجِفِ المسلمونَ بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ)** أي ليس هناك قتال ولا مشقة، أفاء الله على رسوله، وليست بغنيمة، لذلك النبي صلى الله عليه وسلم قسمها كما يريد.
- قال: **(وفي هذه الغزوة: أنزلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ سُورَةَ الْحَشْرِ. وَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما يُسَمِّيهَا: سُورَةَ بَنِي النَّضِيرِ)**.
- وقال: **(وقنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرًا يدعو على الذين قَتلوا القراء أصحاب بئر معونة)**، هذه نختم بها يبين لك دعاء النوازل، هذا الذي أصل معنا، الدعاء في القنوت في النوازل كان بسبب لما قُتِلوا القراء أصحاب بئر معونة؛ والذين قتلوهم عصية ورعل وذكوان، دعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم شهرا، بل كان يسميهم بأسمائهم في القنوت، وهذه مشروعية القنوت في النوازل، كان يرفع من الركوع في الركعة الأخيرة ثم يدعو على هؤلاء، فأصبحت سنة في القنوت في النوازل وكان يقنت في الصلوات المفروضة ليس في النوافل؛ إذا نزلت نازلة بالمسلمين يقنت، وإذا ارتفعت النازلة وقف القنوت، هذا هو هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

الفوائد المستنبطة من غزوة بني النضير

1-**الوفاء بالعقود والعهود؛** كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم عندما أراد أن يدفع الدية فذهب لبني النضير.

2-**تواضع النبي صلى الله عليه وسلم؛** انظر كيف يجلس على الجدار هو وأصحابه في مكان واحد، بساطة وعدم تكلف من النبي صلى الله عليه وسلم، وتواضع منه في جلوسه مع أصحابه وغير ذلك.

3-**آيات سورة الحشر وما فعل بني النضير؛ لابد تبين لك أصل من أصول اليهود** وهذا لابد أن يُعلَّم للشباب والأجيال بأنه لابد أن يعلم أن من عقيدة أهل الإسلام أنك تعتقد بأن اليهود هم أكثر الناس عداوة للمسلمين، وطبعًا لابد أن تعلم أن أكثر الناس كفرًا هم اليهود أيضًا وأن عداوتهم لا تنتهي مع أهل الإسلام، هذا يظهر لك من فعلهم، وطبعًا بيناها في بني قينقاع وبيناها في بني النضير، وسيأتي معنا في الباقي.

4-**حفظ الله عز وجل لأوليائه؛** الله حفظ النبي صلى الله عليه وسلم من القتل وحفظه لأوليائه، وهذه سنة أيضًا، الله عز وجل يحفظ أولياءه ويحفظ عباده المؤمنين، وينصر دينه، وهذا الذي فعله الله عز وجل في إبلاغ النبي صلى الله عليه وسلم وسلم والصحابة.

5-**فعل النبي صلى الله عليه وسلم يستنبط منها خطة** عندما أخبره الله عز وجل بمحاولة قتله، **أول شيء خرج من المكان مسرعًا، أول شيء تبتعد عن مكان الخطر، أبتعد وأمَّن نفسه في المدينة.** هذه أمور يستنبط منها فوائد وخطط يضعها أهل السياسة، وأهل الحرب غير ذلك، وأنت لابد تستفيد حتى في الخطر عندما تعلم أن هناك خطر، ما الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم؟ حتى ما أخبر أصحابه، لأن المقصود هو النبي صلى الله عليه وسلم وليس أصحابه، فخرج مباشرة مسرعًا من المكان حتى وصل إلى المدينة. فأول شيء تفعله عند الخطر تُخرِج نفسك من مكان الخطر حتى تصل إلى مكان آمن، **ثم تكمل بعد ذلك كيف ستزيل هذا الخطر** وهذا الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم، استنهض

الصحابة، ثم رجع ليجليهم بعد ذلك عن هذا المكان. تدبير وسياسة وتخطيط يستنبط من الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم.

6-وأيضًا استنبط أنه لما خرج، فالصحابة ما علموا بفعل النبي صلى الله عليه وسلم، هم افتقدوه ثم علموا أنه في المدينة، **ما هيج القوم أو أثار زوبعة أو كذا! لا، زال عن الخطر أولًا بسرعة وبهدوء، ثم بعد ذلك خطط لكيفية أن يفعل بهم ذلك**. وهذه مهمة، وليس كالآن عندما تشعر بوجود خطر، بعض الناس يُفسِد، فيثير الزوابع ويهيج وهو ما زال في الخطر! الأول أنقذ نفسك من هذا الخطر بفكر وحكمة، ثم بعد ذلك افعل الذي تراه مصلحة، فتقدير الموقف مهم جدًا.

7-أهم شيء نختم بها في المسألة هذه، **الآيات هذه في سورة الحشر تبين الإدعاء الكاذب الذي هم يروجون له أمام الناس أن اليهود أو غيرهم من الكفار أنهم أقوياء وأنهم لا يُهزمون** كما يروجون كانوا لأنفسهم، وأنهم لا يستطيع أحد أن ينتصر عليهم! لا، هم أجبن الخلق، وهم لا يستطيعون القتال إلا في حصون وجدر، وقلوبهم شتى أصالة. فهنا لابد أن يزرع ويبين للناس أن هؤلاء جبناء، والله قد وضع الذل في نفوسهم سبحانه وتعالى. لابد أن يقتنع أهل الإسلام بذلك ولا يستمعون لما يروجون لأنفسهم أنهم الجيش الذي لا يقهر وأنهم كذا وكذا! لا، هم جبناء ويفرون، وأصلا ما يقفون أمام عقيدة المسلم، وحبه لله عز وجل، والجهاد في سبيل الله عز وجل. ولذلك انظر كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة فعلوا مع اليهود بالرغم من أنهم كانوا أكثر، وكان معهم المال والعتاد، ومع ذلك لعقيدة الصحابة وصدقهم مع الله عز وجل استطاعوا أن يجلوا اليهود كما أجلوهم من قبل.

8-**النفاق وأهل النفاق الاعتقادي الذي هو النفاق المخرج عن الملة**. انظر ماذا فعل (عبد الله بن أبي بن سلول) وإن كان هذه المسألة قد يكون فيها ما فيها من القلوب التي لا نعلمها لكن لنا بفعل بالظاهر، ولذلك لابد للدعاة والعلماء أن يُظهِروا للناس أهل النفاق، وأن يبينوا للناس كلام أهل النفاق وأقوالهم وأفعالهم، ويبينون بيانًا صريحًا لأهل الإسلام صفات

المنافقين، ولا يتوقفون، لأن الأمة على مدارها ابتليت بالمنافقين الذين أرادوا المكيدة والوقوع، بل انهيارات الخلافيات الإسلامية كلها كانت بسبب المنافقون وتعاونهم مع الكفار؛ سواء كانوا الروم أو كانوا التتار، والمغول بعد ذلك، أو غير ذلك من أهل الكفر. فأصل ذلك هم أهل النفاق، الدول الاسلامية التي وقعت حتى في العصر الحديث كانت بسبب المنافقين، بسبب وجود أهل النفاق. العراق ما سقطت إلا بتسليم الروافض البلد للأمريكان لما أرادوا أن يدخلوا، ومحاربتهم لأهل السنة، وغير ذلك من الدول التي حدث فيها ذلك، كله بسبب النفاق.

وهو أصلًا أي منافق يُظهِر فقط كأنه من بين الإسلام، فلا تنخدع بلحية كهذه طويلة تصل للبطن وللسرة أو بصلاة أو بصوم أو بإدعاء أو بكلام، لا تنخدع، فهذه وجوه فقط تُلَبِّس على الناس أصالة، ولن يأتيك المنافق بزي اليهودي أو بزي النصراني! لا، هذا ممكن أن يأتيك بزي الداعية والشيخ والعالم، ليلبس على الناس وهو له مآرب أخرى. فمن الأهمية بمكان بيان صفات المنافقين وأن الناس تحذر من ذلك.

نحن لا نقول أن تحكم على أحد، لكن هناك فارق بأننا نبين الصفات، ولما تصل إلى أفعال تراها وتقرأها وتسمعها فتعلم أن هؤلاء فعل المنافقين. نحن بنتكلم الآن حتى لا نرمي أي أحد بالنفاق هكذا، لأن بعض الناس أيضًا سهل عليهم يقول لك هذا منافق، وهذا منافق، وهذا منافق، وأصبح هناك طائفة بتتكلم أن كل أحد يخالفهم فهذا تكفيري، ومنافق، ومبتدع، وكل شيء، يوزعون الصكوك هذه، وهم أصلًا أهلها، وما يتبعون إلا أهل هؤلاء أصالة.

لكننا لابد أن نُفرِّق للناس بين أهل الحق وأهل الباطل، هم أكثر، لأن المشكلة ليست في الكافر، فالكافر رأي عين موجود، أنت تعلمه، ترى اليهودي والنصراني أو البوذي أو السيخي كل هؤلاء كفار، لكن المشكلة في الذين هم من بني جلدتنا ويظهر بظهورنا ويصلي معنا، ويصوم ويتكلم وهو من خلفك يبيع أهل الإسلام، ويوقع بلاد الإسلام في أيدي الكفر.

نكتفي بهذا القدر ونقف عند (غزوة ذات الرقاع)

جزاكم الله خيرا جميعًا

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

المحاضرة الرابعة عشرة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد،،على موعد اليوم مع شرح كتاب (الفصول في سيرة الرسول) للحافظ ابن كثير–عليه رحمة الله تعالى. ووقفنا عند غزوة **(ذات الرقاع)**.

فصل: غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ، أو غزوة نَجْدٍ

ثُمَّ غزا صلى الله عليه وسلم غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ، وهي: غَزْوَةُ نَجْدٍ، فخرجَ فِي جَمَادَى الأولى من هذه السنة الرابعة، يريدُ: مُحَارِبَ، وَبَنِي ثَعْلَبَةَ بنِ سَعْدِ ابْنِ غَطَفَانَ.

واستعمل على المدينة: أَبَا ذَرٍّ الْغِفَارِيَّ.

فسار حتى بلغ نَخْلاً، فلقي جَمْعاً من غَطَفَانَ، فتواقفوا، ولم يكن بينهم قتال، إلا أنَّه صلَّى يومئذٍ صَلَاةَ الْخَوْفِ – فيما ذكره ابن إسحاق، وغيره من أهل السير.

وقد استشكل؛ لأنه قد جاء في رواية: الشافعي، وأحمد، والنسائي، عن أبي سعيد : أَنَّ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حَبَسَهُ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ عَنِ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، فَصَلَاهُنَّ جَمِيعًا، وَذَلِكَ قَبْلَ نُزُولِ صَلَاةِ الْخَوْفِ.

قالوا: وَإِنَّمَا نَزَلَتْ صَلاةُ الْخَوْفُ بِعَسَفَانَ؛ كما رواه أبو عياش الزرقي، قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِعَسَفَانَ، فَصَلَّى بِنَا الظُّهْرَ، وَعَلَى الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ. فقالوا: لَقَدْ أَصَبْنَا مِنْهُمْ غَفْلَةً. ثُمَّ قَالُوا: إِنَّ لَهُمْ صَلَاةً بَعْدَ هَذِهِ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ، فَنَزَلَتْ – يعني: صَلَاةَ الْخَوْفِ – بَيْنَ الظهْرِ وَالْعَصْرِ، فَصَلَّى بِنَا الْعَصْرَ ففَرَّقَنَا فِرْقَتَيْنِ. وذكر الحديث.

أخرجه الإمام أحمد، وأبو داود، النسائي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم نَازِلاً بَيْنَ ضَجْنَانِ وَعَسَفَان، مُحَاصِراً الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّ لِهَؤُلَاءِ صَلَاةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَبْنَائِهِمْ وَأَبْكَارِهِمْ، أَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ ثُمَّ مِيلُوا عَلَيْهِمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً. فَجَاءَ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَأَمَرَهُ أَنْ يَقْسِمَ أَصْحَابَهُ نِصْفَيْنِ. وذكر الحديث. رواه النسائي، والترمذي، وقال: حسن صحيح.

وقد عُلِمَ بلا خلاف: أَنَّ غزوةَ عَسَفَانَ كَانَت بَعدَ الخَنْدَقِ، فاقتضى هذا: أَنَّ ذات الرقاع بعدها، بل بعد خبير.

ويؤيد ذلك: أنَّ أبا موسى الأشعري، وأبا هريرة رضي الله عنهما شَهِدَاهَا.

أَمَّا أَبو موسى الأشعري:

ففي الصحيحين» عنه: أَنَّهُ شَهِدَ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا يَلُفُّونَ عَلَى أَرْجُلِهِمُ الْخِرَقَ لَمَّا نَقِبَتْ، فَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ.

وأما أبو هريرة :

فَعَنْ مَرْوَانَ بْنِ الحَكَمِ: أَنَّهُ سَأَلَ أَبَا هُرَيْرَةَ: هَلْ صَلَّيْتَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم صَلَاةَ الْخَوْفِ؟ قَالَ: نَعَمْ . قَالَ : مَتَى؟ قَالَ: عَامَ غَزْوَةِ نَجْدٍ. وَذَكَرَ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ صَلَاةِ الْخَوْفِ.

أخرجه الإمام أحمد، وأبو داود، والنسائي.

وقد قال بعض أهل التاريخ: إِنَّ غزوة ذاتِ الرِّقَاعِ أكثر من مرة واحدة، كانت قبل الخندق، وأخرى بعدها.

قلت: إلا أنه لا يتَّجِهُ أَنَّهُ صَلَّى فِي الْأُولَى صَلَاةَ الْخَوْفِ إِن صَحَّ حديثُ أَنَّهَا إِنَّمَا فُرضت في عَسَفَانَ.

- هنا الإمام (ابن كثير) –رحمه الله – تكلم عن غزوة "ذات الرقاع" وهي تسمى غزوة ذات الرقاع، وغزوة "نجد" أيضًا كما قال هنا (أبو هريرة) لما سئل عن صلاة الخوف مع النبي صلى الله عليه وسلم، قال: نعم، في غزوة نجد.
- وهي في جمادى الأولى من السنة الرابعة للهجرة، وسميت ذات الرقاع لعدة أقوال:
  - منها أنه بسبب كثرة مشي الصحابة فقد تقطعت أقدامهم، أو نقبت أقدامهم، فلفوا رقاعًا وأربطة على أرجلهم، وهذه قد تخرقت أيضًا من كثرة المشي والإعياء والتعب. فلفوا أرجلهم بالخرق، فقيل "ذات الرقاع" لذلك كأنهم رقَّعوا أرجلهم مما أصابهم. وهذا قاله الإمام (ابن كثير) أيضًا لما أورد حديث (أبي موسى الأشعري) رضي الله عنه قال: [إنهم كانوا يلفون على أرجلهم الخرق لما نقبت، فسميت بذلك]. إذًا من أسباب تسمية ذات الرقاع أنهم لفه مثل الأربطة والخرق على أرجلهم من كثرة المشي وتقطعت الجوارب والأحذية وغير ذلك فلفوها بذلك.

- والقول الثاني: أنها سميت بذلك لأنهم رقعوا الرايات؛ كان عندهم الرايات وقُطِّعَت فرُقعت الرايات. وقلنا من السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرفع لواء وراية، وهذا أيضًا ذكره بعض كتاب السير.
- والقول الثالث: أنهم قالوا بأن الغزوة كانت عند شجر يسمى بهذا الإسم في تلك المنطقة، "شجر الرقاع".
- والقول الرابع: قالوا أنه كان هناك في المنطقة جبل فيه ألوان عدة، فيه لون أسود مع لون أبيض مع لون أحمر، فسمي لكثرة الألوان كأنه مُرقَّع، فسميت الغزوة على اسم هذا الجبل.

- والراجح –والله أعلم– أن التسمية الأولى أقرب، حتى أن تسمية الأولى الخاصة باللفائف يستدل بها الفقهاء أنها من أدلة جواز المسح على الخف المقطع أو المخرق من هذه الغزوة، فهناك روايات: (أننا كنا نصلي ونمسح عليه)، وهذا طبعًا يستفاد منها فقهيا في هذه المسألة.
- فقال رحمه الله: **(فخرجَ فِي جَمَادَى الأولى من هذه السنة الرابعة، يريدُ: مُحَارِبَ، وَبَنِي ثَعْلَبَةَ بنِ سَعْدِ ابْنِ غَطَفَانَ. واستعمل على المدينة: أَبَا ذَرٍّ الْغِفَارِيَّ.)**، وفي رواية أنه استعمل (عثمان بن عفان) على المدينة؛ أي جعله أميرا عليها.
- **(فسار حتى بلغ نَخْلاً)** وهذا اسم مكان بعد المدينة بحوالي ثمانين كيلومترا؛ مرحلتين قبل نجد في اتجاه المدينة إلى الرياض أو إلى نجد –لمن ذهب هناك–.
- **(فلقي جَمْعاً من غَطَفَانَ، فتواقفوا، ولم يكن بينهم قتال)** لم يكن هناك قتال لكنهم توافقوا أي القوم أخاف بعضهم بعضا، أي حدث نوع من المناوشات –كما يقال– ولكن لم يحدث قتالًا بين النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أصالة.
- لكنه قال هنا: **(أنَّه صلَّى يومئذٍ صَلَاةَ الْخَوْفِ)** وهذا الإشكال الذي تكلم عنه الكثير فيما قرأنا، أنه كيف صلّى صلاة الخوف، وصلاة الخوف على الراجح إنها فرضت في غزوة عسفان، وغزوة عسفان كانت بعد الخندق، ونحن لم ندخل بعد على غزوة الخندق، لأن في

غزوة الخندق المشركون شغلوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة، فلم يصلي الظهر والعصر والمغرب والعشاء إلا في وقت العشاء، ولم تكن فُرضت وقتها صلاة الخوف، وتأخر النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة لما قال: شغلونا عن الصلاة والصلاة الوسطى قاتلهم الله، ففي غزوة الخندق النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن صلى الصلاة الخوف فهنا إشكال؛ كيف شرعت صلاة الخوف بهذه الغزوة "ذات الرقاع" ولم تأت غزوة الخندق، لأنه في الخندق أخر الصلوات.

- فهنا تكلم فيها (ابن كثير) على أن بعضهم قال أن هذا وهم من كتب السير مع أنها موجودة في كتب السير، فهنا حتى (ابن كثير) نفسه ذكرها في الكتاب الذي معنا أن ذات الرقاع قبل الخندق، وأيضا (ابن القيم) في زاد المعاد ذكرها في نفس الموطن، وغالب كتاب السير يذكرون ذات الرقاع قبل الخندق مع أن هناك روايات تبين أن الأصل ذات الرقاع مكانها الصحيح تكون بعد غزوة الخندق، لكي يكون فيها صلاة الخوف.
- والبعض يقول أنه يوجد أكثر من غزوة ذات الرقاع.
- والحق أن هذا كما أشار إليه (ابن كثير) لم يثبت، وحتى لو ثبت أنه يوجد أكثر من ذات الرقاع قبل الخندق وبعد، فلن تكون صلاة الخوف في ذات الرقاع التي قبل الخندق أيضًا لأن الخندق ليس فيها صلاة خوف.
- فهذا خلاصة ما قرأناه لأنه ذكر أيضًا رواية (الشافعي) في غزوة الخندق أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء صلاهم جميعًا قبل نزول صلاة الخوف، إذًا لا يمكن أن تكون غزوة ذات الرقاع هذه قبل الخندق، هي لابد أن تكون بعد ذلك، وهذا هو الصحيح أن مكانها ليس هنا، مع أنك ستجد الكثير من كتب السير موجودة بهذا الترتيب.

- وأيضًا لأن (أبو هريرة) و(أبو موسى الأشعري) أسلموا متأخرين، حضروا. ولما قالوا صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف؟ قال: نعم في غزوة نجد، و(أبو هريرة) لم يسلم إلا في خيبر أي بعد الخندق، و(أبو موسى الأشعري) أيضًا. وخيبر كانت بعد الخندق.
- فالصحيح والله أعلم أن مكان هذه الغزوة يكون متأخرًا عن هذا الموضع لأن صلاة الخوف لم تكن قد فُرضت في هذا الوقت من السنة.
- قال: **(وقد عُلِمَ بلا خلاف: أَنَّ غزوةَ عَسَفَانَ كَانَت بَعدَ الخَنْدَقِ، فاقتضى هذا: أَنَّ ذات الرقاع بعدها، بل بعد خيبر)** لأن (أبو هريرة) أسلم في خيبر، فلابد أن تكون بعد خيبر أيضًا. ثم قال: **(ويؤيد ذلك: أَنَّ أبا موسى الأشعري، وأبا هريرة رضي الله عنهما شَهِدَاهَا)**، وهذه خلاصة المسألة.
- و (أبو موسى) رضي الله عنه بيّن لنا لماذا سميت ذات الرقاع –كما قلنا– لأنهم كانوا يلفون على أرجلهم الخرق.
- **(وقد قال بعض أهل التاريخ: إِنَّ غزوة ذاتِ الرِّقَاعِ أكثر من مرة واحدة، كانت قبل الخندق، وأخرى بعدها)**، **وقد** ذكر ذلك الإمام (الذهبي) –رحمة الله عليه– في كتاب المغازي؛ ذكر بأن (الظاهر أنها غزوتان)، ولكنه أورد بعد ذكر الأدلة على تأخير ذات الرقاع بعد الخندق، وهذا هو الصحيح كما بيّنا.
- وحتى (ابن كثير) في "البداية والنهاية" ذكر أن غزوة الرقاع تكون بعد الخندق وليس في هذا الموضع. إذًا حتى لوجدتها في هذه المواضع، لكن بيّنا الآن أن الصحيح بأنها كانت بعد الخندق.
- بعضهم قال أنه أيضًا مما يدل أن بعد الخندق أن (ابن عمر) رضي الله عنه وأرضاه قال في حديثه: أن أول ما أجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم في القتال أجازه في الخندق لما عُرض عليه يوم أُحد وهو ابن أربعة عشر سنة، ثم قال أجازني في الخندق وأنا ابن خمسة

عشرة سنة. ما الإشكال هنا؟ هنا لا إشكال بعد، ليس هناك دليل حتى الآن، قال (ابن عمر) "ثم غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل نجد" وذكر صلاة الخوف.

- إذًا (ابن عمر) أيضًا ذكر صلاة الخوف قبل نجد وصلاها مع النبي، و(ابن عمر) لم يقاتل مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا في الخندق، وقبل الخندق لم يكن قد قاتل لأنه كان صغير، فدل ذلك أيضًا على أن ذات الرقاع لا تكون إلا بعد غزوة الخندق. كل هذه شواهد في هذه المسألة.

وقد ذكروا: أنه كانت من الحوادث في هذه الغزوة:

قصَّة جَمَلِ جَابِرٍ وَبَيْعِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك نظر؛ لأنه جاء: أن ذلك كان في غزوة تبوك، إلا أنَّ هذا أنسب ؛ لما أنه كان قد قتل أبوه في أحد، وترك الأخوات، فاحتاج أن يتزوج سريعاً من يكفلهنَّ له.

- من ضمن القصة حوادث –يسمونها المناسبات– بغزوة الرقاع قصة شراء النبي صلى الله عليه وسلم من (جابر) رضي الله عنه بعيره، وكانت بعير (جابر) هزيلة أو ضعيفة أو لا يسير، فقال فضرب عليها النبي صلى الله عليه وسلم من خلفه، فسار وانطلق، ثم النبي صلى الله عليه وسلم تسامر مع (جابر) في طريق العودة، وكان يسأله عن حاله، فقال: تزوجت؟ قال: نعم. قال بكر أم ثيب؟ قال: فهلا تزوجت بكرا تضاحكك وتضاحكها وتلاعبك وتلاعبها. فشرح له بأن أبوه (عبد الله بن حرام) قد ترك له تسع من البنات صغيرات، فأراد أن يأتي لهن بثيب تساعدهن وتمشطن وتتابعن إلى ما جاء في غير ذلك.
- فهنا بعض أهل السير قالوا أن قصة (جابر) كانت في تبوك، وتبوك هذه كانت آخر غزوة للنبي صلى الله عليه وسلم. لذلك قالوا: والأنسب أن تكون قصة جابر في ذات الرقاع لأنها قريبة من غزوة أحد، والتي قُتِل فيها أبوه (عبد الله بن حرام)، فكان يحتاج إلى الزواج لأخواته، فتكون المناسبة في هذه الغزوة أقرب من غزوة تبوك، لأن غزوة تبوك بعيدة

سنوات، لذلك قال الحافظ: **(إلا أنَّ هذا أنسب ؛ لما أنه كان قد قتل أبوه في أحد)** وتبوك متأخرة جدًا.

- قال: **(فاحتاج أن يتزوج سريعاً من يكفلهنَّ له)** هذه قصة تكلمنا فيها من قبل قصة (جابر) حتى لا نعيدها مرة أخرى، وفيها فضل (عبد الله بن حرام) و(جابر) رضي الله عنه، واختيار جابر لزوجة ثيب تراعي أخواته الصغيرات لذلك.
- وطبعا قصة (جابر) عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم لـ (جابر): بعني الجمل، قال: بل هو لك رسول الله، فقال: بل بعنيه. فاشتراه منه، واختلف أهل الحديث كم أوقية، على أنه اشترط أن يظل يركبه حتى يصل إلى المدينة. فلما وصل المدينة فالنبي صلى الله عليه وسلم أمر (بلال) أن يذهب ويعطيه الثمن. فأخذ الثمن وبعد أن قبضه قال النبي صلى الله عليه وسلم: [الثمن لك والجمل لك]. فأخذ (جابر) رضي الله عنه الثمن وأخذ الجمل، فكان هذا كرمًا من النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أراد أن يدخل السرور ويساعد (جابر)؛ فهو قد تزوج وترك أبوه له تسع من الأخوات فقط، حتى أن (جابر) رضي الله عنه وأرضاه يقول: [أخذت هذا المال وما زال ينمي ويزيد عندنا ونرى مكانه من بيتنا] سبحان الله المال، الذي أعطاه له النبي صلى الله عليه وسلم ثمنًا له وأبقى له الجمل أصبح ينمو عنده ويزداد بركة؛ بركات الله عز وجل جعله فيه، وكأن هذا أيضًا {هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ} [الرحمن:60] أنظر (جابر) رضي الله عنه أحسن لإخواته، أدخل عليهم امرأة تساعدهم وكان من الممكن أن يأتي ببكر صغيرة أو يتزوج لنفسه، لكن نظر لمصلحة إخواته التي أوصى بهن أبوه له. بل أن أبوه (عبد الله بن حرام) قال لـ (جابر): أنا أخرج للقتال مع النبي صلى الله عليه وسلم في أحد، وأنت أبق مع إخوتك في البيت تتعاهدهن، حتى ما خرج في القتال، لذلك لو تذكروا بعد أُحد لما جاءت غزوة حمراء الأسد الرسول استثناه.
- لذلك انظر لما ضحّى وقدّم وفاء، الله عز وجل رزقه بأن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاه هذه الأموال، وبارك الله له في هذا المال.

- وحتى أنه يقال إن (جابر) كان يحكي هذه القصة أمام يهودي، واليهود طبعًا يموتوا على الدرهم والدينار كما يقال، فكما جاء عن الإمام (أحمد) ذكر هذه القصة فقال اليهودي تعجب، قال له: (اشترى منك البعير ودفع لك الثمن ووهبه لك!!) فهو يتعجب من ذلك. ولكن هذا طبعًا كرم من النبي صلى الله عليه وسلم، فاليهود ما اعتادوا على ذلك هم أهل سحت كفر بنعائم الله عز وجل أصالة. ولكنه كان محتاجًا لأن حتى (جابر) عندما باع البعير كان يؤنب نفسه أنه باع البيع الذي لا يملك غيره، ويرجع الآن لخاله سيؤنبه في المدينة أنه باع بعيره، لكن استحيا من النبي صلى الله عليه وسلم وأراد ألا يرد النبي صلى الله عليه وسلم. فكانت قصة عظيمة عرجنا عليها.
- وهذه القصة تبين لك كيف أن القائد، الأمير، الحاكم، المربي، العالِم، ولي الأمر الذي يتعهد الناس ينظر في حال كل رعيته. فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع (جابر) وهو واحد من الصحابة وأيًا كان منقبة أبيه لكن كيف أراد أن يُكرِم (جابر) وأن يعطيه، فكيف يأتي بهذه القصة مع (جابر) وأنه يشتري ثم يعطيه، فهذه تبين لك أنك أنه من كان مسؤولا عن أناس يتعهدهن فعليه أن يعرف أحوالهم ويسأل عنهم ويساعدهم بقدر ما يستطيع في ذلك.
- وفيه أيضًا إثبات المشركين كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة كانوا يعلون قدر الصلاة قالوا: **(إِنَّ لَهُمْ صَلَاةٌ بَعْدَ هَذِهِ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ)** لتعلمون عِظَم قدر الصلاة عند النبي صلى الله عليه وسلم وعند الصحابة. طبعًا النبي صلى الله عليه وسلم قال: [حُبِّبَ إليَّ من دنياكم ثلاثٌ الطِّيبُ والنساءُ وجُعِلَ قُرَّةُ عيني في الصلاة] فكان يستمتع بالصلاة وقيام الليل، قرة عين له. والصلاة عماد الدين، الصلاة هي الأصل، حتى الكفار معاييرهم في الحكم على تكاتف المسلمين وقوة المسلمين يقولون: انظر الى حالهم يوم الجمعة وحالهم في الصلوات، لو صلوا الصلوات الخمسة كصلاة يوم الجمعة اعلم أن المسلمين سيأكلون الكفار أكلًا، ولذلك كان همهم أن يفرقون المسلمون عن الصلوات.

- وهذا هو الأصل، فالنبي صلى الله عليه وسلم لما قال أن الصلاة عماد الدين لأن هي الأصل، فمتى أضاعوا الصلوات {فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا} [مريم: 59] لذلك انظر.. المشركون يقولون: **(إِنَّ لَهُمْ صَلَاةٌ بَعْدَ هَذِهِ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ)** أي لو يوجد مال أو ولد فيتركونه في مقابل الصلاة، وهذا لتعلموا هو الأصل الذي كان ينصر به الله عز وجل النبي والصحابة تمسكهم بمسألة الصلاة، وعندما فرطنا في الصلاة وفي أدائها وفي تدبرها ضاع ما ضاع بعد ذلك.
- أيضًا فيها مسألة حقيقة مهمة، فأيًا كانت متى كانت غزوة الرقاع، كانت قبل الخندق أو بعد الخندق ، لكن (خالد بن الوليد) رضي الله عنه وأرضاه كان على وقتها من أهل الشرك، فكان سيهجم في وقت الصلاة، فأعلم (جبريل) النبي صلى الله عليه وسلم بصلاة الخوف، فقسم قسمتين وصلى صلاة الخوف. وهذه تبين لك أهمية الاستفادة من الرخص الشرعية التي تحقق مقاصد شرعية، وهذه مسألة مهمة جدًا تحتاج لفقه، خاصة في وقت الجهاد.
- أنا أذكر قصة حقيقية حدثت في مكان ما وفي الجهاد بأن كان مجموعات الإخوة في مكان ما وكان الماء الذي معهم بقدر معين، وبيكون معهم مسؤول شرعي ، فالأمير المقصود قال له: انتبه لن تأتي لنا سيارة الماء إلا غدًا في العصر، والماء الذي معنا لن يكفي– وهذا طبعًا لو سارت أمور الحرب كما هي، لأنه كان قتال وممكن الطرق تقف وممكن تتأخر السيارة ولا تصل–، فالماء الذي معنا بالكاد إما نشرب أو ننوضأ، – كانت مجموعة من الجند، من الكتائب، وطبعًا في الأمور الشرعية يُرجَع للمسؤول الشرعي. فالقائد الذي هو صاحب السرية كان يرى بأنه لابد أن نترك الماء للشرب لنستعين به في القتال وغير ذلك، والوضوء نتيمم، فالمسؤول الشرعي رفض قال لا، طالما عندنا ماء وسيأتي على العصر ثاني يوم، ويلح عليه القائد ويقول له نحن في حرب وقد لا يصل لنا الماء فالأوفق الآن أننا نتيمم ونترك الماء للشرب. وأصر المسؤول الشرعي على استخدام الماء، وبالفعل نفذ الماء صباحًا، وما جاءت السيارة إلا بعدها بيوم كامل تقريبًا، حدث في الطريق شيء، وهذا كان

سيؤدي إلى هلاك المجموعة بالكلية، حتى أن القائد هذا كان سيفتك بهذا الأخ الذي هو المسؤول الشرعي لأنه أخطأ في ذلك لا شك، وهذا ينم عن عدم فقه، هو كأنه يرى أن الطهارة بالماء أهم، لكن أنت في قتال لابد تُقدِّر الآن وقد جاءتك رخصة إن الماء تتركه للشرب ويتيممون، لأنك أنت لا تعلم في وقت القتال متى يأتيك الماء. فانظر هنا؛ الرخصة الشرعية في أوقات ما لابد أن يُعمل بها، وإلا وقد تؤدي إلى ضياع مصالح شرعية أخرى. وهنا جاءت صلاة الخوف فلا يتنطع أحد، فلو احتاج أن يفعلها لابد أن يفعلها للمصلحة الشرعية، وهذه تبين لك الفقه، كيف أنك بالعلم قد ينجو الناس معك، فأنت ممكن ألا تكون في قتال، لكن ذهبت في مكان وانقطعت بكم السبل في مكان صحراوي أو شيء، ومعكم بعض الماء في السيارة ولا يوجد أحد يأتيكم الآن، ودخل وقت الصلاة، وممكن الآن لو استخدمتم الماء في الوضوء والسيارة عطلت في مكان والله أعلم طريق صحراوي لا تدري في شيء. فالفقه ينجيك، العلم ينجيك من ذلك.

ثم تكلم عن مسألة أخرى وهي حديث (جابر):

ومنها: حديث جابر – أيضاً – فِي الرَّجُلِ الَّذِي سَبَوُا امْرَأَتَهُ، فَحَلَفَ لَيُهْرِيقَنَّ دَمَا فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، فجاء ليلاً – وقد أرصد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين ربيئة للمسلمين من العدو، وهما: عَبَّادُ بنُ بِشْرٍ، وَعَمَّارُ ابنُ يَاسِرٍ رضي الله عنهما، فضربَ عَبّاد بنَ بِشْرٍ بِسَهْمٍ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَنَزَعَهُ ولم يُبْطِل صلاته، حتى رشقه بثلاثةِ أَسْهُمٍ، فلم ينصرف منها حتَّى سَلَّم، وأنبه صَاحِبَهُ، فقالَ : سُبْحَانَ اللهِ! هَلاَّ أَنْبَهْتَنِي؟! فقالَ: إِنِّي كُنْتُ فِي سُورَةٍ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَقْطَعَهَا.

- طبعًا الحديث عمومًا هذا فيه نظر في سنده لكن يُستأنس به، لأن هذا الحديث طبعًا فيه مسائل شرعية أيضًا. والقصة هذه أيضًا رواها (ابن إسحاق) في السيرة ورواها الإمام (أحمد) في السنن، رجل سَبَوا امرأته ويقال حتى كانت جميلة وكان يحبها جدًا. فالنبي صلى

الله عليه وسلم والصحابة سبوها، فنذر أنه يصيب دماء من المسلمين؛ أي يقتل أحد من أهل الإسلام، أو أنه يستطيع أن يخلصها ويرجع بها.

- **(فَحَلَفَ لَيُهْرِيقَنَّ دَمَا فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، فجاء ليلاً)** والنبي صلى الله عليه وسلم وضع رباطا على موقع النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة اثنين يحرسونه؛ وكان (عباد بن بشر) و(عمار بن ياسر).
- **(وقد أرصد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين ربيئة)** ربيئة أي عينًا، وهو المرابط، جعلوا إثنين ربيئة ينظرون على حدود منطقة النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين من الذي يأتي من الكفار، أي يطَّلِع وينظر، كأنه رباط حقيقة، بحيث أنه يسهر لا ينام، يسهر ينظر من الداخل والخارج ويتابع، وإذا اقترب أحد ينبه أهل الإسلام.
- فتناوب (عمار) و(عباد)، ونام (عمار) وقام (عباد) على أنهم بعد ذلك يتناوبون، ف (عباد) قام ليصلي. فالرجل عندما جاء وجد (عباد) رضي الله عنه يصلي فضربه بسهم، فالسهم الأول جاء فيه، فنزعه وأكمل صلاته، فضربه الثاني، وضربه الثالث. وهناك رواية أنه لما ازدادت الأسهم الثلاثة تساقط الدم، فنزل على (عمار) وهو نائم، فاستيقظ (عمار) فوجد (عباد) يصلي ويده أيضًا على الجرح وفيه دمًا شديدًا، فسلَّم، ثم قال له لماذا لم توقظني؟ فهو لو أيقظه سيخرج من الصلاة، فما أراد أن يخرج من الصلاة حتى ينتهي من السورة التي كان يحبها وهو يصلي.
- هذه القصة طبعًا تقف فيها، تعلم كيف كان هؤلاء يحبون الصلاة، نحن لو ظللنا نتكلم كثيرًا، لكن هؤلاء أناس خلقهم الله عز وجل؛ أي هم بشر، هم مسلمون مثلنا، لكن طبعًا مع الفارق في درجات الإيمان والتطبيق، لكن هؤلاء انظر كيف وقع في قلوبهم حب الصلاة. الرجل يُضرب بالسهم الأول ثم الثاني ثم الثالث، والدم يخرج، وطبعًا فيها مسألة فقهية ليست مبحثنا أن خروج الدم لا يبطل الصلاة وأنه يمكن أن يصلي بالدم، والدم هنا بعضهم يستدلوا بعدم النجاسة إلى غير ذلك من أمور ليست محلها فقهيا، لكننا نريد المغزى الذي نحن فيه الآن،

أن الرجل وهو في الصلاة ما خرج، ومع ذلك يقول (عمار) يقول: **(هَلاَّ أَنْبَهْتَنِي؟!)** فقالَ: **(إِنِّي كُنْتُ فِي سُورَةٍ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَقْطَعَهَا)**، أي بدأ عملًا فما خرج. الانشغال بحلاوة السورة – وهو كلام الله عز وجل– وصلاته، ما همه أن يُضرَب بكم سهم! فلم ينصرف منها حتى سلَّم وأنبه صاحبه. والثاني يقول له –(عمار)– **(سُبْحَانَ اللهِ! هَلاَّ أَنْبَهْتَنِي؟! فقالَ: إِنِّي كُنْتُ فِي سُورَةٍ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَقْطَعَهَا)**.

- وقلت أن السند فيه كلام حقيقة، وقد قلت أنه يوجد بعض الرواة في السند هذا؛ (عقيل بن جابر) وهو حقيقة مقبول، والمقبول لا يحتج به وليس له متابع، لذلك البعض يتكلمون في هذه القصة، لكن نستأنس بها عمومًا، وفيها أيضًا متابعة راوي آخر يسمى (الواقدي) وهو متروك الحديث. لكن قلنا أهل السير يتساهلون، وهذه قصة مشهورة جدًا يتكلمون عنها دائمًا، فنتساهل فيها أحيانًا، وإن كان طبعًا سيكون الإشكال هنا في ترتب حكم؛ الدم وخروجه على نقضان الوضوء، فهنا لو دخلت في المسألة الفقهية قد يتكلم معك البعض أن السند ضعيف وبالتالي لا يكون لك حجة فيه، لأن الأحكام فرع عن تصحيح، أي لابد أن تصحح السند حتى يكون الحكم صحيحًا. لكن هنا طبعًا الفائدة كيفية التلذذ والاستمتاع بالعبادة والصلاة كما فعل.
- وفيها أيضًا، انظر مسألة أخرى حقيقة إلى هذا الرجل مشرك ومع ذلك المرأة كانت لها قدر عند العرب، عندهم المرأة لابد أن تُحمَى، الرجل فقط سبوا امرأته ما احتمل، قال سيصيب دما بسببها. وطبعًا هو إن كان على الكفر فليس للكافر عزة، لكن أقول عنده حمية، المسلم هو الذي له العزة، والمؤمن هو الذي له العزة، أما الكافر فلا عزة له أصالة، لكن نقول بأنه حتى المرأة ولو كانت على الشرك كانت عندهم لها كرامة، وكانوا يحفظون هذه الكرامة ويرون وجوب حفظ كرامة المرأة. فحتى لو قلنا كيف قال (أبو جهل) لما أرادوا أن يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم، فقال تسلق وندخل، قال: أتريدون أن تروعوا بنات محمد؟ نحن

جئنا لقتل محمد. فهو يريد أن يقتل نبي ومع ذلك يرى بأنه من العيب عندهم أن يروع البنات، لأن هذه ليست مروءة.

- فانظر إلى أيامنا وما يُفعل بالنساء والبنات، ليس هناك كرامة ولا مروءة ولا يوجد شيء أصلًا حتى وإن ادعوا الإسلام، لكن نتكلم الرجل هنا امرأته يحميها ويحافظ على كرامتها، عِرض الإنسان، وهذا أولى بأهل الإسلام أن ينتبهون إلى ذلك، أن يحافظون على كرامة وعرض نساء المسلمات. أين (ومعتصماه)؟ أيًا كان المعتصم من هو، لكن لما المرأة فقط نادت (ومعتصماه) أتاها بالجيش، ليرفع ما حدث للمرأة.
- وهذا هو غير مسلم، **فَحَلَفَ لَيُهْرِيقَنَّ دَمَا** من دماء المسلمين، انتصارا للزوجة وغيرة على العرض، فأين غيرة الرجال على أعراضهم الذين يتركونهم في الشوارع، يخرجون متبرجات يفتنون الشباب والرجال والناس جميعًا! أين الغيرة على العرض؟ أين الغيرة على ذلك؟ أين الغيرة على أعراض النساء الذين ينتهكن ويتعدى عليهم في بلاد المسلمين ومن الكفار ومن المسلمين أيضًا. هذا لم يكن أصلًا في الخلق عند العرب قبل الإسلام ولا بعد الإسلام أصالة، لكن تدني في الأخلاق كما هو تدنى في أمور كثيرة أيضًا.
- طبعًا من الأهمية بمكان نقول أننا نؤصل حب الصلاة وأهمية الصلاة والدعوة إلى ذلك كثيرًا، وكثرة هذه القصص التي تبين قدر الصلاة على نفوس الصحابة رضوان الله عليهم.

ومنها: حديث غَوْرَثِ بْنِ الْحَارِثِ الَّذِي هَمَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ قَائِلٌ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فاستل سيفه، وأرادَ ضَربَهُ، فَصَدَّهُ اللهُ عنهُ، وَحُبِسَتْ يَدُهُ، واستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من نومه، فدعا أصحابه فاجتمعوا إليه، فأخبرهم عنه، وبما هَمَّ بِهِ غَوْرَثُ من قتله، ومع هذا كله: أطلقه، وعفا عنه صلى الله عليه وسلم.

وهذا كان في غزوة ذات الرِّقَاعِ، إلا أنها التي بعد الخندق؛

كما أخرجاه في الصحيحين، عن جابر بن عبدالله رضي الله عَنْهُمَا، قال: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِذَاتِ الرِّقَاعِ، قَالَ: كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ، تَرَكْنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَسَيْفُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مُعَلَّقٌ بِالشَّجَرَةِ، فَأَخَذَ السَّيْفَ، فَاخْتَرَطَهُ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أَتَخَافُنِي ؟ قال: «لا». قَالَ: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مني؟ قال: «الله». قَالَ: فَتَهَدَّدَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَأَغْمَدَ السَّيْفَ وَعَلَّقَهُ، قَالَ: فَنُودِيَ بِالصَّلَاةِ، فَصَلَّى بِطَائِفَةٍ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ تَأَخَّرُوا، وَصَلَّى بِالطَّائِفَةِ الْأُخْرَى رَكْعَتَيْنِ، وَكَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ، وَلِلْقَوْمِ رَكْعَتَانِ. واللفظ لمسلم.

- هذا حديث (غورث بن الحارث) هذا الرجل همّ أن يقتل النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في القصة هنا، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقيل تحت الشجرة؛ أي قيلولة، عندما دخلوا المكان وجدوا شجرة ظليلة فتركوها للنبي صلى الله عليه وسلم يستظل تحتها، فنام النبي صلى الله عليه وسلم وعلق سيفه، فجاء هذا الرجل فوجد السيف أخذه ورفعه على النبي صلى الله عليه وسلم، أراد أن يقتله، فانتبه النبي صلى الله عليه وسلم إليه فقال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم: "من يحميك مني؟" قال النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة: "الله"، سبحانه وتعالى، توكلًا على الله عز وجل. والرجل عندما سمع الكلمة في بعض الروايات هاب وارتعش ووقع السيف من يده. طبعًا هنا قال أن الصحابة كأنهم رأوه فهددوه من بعيد فخشي منهم وغير ذلك، لكن حقيقة الرواية أنه وقع السيف منه مهابة بعدما قال له النبي صلى الله عليه وسلم: "الله"، فوقع السيف منه ولم يحتمل فسقط ، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم السيف ورفعه عليه فقال نفس الكلمة: "من يحميك مني؟" فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: "كن خير آخذ". لذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ؟" قال: "لا، لكني أعاهدك أني لا أتعرض لك بعداوة ولا أكون في قوم

يقاتلونك". فأطلقه النبي صلى الله عليه وسلم، وذهب الرجل لقومه بعد ذلك أصالة، وقال: لقد جئتكم من خير الناس. انظر! كيف انقلب الحال في لحظات! طبعًا الله حافظ النبي صلى الله عليه وسلم، لكن الرجل ظنّ، ثم لما رأى فعل النبي صلى الله عليه وسلم معه، وأيضًا كيف بعد أن كان سيقتله ذهب يمدحه.

هذه القصة فيها بعض الفوائد:

1-كيف يتعامل الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم، قال: **(كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ، تَرَكْنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم)** وهذه تبين لك كيف من الأخلاق وحسن الخلق توقير الكبير، أو العالِم أو المربي، فصحابة النبي صلى الله عليه وسلم كانوا إذا أتوا على شجرة ظليلة تركوها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا الخلق يبين لك كيف تتعامل مع كبار القوم؛ سواء كانوا كبار سنًا، أو قدرًا، أو رحِمًا، أو علمًا، أو مُربي لك، أو غير ذلك.

2-وهنا انظر لفعل النبي صلى الله عليه وسلم مع الرجل عندما قال: "من يمنعك مني؟" قال: "الله"، وهذه تبين لك كيف تعلق القلوب بالله عز وجل، وأنك حتى في أحلك الأوقات التي تظن أنك هالك لا يكون لك تعلق إلا بالله. وطبعًا النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا، هذا تعليم، ولذلك قلنا السيرة ليست هكذا سردًا. انظر النبي صلى الله عليه وسلم يقول للرجل في كلمة واحدة: (الله)، كما قال (خبيب) عندما قال له (أبو سفيان) أتحب أن تكون في أهلك سالمًا ومحمد مكانك؟ انظر ماذا رد عليه. هنا النبي صلى الله عليه وسلم يبين لك كيف القلب مباشرة متعلق بالله عز وجل فقط، صحة اعتقاد وقوة في القلب، مباشرة ما تفكر فيها؛ هو الله الذي سينجيك. وهذا أصل لابد تستصحبه دائمًا في كل موطن أنت تكون فيه أنك لا يتعلق قلبك إلا بالله، نعم خذ بالأسباب لأن النبي بين لنا الأخذ بالأسباب في كثير من أمور ستأتي، لكن صحة الاعتقاد هنا والتوكل على الله عز وجل. بكل ثقة قال له: (الله) توكلًا على الله ويقينا في الله، وما هي لحظات إلا وقع السيف منه بعد ذلك.

3-هنا بين لنا صلاة الخوف، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قسم الصلاة، أيا كانت ذات الرقاع كانت قبل الخندق أو بعد الخندق كما قلنا، لكن يبين لك أن حتى في القتال الله عز وجل لم يرفع الصلاة بل سن صلاة الخوف في القتال. بل في شدة القتال: {فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا} [البقرة: 239] فقال (ابن عباس): مستقبلي ومستدبري القبلة؛ أي هذه شدة الخوف التي هي في المسايفة، انظر.. في المسايفة، وأنت في المسايفة ممكن تظل في المسايفة ساعة ساعتين، فتخرج الصلاة، هب أنك تسايف في وقت الفجر فدخل الفجر، والفجر بينه وبين الشروق ليس أكثر من ساعة، ساعة ونصف مثلًا، وممكن فعلًا تكون في قتال ساعة ونصف، {فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا} ومع ذلك الصلاة لم تقع، وانت تقاتل تصلي بعينك أو برمشك، بكل شيء تصلي، مستقبل أو غير مستقبل، أما لو كنت قبل القتال فشرعت صلاة الخوف على هذه الهيئة، لأن طبعًا لها صور كثيرة ليس محلها، تكلمنا عنها في الفقه بالفعل من قبل، لكن نقول إنه قسَّم وصلى. وهذا أيضًا يبين لك أهمية الصلاة. وليس نحن الآن! يأتي شاب خارج من الجامعة ومرهق أخذ ست أو سبع محاضرات أو كم ساعة ويأتي يدخل على العصر يأكل ولا يستيقظ إلا الساعة واحدة ليلًا! أين المغرب؟ والله أعلم هل صليت العصر أم لا؟ لماذا؟ لا يوجد في القلب معلومية أن الصلاة هي الركن الأصيل في الدين. أنا أعلم قلوب لأناس ليسوا كبار- شباب أصالة- أنه كان لا يستطيع النوم ليلًا، إذا دخل ينام يقول ما أستطيع أنا عندي أرق، فأتذكر أني لم أصلي العشاء، وهو ليس من أهل الالتزام القوي، لكن كان عنده تقدير للصلاة، أي ممكن لا يصلي في المسجد كثيرًا ، لكن هو ما قصد، لكن فتشت في قلبه قال لم أستطع النوم من الأرق، علمت أني لم أكن صليت العشاء بعد، فصليت العشاء فكنت أنام ولا كأن في شيء. فهذا قلب حي، هذا يعلم قدر الصلاة وكيف عِظَمها عند الله عز وجل. فحتى أنه في القتال فالله عز وجل شرع صلاة الخوف لذلك.

ثم انتقل بعد ذلك لغزوة بدر الثالثة:

فصل: غَزْوَةُ بَدْرِ الثَّالِثَةَ

وقد كان أبو سفيان يوم أحد عند منصرفه نادى: مَوْعِدُكُمْ وَإِيَّانَا بَدْرٌ الْعَامَ الْمُقْبِلَ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بَعضَ أَصحابِهِ أَنْ يُجِيبَ: بِنَعَمْ. فلما كان شعبان مِنْ هذِهِ السَّنَةِ، نهض رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى أَتَى بَدْراً للموعد .

واسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ: عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ، فَأَقَامَ هُنَاكَ ثَمَانِيَ لَيَالٍ، ثُمَّ رَجَعَ وَلَمْ يَلْقَ كَيْداً.

وَذَلِكَ: أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ خَرَجَ بِقُرَيْشٍ، فلما كان ببعض الطَّرِيقِ، بَدَا لهم الرجوع لأجلِ جَدْبِ سَنَتِهِمْ، فَرَجَعُوا.

وَهَذِهِ الغَزْوَةُ تُسَمَّى : بَدْرَ الثَّالِثَةَ، وَبَدْرَ الْمَوْعِدِ.

- (أبو سفيان) في يوم أحد توعدهم أن العام القادم سيأتي في نفس الموعد، ويقاتل المسلمين، فالنبي صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه أن يجيبوا بـ: "نعم". لذلك سميت بدر الموعد، أو بدر الثالثة.
- بدر الأولى: كانت كانت في مطاردة (كرز بن جابر). وبدر الكبرى: التي هي غزوة بدر نفسها التي حدثت في السنة الثانية من الهجرة. ثم بدر الموعد هذه تسمى بدر الثالثة عند بعض أهل السير.
- وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة بألف وخمسمائة من المسلمين وكان اللواء في يد (عليّ بن أبي طالب) **(حَتَّى أَتَى بَدْراً للموعد)**.

- **(واسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ: عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ)** ف (عبد الله بن أبي بن سلول) هذا رأس المنافقين، و(عبد الله) ابنه هذا من أتقى الناس ومن الصحابة الكرام.
- فلما خرجوا قريش وبعد أن خرجوا كأن السنة فيها جدب من المطر، لم يكن هناك ماء، فخشوا على مزارعهم وعلى أمورهم، فرجعوا بعد أن خرجوا في الطريق. لذلك هو قال: **(لأجلِ جَدْبِ سَنَتِهِمْ، فَرَجَعُوا)**. أي لم يكن معهم مراعي، وكان، فخشوا على الخيول والدواب التي معهم ألا تجد مراعي فتهلك، فرجعوا بسبب ذلك، ولم يلقوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحدث قتالا. وسميت بعد ذلك غزوة بدر الصغرى.
- العجيب أن النبي صلى الله عليه وسلم وفّى بالوعد، فهذا وعد قتال، أي عندما قال (موعدكم وإيانا بدر) فقال: (نعم). والنبي صلى الله عليه وسلم خرج في هذا الموعد. طبعًا هذه ترجع للمصلحة، هذه تقديرات، اجتهاد، أن الأمير إذا رأى ذلك فيفعل هذه المسألة.
- لكن أيضًا تبين لك بأنك لا تغتر كثيرًا وأن القائد والحاكم لابد ألا يجعل الناس يكترثون كثيرًا بدعاوي الكفار وتهديداتهم، لا تفت في عضد أهل الإسلام. لأن بعض الدعاوي هذه مقصود منها إخافة المسلمين، وهذه كثيرة في زماننا، ادعاءات وإشاعات والإعلام الذي يروج، كل كافر وكل جيش من جيوش الكفار أو بلد يعمل نفسه كأنه الجيش الذي لا ينهزم والقدرات الخارقة، وهذه كلها تفت في عضد أهل الإسلام. فهنا الصحيح أن الحاكم والأمير أنه يعد العدة، وينتبه إلى هذه الأمور، ولا يعرض شعبه وأناسه للتأثر بهذه المسائل.

فصل: غَزْوَةُ دُومَةِ الْجَنْدَلِ

وَخَرَجَ صلى الله عليه وسلم إِلَى دُومَةِ الْجَنْدَلِ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ، ثُمَّ رجع في أثناء الطريق، ولم يلق حرباً، وكان اسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ: سِبَاعَ ابنَ عُرْفُطَةَ.

- ودومة الجندل هي بينها وبين المدينة مسافة طويلة؛ خمسة عشرة ليلة.. وخرج النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع أثناء الطريق ولم يلقى فيها حربا.
- وبعضهم قال في كتب السير سميت دومة الجندل لأن دومة كان اسم لإبن (إسماعيل) عليه السلام، فكانت هذه منازله. وهي منطقة بين المدينة وبين الشام، في آخر المدينة على طريق الشام، أي هي أقرب للشام.
- **(وَخَرَجَ صلى الله عليه وسلم إِلَى دُومَةِ الْجَنْدَلِ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ)** في ألف مقاتل، **(ثُمَّ رجع في أثناء الطريق)** أي لم يصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى دومة الجندل ورجع **(ولم يلق حرباً)**. لأن يبدو أن المشركين تفرقوا. وقد ترك على المدينة (سِبَاعَ ابنَ عُرْفَطَةَ) استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة مرتين.

المحاضرة الخامسة عشرة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد،،على موعد اليوم مع درس السيرة وكتاب (الفصول في سيرة الرسول) للحافظ ابن كثير– عليه رحمة الله تعالى. ووقفنا عند غزوة **(الخندق)**.

فصل: غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ – أو: الأَحْزَابِ

يشتمل على مُلَخَّص غزوة الخندق الَّتِي ابْتَلَى اللَّهُ فِيهَا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَزَلْزَلَهُمْ، وَثَبَّتَ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِهِ، وَأَظْهَرَ مَا كَانَ يُبْطِنُهُ أَهْلُ النِّفَاقِ، وَفَضَحَهُمْ وَقَرَّعَهُمْ.

ثُمَّ أنزل نصره، ونصر عبده، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحدهُ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ، وَرَدَّ الكَفَرَةَ بِغَيْظِهِمْ، وَوَقَى الْمُؤْمِنِينَ شَرَّ كَيْدِهِم، وذلكَ بِفَضْلِهِ وَمَنِّهِ.

وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ شَرْعاً وقدراً: أن يغزوا المؤمنين بَعْدَهَا، بَل جَعَلَهُمْ المَغْلُوبِينَ، وَجَعَلَ حِزْبَهُ هُمُ الْغَالِبِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وكانت في سَنَةِ خَمْسٍ فِي شَوَالِهَا – على الصحيح من قولي أهل المغازي والسير ..

والدليل على ذلك : أَنَّهُ لا خلافَ: أَنَّ أُحُداً كَانَتْ فِي شَوَّالٍ مِن سَنَةِ ثلاث.

وَقَد تَقَدَّمَ ما ذكره أهل العلم في المغازي: أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ وَاعَدَهُمُ العَامَ الْمُقْبِلَ بَدْراً، وأَنَّهُ صلى الله عليه وسلم خَرَجَ إِلَيْهِمْ، فَأَخْلَفُوهُ لأَجْلِ جَدْبِ تِلْكَ السَّنَةِ في بلادِهِمْ، فتأخروا لهذا العام.

قال أبو مُحَمَّدِ بْنُ حَزْمٍ الأَنْدَلُسي في مغازيه: هذا قول أهل المغازي. ثُمَّ قَالَ: والصَّحِيحُ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ: أَنَّهَا فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ، وَهُوَ قَوْلُ : مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ.

ثُمَّ احتج ابن حزم بحديثِ ابْنِ عُمَرَ: عُرِضْتُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ أُحُدٍ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ، فَلَمْ يُجِزْنِي، وَعُرِضْتَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَأَنَا ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ فَأَجَازَنِي.

فصح أنه لم يكن بينهما إلا سنة واحدة فقط.

قلت: هذا الحديثُ مُخَرَّجٌ فِي "الصَّحِيحَيْنِ"، وَلَيْسَ يَدُلُّ عَلَى مَا ادَّعَاهُ؛ لأَنَّ مَنَاطَ إِجَازَةِ الْحَرْبِ كانت عنده صلى الله عليه وسلم خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، فكان لا يُجيز من لم يبلغها، ومن بلغها أجازه، فلما كان ابن عمر يومَ أُحدٍ ممَّن لم يبلغها، لم يُجزه، ولما كان قد بلغها يومَ الخَنْدَقِ، أجازه.

وليس ينفي هذا: أن بلوغه قد زاد عليها بسنةٍ أَوْ سَنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ أَوْ أَكْثَرَ من ذلك، فكأنه قال : وَعُرِضْتُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَأَنَا بَالِغٌ، أَوْ مِنْ أَبْنَاءِ الْحَرْبِ .

وقد قيل: إِنَّهُ كَانَ يومَ أُحدٍ في أَوَّلِ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ، وَفِي يَوْمِ الْخَنْدَقِ فِي آخِرِ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ. وَفِي هَذَا نَظَرُ. والأول أقوى في النَّظَرِ لِمَنْ أَمْعَنَ وَأَنْصَفَ. والله أعلم.

- هذا الفصل الأول الذي عقده الإمام (ابن كثير)- رحمة الله عليه- في ملخص لغزوة الخندق، وهي تسمى "غزوة الأحزاب"، لذلك سورة الأحزاب فيها الآيات التي تحكي هذه الغزوة.
- وتسمى "الخندق" لفعل النبي صلى الله عليه وسلم بإشارة من (سلمان الفارسي) رضي الله عنه أن يُحفر خندقًا من الناحية الشمالية في المدينة. المدينة شمالًا وجنوبًا وشرقًا وغربًا، كانت شرقًا وغربًا فيها حَرّتين تحميان المدينة، فالجبال تحفها يمينًا مداخلها ضيقة ما يدخلون، وجنوبًا كانت مساكن بني قريظة وبعض مساكن المدينة، فليس هناك دخولًا على أنه كان هناك عهد بين بني قريظة أيضًا وبين النبي صلى الله عليه وسلم. تبقى الشمال، والشمال كانت هي الجهة المفتوحة التي كان يمكن أن يدخل منها المشركين إلى المدينة. وهذا هو الموضع الذي سيأتي فيه الكلام وحُفِسر فيه الخندق بين حرتين، وبعرض كذا كيلومتر، وغير ذلك –سيأتي الكلام فيه–، فسميت الخندق لذلك.
- وسميت أيضًا الأحزاب لأن لم يكن قريش فقط الذي أرادت قتال النبي صلى الله عليه وسلم، لكن قبائل متعددة –كما سيأتي معنا– ما فعله رئيس بني النضير عندما جاء يقلب قريش وغطفان وغير ذلك، فكانت هناك أكثر من قبيلة. وكان ليهود بني النضير كما قلنا دور بارز في تجميع هذه القبائل، فكانت كالأحزاب التي اجتمعت على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين.
- ثم قال لذلك: **(الَّتِي ابْتَلَى اللَّهُ فِيهَا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَزَلْزَلَهُمْ)**، وهذه لتبين لك شدة ما حدث في هذه الغزوة، وأنه حدث فيها فزع للقلوب وزلزال، وهال الأمر الناس خاصة لما علموا بعد ذلك أيضًا بنقض بني قريظة للعهد، واجتماع الأحزاب على المسلمين.
- قال الحافظ: **(وَثَبَّتَ الإيمَانَ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِهِ، وَأَظْهَرَ مَا كَانَ يُبْطِنُهُ أَهْلُ النِّفَاقِ، وَفَضَحَهُمْ وَقَرَّعَهُمْ. ثُمَّ أنزل نصره، ونصر عبده، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحدهُ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ)**، وسيأتي معنا أنه لم يحدث قتال، لكن الله أرسل جنودا وريح، وأيضًا منها (نُعيم) لما أسلم وخذلهم، وسيأتي

الكلام، وكل هذا من تقدير الله عز وجل بجنود من عنده، وجنود أُخَر، فردهم في كيدهم، ولم يصيبوا قتالًا ورجعوا –كما سيأتي معنا–.

- قال: **(وَرَدَّ الكَفَرَةَ بِغَيْظِهِمْ، وَوَقَى الْمُؤْمِنِينَ شَرَّ كَيْدِهِم، وذلكَ بِفَضْلِهِ وَمَنْهِ)**. فالحقيقة أن اجتماع الأحزاب كان اجتماع عظيم، اجتمعوا لمقاتلة المسلمين –كما قلنا–، لكن الله عز وجل كفى المؤمنين القتال ولم يقاتلوا، قال الله عز وجل: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحا وَجُنُودا لَّمْ تَرَوْهَآ} [الأحزاب: 9] كما جاءت الآيات تبين ذلك.
- وقال: **(وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ شَرْعاً وقدراً: أن يغزوا المؤمنين بَعْدَهَا)** بعد غزوة الأحزاب لن يكون هناك تجمع، قدَّر الله كونًا وشرعًا، لن يكون هناك تجمع مرة أخرى للكفار على ديار المسلمين، لذلك جاء حديث النبي صلى الله عليه وسلم: [الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا]، أي هم لن يأتوا مرة أخرى كما أتوا في بدر وأحد والأحزاب إلى المدينة، الله كتاب أنهم لن يأتون إلى ديار المسلمين، بل سيذهب النبي صلى الله عليه وسلم لهم كما سيأتي بعد ذلك. فكانت هذه المرة الأخيرة لمجيئهم إلى المدينة ولن يحصل بعد ذلك، ولن يأتي الكفار إلى ديارهم.
- قال: **(شَرْعاً وقدراً)**؛ قدرًا: أن الله قدر أنه لن يحدث ذلك، وقد أعلم به النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه قال: [الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا]. وشرعًا: أن الله قد حرم قتال المسلمين؛ أي حرم الله في الشرع أن تقاتل أهل الإسلام لأنهم أهل الحق وأهل الدين الصحيح، فهنا حرم الله شرعًا. وهذا يبين لك أن قتال أهل الإسلام محرم، إنك تقاتل المسلمين وتستبيح دمائهم وتقاتلهم، حرَّمه الله عز وجل شرعًا، قال: **(وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ شَرْعاً وقدراً: أن يغزوا المؤمنين بَعْدَهَا)** لأن غزو المسلمين حرام في شرع الله عز وجل، وفي وحيه سبحانه، بل هو من أشد الظلم والباطل، لأنه كأنه يعادي النبي صلى الله عليه وسلم، ويعادي أهل الإسلام؛ أي يعادي أولياء الله عز وجل. فحرم عليهم شرعًا وقدرًا، أي: الله قد قدر وكتب في كتابه بعلمه السابق وقضائه أن المشركين لا يغزون المسلمين بعد غزوة الأحزاب.

- وهنا بعض أهل العلم أخذوا ذلك على العموم، استدلوا من قوله تعالى: {وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ} [الأحزاب: 25] استدلوا أن لا يحصل من الكفار بعد ذلك مجيء وقدوم لمقاتلة المسلمين. لكن طبعًا هذا ليس على العموم؛ أي ليس إلى قيام الساعة، فهو سيحدث، لكن هو يقصد أنهم لن يأتون للمدينة مرة أخرى في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في حديث (سليمان بن صرد) ذكره البخاري في صحيحه قال: أن النبي صلى الله عليه وسلم حين أُجلي الأحزاب عن المدينة وذهبوا قال: [الآنَ نَغْزُوهُمْ ولَا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إليهِم].
- ثم ذكر الخلاف الإمام (ابن كثير) في سنة غزوة الأحزاب، ورجح أنها في السنة الخامسة خلافًا لـ (ابن حزم) الذي رجح أنها في الرابعة. والإشكال كله في قول (ابن عمر) لما قال: (ردني النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأنا ابن أربعة عشر، وأجازني يوم الخندق وأنا ابن خمسة عشر). كأن الفرق سنة، أُحد في الثالثة اتفاقًا، إذًا كأن الأحزاب في الرابعة، والصحيح أن الأحزاب في الخامسة، لأن الرابعة كانت غزوة بدر؛ موقعة بدر الثالثة، التي لم يأت فيها المشركين لما خرجوا ورجعوا للجدب، فهذه كانت في الرابعة، ثم جاءت الخامسة في الخندق أصالة، وهذا هو الصحيح، وهي هنا في شوال، وأحد كانت في شوال في السنة الثالثة، فهنا الصحيح (ابن حزم) قال أنها في الرابعة لأنه ظن بأن كلام (ابن عمر) يوحي بأنه لابد أن تكون في السنة التالية، لكن الرد عليه كما قال (ابن كثير) من وجهين: الوجه الذي قاله أولًا على أن (ابن عمر) يقصد بأن السن المعتبر للقتال هو الخامسة عشر، فأنا عندما كنت في أحد أربعة عشر لم أُجاز، وعندما جاء الخندق كنت قد جاوزت سن القتال، مع أنه كان في وقتها عنده خمسة عشر؛ (بلغت الخامسة عشر): أي بلغت سن القتال الذي أجاز به، فقد يكون في السادس عشر، في السابع في الثامن، لا إشكال في ذلك. فهذا المعنى الذي يقصده (ابن عمر) أنه بلغ السن الذي يجاز فيه للقتال، وليس معناه أنه كان وقتها عنده خمسة عشر سنة وهذا الراجح.

- والبعض يقول أن العرب ممكن تقول على السن على آخر العام، أي هو اعتبر أنه في أُحد كان في أول الرابعة عشر، ثم في الأحزاب في آخر الخامسة عشر، ولو كان في آخر العام فهذا فرق سنتين. فهنا ممكن يقول أنه حتى لو في آخر الخامسة عشر وقرب السادسة عشر يقول أنا ابن خمسة عشر، لكن الصحيح أنه يقصد به أنه بلغ السن الذي يسمح فيه بالجهاد. وهذا الترجيح في هذه المسألة.
- هناك إشارة في هذه المسألة بمناسبة قول (ابن عمر) في مسألة "بلغت الخامسة عشرة" أنه عندنا في الإسلام نقول "سن البلوغ"، ما كنا نستخدم "سن المراهقة". وكلمة "سن المراهقة" انتشرت كثيرًا ما بين الإستشاريين والأطباء والتربية والتعليم، يقولون لك "سن المراهقة" ويتكلم عن سن المراهقة إلى أن يصل إلى واحد وعشرين سنة، ويقول لك: أصله مراهق! وهذا فيها تلبيس، بمعنى نحن عندنا "سن البلوغ" الذي يُحاسَب عليه المرء، ومسؤول عن أفعاله وعن أموره وغير ذلك، ما يوجد عندنا شيء اسمه "المراهقة"، لكن المصطلح الذي عندنا في الشرع هو "البلوغ".
- ويقول لك: أنه مراهق، كأنه نوع من العذر لهذا الشاب في هذا الوقت أنه يعامل معاملة المراهق وهذا خطأ! هو نعم يُستَوعَب أن هناك تغيرات معينة تكون عنده؛ جسمانية، أفكار، لكن هو مكلف، وهو عندنا في الإسلام أصبح مكلفًا، أصبح بالغًا. وهذه مسألة نحتاج أننا نشير إليها حتى لا تختلط المسميات، لأن طبعًا هذا أخذناه من الغرب وبدأوا الآن يصلوا بالمراهقة إلى ثمانية عشر سنة، وتسعة عشر سنة، وعشرين وهو يظن أن طفل، غير مكلف، مراهق، أي لا تحاسبه! وهذا خطأ لأن عندنا هذا السن سن التكليف يحاسب على ذلك، بدلالة على أن الذي بلغ خمسة عشر سنة عندنا في الإسلام أصبح رجلًا يحارب ويقاتل. كان لم يجيزه النبي بعد أربعة عشر سنة وأجازه بعد ذلك في القتال. نحن نضيع الأبناء بهذا الأمر، لذلك لابد أن نوصل هذه المصطلحات وهذه الأوقات لنعامل الشباب

على ذلك، لا أن نجعله يصل لعشرين سنة وما زال لا يعرف كيف يركب ويذهب مكان ويرجع أو يتصرف، يبيع ويشتري، وغير ذلك. هذا للأسف خطأ.

وكَانَ سَبَبُ غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ :

أن نفراً من يهود بني النضير الذين أجلاهم صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى خَيْبَرَ –كما قدمنا –، وهم أشرافهم ؛ كـ: سَلاَّمِ بنِ أَبِي الْحُقَيْقِ، وَسَلاَّمِ ابْنِ مِشْكَمٍ، وَكِنَانَةَ بنِ الرَّبيع، وغيرهم، خرجوا إلى قريش بمكة، فَأَلَّبُوهُمْ عَلَى حَرْبِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَوَعَدُوهُم مِنْ أَنْفُسِهِمُ النَّصْرَ، فَأَجَابُوهُمْ، ثُمَّ خرجوا إِلَى غَطَفَانَ، فَدَعَوْهُمْ، فَأَجَابُوهُم أيضاً.

وخَرَجَتْ قُرَيْشٍ، وَقَائِدُهُم: أَبُو سُفْيَانَ بنُ حَرْبٍ .

وَعَلَى غَطَفَانَ: عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ. كلُّهُم في نحو عَشَرَةِ الْأَفِ رَجُلٍ.

- هذا يبين لنا أولًا سبب الغزوة؛ أن يهود بني النضير أجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم – لو تذكروا– من قبل، فبعض كبرائهم أرادوا أن ينتقموا، ومنهم (سلام بن أبي الحقيق) و(سلام ابن مشكم) و(كنانة بن الربيع)، فذهبوا يؤلبوا قريش على النبي صلى الله عليه وسلم، ويجمعون قريش وغطفان وغير ذلك على قتال النبي صلى الله عليه وسلم. وهؤلاء الثلاثة هم الذين جمعوا الأحزاب، هم الذين ذهبوا إلى قريش وغطفان وغيرهم ليجمعوهم على قتال المسلمين. ذهبوا إلى القريش أولًا، ثم غطفان، ثم بدأوا في ذلك، وسيأتي أنه سيذهب إلى بني قريظة حتى ينقضوا العهد مع النبي صلى الله عليه وسلم.
- وكل هذا طبعًا يبين لك فعل اليهود، وهذا الذي لابد أن يؤصل بين شبابنا وبين نسائنا وبين كل المسلمين؛ أنهم أهل غدر على الدوام، {وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ} [الأنفال: 71] أي أن الخيانة متأصلة، والغدر متأصل. يلبسوا على الناس ويقول لا المعايشة بيننا وبينهم، وأنهم تغيروا وأصبحوا يريدون دولة، ونستوعبهم، ويجلسوا بيننا،

ونتبادل معهم الثقافات والتجارات– ولا أتكلم عن الحكم الشرعي في التجارة، معلوم– كأنهم يوهمون المسلمين بأن هؤلاء قد تغيروا؛ تغير سلوكهم، وأخلاقهم، وأنهم يريدون العيش بسلام! هذا كذب! إرجع لكل السير وانظر ماذا يفعل اليهود ضد الإسلام. قال سبحانه وتعالى: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ} [المائدة: 82] هذا كلام الله عز وجل. وانظر إلى السير؛ ماذا فعلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى قتلوه، ويفعلون من بعد ذلك.

- فهذا ظاهر لك هنا؛ ذهبوا يؤلبون قريش والأحزاب على النبي صلى الله عليه وسلم، ينتقمون من ذلك، وحتى أن قريش، أنظر من تبجحهم هم ذهبوا لقريش وقريش وثنية وضد أهل الكتاب، والنبي صلى الله عليه وسلم هم يعلمون أنه رسول وكتابه معه القرآن، فلما أهل قريش يسألونهم: أنتم تعلموننا، وتعلمون ما نحن عليه وقد عاصرتم وجالستم محمد – يقصدون النبي صلى الله عليه وسلم– وعشتم معه في المدينة، وعرفتم دينه، أي الدينين أفضل؟ هم أهل قريش يسألونهم: أي الدينين أفضل عندكم؟ ديننا –هم يقولون– أم دين محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فأنتم يهود وأهل كتاب والنبي صلى الله عليه وسلم أهل كتاب عندكم مهما كان، لا لم يكتفوا بذلك، بل قالوا أنتم أفضل. لذلك نزل قول الله عز وجل لهم: {أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا} [النساء: 51] أي أنتم أفضل من محمد، كل هذا حتى يجمعوهم معهم في الصف؛ يأخذوهم معهم في الصف.
- فلما انتهوا من التأليب وخرجوا إلى غطفان أيضًا دعوهم، فوافقوهم على ذلك، فجمعوا حوالي عشرة آلاف. وطبعًا انظر لتعلم أن الكافر يعرف كيف يعامل كل واحد –خاصة اليهود– بما يريده، أي يبحث عن المصلحة، هم الآن يذهبون لكل أحد ويعلمون أين نقطة ضعفه، أين ما يحب، ويتكلمون معه. فعندما ذهبوا لقريش كبّروا فيهم العزة وأنهم هم أصل البلد وأن محمد اشتق عنهم، وهذه النعرة. وعندما ذهبوا لغطفان فغطفان ما تريد ذلك، غطفان تريد

أموال، تحب الأموال، فقالوا لهم سنعطيكم نصف ثمار وخيرات خيبر، فخيبر كان فيها زروع وغير ذلك، فقالوا سنعطيكم نصف خيرات خيبر.. لماذا؟ لأن غطفان تحب الأموال، علموا أنهم يحبون الأموال ويحبون ذلك، لا يهمهم السيادة ولا الريادة ولا المسألة هذه أصالة، ولا مسألة علو الإسلام، أو عدم علو الإسلام، هو يريد أموال. فقالوا نعطيكم نصف خيرات خيبر. وهذا يبين لك لماذا حاول النبي صلى الله عليه وسلم أن يتفاوض على مثل هذه –كما سيأتي معنا في القصة–.

- فاستجابوا لهم، لأن الطمع في المال عندهم، وهذا يبين لك أن الكفار، واليهود تحديدًا، يعلمون من أين يؤتي كل واحد، ويحاولون أن يدخلون هذه المداخل، ولابد أيضًا لأهل الإسلام أن يكون عندهم هذه السياسة، ويعلمون كيف يحيدون وكيف يتعاملون مع غيرهم في أمورهم.
- قال: **(وخَرَجَتْ قُرَيْشٍ، وَقَائِدُهُم: أَبُو سُفْيَانَ بِنُ حَرْبٍ. وَعَلَى غَطَفَانَ: عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ. كلُّهُم في نحو عَشَرَةِ الْأَفِ رَجُلٍ)** جموع كبيرة جدًا، وقد ذكر الله عز وجل آيات سورة الأحزاب ارجعوا لها إن أردتم فتتصورون المشهد، قال تعالى: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُود فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحا وَجُنُودا لَّمْ تَرَوْهَآ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا} [الاحزاب: 9]، { إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ } انظر التصوير القرآني، {جَاءُوكُم} من الشمال الذين هم الأحزاب؛ قريش وغطفان {وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ} قلنا الجنوب كانت مساكن بني قريظة، قريظة كانت في ظهر مساكن المدينة مع بعض المساكن الموجودة، {وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا، هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالا شَدِيدا} [الأحزاب: 10-11] أنظر.. الله عز وجل يصف حال تجمع الأحزاب على النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين، وحدث ما حدث، ابتلاء شديد وزلزال شديد، ولكن الله عز وجل قد مَنَّ على المؤمنين بالثبات، وقد مَنَّ عليهم باليقين والثقة والتوكل على الله عز وجل.
- انظر الآيات: {وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ} ماذا فعل أهل الإيمان؟ {قَالُواْ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنا وَتَسْلِيما} [الأحزاب: 22] هؤلاء هم

أصحاب الإيمان الحق الذين يعلمون أنهم على الحق، والإيمان في قلوبهم ثابت. ولا تظنون أن هذه مسألة وقتية! لا، النبي صلى الله عليه وسلم جلس في مكة ثلاثة عشر سنة يربي في قلوبهم، ثم انتقل إلى المدينة خمس سنوات أيضًا؛ ثمانية عشر سنة، أو على الأقل سبعة عشر سنة، ثلاث عشرة سنة في مكة، وأربع سنوات هذه الخامسة في شوال، آخر شوال أيضًا، فنقول هنا سنوات يُرَبَّون على هذا الثبات. لذلك لن يأتي الثبات هكذا شجاعة! لا، هذا إيمان في القلوب، قال تعالى: {وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ} انظر سماهم الله "المؤمنون"، {قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا}، عندهم حسن ظن بالله، يعلمون أن النصر سيأتيهم من عند الله عز وجل، ومع ذلك حدث لهم زلزلة وحدث لهم خوف نعم، لكن الله قد قال لهم: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ} [البقرة: 214] هذه الآيات تصف لك كيف كان حال النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة. {قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ} حسن ظن بالله، ويقين بالله عز وجل مع الزلزلة والشدة، نعم، يكون ذلك أيضًا.

- لكن عندما رأوا الأحزاب استيقنوا بالله وعلموا أن النصر سيكون من عند الله عز وجل، ولذلك نزل قول الله عز وجل أيضًا بعدما قال هذه الآية {قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا} قال: {مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا} [الأحزاب: 23] صدقوا الله عز وجل، وكانوا على صدق ويقين مع النبي صلى الله عليه وسلم.
- وعلى النقيض، ظهر أهل النفاق، انظر، قال تعالى عنهم: {وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا} [الأحزاب: 12] ودائمًا يظهر أهل النفاق في هذه المواقف ليخزلوا أهل الإيمان، يظنون بأنهم عندما يفعلوا ذلك سيقضون على أهل

الإسلام، كما فعلت بني النضير في أُحد، وكما فعلت بني قريظة هنا في الأحزاب أيضًا قالوا: فرصة، اجتمعت الأحزاب، نقضي على محمد ومن معه من أصحابه! فيظنون ذلك بأن هذه الفرصة لهم، سيظهرون في أوقات الشدة التي يميز الله عز وجل بها أهل الإسلام وأهل النفاق، {وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَة مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ} [الأحزاب: 13] سيأتي معنا أن بعضهم خزل النبي صلى الله عليه وسلم ورجعوا وقالوا إن بيوتنا عورة. قال: {وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيق مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَة وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ} الله يفضحهم، {وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارا، وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرا} [الأحزاب: 13-14] ، آيات فاضحة، وهذه الآيات أنت تستصحبها معك في كل زمان ومكان، لمّا يأتي القتال بين أهل الحق وأهل الباطل يخرج عليك أهل النفاق، بدلًا من أن يؤيدوا أهل الحق ويشدوا في عضدهم ويساعدونهم، تجد يغمز عليهم، ويفرق الناس من حولهم، ويحاول أن ينتقص منهم، وحتى لو رأى منهم ما أخطأوا فيه لا يعذره في اجتهادهم، ويترك ذلك حتى يعاونهم ويتكلم. لا بل تجد من يريد الآن أن يؤلب الناس عليهم، ويلبس على الناس دينهم، ويقول هؤلاء ليسوا من أهل السنة، هؤلاء من المبتدعة، هؤلاء من كذا، وقتلهم أفيد لنا من نصرهم على الكفار!

- كلام لا يخرج حقيقة إلا من أهل النفاق، وهذا لا يُعلَم إلا في هذه الأوقات، وهذا الذي حدث حتى مع النبي صلى الله عليه وسلم أصالة، {ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرا} أي لو أن المشركين تجمعوا عليهم ودخلوا عليهم في المدينة وسئلوا الفتنة؛ أي الشرك الأكبر، سيذهبون لشرك أكبر سريعًا، سيبيعون دينهم بأي شيء، ما يقفون ويحفظون على دينهم! لا، الله عز وجل يقول إذا دخل المشركين المدينة {ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ} أي الشرك الأكبر {لَـَٔاتَوْهَا} سوف يبيعون دينهم ويرتدون على أدبارهم مرة أخرى.
- وهذا حقيقة يبين لك – كما قلنا– أن اليهود وغيرهم من الكفار هم في عداوة مستمرة مع أهل الإسلام، لا بد أن يغرز ذلك في القلوب، قال تعالى: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَة لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ

ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ} حقيقة لابد أن تستقر في القلوب، آيات واضحات لابد أن يعلمها كل أبناء الأمة الإسلامية، ليعرفوا من هو العدو الحقيقي، لابد أن تستقر.

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بِمَسِيرِهِمْ إِلَيْهِ، أمر المسلمين بِحَفْرِ خَنْدَقٍ يَحُولُ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ وبينَ المدينة، وكان ذلك بإشارة سَلْمَانِ الْفَارِسِي رضي الله عنه.

فعمل المسلمون فيه مبادرين هجوم الكُفَّارِ عَلَيْهِمْ، وَكَانَت فِي حَفْرِهِ آيَاتٌ مُفَصَّلَةٌ يطول شرحُهَا، وَأَعلامُ نُبُوَّةٍ قَدْ تَوَاتَرَ خَبَرُهَا، فلما كَمُلَ، قدم المشركون، فنزلوا حول المدينة كما قال تعالى: {إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ} [الأحزاب: 10]

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَتَحَصَّنَ بِالْخَنْدَقِ، وَهُوَ فِي ثَلَاثَةِ آلافٍ عَلَى الصَّحِيحِ – من أهل المدينة .

وزعم ابن إسحاق: أَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ فِي سَبْعِ مِئَةٍ. وهذا غلط من غزوة أُحدٍ، واللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

فجعلوا ظهورهم إلى سَلع.

وأمر صلى الله عليه وسلم بالنِّسَاء والذَّراري، فجعلوا في آطَامِ الْمَدِينَةِ، واستخلف عليها: ابنَ أُمَّ مَكْتُومٍ رضي الله عنه.

- **(فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بِمَسِيرِهِمْ إِلَيْهِ)** لما علم النبي صلى الله عليه وسلم أن قريش خرجت والأحزاب، أمر المسلمين بحفر خندق كما ذكر الحافظ. والحق أن المسألة هذه أشير عليها من (سلمان الفارسي) لأن (سلمان) أولًا كما قلنا قال: (يا رسول الله كنا إذا حوصرنا تخندقنا).
- وقلنا الشرق والغرب ما كان فيه إشكال في المدينة، لأن كان هناك حرتين يحمونها، والجنوب بني قريظة معه عهد، فالإنكشاف كان في الشمال. فهنا جاء (سلمان) وهذا كان يفعله الفرس ما كان العرب تعلمه، لذلك لما سيأتي معنا لما جاء (وُد) هذا من قريش قال: (هذه مكيدة لم

يكن يعلمها العرب) لما رأوا الخندق حتى أنهم حاولوا أن يتلصصوا ودخلوا من مكان وقاتلوا مع (عليّ) الثلاثة الذين قتلوا بعد ذلك –سنبين–، فقالوا: (هذه مكيدة لم يكن يعلمها العرب). فهذه كانت إشارة من (سلمان الفارسي) رضي الله عنه قال: (كنا في فارس يا رسول الله إذا حوصرنا تخندقنا) أي حمينا أنفسنا بالخنادق. والخنادق تمنع الوصول بينك وبين العدو أصالة، فهنا عمل المسلمين في مسألة حفر الخندق.

- وطبعًا أنت تتكلم عن آلات حفر بدائية موجودة، وذكر في أهل السير أن كان طول الخندق قالوا خمسة آلاف ذراع –حوالي اثنين كيلو ونصف– لأن الإثنين ذراع بمتر، وعرضه تسعة أذرع –أي حوالي أربعة متر ونصف عرض–، وعمق كان حوالي سبعة إلى عشرة أذرع –أي حوالي نصف متر عمق–، فكان اثنين كيلو ونصف حفر في عرض أربعة متر ونصف وعمق اثنين متر ونصف تقريبًا.
- ولذلك بعضهم ذكر أنه حُفِر في ستة أيام، وبعضهم قال شهر، لكن يبعُد الشهر لأن الشهر كان مدة طويلة ممكن ما يستطيعون أن يتحصنوا قبل قيام قريش بالقدوم. فالبعض قال أنه كان فرغ منه في ستة أيام، وهذا هو القول المعروف في ذلك.
- وكانت المسألة فيها شدة، تعب كثير، وجهد، وقلة طعام، كانوا يجلسون بالأيام ما يأكلون أيضًا غير الحصار، حتى أنهم قالوا: (كانت في حَفرِه آيات مفصلة يطول شرحها، وأعلام النبوة قد تواتر خبرها).

<u>هنا طبعًا توجد أكثر من مسألة</u>:

1–منها مثلًا أنه لما كان يحفرون الصحابة فوجدوا صخرة كبيرة أو كتلة كبيرة ما استطاعوا، فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم وكان يربط على بطنه حجرًا وحجرين فقال: (أنا لها)، فضرب ضربة حدث فيها تكسير، فقال: (الله أكبر فُتِحَت كسرى)، ثم ضرب الثانية فقال: (الله أكبر فُتِحَت الروم)، انظر الصحابة يكبرون، وأهل النفاق يقولون محمد يبشر أصحابه

بكسرى والروم، ولا يستطيع أحدنا أن يذهب ليقضي حاجته، أو كما جاء في السير. فالفارق: {هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ}، وهؤلاء: {بُيُوتَنَا عَوْرَة}، هؤلاء يصدقون بذلك، وهؤلاء يكذبون، وهذا الفارق بين أهل الإيمان وأهل النفاق.

2-ومنها أيضًا قصة (جابر) رضي الله عنه وأرضاه لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم يربط الحجر والحجرين على بطنه وكان قد تعب وانهك، فاستأذن النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع لأهل بيته، فرجع فوجد عندها عناق؛ وهي الشاه الصغيرة، وبعض الطحين، فقال لها: عندك شيء؟ قالت: عندي شعير وعناق. فذهب فذبحت العناق، وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة- الحديث مذكور في صحيح البخاري- ثم جئت إلى النبي صلى الله عليه وسلم والعجين قد انكسر، والبرمة ما بين الأثافي قد كادت أن تنضج، أي اقتربت من النضج. فقال للنبي صلى الله عليه وسلم يدعوه، قلت: طُعم لي فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان. فهي عناق؛ فرجل أو رجلان وهو وزوجته. فالنبي صلى الله عليه وسلم سأله قال: كم هو؟ فذكرت له، قال: كثير طيب، قلها لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى أتي. ثم قال قوموا -للمهاجرين-، فقام المهاجرون والأنصار، أحضر الجيش؛ المهاجرون والأنصار، صلى الله عليه وسلم، فدخل على امرأته فقال: ويحك! جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والأنصار ومن معهم. انظر المرأة تقول له: هل سألك؟ قلت: نعم. أي هي تقول له هل النبي سألك ما الذي عندنا؟ قال نعم. فهي علمت أن النبي علم، فالمسألة ليست عندها، كما قالت (هاجر) لـ (إبراهيم): "آللَّهُ أَمرك بهذَا؟ فأومئ برأسه، قالت: إذا لن يضيعنا الله". هذا إيمان عند هؤلاء في القلوب وتصديقًا وهي معجزات حقيقة. فقال: قوموا. فقام المهاجرون والأنصار، فقال ادخلوا ولا تضاغطوا، فجعل يكسر النبي صلى الله عليه وسلم الخبز ويجعل عليه اللحم، ويحمر البرمة والتنور إذا أخذ منه ويقرب إلى أصحابه ثم ينزع، أي يقرب وينزع ويضع مرة أخرى، فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا، وبقي بقية أيضًا. فقال: كلي هذا وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة. هذه طبعًا من معجزات النبي

صلى الله عليه وسلم البركة هنا. قالوا فأكل هؤلاء الألف، تقريبًا كانوا ألف، فخرجوا كلهم شباع، وقال لها كلي وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة. طبعًا (ابن كثير) وغيره من السير يقولون إن فيه كرامات وفيه معجزات، وآيات في ذلك أيضًا.

- ثم بعد ذلك ذكرا الحافظ: **(قدم المشركون، فنزلوا حول المدينة كما قال تعالى: {إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ} [الأحزاب: 10] وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فَتَحَصَّنَ بِالْخَنْدَقِ، وَهُوَ فِي ثَلَاثَةِ آلافٍ عَلَى الصَّحِيحِ – من أهل المدينة. وزعم ابن إسحاق: أَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ فِي سَبْعِ مِئَةٍ. وهذا غلط من غزوة أُحدٍ، واللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. فجعلوا ظهورهم إلى سَلع)** وهو جبل معروف في المدينة، متصل بالمدينة، وهو في الجهة الغربية. لذلك كما قلت غربًا وشرقًا لم يكن عندهم مشكلة، لكن هم تحصنوا بالغرب مع الشمال الذي كان موجود، **(وأمر صلى الله عليه وسلم بالنِّسَاء والذَّراري، فجعلوا في آطَامِ الْمَدِينَةِ)** أي الحصون، كأنه جعل النساء والذراري الصغار يذهبون إلى حصون المدينة، **(واستخلف عليها: ابنَ أُمَّ مَكْتُومٍ)**.

<u>في هذه القطعة التي تكلمنا عنها هناك طبعًا عدة أمور:</u>

1-أولًا انظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم أخذ برأي (سلمان) وهناك يدل لك على أن القائد والأمير لابد له من مستشارين، أو لابد له أنه لا يتحكم بأخذ الرأي مادام وجد مصلحة وشيء لم يكن فيه وحيًا، كما جاء أيضًا في بدر لما قال (الحباب): (أهذا منزلا أنزلك الله عز وجل إياه أم هي الحرب والرأي والمكيدة؟) قال: (بل الحرب والرأي والمكيدة)، فقال له: لا ننزل هنا وننزل عند الماء، بدر، أشار إليه. هنا (سلمان) أشار بالخندق والنبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك، وعمل بهذه المشورة، وهذه تبين لك بأن القائد الناجح يستشير من عنده من العلم، ويستفيد من ذلك ويأخذ بذلك أيضًا.

2-لابد من اتخاذ الوسائل في الحرب، {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم} [الأنفال:60] والإعداد لابد أن تأخذ بالوسائل، فالمسألة ليست أنهم سيأتوا لنا ونحن إن شاء الله سوف نقاتلهم! لا، لابد أن تعمل خطط وتأخذ وسائل وتستعد لذلك. وهذا لا يعني أنك تترك العمل، لابد من العمل أيضًا أي تعمل لتحقيق هذه الوسائل التي أخذتها أيضًا، ولكن لا تعتمد على الوسائل. لأن الحق هم حفروا الخندق لكن الذي رد الكفار ليس الخندق! الله عز وجل ردهم {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحا وَجُنُودا لَّمْ تَرَوْهَآ}، وجعل أيضًا -كما سيأتي معنا- (نُعيم) أن يخذل. فهي أسبابًا أن النبي صلى الله عليه وسلم حفر الخندق، لكن هل الخندق الذي انتصر به؟ هو أخذ بالسبب، لكن من الذي ردهم؟ الله عز وجل ردهم بالريح وجنود أخرى. فأنت تأخذ بالوسائل نعم، لكن تعلم من أين يأتي النصر. لذلك هذا يبين لك أن الناس التي تحسبها حسبة مادية! لا، أنت ما عليك ذلك، أنت تتعامل مع رب كريم، أنت ما عليك إلا أنك تظهر عبوديتك وذُلك. النبي صلى الله عليه وسلم فعل أم لم يفعل؟ نعم فعل، وفعل بقدر ما عنده، وعنده خندق، حفر الخندق بالآلات القديمة.، فعل. كيف يرد الله كيد الكفار؟ هذه ليست لك. أين تأتيك الجنود؟ أنت لا تعلمها. لكن أنت عليك بالإعداد، بالتصميم، بالإتخاذ، كل هذا عليك وهذه أشدها – لو أنكم تذكروا- وأوضحها هجرة النبي صلى الله عليه وسلم. أليس النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بكل أسباب الهجرة بكل الوسائل؟ عمّى عليهم، وأتى بخرِّيت، وجعل (عبد الله بن أبي بكر) يفعل، و(أسماء) تفعل، وراعي الغنم يفعل، وكل هذا، وتخفى بطريق آخر، صحيح؟ وعكس المدينة لما دخل إلى طريق آخر، فعل كل هذه الأسباب وفي النهاية وصل المشركون إلى الغار. وصلوا إلى الغار أم لا؟! إذًا وصلوا، مع كل الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم وصلوا، من منع المشركين أنهم ينظرون برؤوسهم، رؤوس فقط؟ رؤوس المشركين، قال (أبو بكر): (لو نظر أحدهم إلى أسفل منه لرآنا). ما الذي جعل الرؤوس لا تفعل هكذا تخفق؟ لو خفقت رأس واحدة من المجموعة كلها الموجودة لرأوا النبي صلى الله عليه وسلم و(أبو بكر). لكن انظر الله عز وجل هنا يبين لك خذ ما شئت من

الأسباب، لكن الله أوصلهم إلى المكان أيضًا ليبين لك أن الأمر كله من الله حتى مع النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا هو صدق اليقين والتوكل على الله مع العمل والأخذ بالأسباب. لا يفقهه كثير من الناس، لكننا نتعلمه من هذه الدروس أصالة، وهذا هو المبتغى من هذه الدروس أنك يقدح في قلبك اليقين، وأنك تعمل ولابد أن تجمع بين ذلك وبين التوكل على الله، وتعلم أن الأمر كله مدبر من الله، والله لو اجتمعت كل الأمة على أفراد لو أراد الله أن ينجيهم سينجيهم.

ها نحن الآن في الإخوة الموجودين في غزة الآن أربعة شهور إلى الآن وكل دول العالم عليهم، هل يوجد أحد ينصرهم في شيء؟! لا أحد ينصرهم في شيء. ومع ذلك الله عز وجل لم يكتب للكفار نجاحًا عليهم، أيًا كان لا نعلم، لكن إن شاء الله سيؤيدهم الله عز وجل بنصر إخواننا ويرد كيد هؤلاء الكفار. لكن اجتماع، كأنهم أحزاب عليهم، وتضييق حتى الطعام لا يجدونه، والشراب لا يجدونه أيضًا، لكن من كان مع الله عز وجل لابد أن الله سيكشف عنها.

وانطلق حُيَيُّ بنُ أَخْطَبَ النَّضْرِيُّ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فاجتمع بكعب ابنِ أسد رئيسهم، فلم يزل به حتى نقض العهد الذي كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وَوَافَقَ كَعْبُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى حَرْبِ رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَسُرُّوا بِذَلِكَ.

وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم السَّعْدَيْنِ: ابْنَ مُعَاذ، وَابْنَ عُبَادَةَ، وَخَوَّاتَ ابْنَ جبَيْرٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ؛ لِيَعْرِفُوا لَهُ هَلْ نَقَضَ بَنُو قُرَيْظَةَ الْعَهْدَ، أَمْ لا؟ فلما قربوا منهم، وجدوهم مجاهرينَ بِالْعَدَاوَةِ وَالْغَدْرِ، فَتَسَابُّوا، وَنَالَ الْيَهُودُ – عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللهِ – مِن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فَسَبَّهُم سَعْدُ بنُ مُعَاذ، وانصرفوا عنهم.

وقد أمرهم صلى الله عليه وسلم: إن كانوا نقضوا أن لا يَفُتُّوا بِذَلِكَ فِي أَعْضَادِ الْمُسلِمِينَ؛ لئلا يُورِثَ وَهَنا، وأن يَلحَنُوا إليه لحناً – أي : لغزاً – فلما قدموا عليه، قال: «مَا وَرَاءَكُمْ؟»، قالوا :

عَضَلُ وَالقَارَةُ، – يعنون : غَدْرَهُمْ بِأَصْحَابِ الرَّجِيعِ ، فعظُمَ ذلك على المسلمين، واشتد الأمر، وعظم الْخَطَرُ، وكانوا كما قال الله تعالى: {هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالا شَدِيدا} [الأحزاب: 11].

ونَجَمَ النِّفَاقُ وَكَثُرَ، واستأذن بعضُ بَنِي حَارِثَةَ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي الذَّهَابِ إِلَى المَدِينَةِ لأجل بيوتهم، قالوا: إِنَّهَا عَوْرَةٌ، وليس بينها وبين العدو حَائِلٌ، وَهَمَّ : بَنُو سَلِمَةَ بِالْفَشَلِ، ثُمَّ ثَبَّتَ اللَّهُ كِلتا الطَّائِفَتَيْنِ.

- هنا لم يكتفي طبعًا (حيي بن أخطب) بعدما ألب الأحزاب، ذهب أيضًا إلى بني قريظة بـ (كعب بن أسد)، أراد أن يجعله يغدر بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالعهد الذي كان بينهم. والحق أن في الأول قالوا أن (كعب بن أسد) لم يكن يريد أن يقابله، بل رفض أن يدخله الحصن، والثاني يلح عليه وقال: "أنت شؤم وشر لن يأتي من خلفك إلا شر"، ما كان يريد أن ينقض العهد، لكن ظل وراءه (حيي بن أخطب) حتى دخل وتكلم، حتى أنه قال له: "إن حدث ودارت علينا ستكون معنا في الحصن"، أي نلزمك أن تكون معنا في الحصن، نقاتل أو نُقتل معنا، **(فاجتمع بكعب ابنِ أسد رئيسهم، فلم يزل به حتى نقض العهد الذي كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وَوَافَقَ كَعْبُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى حَرْبِ رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَسُرُّوا بِذَلِكَ)**. انضم إليهم، الإشكال أن بني قريظة تحت في الجنوب، أي الآن أصبح الأحزاب في الأمام في الشمال، وبنو قريظة في الجنوب، **(وكانوا كما قال الله تعالى:{هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالا شَدِيدا} [الأحزاب: 11])** أن تشعر أنك محاصر، كأن أشبه اليوم بالبارحة، أنت تحاصر من كل جهة!
- وهنا النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يتأكد أولًا هل بني قريظة قد نقضت أم لا؟ فأرسل السعدين؛ (سعد بن معاذ) و(سعد بن عبادة) وأرسل أيضًا (خوات بن جبير) و(عبد الله بن رواحة)، فلما ذهبوا إليهم وجدوهم قد نقضوا بل جاهروا بذلك وسبوا النبي صلى الله عليه

وسلم وغير ذلك. لكن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم لما يرجعوا ما يصرحوا أمام الصحابة وأمام الجند بنقض العهد حتى لا يُضعِف، وهذه مسألة سنتكلم عنها في الفوائد مهمة جدًا. فقال (ألحنوا إليّ لحن) أي كأنهم يتكلمون معه بصيغة يفهم منها. فذكروه بما حدث مع بعث الرجيع؛ الخيانة التي حدثت مع السبعين القراء الذين قُتلوا وكانوا من عضل والقارة، **(قالوا: عَضَلُ وَالقَارَةُ)** فعلم أنهم غدروا كما غدروا عضل والقارة، ففهم منهم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: ما تصرحوا؛ أي ما تأتوا أمام الناس وتقولوا بكذا وكذا، لكن أراد أن يُلحنوا له في القول حتى يعلم ذلك أصالة. فهم سبوهم ورجعوا كما جاء بعد ذلك.

- قال: **(فعظُمَ ذلك على المسلمين)**. ثم أيضًا لم يكتفوا بذلك، بل **(ونَجَمَ النِّفَاقُ وَكَثُرَ)** عَظُم، نجم: أي ارتفع أهل النفاق. انظر.. في الشدة التي تتوالى على المسلمين بعد النقض والأحزاب ثم هؤلاء، يظهر المنافقون وأرادوا أن يرجعوا، قالوا: {إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ}، نريد أن نرجع إلى بيوتنا في المدينة لأنها عورة، والله عز وجل يعلم هؤلاء، قال: {قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا} [الأحزاب: 18]، و {وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا} [الأحزاب: 12]. **(واستأذن بعضُ بَنِي حَارِثَةَ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي الذَّهَابِ إِلَى المَدِينَةِ)** وقالوا بيوتنا عورة، والله عز وجل يعلم أنها ليست بعورة، وأنها مكشوفة، وأنها ليست بمكشوفة، وقالوا نخشى عليها من العدو.
- ثم قال بعد ذلك: **(ولبث المشركون محاصرين رسول الله صلى الله عليه وسلم شهراً)** أي الحصار كان شهر، **(ولم يكن بينهم قتال؛ لأجل ما حال الله به من الخندَقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ)** هم حاصروا النبي صلى الله عليه وسلم شهرا، فهم غير قادرين لأن الخندق يمنعهم من ذلك أيضًا.

- ولم يكن هناك مبارزة. طبعًا القتال كان قديمًا مبارزة والتقاء الصفين، وهم لم يستطيعوا أن ينالوا منهم، فالخندق منعهم من ذلك أيضًا.
- **(إِلَّا أَنَّ فَوَارِسَ مِن قريش منهم: عَمْرُو بنُ عَبْدِ وُدَّ العَامِرِيُّ وجماعة معه أقبلوا نحو الخندق، فلما وقفوا عليه، قالوا: إِنَّ هَذِهِ لَمَكِيدَةٌ مَا كَانَتِ الْعَرَبُ تَعْرِفُهَا)**. وكما قلنا من قبل (سلمان) الذي أراد هذه مسألة مستوردة –كما يقال– لم تكن موجودة عند العرب. **(ثُمَّ يَمَّمُوا مكاناً ضيقاً من الخندق، فاقتحموه وجازوه)** أي تجاوزوا مكانًا ضيقًا، **(وجالت بهم خَيْلُهم في السَّبْخَةِ بينَ الخندقِ وَسَلْعٍ، وَدَعَوا لِلْبِرَازِ)** هنا أن يتبارزوا، ثلاثة، ودعوا إلى ذلك.
- **(فَانتَدبَ لِعَمْرِو بنِ عَبْدِ وُد عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، فَبَارَزَهُ)**. وقالوا أن (عمرو بن ود) هذا الذي قُتِل قارب على المئة سنة. كان عمره مئة سنة، **(وكان عَمْرُو لا يجارَى في الجاهلية شجاعة)** أي كان من الشجعان، وطلب من يبارزه، فخرج عليه (عليّ بن أبي طالب)، **(فقتلهُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ)** كما قال الحافظ؛ على يدي (عليّ بن أبي طالب)، **(وكان عَمْرُو لا يجارَى في الجاهلية شجاعة، وكان شيخاً قد جاوز المئة يومئذ)** مائة سنة، وكان يقاتل من؟ و(عليّ بن أبي طالب) هذا كان يمسك سيف وزنه سبعين كيلو وكان له سيف بنصلين، لذلك في مرة كسر بابًا لحصن، كان ذو قوة، سيفه لوحده وزنه سبعين كيلو الذي يقاتل به. فهذا رجل مئة سنة ويقاتل سيدنا (عليّ) أيضًا، وكان له شجاعة، لكن سبحان الله شجاعة في الباطل! مئة سنة وقُتل على يد (عليّ بن أبي طالب).
- **(وأما الباقون: فينطلقون راجعينَ إِلَى قَوْمِهِمْ)** النفر الذي كانوا معه رجعوا بعدما قُتِل (عمرو بن ود) لما رأوه قتيلًا عند الخندق. قال: **(راجعينَ إِلَى قَوْمِهِمْ مِن حيثُ جَاؤُوا، وكان هذا أول ما فتح الله بِهِ مِن خِذْلانِهِم)** أي أول مبشرات النصر أن قُتِل منهم (عمرو بن ود) ورجعوا بعد ذلك.

- قال: **(وكان شعار المسلمين تلك الغزوة: «حم، لا ينصرون")** وفائدة هذا الشعار أنها كلمة سر ليعلم هو معه أم ليس معه، فهم كلهم كانوا من قريش وعرب أو غيرهم حتى من الأنصار، فكانت كلمة السر هذه أو الشعار ليميزون بعضهم بعضًا أصالة.
- قال: **(ولما طال هذا الحال على المسلمين، أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُصَالِحَ: عُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ، وَالْحَارِثَ بِنَ عَوْفٍ رَئِيسَي غَطَفَانَ)** تذكروا أن غطفان عرض عليهم نصف ثمار خيبر، انظر هنا –نحن سنأتي بفوائد مجمعة لما ننتهي من القصة– أنه أراد أن يفت في عضدهم، أي يفرق، فعلم أن غطفان يريدون المال فأراد أن يصالحهم على ثلث ثمار المدينة، فقال: **(ولما طال هذا الحال على المسلمين، أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُصَالِحَ: عُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ، وَالْحَارِثَ بِنَ عَوْفٍ رَئِيسَي غَطَفَانَ، على ثُلُثِ ثِمَارِ المدينة، وينصرفا بقومهما)**، أي حاول أن يفتت بينهما. غطفان قلنا جاؤوا للمال، فالنبي صلى الله عليه وسلم علم، فأراد أن يعطيهم المال ويرجعوا، وحتى لا يكون العدد كبير لأنهم عداوتهم ليست دينية، لا توجد مطامع دينية كما قريش عندهم، أو سيادة، أو غير ذلك، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يخفف عن المسلمين عدد الذين سيقاتلونهم، فقال يعطيهم ما إشكال، يتفق معهم على المال وينصرفون، ولا يشتركون مع الكفار.
- فقال: **(وجَرَتِ المُرَاوَضَةُ على ذلك)** المراوضة: أي كأنهم بيتبايعوا؛ المناقشة. هذا يزيد، هذا يريد أكثر، والنبي يقلل إلى غير ذلك. **(ولم يتم الأمر حتى استشار صلى الله عليه وسلم السَّعْدَيْنِ في ذلك)** أي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بيفاوض أولًا، ثم أنظر، استشار السعديين سيدا الأوس والخزرج؛ (سعد بن معاذ) و(سعد بن عبادة) رضي الله عنهما.
- انظر استشارة أخرى، أي بعد أن استشار (سلمان) هنا يستشير، وهو النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا حقيقة انظر إلى الحوار الذي دار بين السعدين وبين النبي صلى الله عليه وسلم؛ قالوا له أولًا: "يا رسول الله هل هذا أمر من الله؟" انظر الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم، أي هذا أمر من الله؟ فلو كان أمرًا كما في صلح الحديبية فلن نتكلم، كما سكت

الصحابة مع أنهم كان في قلوبهم شيء من ذلك. أي هل فيها وحي؟ لو كان الأمر فيه وحي ونص فليس هناك إبداء رأي. ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا لما استشار (أبو بكر) و(عمر) في أسارى بدر لم يكن هناك وحيًا، ثم نزل الوحي بعد ذلك.

- فسألوه أولًا؛ فإن كان وحيًا تأمرنا ونعطيهم لا إشكال في ذلك، ثلث التمر، أن نُسلِّم؛ سمعًا وطاعة انظر، ولم يقولوا هذه أموالنا، هذه المدينة، هذا شجرنا، هذه ثمارنا! أولًا وحي من الله؟ أمر من الله؟ فنقول سمعًا وطاعة، "وإن كان شيئًا تصنعه لنا"، انظر، هو قال **(استشار صلى الله عليه وسلم السَّعْدَيْنِ في ذلك، فقالاً: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنْ كَانَ اللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا، فَسَمْعاً وَطَاعَةٌ، وَإِنْ كَانَ شَيْئاً تَصْنَعُهُ لَنَا)** أي تريد أن تخفف عنا القتال وتفرق بين الأحزاب، انظر الكلام الذي يوزن بماء العين، بماء الذهب، بأي شيء قل **(فَلَقَدْ كُنَّا نَحْنُ وَهَؤُلَاءِ القَوْمُ عَلَى الشِّرْكِ بِاللَّهِ، وَعِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَهُمْ لَا يَطْمَعُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا ثَمَرَةً إِلَّا قِرًى، أَوْ بيعاً)** أي نحن نعطيهم؛ يبيعوا ويشتروا من عندنا، أي ضيافة، "القرى" أو بيعًا، **فَحِينَ أَكْرَمَنَا اللهُ بِالإِسْلَامِ، وَهَدَانَا لَهُ، وَأَعَزَّنَا بِكَ وَبِهِ، نُعْطِيهِمْ أَمْوَالَنَا؟! وَاللَّهِ لَا نُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ . فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: [إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ أَصْنَعُهُ لَكُمْ].** فالنبي صلى الله عليه وسلم بين أنه نعم يعمله من باب التخفيف على المسلمين أصالة، ولكن ليس أمر من الله، سياسة، أي هو رأى أن يفضهم بهذه الأموال.
- قال: **(وَصَوَّبَ رَأْيَهُمَا فِي ذَلِكَ)** أي النبي صلى الله عليه وسلم صوب رأيهما في ذلك: وافق على ذلك، **(وَلَمْ يَفْعَلْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا)**.

وفيما مضى توجد بعض الفوائد حقيقة نبينها:

1- مسألة إرسال النبي صلى الله عليه وسلم للسعدين و(عبد الله بن رواحة) في مسألة إذاعة الأخبار، وهذه من المصائب، طبعًا الآن تغير الأحوال والوسائل، فلابد أن يُرَبَّى الناس، والأمة، وأبناء الأمة، وحتى العلماء والشيوخ على التأكد من المعلومة أولًا قبل اتخاذ القرار، وقبل التكلم بشيء. لا يمكن أنك لو كنت عالمًا أو شيخًا، فضلًا عن أنك يجب أن تُعَلِّم

أيضًا الناس عمومًا على التثبت بالأخبار والبيانات والمعلومات قبل إشاعة أي شيء وقبل اتخاذ أي قرار. ومن لا يفعل ذلك لو كان من أهل العلم فقد جانب التوفيق والصواب في الضوابط العلمية. ليس كل أحد يأتيك بخبر، أو يأتيك بشيء، وما أكثر الآن أن تتناقل الأخبار غير الصحيحة. ولا بد لك أنك تتأكد من كل ما يأتيك، ليس كل أحد يقول لك فلان قال كذا، المكان الفلاني يفعلوا كذا، والمكان الفلاني يروجوا لكذا، فأنت تطلع تتكلم هكذا! لابد أن يكون عندك استيقان. لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يستيقن أن بني قريظة نقضت العهد أم لا، أرسل من أصحابه إليهم مباشرة ليأتيه الخبر يقينًا، لأن هذا خبر مهم جدًا. وليس الآن! ننشر الأخبار والناس تتكلم في الأخبار وقد تكون للأخبار هذه تأثير معنوي على الذين يقاتلون وعلى الذين يفعلون شيء، ولا يهتمون بكيف هذه الأخبار قد تؤثر، أو حتى عموم المسلمين. انظر هنا.. التثبت.

2-ليس كل ما يُعرَف يقال. قال لهم لا تذيعوا الخبر، لماذا؟ فالناس قلوبها مختلفة، الإيمانيات تختلف. فانظر، قائد، أمير في المعركة، النبي صلى الله عليه وسلم الآن القائد في مقام شخصية القائد الآن فيقول لهم لما تأتوا لا تبلغوا تصريحًا أمام الناس، لكن لحنًا، وهي التعريض بالقول، أو كلمات معينة تفهم منها. وهذه بيان على أنك لابد تُعَلِّم، فهذه الطرق والأساليب شرعية، لابد أن يتعلمها سواء على مختلف الأمور، قد تكون في مسألة أو تريد أن تبلغ أحد في مجلس، ولا تريد أن تصرح أمام الناس بما يحدث أو في شيء، فتبلغ بكلمات فيها بيان المعنى، النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك.

وفيها أيضًا إنك لست كل ما تعلمه تذيعه على الناس، فتكسر قلوب المسلمين أو تشيع بينهم شيء. هذا أسلوب وطريقة نبوية في كيفية التعامل مع التثبت في الأخبار، ومع كيفية تبليغها، والمصلحة والمفسدة في ذلك، الآن كل أحد يعرف خبر يسارع، فممكن يقول الخبر وينتشر، وتكشف أنه كذب، لكن بعدما الناس حزنت، أو الناس فرحت، أو ناس كذا، ويطلع كذب في كذب في الآخر، سواء على مستوى القتال، أو على مستوى الأمة، أو مستوى

الشعب، أو مستوى الاقتصاد، على مستوى أي شيء، هذا أخطر ما يكون في زماننا لأن أصبحت الأخبار تنتشر الآن. فهذه فائدة مهمة جدًا لابد أن ينتبه إليها من فعل النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة.

3-وهناك طبعًا فائدة بأن عند الشدائد يظهر المنافقون ويستأسدون، ويسعون في تخزيل المسلمين وبث الإشاعات، كما قالوا نرجع للمدينة {إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ} إلى غير ذلك من الأراجيف. لكن المهم هنا أن لابد على العلماء وأهل الصلاح أن يبينوا حقيقة المنافقين. لا يمكن أننا نسكت ولا نبين للناس علامات أهل النفاق. أنت لست مطالب بالشق عن القلوب وتقول أن هذا منافق عينًا، أنت لست مطالب نعم، لكن أنت مطالب أن تبين علامات أهل النفاق وتظهرها للناس، خاصة في الأوقات التي الأمة لابد تميز فيها بين الحق والباطل، وبين أهل الكفر وأهل الإسلام، وبين أهل الإسلام وبين المنافقين الذين يميلون على أن هؤلاء لهؤلاء. فلابد أن يُوضَح أهل النفاق ويُظهَرون. وهذا دور أهل العلم أن يحذروا المسلمين عمومًا، لأنه كلما يكثر أهل النفاق في الأمة يكثر الخلاف والشقاق والنزاع. أخ يتكلم عن أناس، لن أقول لك أنهم من أهل السنة، لا، جعلوه من أهل الكفر، أقول ذلك، جعلوهم من أهل الكفر فقط لأنه أثنى على طائفة ضالة، فأعطوهم حكمهم، فأصبحوا كفار عندهم، فأصبحوا يفرحون بموت إخوانهم! وأرسل يسأل على ذلك! أي جهل نحن نعيش فيه! وأي فساد في القلوب! وأي نفاق يظهر! الذي أصبح الآن أنه كله بإسم الدين والعلم، وأن هذا العلم الشرعي الذي يتكلمون عنه، والعلم بعيد عن ذلك وبريء، وليس هذا أصلًا في أصول العلماء في هذه المسألة! وإلا كل واحد كان أثنى على كافر فأصبح كافر!

4-ثم يبين لك بعد ذلك أن الحرب خدعة ومكيدة. وهذا الذي على أهل القتال أن يتعلمونه مما فعله النبي صلى الله عليه وسلم.

5-وأيضًا فيه أن القائد وولي الأمر والحاكم لابد له أن يبحث دائمًا عن الحلول والطرق التي تفيد إما جنوده لو كان في معركة، أو تفيد أفراد أمته. فالنبي صلى الله عليه وسلم في هذا

الحال والحصار ظل يفكر لما أراد أن يحل الأحزاب، فأراد أن يعطي هذا أموالًا ويفعل كذا. وهذا دأب الحاكم والقائد والأمير أنه لابد أن يبحث عن الحلول المناسبة لإزالة أي أذى قد يأتي بأهل الإسلام وأفراد أمته أصالة.

6-وفيه مشاورة أهل الرأي والخبرة؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم أتى بالسعدين، كبراء في قومهم، وأشار عليهم، ولم يقل أنا النبي يأتيني الوحي أفعل ما أريد! لا، يشاور أصحابه، وهذا تأصيل للشورى في الإسلام عندنا، ويشاور وينزل على قول شباب الصحابة في غزوة أُحد لما خرج وكان يريد أن لا يخرج من المدينة، وقال: ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم أن يلبس لأمته ثم يعود في القتال، ونزل على قول (الحباب) في بدر، وهنا (سلمان) في الخندق، وعلى قول السعدين ألا يعطيهم الأموال واستحسن. فهذه هي المشورة الحقيقية. وليس أن تقول تكلموا وأنا في الآخر أفعل ما أريد! لا، هذا بيان كيف فعل النبي صلى الله عليه وسلم، وهو نبي. لذلك لمّا كان وحيًا قالوا: نسمع نطيع، هذا ليس وحي، سنبدي الرأي، نقول لك رأينا لا إشكال. وهذا يدل على أنك إذا سُئِلت واستنصحت لابد تجيب، إن كان عندك علم، وعندك معرفة وحكمة بما سئلت، لا تسكت، لأن هذه أمانة، فإذا سئلت لابد تنصح وتبين، ولا أنك تتوقف عن ذلك. وهذا ما فعله السعدين في ذلك.

7-وحقًا فيها مسألة أيضًا؛ العزة التي كانت عندهم، انظر تربية، قال: عندما كنا على الكفر لا يستطيعون أن يأخذوا ثمرة واحدة من عندنا، أما بعد ما أكرمنا ربنا بالإسلام نعطيهم من أموالنا! لا، ليس لهم إلا السيف. عزة، وهذا لابد أن يُربَّى، اعتزاز بالدين. يقولوا في الكفر لم نكن نعطيهم، فلما يأتي الدين يكون عندنا خوار! لا، مع أنها سياسة شرعية ممكن يجوز، لكن انظر، ما كانوا يجرؤوا في الجاهلية أن يأخذوا منا شيء، فنحن الآن في الإسلام الذي هو أعز نعطيهم؟ قالوا: لا والله لا نعطيهم من ذلك شيء.

نستكمل الغزوة المرة القادمة إن شاء الله، وندخل على (بني قريظة).

نفع الله بكم جميعًا، جزاكم الله خيرًا، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحاضرة السادسة عشرة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد،،على موعد مع درس السيرة اليوم من كتاب (الفصول في سيرة الرسول) للحافظ ابن كثير–عليه رحمة الله تعالى. ما زلنا في **(غزوة الخندق)**، نقرأ ما تبقى من غزوة الخندق؛ قال:

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَلَهُ الحَمدُ – صَنَعَ أَمراً مِن عِندِهِ، خَذَّلَ بِهِ بَيْنَهُمْ، وَفَلَّ جُمُوعَهُمْ، وذلك:

أَنَّ نُعَيْمَ بنَ مَسْعُودِ بنِ عَامِرِ الغَطَفَانِيَّ رضي الله عنه جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، فَمُرْنِي بِمَا شِئْتَ، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: [إِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخَذِّلْ عَنَّا إِنِ اسْتَطَعْتَ فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ].

فذهب من حينه ذلك إلى بني قريظة – وكان عشيراً لهم في الجاهلية –، فدخل عليهم وهم لا يعلمون بإسلامه، فقال: يا بني قريظة! إنكم قد حاربتم مُحَمَّداً، وإنَّ قريشاً إن أصابوا فرصة، انتهزوها، وإلا، شمروا إلى بلادهم، وتركوكم ومحمداً، فانتقم منكم. قالوا : فَمَا العَمَلُ يَا نُعَيْمُ؟ قال: لَا تُقَاتِلُوا مَعَهُمْ حَتَّى يُعْطُوكُمْ رَهَائِنَ. قالوا: لقد أَشَرْتَ بالرَّأي.

ثُمَّ نهض إلى قريش، فقال لأبي سفيان ولهم: تَعْلَمُونَ وُدِّي وَنُصْحِي لكُمْ؟ قالوا: نعم. قالَ: إِنَّ يَهُودَ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ نَقْضِ عَهْدِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، وَإِنَّهُمْ قَدْ رَاسَلُوهُ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ مِنْكُمْ رَهَائِنَ يَدْفَعُونَهَا إِلَيْهِ، ثُمَّ يُمَالِئُونَهُ عَلَيْكُمْ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى قَوْمِهِ غَطَفَانَ، فَقَالَ لَهُمْ مِثْلَ ذَلِكَ.

فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةَ السَّبْتِ في شَوَّال، بعثوا إلى يهود: إِنَّا لَسْنَا بِأَرضِ مُقام، فانهضوا بنا غداً نُناجز هذا الرَّجُلَ، فأرسل إليهم اليهود: إِنَّ اليَوْمَ يَوْمُ السَّبْتِ، ومع هذا: فإِنَّا لَا نقَاتِلُ مَعَكُمْ حَتَّى تَبْعَثُوا إِلَيْنَا رُهُنَا، فَلَمَّا جَاءَهُم الرُّسُلُ بذلك، قالت قريش: صَدَقَنَا – وَاللهِ – نُعَيْمُ بنُ مَسْعُودٍ. وبعثوا إلى يهودَ: إِنَّا – وَاللَّهِ – لَا نُرْسِلُ لَكُمْ أَحَداً، فَاخْرُجُوا مَعَنَا، فَقَالَت قُرَيظَةُ: صَدَقَ – والله – نُعيم، وأبوا أن يقاتلوا معهم.

وأرسلَ اللَّهُ عز وجل عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ مَعَهُمُ الْجُنُودَ وَالرِّيحَ تُزَلْزِلُهُمْ، فجعلوا لا يَقَرُّ لَهُم قَرَارٌ، ولا تثبُتُ لَهُم خَيْمَةٌ ولا طُنُبٌ، وَلا قِدْرٌ، وَلا شَيْءٌ. فلما رأوا ذلك، ترحلوا من ليلتهم تلك.

- هنا يذكر المصنف أولًا قال: **(ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَلهُ الحَمدُ – صَنَعَ أَمراً مِن عِندِهِ، خَذَّلَ بِهِ بَيْنَهُمْ، وَفَلَّ جُمُوعَهُمْ)**، وطبعًا هذا انظر لجنود الله عز وجل، النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بالأسباب؛ حفر الخندق واجتمع وتخندق، وجهَّز، وأمَّن، ثم الله عز وجل أراد أن يأتي النصر من أسباب أخرى، وهو أن الله يجعل (نُعيم بن مسعود) قد أسلم وهو غطفاني، وانتبوا "غطفاني" أي من غطفان التي جاءت مع قريش أيضًا، فأسلم وجاء للنبي صلى الله عليه

وسلم، فقال له: **(يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، فَمُرْنِي بِمَا شِئْتَ)**. فالنبي صلى الله عليه وسلم قال له: [إِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ وَاحِدٌ] لكن ممكن أن يكون لك [فَخَذِّلْ عَنَّا].

- فحاكى هذه القصة؛ ذهب إلى اليهود وكانت له علاقات مع اليهود أيضًا، فأراد أن يوقع بينهم، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: [فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ]. وهذا يبين لك أن أحكام الحرب تخالف كثير من الأحكام الفقهية، حتى الفقهية التي قد تُمنَع عن المسلمين في السلم تجدها تباح للمقاتلة في الحرب. والخداع الأصل فيه أنه لا يجوز، لكنه في الحرب يجوز، قال النبي صلى الله عليه وسلم: [فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ].
- فذهب –كما قرأنا–، لليهود أراد أن يوقع بينهم وبين قريش، فأشار عليهم أنهم يطلبوا من قريش رهائن يكونوا عندهم إذا حدث نوع من رجوع قريش، فالنبي صلى الله عليه وسلم سيقاتلكم، فأنتم تأمنوا أن قريش تظل معكم. ثم ذهب –كما قرأنا– لقريش وقال لهم بأنهم سيطلبون منكم رهائن حتى ينقلبوا عليكم مع النبي صلى الله عليه وسلم.
- فخذل وأوقع بينهم على أن الله أرسل الملائكة وأرسل جنودًا أخرى؛ أرسل الريح وجعل الريح لا تُبقي لهم خيمة ولا موقد لنار ولا شيء، كله يطير، فما استطاع أن يكون له مستقر. انظر! الريح فقط من الله عز وجل جعلتهم ينصرفون بالكلية من المكان. وهذه الريح جند من جنود الله عز وجل، حتى قال تعالى في الآيات في سورة الأحزاب: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا، إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا، هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالا شَدِيدا} [الأحزاب: 9:11]. فهنا الله عز وجل يرسل ريحًا شديدة لا تبقي شيئا، فتقتلع الخيام، وتكفأ قدور الطعام وتؤذي المواشي، والناس لا يستطيعوا أن يقفوا، فحدث الضرر وأصبحوا لا يستطيعون الجلوس في المكان، وارتحلوا ورجعوا بخيبتهم ولم ينالوا شيئًا، ولم يستطيعوا الصبر على ذلك، فهذه جهة.

- والجهة الأخرى ما فعله (نُعيم) رضي الله عنه بعد ذلك؛ {وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْراً وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزاً} [الأحزاب:25]، وهذا هو الأصل؛ يقين المرء بنصرة الله عز وجل له، ولا يعلم النصر من أين سيأتي، اجتمعت –في وقتهم– كل من كان في الجزيرة العربية في الخندق، والله عز وجل، انظر، جعلهم يرجعون بلا قتال، بريح أرسلها الله عز وجل، وهذه لا تكون إلا تأييدًا للمؤمنين ونصرًا من الله عز وجل لهم. ولكن أولًا يبين لنا كما قلنا النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بأسباب النصر مع الإيمان، وصدق بالله، وصدق الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم لما ضرب على الصخرة، وقال: [الله أكبر فتحت كسرى، وفتحت الروم] وتصديقهم لذلك، ثم بعد أن انصرفوا جاء وحي من الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: [الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إليهِم]، وكانت هذه كأنها بشرى من الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم، فهم لن يأتوا إلينا بعد ذلك، فالأحزاب كانت آخر غزوة يأتي فيها قريش، ونحن نسير إليهم، وهذا حدث عندما أراد العمرة في الحديبية، ثم بعد ذلك ذهب لفتح مكة، والله عز وجل إكرمه بفتح مكة بعد ذلك.

وأرسل صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان يَخْبُرُ لَهُ خَبَرَهُمْ، فَوَجَدَهُمْ كَمَا وَصَفْنَا.

ورأى أبا سفيانَ يَصْلِي ظهره بنارٍ، وَلَوْ شَاءَ حُذَيْفَةُ، لَقَتَلَهُ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَيْلاً ، فَأَخْبَرَهُ بِرَحِيلِهِمْ.

- هنا النبي صلى الله عليه وسلم أرسل (حذيفة بن اليمان) حتى يأتيه بخبر القوم
- **(ورأى أبا سفيانَ يَصْلِي ظهره بنار)** وهذه طبعًا لها قصة هو هنا لم يذكرها، أن كانت ليلة شديدة البرودة، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: [ألا رجل يأتيني بخبر القوم] و(حذيفة) الذي يحكي– قال والكل أدخل رأسه في إزاره أو في ردائه وفي ملابسه من شدة البرودة وما أحد تقدم، ثم قال: [قم يا حذيفة] فقال (حذيفة): "لبيك يا رسول الله" ، فأمره أن يذهب،

(حذيفة) يقول: كنا نجلس والبرد شديد قارص جدا، أي لم يكن أحد يستطيع أن يرفع رأسه من شدة البرد، وأول ما النبي صلى الله عليه وسلم نادى على (حذيفة) وأمره بأن يذهب إلى القوم يتعسس هناك أو يتجسس عليهم ليعلم حالهم، وأعدادهم وغير ذلك، فقال: "كأن ليس هناك في جسدي أو في جسمي أي إحساس بالبرد، كأنه الحرارة تخرج مني. أي هو يصف –بالمعنى فلو ترجعوا إلى المطولات– أنه مع أمر النبي صلى الله عليه وسلم له وذهب في هذه المهمة كأنه لم يشعر ببرد على الإطلاق، حتى قال: "بعد أن ذهبت وجلست" –وسيحكي القصة– "ورجعت أخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أحسست بالبرد كما كنت أشعر به بعد أن انتهت المهمة". فهذه طبعًا أيضا كرامات من الله عز وجل. فطبعًا كان برد الجزيرة العربية ليس بالهين،الذي يعلم، برد يضرب في العظم كما يقال، فالبرودة بتكون فيه شديدة، وكان أيضًا الصحابة فقراء، ما كان عندهم ملابس جديدة كثيرة، فكانت ليلة شديدة البرودة وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم (حذيفة) يخبر لهم خبرهم.

- قال: **(ورأى أبا سفيانَ يَصْلِي ظهره بنارٍ)** أي من شدة البرودة كان يدفئ ظهره بالنار التي هي موقدة، فرآه. فقال: **(وَلَوْ شَاءَ حُذَيْفَةُ، لَقَتَلَهُ)** أي (حذيفة) كان ممكن يرميه بسهم أو رمح ويقتله، وهذا كان (أبو سفيان)، كان كبير القوم وقتها.
- **(ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَيْلاً ، فَأَخْبَرَهُ بِرَحِيلِهِمْ)** هنا هو نفسه في قصة (حذيفة) قال: جلست مع القوم، وكان رأى (أبو سفيان) في الأول وكان يستطيع أن يضربه، فقال: "تذكرت أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن لا يهيجم عليهم"، أي لا يذهب ويقتل أحد أو يضربه، فيهيجوا فيقوموا على المسلمين، هو أمره فقط أن يتعسس؛ أي يعلم أخبارهم ولا يهيجهم، لأنه قال له: [وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ]، أي اذهب فاعرف أخبارهم ولا تذعرهم عليّ، أي لا تهيجهم. فـ (حذيفة) يقول: "فَرَأَيْتُ أبا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بالنَّارِ ولو شئت لقتلته، لكني ذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم: [اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ]– هذه الجملة سنبينها في الفوائد من الأهمية بمكان أيضًا– فقال: "فامتنعت عن ذلك".

ولذلك (ابن كثير) قال: **(وَلَوْ شَاءَ حُذَيْفَةُ، لَقَتَلَهُ)** يقصد أنه كان من الممكن أن يقتله، ولم يقتله، فالذي منعوا أن النبي صلى الله عليه وسلم نهاه عن ذلك. **(ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَيْلاً ، فَأَخْبَرَهُ بِرَحِيلِهِمْ)**.

- طبعا هذه القصة حكاها (حذيفة)، ذكرها (مسلم) في صحيحه عندما قال: [لَقَدْ رَأَيْتُنَا مع رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ لَيْلَةَ الأحْزَابِ، وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بخَبَرِ القَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَومَ القِيَامَةِ؟ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ] انتبهوا، هذا دلالة على شدة الأمر الذي كانوا فيه، أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة، ومع أن الأصل هم كلهم خرجوا جهادًا وشهادة، فإنهم يتمنون الشهادة أصالة، ولكن يبين لك الوصف إن من شدة البرودة التي كانوا فيها والريح قال: [ثُمَّ قالَ: أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بخَبَرِ القَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَومَ القِيَامَةِ؟ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قالَ: أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بخَبَرِ القَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَومَ القِيَامَةِ؟ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقالَ: قُمْ يا حُذَيْفَةُ، فَأْتِنَا بخَبَرِ القَوْمِ، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا -إذْ دَعَانِي باسْمِي- أَنْ أَقُومَ،] بعد ذلك لما سكتوا قال: أين حذيفة؟ فاصطفاه النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، [قالَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بخَبَرِ القَوْمِ، وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ] انظر ماذا يقول بنص الكلام الذي عند (مسلم): [فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِن عِندِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّما أَمْشِي في حَمَّامٍ حتَّى أَتَيْتُهُمْ] حمام يقصد هنا أنه في دفء، لا يشعر بالبرد أصالة، الحمام أي في شيء فيه السخونة، [فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا في كَبِدِ القَوْسِ فأرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ] فرصة أن يقتل كبير القوم وينتهي الأمر على ذلك، [فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ، ولو رَمَيْتُهُ لأَصَبْتُهُ، فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي في مِثْلِ الحَمَّامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فأخْبَرْتُهُ بخَبَرِ القَوْمِ وَفَرَغْتُ، قُرِرْتُ]، قررت أي: احسست بالبرد بعد ذلك، أي لما رجع وأخبره أحس بالقُر؛ الذي هو البرد، [فأَلْبَسَنِي رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ مِن فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عليه يُصَلِّي فِيهَا، فَلَمْ أَزَلْ

نَائِمًا حتَّى أَصْبَحْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قالَ: قُمْ يا نَوْمَانُ.] رضي الله عن (حذيفة) وصلى الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

- طبعًا القصة فيها أمور أكثر، كان (حذيفة) عندما ذهب كان (أبو سفيان) في مجلس القوم فقال أريد أن أُسِّر لكم بقول، لكن كل واحد يؤمن صاحبه؛ أي ينظر من بجانبه، فـ (حذيفة) كان بجانبه واحد، فقبل أن يبادره قال: من أنت؟ يسأله من أنت؟ فكأنه أمَّنه. وطبعًا كان هو الوحيد الزائد عليهم في القوم، –لها مطولة ممكن أن ترجعوا لها.

هناك بعض الفوائد لابد أن نبينها:

1. من قصة (نُعيم) أولًا؛ كما قال كثير من العلماء، هناك بعض الضوابط التي لابد أن يتعلمها الناس، ضوابط وقواعد يستفيد منها ممكن تكون بعضها في الحرب، وبعضها في السياسة الشرعية، وبعضها في أمور فقهية، لكن الذي يربي الناس أو يربي القوم حتى إن كان لتربية إيمانية أو لجهاد أو غير ذلك، هناك بعض القواعد المنهجية التي يؤسسها، منها القاعدة التي قالها النبي صلى الله عليه وسلم قال: [فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ]، وبعضهم قالوا:[الدِّينُ النَّصِيحَةُ]. ومنها أيضًا [احترِسوا من الناسِ بسوءِ الظنِّ]، و [الأَيَّامُ دُوَلٌ]، وهذه قاعدة أخرى [خَذِّلْ عَنَّا] هذه جمل جاءت في السيرة، لكن كثير من العلماء استنبطوا منها ضوابط وقواعد، وجعلوها من الأمور التي لابد أن تُعَلَّم، سواء لمن يجهز أناسا للدعوة، أو للقتال، وغير ذلك. وهذه لابد أن يعرفها طلاب العلم، ويعرفها المقاتلة، ويعرفها من يعمل حتى في السياسة الشرعية، هذه أمور من الأهمية بمكان. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لـ (نُعيم): [الْحَرْبَ خُدْعَةٌ] ففتح له الباب، كما مثلًا أراد النبي صلى الله عليه وسلم– كما جاء من قبل– عندما أذن للصحابة أن يقتلوا (كعب بن الأشرف) واستأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يخوضوا فيه، فأذن لهم، وكل هذا حتى يستطيع أن ينالوا من الرجل ويقتلونه. هذه ضوابط وأساسيات لابد أن تُبَيَّن وتُبرَز في التعليم، وفي الدعوة.

2. أيضًا انظر لفعل (حذيفة)، هنا يبين لك بأن الاجتهاد الشخصي من الفرد لِما يخالف ما أمره مثلًا به الأمير، أو القائد، أو الحاكم، أو المسؤول عنه قد يؤدي إلي مهلكة قوم. وانظر إلى (حذيفة)، أخذ السيف وكان سيقتل (أبو سفيان) لولا أنه تذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره وقال له: [وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ]، أي لا تهيجهم، فرجع. مع أنه لا شك أن هناك مصلحة في قتل (أبو سفيان)، لكن المصلحة الأعظم في اتباع قول الأمير والقائد، وطبعًا هنا قول النبي صلى الله عليه وسلم– ونحن نستخرج الفائدة لأن طبعًا قول النبي صلى الله عليه وسلم طاعة، لكن هنا تتكلم في غير ذلك، عندما تكون أنت في مكان ولك قائد، أو أمير، أو لك أحد مسؤول، وله حكمة ونظر وهو يوجهك، فلابد ألا تتصرف من نفسك! وإلا ما ضر الأمة خاصة في الأزمنة الأخيرة، ممكن في المئة سنة أو السبعين سنة، أن بعض الناس يرون الحق من جانبهم، ويفعلون أعمالًا وأفعالًا قد يأتوا بالضرر على الأمة، وعلى فئات معينة بحجة أنهم يرون أنهم يفعلون للدين! فالمسألة ليست انفرادًا، ليست المسألة قرارًا فرديًا، بل أنت لابد تنظر للمصالح والمفاسد، وتتبع قول أهل العلم، وقول أهل النصيحة وغير ذلك، وأنك لا تخالف، فلو خالفت كل الشرور تأتي من المخالفة، من الانفراد بالرأي أو بالمشورة، وأن يخالف الجماعة وغير ذلك. هذا يبينه لنا (حذيفة) –رضي الله عنه وأرضاه– بأنه لما تذكر ورجع، انظر، الله عز وجل صرفهم بعد ذلك، أيًا كان الذي سيحدث لا يخالف. ولما خالف الرماة أمر النبي صلى الله عليه وسلم في أُحد انظر ماذا حدث! عندما قال لهم لا تنزلوا من الجبل، فلما نزلوا انقلبت الدائرة على المسلمين. فنقول دائمًا بأنه لابد من عدم الانفراد، ويجب الطاعة في هذه الأمور والاستماع للقادة وأولي الأمر.

3. المسألة الأهم؛ أنك لابد أن تعتقد وتستيقن أن أهل الكفر والنفاق لا تجمعهم عقيدة ثابتة. وهذه فائدة مهمة جدًا، لما حدث في تفريق (نُعيم)، لأننا نعيش الآن في هذه الأزمنة، فاجتماع الكفر مع اختلاف العقائد والملل الموجودة واختلاف المصالح، فهم يجتمعون، لكن هم لا يجتمعون على عقيدة ثابتة، هما تجمعهم المصلحة، ولذلك أنت ممكن أنك تفك هذا

الاجتماع بتوجيه المصالح. انظر. النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يعطي مالًا لغطفان من ثمار المدينة ليفك التحزب، و(نُعيم) فعل ذلك، أراد أن يفعل مع اليهود ذلك ومع قريش، وذهب لغطفان وأخبرهم بذلك.

فإذًا لابد أن تفقه هذه المسألة، لمن يتعامل مع هؤلاء، لابد أن يعلم أنهم لا تجمعهم عقيدة ثابتة، ولكن تجمعهم مصلحة. فأنت إذا استطعت أن تضبط المصالح لكل منهما، وتتعامل مع كل واحد على مصلحته، تستطيع أنك تفض اجتماع الكفار على المسلمين، لكن تحتاج لفقه، وسياسة شرعية، وحكمة، وقبل ذلك تحتاج لحسن تعامل مع الله، من أراد نصرة الدين حقًا، لا إدعاء بلا عمل، وهذه الحقيقة أيضًا لابد أن تستقر عند النشء، وعند من يتعلم، وعند من يمارس هذا الأمر، ومن يفكر، يعلم هذه الأصول، فهذه أصول مهمة جدًا، وضوابط لابد أن يستحضرها. لا تعلم الأمة بمن ينصر الله الأمة، قد تكونوا أنتم أهل للنصر، وغيركم أهل للنصر، لكن لابد أن نبرز هذه الفوائد، وهذه الأمور ليتعلمها الناس حتى عندما يأتي استعمال من الله عز وجل يعلمون الضوابط هذه، فهي من الأهمية بمكان.

4. هناك كلام أن اختيار النبي صلى الله عليه وسلم لـ (حذيفة) الظاهر منه أنه لم يكن اختيارًا هكذا، وهذه تبين لك بأن القائد لابد عندما يختار أحد لمهمة يختار من هو أهل لها، وإلا أنت ترى أن (حذيفة) بعد ذلك كان صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم، كأنه صاحب المهمات الخاصة، النبي صلى الله عليه وسلم ائتمنه على أسماء المنافقين، وأعلمه أمورًا خاصة، وهنا أيضًا هو الذي انتقاه وأخبره، وهذه تبين لك أيضًا أن لابد أن يراعي المربي، أو العالم، أو القائد، أنه عندما يرسل أحد لمهمة لابد أن يختار من هو أهل لها. وهذه مسألة من الأهمية بمكان أيضًا، وهي تبين لك أنك لابد أن تضع الشخص المناسب بقدراته وإمكانياته، المسألة ليست أهل الثقة فقط، لابد من الخبرة والعلم والإمكانيات، وإلا ضيعنا مسألة الثقات فقط، والقرابة أو غير ذلك! لا، المسألة هذا دين، هذا دين، لابد أن يُنتَقى فيه من هو أهل لهذه المسألة، في أي شيء كان، سواء في العلم، في الأعمال، في التجارة، في

كل مكان فيه خدمة للدين، المسألة ليست هكذا! أي واحد يفعل! لا، لابد أن يُنتَقى الشخص المناسب في المكان المناسب، أيًا كان مجاله الذي يفعله لخدمة هذا الدين، هذه من الأهمية بمكان أن يُنظَر إليها.

5. وفيها أن (حذيفة) رضي الله عنه عندما انتهى من المهمة –كما هو موجود الآن في الأعمال الدنيوية– عمل كشف حساب –كما يقال– رجع، وأبلغ، وبيّن، وأخبر المعلومة، وكل شيء، وأدى ما عليه، ثم بعد ذلك سَلَّم ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم.

فلما أصبح رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، غَدَا إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَدْ وَضَعَ النَّاسُ السلاح، فجاء جبريل عليه السلام إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَغْتَسِلُ فِي بَيْتِ أُمَّ سَلَمَةَ، فقال: "أَوَضَعْتُمُ السَّلَاحَ؟ أَمَّا نَحْنُ، فَلَمْ نَضَعْ أَسْلِحَتَنَا، انْهَد إِلَى هَؤُلَاءِ، – يعني: بَنِي قُرَيْظَةَ.

- وهنا طبعًا– سبحان الله– يبين لك كيف أن الملائكة كانت تقاتل مع النبي صلى الله عليه وسلم، و(جبريل) ومعه أسلحته والملائكة يقاتلون مع النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا طبعًا وحي من الله عز وجل، أمر من الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم أن يذهب إلى بني قريظة، وطبعًا هنا سيحاسبهم على ما فعلوه، لأنهم نقضوا العهد مع قريش وإلى غير ذلك. فهنا انظر النبي يغتسل، قال: **(أَوَضَعْتُمُ السَّلَاحَ؟ أَمَّا نَحْنُ، فَلَمْ نَضَعْ أَسْلِحَتَنَا)** مع أن الحرب انتهت للتو، فأراد أن يبين أنه مع وجود الجهد والتعب الشديد، شهر كامل، انتبه، حفر الخندق قلنا ستة أيام، ثم محاصرة شهر كامل من قريش بعد ذلك لهم، ومع ذلك يأتي (جبريل) يستنهض النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى بني قريظة.
- ومع انتهاء غزوة الأحزاب لم يصب المسلمون بضرر فيها، ولم يُقتَل منهم إلا عدد قليل؛ ثمانية أشخاص فقط الذين قتلوا.

ثم يدخل الآن في فصل أمر من الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن يذهبوا إلى بني قريظة، قال:

فصل: غَزوةَ بَنِي قُريظة

نذكر فيه :

غزوة بني قريظة

فنهض صلى الله عليه وسلم من وقته إليهم، وأمر المسلمين أن لا يصلي أَحَدٌ صلاة العصر – وقد كان دخل وقتها – إلا في بني قريظة.

فراح المسلمون أرسالاً، وكان منهم من صلَّى العصر في الطريق، وقالوا : لم يُرِد رسول الله تَركَ الصَّلاةِ، إِنَّمَا أراد تعجيل السير.

وكان منهم من لم يُصَلِّ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَوَصَلَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، ولم يُعَنِّفْ صلى الله عليه وسلم وَاحِداً مِنَ الْفَرِيقَيْنِ.

قال ابن حزم: وهؤلاء هم المصيبون، وأولئك مخطئون مأجورون، وعلم الله ، لو كنا هناك، لم نُصَلِّ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيظَةَ وَلَوْ بَعْدَ أَيَّامٍ.

قلت:

أما ابن حزم، فإنه معذور؛ لأنه من كبار الظَّاهِرِيَّةِ، ولا يمكنه العدول عن هذا النص، ولكن في ترجيح أحدِ هذين الفعلين على الآخر نظر، وذلك: أنه صلى الله عليه وسلم لم يُعَنِّفْ أَحَداً من الفريقين، فمن يقول بتصويب كُل مجتهد، فكل منهما مصيب، ولا ترجيح.

ومن يقول : بِأَنَّ المصيب واحد – وهو الحق الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، وَلَا مِرْيَةً ؛ لِدَلائِلَ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَثِيرَةٍ – فلا بُدَّ على قوله : من أَنَّ أَحد الفريقين له أَجْرَانِ بإصابة الحق. وللفريق الآخر أجر، فنقول وبالله التوفيق:

الذين صلوا العصر في وقتها حَازُوا قصب السبق؛ لأنهم امتثلوا أمره صلى الله عليه وسلم في الْمُبَادَرَةِ إلى الجهاد، وفعل الصَّلاةِ فِي وَقْتِهَا، ولا سيما صلاة العصر التي أَكَدَ اللهُ سُبْحَانَهُ المحافظة عليها في كتابه بقوله تعالى: {حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ} [البقرة:238]. وهي : العصر على الصحيح المقطوع به – إن شَاء اللَّهُ – مِنْ بِضْعَةَ عَشَرَ قَوْلاً ، والَّتي جاءت السُّنَّةُ بالمحافظة عليها.

فإن قيل: كان تأخيرُ الصَّلاةِ للجهاد حينئذ جائزاً، كما أنه أَخَّرَ صلى الله عليه وسلم العَصْرَ وَالْمَغْرِبَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ ، واشتغل بالجهاد، والظُّهْرَ أَيضاً كما جاء في حديث رواه النسائي من طريقين.

فالجواب: أنه بتقدير تسليم هذا، وأنه لم يتركها يومئذ نسياناً، فقد تأسف على ذلك؛ حيث يقول – لَمَّا قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا كِدْتُ أُصَلِّي الْعَصْرَ حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ تَغْرُبُ، فَقَالَ: "وَاللَّهِ! مَا صَلَّيْتُهَا".

وهذا: يُشعِرُ بِأَنَّهُ صلى الله عليه وسلم كَانَ نَاسِياً لَهَا؛ لِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الشَّغْلِ.

كما جاء في الصحيحين، عن عليّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ الأَحْزَابِ: "شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى صَلَاةِ الْعَصْرِ، مَلَأَ اللَّهُ قُبُورَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ نَاراً". والحاصل: أنَّ الذينَ صَلُّوا العصر في الطريق جمعوا بين الأدلة، وفهموا المَعْنَى فَلَهُمُ الأَجْرُ مَرَّتَيْنِ، والآخرون حافظوا على أمره الخاص، فَلَهُمُ الأجرُ رضي الله عنهم جَمِيعِهِمْ وَأَرْضَاهُمْ.

وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرَّايَةَ: عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه.

وَاسْتَخْلَفَ عَلَى المدينة: ابنَ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَنَازَلَ حُصُونَ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَحَصَرَهُمْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ سَيِّدُهُمْ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ ثَلَاثَ خِصَالٍ:

1 – إما أن يُسلموا ويدخلوا مع محمد في دينه.

2 – وإما أن يقتلوا ذراريَّهم، ويُخرجوا جرائد فيقاتلوا حتى يُقتَلوا عن آخرهم، أو يخلصوا، فيصيبوا بعض الأولاد والنساء.

3– وإما أن يهجموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يومَ سَبْتِ حين يأمن المسلمون شرهم.

فأبوا عليه واحدة منهن.

وكان قد دخل معهم في الحصن حُيَيُّ بن أخطب حين انصرفت قريش؛ لأنه كان أعطاهم عهداً بذلك حتى نقضوا العهد، وجعلوا يَسُبُّون رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويُسمعون أصحابه ذلك، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخاطبهم، فقال له عليّ رضي الله عنه: لا تَقْرَبْ مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ – خَشْيَةَ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُمْ شَيْئاً – فقالَ: "لَوْ قَدْ رَأَوْنِي، لَمْ يَقُولُوا شَيْئًا"، فَلَمَّا رَأَوْهُ، لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْهُمْ أَحَدٌ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ.

- هذه قلنا غزوة بني قريظة، وكانت بعد الأحزاب كما قلنا، وهذه الطائفة الثالثة من طوائف اليهود التي بالمدينة. لو تذكروا كنا قد تكلمنا على بنو قينقاع وبنو النضير، وكان بينهم عهد أيضًا مع النبي صلى الله عليه وسلم؛ بنو قينقاع بعد غزوة بدر النبي صلى الله عليه وسلم قاتلهم، وبنو النضير نقضوا العهد أيضًا في غزوة أحد فقاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد غزوة أحد.
- وهنا أيضًا بني قريظة نقضوا العهد في غزوة الأحزاب، فقاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك. وكانوا يهود بني قريظة حقيقة أكثر اليهود كفرًا وعنادًا وتكذيبًا، وكانوا أكثرهم بُغضًا

للنبي صلى الله عليه وسلم وبُغضًا للإسلام. ولذلك تجد حكم الشرع فيهم وما فعله النبي صلى الله عليه وسلم فيهم غير ما فعله مع بنو قينقاع وبنو النضير.

- بني قريظة قُتِّلوا؛ سبعمائة أو ستمائة من رجالهم قتلوا، حُفِر لهم الخنادق ووضعوا وقطعت رؤوسهم، وسُبِيَت النساء والذراري أيضًا.
- فقام النبي صلى الله عليه وسلم من الوقت الذي جاء له (جبريل) فيه أن يستنهضهم، واستنهض المسلمين، وأمرهم ألا يصلي أحد العصر إلا في بني قريظة. فاختلف الصحابة في الطريق خرج وقت صلاة العصر، والبعض قال لابد أن نصلي العصر على وقتها، والنبي صلى الله عليه وسلم ما أراد إلا أن يستحثنا على سرعة الوصول، فلما تضيع الصلاة صلوا، خشية أن تضيع صلاة العصر. والبعض يقول لا نصلي إلا في بني قريظة كما أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم.
- فمن لم يصلي حتى غربت الشمس أخذ بظاهر النص، وهذا الذي قاله (ابن حزم)، لذلك (ابن كثير) يبين أن (ابن حزم) ظاهري؛ إي لم يكن يرى إلا بظاهر النصوص، لا يقول بالقياس أصالة، ولا بالمفهوم أو غير ذلك. فهنا أخذ بظاهر النص، قالوا: ولو صلينا العصر بعد أيام حتى نصل لبني قريظة. وهذا كان ترجيح لـ (ابن حزم)، ورأى أن هؤلاء هم أهل الإصابة بالحق الذين صلوا العصر في بني قريظة حتى عندما خرج الوقت.
- ومنهم من صلى العصر في الطريق وقالوا إنما قصد النبي صلى الله عليه وسلم المسارعة فقط، وإنما العصر تُصلَّى فيه وقتها.
- وعندما وصلوا لبني قريظة والنبي صلى الله عليه وسلم علم، لم يعنف أحد من الطائفتين. و(ابن حزم) قال هؤلاء الذين أصابوا الذين صلوا في بني قريظة، والذين صلوا في الطريق أخطاؤا؛ خالفوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم.
- و(ابن كثير) يبين أن الذين أصابوا ليس كما قال (ابن حزم) الذين أصابوا على الترجيح– هو طبعًا يتكلم عن مسألة أصولية: هل كل مجتهد مصيب؟ الذي يقول كل مجتهد مصيب

سيجعل الإثنين أصابوا، لإن كل واحد اجتهد، الذي عنده آلة الاجتهاد واجتهد فهو مصيب، وبعضهم يقول كل مجتهد مصيب وهذا خطأ، لو كان يقصد كل واحد مجتهد مصيب الأجر واحد فنعم، لكن هناك من أصاب الحق فله أجران، ومن أخطأ في إصابة الحق فله أجر، مصيب في أجر الاجتهاد فقط. وهذا النوع الثاني الذي رجحه (ابن كثير)، ويقصد بأن المصيب لابد أن يكون واحدًا، أي لا نستطيع أن نقول أن الإثنين أصابوا، إلا أن يكون المسألة الخلاف فيها تنوع، وليس خلاف تضاد؛ تنوع أي عندما يأتيك أكثر من حديث مثلًا في صيغة دعاء الاستفتاح، فأنت تقول بصيغة، وغيرك يقول بصيغة، وأخر يقول بصيغة مثلًا، أو الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأكثر من صيغة، فهذا تنوع، هذا المقصود فيه ذكر الصيغ المختلفة أو الأذكار هنا لتأتي بها، وكلها فيها الأجور، ليست تضاد. وهذا لا يكون فيه إنكارًا، وكل من أتى بذكر فهو مصيب في ذلك.

- أما إن كانت المسألة الخلاف فيها خلاف تضاد بمعنى أن تصلي أو لا تصلي مثلًا، فهنا نعم الكلام يحتمل، الدلالة فيه محتملة، فكل واحد اجتهد في فهم الدلالة، فهنا لهم أجر إصابة لا يأثمون، كل واحد اجتهد في ذلك لأن النص يحتمل، ليس صريحًا، ولكن الذي أصاب الحق لابد أن يكون واحدًا، لأن الحق عند الله لا يتعدد. أو تقول أن الله أباح –على فرضية– أن يصلي في الطريق أو يصلي هناك، لكنه إشكال أنه عندك نص بأن الصلاة على وقتها. طبعًا هم الذين قالوا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصلي في غزوة الأحزاب الصلاة على وقتها، وهذا الذي قاله (ابن كثير) وإن كان (ابن كثير) لم يشير إلى أنه لم تكن قد شرعت صلاة الخوف وقتها، فبعد أن شرعت صلاة الخوف أصبح يجب عليك أن تصلي صلاة الخوف في المعركة ولا تؤخر الصلاة. فكان وقتها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: [شَغَلُونَا] فلم تكن شرعت صلاة الخوف والنبي صلى الله عليه وسلم في قتال، فخشي أنه يترك القتال أو يترك الأمر ويصلي فقد يُهجَم عليه، ولم يكن شرع له صلاة الخوف، فانتظر حتى يستطيع أن يأمن للصلاة، وهذه لم تكن فيها ترك للصلاة قاصدًا، هو هنا قال

(ناسيًا) والحق أنه يوجد نظر في مسألة "ناسيًا" هذه، لأنه قال: [شَغَلُونَا] إما شغلونا بالمعركة عن أننا نصلي ونسينا، وحقًا أن أرى أن فيها بُعد، أن النبي صلى الله عليه وسلم ينسى أن يصلي الظهر والعصر والمغرب، لأنه لم يصل الظهر والعصر والمغرب أيضًا، بعضهم قالوا أنه صلّى بعد العشاء. أو أنهم شُغِلُوا عن قدرتهم عن الصلاة ولم يكن يعلمون بصلاة الخوف، فحتى يصلوا لابد أن يصطفوا ويصلوا وهذا مُنِعوا منه فتأخرت الصلاة لذلك. ثم نسخ بعد ذلك بنزول صلاة الخوف أصالة، فأصبح لابد أن يصلي، وفيها حتى شدة الخوف في المقاتلة {فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ} [البقرة: 239]. فالشاهد المهم أنه لابد أن نبين أن المصيب الحق هو واحد، والذي اجتهد ولم يصب له الأجر وليس عليه الإثم في ذلك، وهذا ملخص ما قاله (ابن كثير) في هذه المسألة، وكأنه رجح **(أَنَّ الذينَ صَلُّوا العصر في الطريق جمعوا بين الأدلة)**، جمعوا: أي بادروا بالجهاد كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم وصلوا الصلاة على وقتها، لأن الصلاة على وقتها أيضًا فيها أمر، فجمعوا بين الأمرين، **(والآخرون حافظوا على أمره الخاص)** حافظوا على أمر النبي صلى الله عليه وسلم كما قال "الخاص" بأن يصلوا في بني قريظة، **(فَلَهُمُ الأجرُ رضي الله عنهم جَمِيعِهِمْ وَأَرْضَاهُمْ)**.

- ثم قال بعد ذلك: **(وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرَّايَةَ: عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه. وَاسْتَخْلَفَ عَلَى المدينة: ابنَ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَنَازَلَ حُصُونَ بَنِي قُرَيْظَةَ)** أعطى النبي صلى الله عليه وسلم الراية، وهي علم الجيش، لـ (عليّ بن أبي طالب)، واستخلف على المدينة (ابن أم مكتوم) ثم حاصر بني قريظة خمسة وعشرين ليلة كاملة، قريبة من مدة حصار قريش للنبي صلى الله عليه وسلم في الخندق أيضًا.
- **(وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ سَيِّدُهُمْ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ ثَلَاثَ خِصَالٍ: إما أن يُسلموا)** ويدخلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم، **(وإما أن يقتلوا ذراريَّهم)** أي يقتلوا النساء والصبيان حتى لا يؤسروا، أو يقاتلوا النبي صلى الله عليه وسلم فيقتلوا، فإما يُقتَلوا فيكونوا انتهوا كلهم، أو يفوزوا فقالوا يأتوا بعد ذلك بالنساء والصبيان ويرجعوا مرة أخرى، هذه الثانية، **(وإما أن يهجموا على رسول الله**

صلى الله عليه وسلم وأصحابه يومَ سَبْتِ) الذي يظن فيه النبي صلى الله عليه وسلم أنه يوم عيد، وكان اليهود لا يفعلون شيئًا يوم السبت.

- **(فأبوا عليه واحدة منهن)** أي رفضوا الثلاث اقتراحات وظلوا في الحصن.
- قال: **(وكان قد دخل معهم في الحصن حُيَيُّ بن أخطب)** تذكرونه؟ الذي جاء ليقنع (كعب بن أسد) حتى ينقض العهد مع النبي صلى الله عليه وسلم، وكان (حُيَيٌّ) هذا أصلًا من بني النضير، ولما أراد أن ينتقم لما حدث في بني النضير، فألب قريش على النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الأحزاب، فهو كان قد عاهدهم على أن يظل معهم في الحصن، فدخل في الحصن معهم، حتى قال: **(حتى نقضوا العهد، وجعلوا يَسُبُّون رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويُسمعون أصحابه ذلك)** فالنبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يخاطبهم، ف (عليّ بن أبي طالب) خشي أن يسمع النبي صلى الله عليه وسلم كلامًا لا يليق، فقال ابتعد يا رسول الله أفضل، فقال: [لَوْ قَدْ رَأَوْنِي، لَمْ يَقُولُوا شَيْئًا]، هذه هيبة للنبي صلى الله عليه وسلم، نُصِر بالرعب كما قال: [نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ]، فلما رأوه لم يستطع منهم أحد أن يتكلم بشيء.

ثُمَّ بعثَ صلى الله عليه وسلم إِلَيْهِمْ أَبَا لُبَابَةَ بِنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ الْأَوْسِيَّ – وكانوا حُلَفَاءَ الأوس–، فلما رأوه، قاموا في وجهه يبكونَ: رِجَالُهُم وَنِسَاؤُهُم، وقالوا: يَا أَبَا لُبَابَةَ! كيفَ تَرى لنا؟ أَنَنْزِل عَلَى حُكْم مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ، – يعني: أَنَّهُ الذَّبْحُ – ، ثُمَّ نَدِمَ على هذه الكلمة من وقته، فقام مسرعاً، فلم يرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاء مسجد المدينة، فَرَبَطَ نَفْسَهُ بِسَارِيَةِ المسجدِ، وَحَلَفَ لَا يَحُلُّهُ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِيَدِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ أَرْضَ بَنِي قُرَيْظَةَ أَبَداً، فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ذلك، قال: "دَعُوهُ حَتَّى يَتُوبَ اللهُ عَلَيْهِ".

وكان من أمره مَا كَانَ حَتَّى تاب الله عليه رضي الله عنه.

- **(ثُمَّ بعثَ صلى الله عليه وسلم إِلَيْهِمْ أَبَا لُبَابَةَ بِنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ الْأَوْسِيَّ – وكانوا حُلَفَاءَ الأوس)** حلفاء الأوس هم بنو قريظة، **(فلما رأوه، قاموا في وجهه يبكونَ: رِجَالُهُم وَنِسَاؤُهُم، وقالوا: يَا أَبَا لُبَابَةَ! كيفَ تَرى لنا؟ أَنَنْزِل عَلَى حُكْم مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ)** وهذا إشكال، **(يعني: أَنَّهُ الذَّبْحُ)** كأنه يقول لهم: لكم الذبح لو نزلتم على حكم النبي صلى الله عليه وسلم.
- **(أبو لبابة بن عبد المنذر الأوسي الأنصاري)** يهود بني قريظة كانوا حلفاء الأوس، ويهود بني النضير كانوا حلفاء الخزرج قبل الإسلام حتى أصالة.
- فلما النبي صلى الله عليه وسلم أرسله إليهم رأوه وظلوا يبكون أمامه، **(قالوا: يَا أَبَا لُبَابَةَ! كيفَ تَرى لنا؟)** أي ما الذي تراه، إلى أين سيصل بنا الأمر؟ فهم يستعطفونه ويسألونه كيف سيفعل بنا محمد صلى الله عليه وسلم؟ **(أَنَنْزِل عَلَى حُكْم مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ، – يعني: أَنَّهُ الذَّبْحُ)**. وفي رواية أنه رفع صوته: "أنزلوا على حكم النبي صلى الله عليه وسلم"، لكن إشارته إلى الحلق هذه تنبيه لهم أن الحكم سيكون الذبح.
- فهنا هو ندم لأنه شعر أنه قد أباح شيئًا لا يحل له، كأنه كشف ما سيكون، فعلم بأنه وقع في أمر منكرًا وتأسف على ذلك، فذهب ربط نفسه بسارية المسجد حتى ينظر النبي صلى الله عليه وسلم فيه. طبعًا هو لا شك أنه صحابي كريم رضي الله عنه وغفر الله له وقد تاب الله عز وجل عليه أيضًا. فحتى أنه كان يأتي بعض أهله فقط يحل له الرباط ليقضي الحاجة فقط ثم يرجع مرة أخرى، أو يفكوه ليقضي الصلاة– يصلي الفريضة–، ثم يرجع مرة أخرى أيضًا.
- ثم حلف ألا يدخل هذا المكان الذي وقع فيه بالخطأ، وهذه تدل على أن المرء إذا فعل معصية في مكان ما على أنه لا يرجع إلى هذا المكان أفضل، كما فعل الرجل قاتل المائة نفس، لما نصحه العالم قال أخرج من أرض هذه القوم واذهب إلى أرض فلان فإنهم يعبدون الله، البيئة مؤثرة، والمكان مؤثر، فالمرء إذا شعر بأن هذا المكان يؤثر عليه فعليه أن يتركه

ولا يرجع إليه يذكره بأمور قد وقع فيها في المنكر أو غير ذلك. والتوبة من الخطأ ألا تعود إلى مكانه إن كان مؤثرًا، وقد يفتنك في ذلك.

- **(فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ذلك، قال: "دَعُوهُ حَتَّى يَتُوبَ اللهُ عَلَيْهِ")**، وحتى يوجد سارية يسمونها هناك "سارية التوبة"، وهذه خطأ، والله أعلم هذه السارية هل هي السارية أم لا؟ لكن هي ليست بصائبة أن تسمى ذلك، لأن لم يأت في الشرع أن تخصص مكان معين للتوبة أو للطاعة أو غير ذلك، لكن البعض كان يطلق عليها ذلك، لكن ليس له عندنا أصل في ذلك، والمفروض أنه لا يروج لذلك أيضًا.

ثُمَّ إِنَّ بني قريظة نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَأَسْلَمَ لَيْلَتَئِذٍ: ثَعْلَبَة وَأُسَيْدٌ ابنَا سَعِيَّةَ، وَأَسَدُ بنُ عُبَيْدٍ، وَهُمْ : نَفَرٌ مِنْ بَنِي هَدْلٍ مِنْ بَنِي عَمِّ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ.

وخرج في تلكَ اللَّيْلَةِ: عَمْرُو بنُ سُعْدَى الْقُرَظِي، فانطلق، فَلَمْ يُعْلَمْ أين ذهب، وكان قد أبي الدخولَ مَعَهُم فِي نَقْضِ العَهْدِ.

- هنا بعضهم أسلم كما ذكر الأسماء هذه، **(ولما نزلوا على حكمه صلى الله عليه وسلم، قالت الأوس: يا رسول الله! قد فعلت في بَنِي قَيْنُقَاعَ مَا قَد علمت، وهم حِلفُ إخوتنا الخزرج، وهؤلاء موالينا)**، كان (عبد الله بن أبي بن سلول) ألح على النبي صلى الله عليه وسلم في بني قينقاع أن يقبل الشفاعة ويجليهم من المدينة، وقد حدث؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم أجلاهم من المدينة دون أن يقتلوا، وما أخذوا معهم إلا فقط الطعام والشراب، تركوا السلاح، وغير ذلك.
- فالأوس طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يفعل مع بني قريظة مثلما فعل مع بني قينقاع، فبني قينقاع كانوا حلفاء الخزرج، وهؤلاء حلفاء الأوس، فجاء الأوس كأنهم يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم أن يعامل حلفائهم كما عامل حلفاء الخزرج حين شفع فيهم (عبد الله بن أبي بن سلول) والنبي صلى الله عليه وسلم أخرجهم وأجلاهم فقط.

- قال: **(وهؤلاء موالينا)** أي بني قريظة موالينا، **(فقال:**"**أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ؟**"، **قالوا: بَلَى، قَالَ:** "**فَذَاكَ إِلَى سَعْدِ بنِ مُعَاذ**"**)**. و(سعد) كان كبير الأوس، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال: يحكم فيها سعد، ترضون؟ قالوا: بلى.
- **(وكان سعدٌ – إِذْ ذَاكَ – قَدْ أَصابَهُ جُرح في أَكْحَلِهِ)** فجُرِح فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد ونصب له خيمة، وكان يسأل عنه ويداويه بنفسه صلى الله عليه وسلم، وقد اكتوى جرحه؛ أي اكتوه؛ بالكي حتى يقف الدم، وكان يخرج دماء كثيرة جدًا. والأكحل هو عرق وسط الذراع، وليس الكاحل الذي في القدم، لا، عرق في وسط الذراع، وهو عرق قاتل عندما لا يقف الدم ممكن أن يؤدي إلى الوفاة، وهذا الذي قد حدث، انفجر بعد ذلك بدعائه رضي الله عنه.
- **(وقد ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيمة في المسجد؛ ليعوده من قريب)** وانظر لتعامل النبي صلى الله عليه وسلم معه، يكفيك تعلم أن عند موت (سعد بن معاذ) اهتز له عرش الرحمن بقدومه، وهذه منقبة من مناقب (سعد) رضي الله عنه وأرضاه. فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يراعيه في ذلك.
- **(فبعث إليه صلى الله عليه وسلم، فجيء به وقد وطَّؤوا له على حمار)** أي جيء به، وضعوا له مكانا سهلًا وطيئًا، أي مريح، لأنه مصاب، حتى عندما دخل عليه قال: [قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ]، فأجلسوه. وكان (سعد بن معاذ) **(وإخوته من الأوسِ حَوْلَهُ محيطون به)** أي كأنهم يستعطفونه في الحكم، فهو الذي سيحكم.
- **(وهم يقولون : يَا أَبَا عَمْرُو! أَحْسِنْ فِي مَوَالِيكَ، فلما أكثروا عليه، قال: قَدْ آنَ لِسَعْدٍ أَنْ لَا تَأْخُذَهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لَآئِمٍ !! فرجع رجال من قومه إلى بني عبد الأشهل، فنعوا إليهم بني قريظة)** فهم لما سمعوا (سعد) يقول ذلك عرفوا أنه سيحكم عليهم بالقتل.
- **(فلما دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال :** "**قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ**"**)** وهنا المقصود طبعًا جواز قول السيد، أو القيام له من باب الترحيب به والتكريم له وغير ذلك، هذا جائز

عمومًا، و(سيدكم) هو كان كبيرهم، وهذا يدل على جواز القول لأحد من المخلوقين أنه "سيد القوم"، لكن هذه سيادة مقيدة، وليست سيادة مطلقة، لأن السيد على الإطلاق هو الله عز وجل، لكن السيادة المقيدة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: [أنا سَيِّدُ ولَدِ آدَمَ].

- وهنا قال: (قوموا لسيدكم)، فقاموا إليه وساعدوه وأجلسوه، وقلنا هذا ليس قيامًا للتعظيم، بل هذا قيامًا للإكرام والمساعدة والترحيب ولقدره والمعاونة.
- **(فقام إليه المسلمون، فقالوا: يا سعد! قَدْ وَلاَّكَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الْحُكْمَ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ: أَنَّ الْحُكْمَ فِيهِمْ كَمَا حَكَمْتُ)**، أي سينصف ويعدل، ولا يجور في الحكم على أحد.
- انظر ماذا فعل، **(قَالُوا: نَعَمْ)** انظر هو كان يتكلم ناحية اليهود والأوس، وكانت الناحية الثانية النبي صلى الله عليه وسلم، فهو انظر لكيفية أخلاق الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم، هو نبه عليهم أنا سأحكم فيكم بحكم الله، سترضون؟ قالوا: نعم. ويريد أن يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم وما يستطيع أن ينظر إليه وهو النبي صلى الله عليه وسلم، فطأطأ كأنه لم يجعل رأسه كاملة للنبي صلى الله عليه وسلم لكن قال بعد ذلك: **(وَعَلَى مَنْ هَاهُنَا؟)** أي هل من هاهنا سيرضون؟ ويقصد بمن؟ النبي صلى الله عليه وسلم.
- **(وَأَشَارَ إِلَى النَّاحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وَهُوَ مُعْرِضُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالاً لَهُ، فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : "نَعَمْ"، فقال سعدٌ: إِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ يُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُم، وَتُسْبَى ذَرَارِيهِم)** تقتل المقاتِلة؛ وهم الرجال، أهل القتال، كل من بلغ، فهم كانوا يأتون بالصبيان ويكشفون عن العانة، لو وجدوا الشعر قد أنبت، ألحقوهم بالرجال وقتلوهم، ولو وجدوا أنه لم يبلغ فكانوا يلحقونه بالنساء والذراري ولا يُقتَل. فحكم (سعد) بأن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم.
- **(فَقَالَ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم)** لمّا حكم (سعد) بهذا الحكم [لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ] انظر، النبي صلى الله عليه وسلم يقول: [هذا كان حكم الله قدرًا، كونًا وشرعًا] كونًا الله

عز وجل قدَّر أنه سيكون ذلك، وكان شرعًا هو ما يريده الله عز وجل. فوافق (سعد) في ذلك، قال: [لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ]. وهذا كأنه ما أحد يستطيع هنا من أصحاب (سعد) حتى الذين يريدون أن يرأفوا بالموالي أن يتكلموا مع (سعد) لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (هذا حكم الله)، فهنا لابد من السمع والطاعة حقيقة.

- وكانت قريظة أشد اليهود عنادًا وكفرًا وتكذيبًا وعداء للنبي صلى الله عليه وسلم وللصحابة، لذلك جرى عليهم ما لم يجري على باقي اليهود؛ بني قينقاع، وبني النضير. وحتى كانوا المقاتِلة منهم أشد جرما في قتالهم وتربصهم بالمسلمين.
- وهذا أيضًا من النصر الذي قال تعالى في الآيات: {وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ} [الأحزاب: 25] وقال النبي صلى الله عليه وسلم في رواية أخرى: [لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ] لما قال (سعد) ذلك؛ أي من فوق سبع سماوات، وطبعًا هذا فيه دلالة على علو الله عز وجل.
- **(فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنْ يُقْتَلَ مَنْ أَنْبَتَ مِنْهُمْ)**، وقلنا ذلك، كانوا ينظرون من نبت له شعر العانة هذا علامة البلوغ. وهذه طبعًا دلالة على أن الشعر من علامات البلوغ.
- قال: **(وَمَنْ لَمْ يَكُنْ أَنْبَتَ، تُرِكَ)**. لذلك أحدهم وكان صبيًا وأسلم وهو (عمير عطية القرظي) من بني قريظة، يروي عند أبي داود في السنن قال: [عُرِضْنا على النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يومَ قُرَيظةَ، فكانَ مَن أنبَتَ قُتِلَ، ومَن لم يُنبِتْ، خُلِّيَ سَبيلُهُ، فكُنتُ فيمَن لم يُنبِتْ، فخُلِّيَ سَبيلي]، وكتب الله له الإسلام بعد ذلك.
- **(فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ فِي خَنَادِقَ حُفِرَتْ فِي سُوقِ المَدِينَةِ اليَوْمَ، وكانوا مَا بَيْنَ السِّتِّ مِئَةٍ إِلَى السَّبْعِ مِئَةٍ. وقيل: مَا بَيْنَ السَّبْعِ مِئَةٍ إِلَى الثَّمَانِ مِئَةٍ)**. والله هذا حكم عظيم– سبحان الله– هذا حكم الله عز وجل، أنت لو تطبق هذا الحكم الآن؛ تحفر الخنادق وتأتي بالمقاتلة منهم، ماذا سيقولون لك؟ لكن هذا دين، هذا حكم الله عز وجل، الآن أنظر، هم أكفر أهل الأرض

وقتها، وأشد الناس، وسبع مئة إلى ثمان مئة، أبادهم، قتلهم، هم يستحقون، لأن هذا حكم الله عز وجل، فضُرِبَت أعناقهم، وهذا حكم عدل لا ظلم فيه ولا جور، وهذا الذي يستحقونه.

- قال: **(وَلَمْ يَقْتُلْ مِنَ النِّسَاء أحدًا سوى امرأة واحدة، وهي بنانَةُ امْرَأَةُ الْحَكَمِ القُرَظِيَّ؛ لَأَنَّهَا كَانَتْ طَرَحَت عَلَى رأس خَلاَّدِ بنِ سُوَيْدٍ رَحَى، فَقَتَلَتْهُ)** فهي قتلته، طرحت عليه رحى؛ كحجر كبير، فقتلته، فاقتُص منها، فقُتِلَت. وهي المرأة الوحيدة التي قُتِلت.
- قال: **(وَقَسَّمَ أَمْوَالَ بَنِي قُرَيْظَةَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، لِلرَّاجِلِ سَهْمُ، وَلِلْفَارِسِ ثَلَاثَةُ أَسْهُم، وَكَانَ فِي الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ فَارِساً)**. الراجل هو المشاة؛ أي الذي يقاتل على رجله، الراجل هو الذي ليس عنده فرس، فللراجل سهم، وللفارس ثلاثة أسهم.

ولما فرغ منهم: استجاب الله دعوة العبدِ الصَّالِحِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وذلك: أنه لما أصابه الجرح، قال: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا، فَأَبْقِنِي لَهَا، وَإِنْ كُنْتَ رَفَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَافْجُرْهَا، وَلَا تُمِتنِي حَتَّى تَشْفِينِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ.

وكان صلى الله عليه وسلم قد حَسَم جُرْحَهُ، فانفجر عليهِ، فَمَاتَ منه رضي الله عنه،

وَشَيَّعَهُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم والمسلمون، وهوَ الَّذِي اهْتَزَّ لَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ فَرَحاً بقدومِ رُوحِهِ رضي الله عنه وَأَرْضَاهُ.

وَقَدِ استشهد يوم الخندق، وَيومَ قُرَيْظَةَ نَحْوُ الْعَشَرَةِ رضي الله عنهم جميعًا. آمين

- هنا بعد أن انتهى من ذلك، كان قد دعا دعاء عجيب، **(استجاب الله دعوة العبدِ الصَّالِحِ)** كأنه هو أراد أن يبقيه الله إذا كان ما زال هناك قتالًا في قريش، يبقيه الله عز وجل ما يميته، وقال إن كان ليس هناك قتال فأمتني، كأنه أراد أن تكون له شهادة في ذلك، أو يرجو العمل الصالح الذي قام به في هذا الوقت، فانفجر العرق بعد ذلك، مع أن النبي كان قد حسمه، أي كواه له، لكن انفجر بعد ذلك، لأن الله استجاب لدعاءه. وهذه إشارة على أنه لن يكون

هناك قتال مع قريش مرة أخرى بعد ذلك كأنه استجاب لذلك، لأنه قال: **(اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا، فَأَبْقِنِي لَهَا، وَإِنْ كُنْتَ رَفَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَافْجُرْهَا)** هذه دلالة على أن المرء يجوز أن يدعو بذلك، لا حرج في هذا الدعاء.

- ثم يبين قدر ومناقب (سعد) أن اهتز عرش الرحمن فرحًا بقدوم (سعد) وروح (سعد) له. وهذا إثبات أن العرش مخلوق من مخلوقات الله، لكنه مخلوق من مخلوقات الله العظيمة وهو أكبر مخلوقات الله عز وجل. والله قد وصف العرش بأكثر من وصف؛ العرش العظيم، والعرش الكريم، والعرش المجيد أي فيه السعة، ولكنه من مخلوقات الله عز وجل. وأيضًا كما جاء في حديث (أبي ذر) لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكرسي، فقال: (ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد أُلقيت في فلاة) أي قطعة حديد، وقال تعالى: {وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ} [البقرة: 255]. وفيه دلالة على أن أرواح الشهداء تُرفع في عليين أيضًا، لأن السماوات كأنها تستقبل ذلك. وهناك أدلة أخرى طبعًا.
- **(وَقَدِ استشهد يوم الخندق، وَيَومَ قُرَيْظَةَ نَحْوُ الْعَشَرَةِ رضي الله عنهم جميعًا. آمين)**، هو الإشكال هنا أن (ابن كثير) كأنه جعله من الشهداء، لكن المتعارف عليه عند الفقهاء أن الشهيد هو الذي يموت في المعركة، و(سعد) عاش بعد ذلك، وعاش وحكم ورجع، فلعلها فيها نظر عند البعض، لأن الأصل أن الشهادة أن يُقتَل في المعركة، ولو جُرِح وقُتِل بعد المعركة فلا يكون له شهادة المعركة. لكن هنا الكلام على أن (سعد) أُلحِق بهؤلاء، ولعله أخذ الحكم هذا لمنقبته من اهتزاز عرش الرحمن، لكن الأصل أن الشهيد حتى يكون شهيدًا أن يُقتَل في المعركة، وإلا يكون فيها دليل على أنه لو كان قتاله حتى قُتِل بسبب الجرح في المعركة يأخذ الحكم، ولكن المستقر والله أعلم أن هذا ليس كذلك في حق الشهيد.
- ونقف عند فصل: (قتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق)، وانتهت غزوة الخندق وغزوة بني قريظة أيضًا.

بعض الفوائد:

1-وجوب المبادرة في طاعة النبي صلى الله عليه وسلم، أو طاعة الأمير أو القائد، وذلك عندما أمرهم أن يصلوا العصر في بني قريظة أو المسارعة في ذلك.

2-إذا اجتهد أحد وأخطأ فلا يترتب عليه الإثم ما دام كان عنده آلة الاجتهاد، ولا يعنفه حتى المربي أو القائد أو غير ذلك، لأنه لم يعنفهم النبي صلى الله عليه وسلم.

3-من السنة أنك إذا كنت في مكان وتعلم أنه قد يُسمَع من هذا المكان كلام لا يكون جيدًا، ومعك أحد من أهل الفضل، أهل الصلاح، أهل العلم، الكبار، ممكن تقول النساء أيضًا، كما فعل (عليّ بن أبي طالب) لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم: لا تقترب حتى لا تسمع ما لا يكون، فهذه أيضًا تبين لك بأنك لابد أن يكون عندك هذا الفقه إذا كنت في مكان، أو معك أحد، أو رأيت المكان هذا ينتشر فيه كلام سيء أو بذيء أو غير ذلك، فعليك ألا تُعَرِّض من معك أن يسمعوا ذلك.

4- بيان أن اليهود عندما يروجون لأنفسهم فقط بأنهم أصحاب القوة، وأصحاب كل شيء، انظر لما رأوا (أبو لبابة) فقط انهاروا في البكاء وفي العويل، يستصرخون ويتمسكون به، وهذا دأبهم، يصورون أنفسهم ضحايا أحيانًا أمام الناس لينالوا ما يريدون، وهم أصلًا أهل الظلم، والبغي، وهذه من خططهم، ولابد أيضًا أن يُغرَس في قلوب الناس حال هؤلاء وطريقتهم حتى يأمنوا ولا يقعوا فيما يدلسون به على الناس.

5-جواز المرء أن يخطئ؛ (أبو لبابة) رضي الله عنه قد أخطأ، وصرح بأمر لا يحل له أن يقوله، وهذا لا يمنع بأنه لو كان حتى من خير الناس، من أفاضل الناس، أن يقع في الخطأ، فلا أحد معصوم في ذلك، ولكن عليه المبادرة بالعفو والتوبة إلى الله عز وجل.

6-إذا علم المرء أنه ممكن أن يتعرض إلى الفتنة في مكان ما، فعليه ألا يذهب إلى هذا المكان ويدخل فيه حتى لا يفتن.

7-المسارعة إلى التوبة عند وقوع المعصية كما فعل (أبو لبابة).

8-اهتمام المرء بما يراه من إخوانه أو كبراءه أو علمائه إذا مرضوا أو شيء، فيتعاهدهم كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعاهدهم في ذلك أيضًا.

9-إكرام أهل الفضل وأهل العلم، فالنبي صلى الله عليه وسلم انظر ماذا قال لهم: [قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ] يتعاهدوه، وهكذا المفروض يتعامل الناس مع أهل الفضل والصلاح، وأهل العلم، وأهل الخير، أن يكرمونهم ويقضون حوائجهم، ويقدرونهم ويحترمونهم.

10-إجلال النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه في حياته وبعد موته صلى الله عليه وسلم. أنظر إلى (سعد) قال: (وَعَلَى مَنْ هَاهُنَا؟) ما أراد أن يصرح وما استطاع إجلالًا، وهذا دأب الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم، وخُلقهم. وهذا لابد أن يكون أيضًا معنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته، في اتباع هديه، والذب عنه، ولا أحد يتكلم عنه، ولا نقبل ذلك، إلى غير ذلك من الأمور.

11-بيان منزلة النساء، مع أنها كافرة، فاليهوديات كافرات، ومع ذلك الشرع لم يأت بقتلهم، قتل الرجال وحافظ على النساء والذراري. وهذه تبين لك أن الشريعة فيها العدل كله، فالمرأة لا تقاتِل إذًا لا تُقتَل، لكن لما قتلت (خلاد بن سويد) قُتِلَت قصاصًا، ولما لم تفعل شيء، جاء الشرع بألا يتعرض لها.

هذا أخر الكلام،،

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

المحاضرة السابعة عشرة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ..

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا، يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا

أما بعد،، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد،،على موعد مع مجلس جديد من مجالس السيرة، والقراءة في كتاب (الفصول في سيرة الرسول) للحافظ ابن كثير–عليه رحمة الله تعالى. وقفنا عند فصل **(قَتْلِ أَبِي رَافِعٍ سَلَامِ بنِ أَبِي الْحُقَيْقِ)**؛ قال:

فصل: قَتْلِ أَبِي رَافِعٍ سَلَامِ بنِ أَبِي الْحُقَيْقِ

وَلَمَّا قَتَلَ اللهُ – وَلَهُ الْحَمدُ – كَعْبَ بنَ الأَشْرَفِ عَلَى يد رجال من الأوس – كما قدمنا ذكره بعد وقعة بدرٍ –، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ سَلَامُ بْنُ أَبِي الحُقَيْقِ مِمَّنْ أَلَّبَ الأحزاب على رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، ولم يقتل مع بني قريظة كما قُتل صاحبهُ حُيَيُّ بنُ أَخْطَب، رَغِبَتِ الْخَزْرَجُ فِي قَتْلِهِ طَلَبَا لِمُسَاوَاةِ الْأَوْسِ فِي الْأَجْرِ.

وكَانَ اللهُ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ هَذَيْنِ الحَيَّيْنِ يَتَصَاوَلَانِ بَيْنَ يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخيرات، فاستأذنوا رسول الله في قتله، فأذن لهم، فاشتدت له رِجَالٌ: كلُّهُم مِن بَنِي سَلِمَةَ،

وَهُم:

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكَ، وَهُوَ أَمِيرُ القومِ بأمره صلى الله عليه وسلم.

وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُنيس.

وَأَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثُ بنُ رِبْعِي.

وَمَسْعُودُ بنُ سِنَانٍ.

وَخُزَاعِيُّ بنُ أَسْوَد، حليف لهم.

فنهضوا حتى أتوه في خيبر في دار له جامعة، فنزلوا عليه ليلاً فقتلوه، ورجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كلهم ادعى قتله، فقال: [أَرُونِي أَسْيَافَكُمْ] فلما أَرَوْهُ، قال لِسَيْفِ عبد الله بن أنيس: [هَذَا قَتَلَهُ، أَرَى فِيهِ أَثَرَ الطَّعَامِ].

وكَانَ عبدُ اللهِ بْنُ أُنَيْسٍ قَدِ اتَّكَأَ عَلَيْهِ بِالسَّيْفِ حَتَّى سَمِعَ صَوْتَ عَظْمِ ظَهْرِهِ، وَعَدُوُّ اللَّهِ يَقُولُ: قَطْنِي قَطْنِي ، يَقُولُ: حَسْبِي.

- هذا قتل (أبي رافع سلام بن أبي الحقيق)، عقده الإمام (ابن كثير) هذا الفصل في قتل (أبي رافع)، وقلنا –كما قال– أنه قُتِل لو تذكروا (كعب بن الأشرف) على يد رجال من الأوس، والتنافس بين الأوس والخزرج قبل الإسلام وبعد الإسلام، فبعد الإسلام تنافسوا في الخير. فلما قتل رجال من الأوس (كعب بن الأشرف) أراد الخزرج أن يقتلوا أيضًا (أبي رافع سلام بن أبي الحقيق)، وكان مع بني قريظة، لكنه لم يُقتَل مع بني قريظة. فأراد الخزرج أن ينافسوا

الأوس في نصرة دين الله عز وجل، ويتسابقوا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، كله يريد أن يحقق أمرًا فيه خير يتقرب به إلى الله، ويسعدون به النبي صلى الله عليه وسلم.

- فأراد الخزرج أن يقتلوا (أبي رافع سلام بن أبي الحقيق)، فجاءوا يستشيرون النبي ويستأذنوه في ذلك، فأذن لهم النبي صلى الله عليه وسلم.
- طبعًا (أبو رافع) –لو تذكروا في المحاضرات السابقة– هو رأس من رؤوس اليهود، وكان تاجر ومعلوم مشهور في أرض الحجاز، وهو الذي ألب الأحزاب على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وذهب إلى قريش وغطفان وألبهم على قتال النبي صلى الله عليه وسلم، حتى يستحثم ويرغبهم في قتال النبي صلى الله عليه وسلم ويجتمعون لذلك.
- فكان (أبو رافع) أصل من الذين جمعوا الأحزاب على النبي صلى الله عليه وسلم، وقالوا لم يُقتل مع بني قريظة كما قُتِل صاحبه (حُيي بن أخطب). لو تذكروا(حُيي بن أخطب) ذهب لرئيس بني قريظة وجعله ينقض العهد مع النبي صلى الله عليه وسلم، وكان متردد حتى ألح عليه، ثم قال له: لو حوصرنا ستدخل معنا، اشترط عليه ذلك. لكن (أبو رافع) لم يدخل معه. فلما انتهت الأحزاب رجع إلى مكانه في حصن في خيبر ولم يدخل معهم.
- وكان يظن أن حصنه مانع كما قال الله عز وجل: {مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم} [الحشر:2] كما يظن اليهود دائمًا. لذا حتى في يومنا هذا تجدهم يتحصنون في كل شيء، يعملوا مجمعات حتى يتحصنون، داخل الدبابات، {لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ} [الحشر:14] كما قال الله عز وجل عنهم ذلك. فأراد أن يتحصن.
- فلما (**رَغِبَتِ الْخَزْرَجُ فِي قَتْلِهِ طَلَبًا لِمُسَاوَاةِ الْأَوْسِ فِي الْأَجْرِ**) استأذنا النبي صلى الله عليه وسلم، فانتدب لهم رجال ذكرنا أسماءهم؛ (**عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكَ، وَهُوَ أَمِيرُ القومِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُنيس، وَأَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثُ بنُ رِبْعِي، وَمَسْعُودُ بنُ سِنَانٍ، وَخُزَاعِيُّ بنُ أَسْوَد**). القصة التي معنا هنا قال إن (عبد الله بن عتيك) أمير القوم، وأن الذي قتله (عبد الله بن أنيس). عند البخاري في الصحيح ذكر القصة، لكن ذكر أن (عبد الله بن عتيك) هو الذي قتل

Kوهو الذي تدخل وتسلل إلى البيت، فانتظر، حتى كان عنده أضياف فانصرفوا، فدخل عليه الغرفة والدنيا مظلمة، فقال: أبو رافع؟ قال: نعم، فاتجه إلى حيث الصوت وضربه ضربة لم تصبه؛ أي ضَرَبَهُ ضربة أصيب فقط لكن لم يمت، فرجع، خرج (عبد الله بن عتيك) ثم دخل وقد غيَّر صوته –كأنه واحد جديد–، فيقول له: مالك يا أبا رافع؟ فيقول: ما الذي جرى لك؟ أما رأيت لا أم لك؟ أي ألا ترى ما أنا فيه؟ فهو يظنه واحد ثاني. فلما سمع ووصل إليه (عبد الله)، اتجه نحو الصوت مرة أخرى فضربه ضربة وقتله، حتى اتكأ بسيفه على ظهره حتى سمع صوت العظم. وكان وصل للبطن فأتى بشيء من الطعام، لذلك النبي صلى الله عليه عندما رأى السيف عليه طعام قال: أنت قتلته، لأنه وصل إلى الطعام الذي كان في بطنه، فكانت هذه الضربة التي قتلته. لكن عندما أراد أن يخرج ما انتبه إلى العتبة الموجودة، أي ظن أن هناك سِلِّمَة، فوضع رجله ولم تكن هناك فهوى، فوقع فكُسِرت قدماه، رضي الله عنه، لفها بشيء كانت معه، وانطلق إلى أصحابه بعد ذلك، وقال: انطلقوا وبشروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموته. هو قال لا أتحرك حتى أسمع نعيه بأذنيّ. كان دائمًا عندما يموت أحد لهؤلاء، ينعي الناعي بصوت عال: فلان قد قُتِل. كانوا ينعون الميت بصوت عالي، اليهود وغيرهم أيضًا. فلما أصبحوا صاحوا بنعيه، فلما سمع النعي رجع؛ ظل موجودًا متخفيًا حتى تأكد من سماع النعي، لكن أرسل أصحابه يبشرون النبي صلى الله عليه وسلم، فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبشره بموته.

- وهنا أصبح كأن الخزرج ساوت الأوس في قتل عدو من أعداء الله، وأحد من كبار اليهود الأول الأوس (كعب بن الأشرف)، وهؤلاء (أبو رافع سلام بن أبي الحقيق).
- **وانتبه لمسألة:** أن الأول والثاني اجتمعوا في صفة أنهم كانوا من أشد أعداء النبي صلى الله عليه وسلم، وألد الأعداء، وكانوا ينتقصون من النبي صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء قتلوا ليس في معركة، بل عملية اغتيال كما تسمى الآن، أي عملية نوعية. أُرسِل لهم أُناس في أماكنهم فقتلوه. هنا، الأمر هذا لم يتم إلا بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم، هذه ضوابط شرعية

مهمة جدًا. فهو نقض العهد، لكن قبل أن يفعلوا شيئًا ذهبوا يستأذنوا من النبي صلى الله عليه وسلم. وهذه تبين لك أن هذه الأمور لابد لها من الرجوع إلى أمر الإمام، يقدر المصلحة والمفسدة، يُفعَل أم لا يُفعَل، وكيف يُفعَل؟ لأن البعض قال ما الذي منع النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤتى بالرجل ويُقتَل؟ فهنا قالوا لا، الإتيان به يقلب اليهود ويكون هناك تلاحم ومعركة، فالمصلحة لا تكون كذلك، المصلحة أن يُرسَل إليه من يدخل عليه ويقتله، وهو أصبح مهدر الدم بنقضه للعهد.

- لكن المقصود هنا بأنك لابد في هذه المسألة أنك ترجع للقائد والأمير ولا تتصرف من نفسك، لا تفعل أنت، وأنت لا تقدر المصلحة والمفسدة، قد تأتي بمفسدة، فلابد من النظر للمسؤول عن ذلك هو الذي يُستأذن منه، أو العالم، أو الأمير أو غير ذلك، الذي يقود هذه المسألة.
- والإثنان اشتركوا في أن الإثنين نقضوا العهود، وهذا دأب اليهود، الأول نقض بعد بدر، والثاني ألب الأحزاب، ونقض حتى بعد أُحد وألب الأحزاب. و(كعب) أيضًا ألب قريش في مجيء الكفار لأُحد، وهذا ألب قريش لغزوة الأحزاب.
- وهذا يبين لك أن اليهود يتعاونون دائمًا مع أعداء المسلمين، ويكيلون مع الأعداء على أهل الإسلام، دأبهم، طول التاريخ على ذلك، ولن يتغير إلى قيام الساعة، هؤلاء يفعلون ذلك، حتى لا يظن أحد بأنه يمكن التعايش معهم، أو السلام –كما يروجون– والأخوة وغير ذلك. بل هم انظروا لما (كعب) و(أبي رافع) أيضًا عندما نزل لقريش وسألوه عن دينهم: أنحن أهدى أم هم؟ فقال أنتم أهدى سبيلا، كما جاء عن الله عز وجل: {أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا} [النساء: 51].
- وانظر هنا أيضًا الإثنان كان هناك مصلحة عظيمة في قتلهم، كانوا من كبراء القوم، وكانت المفسدة قليلة، وهذه من حكمة القائد أنه يبفعل الأمر وتكون فيه مصلحة عظيمة والمفسدة قليلة، لذلك اختار هذه النوعية النبي صلى الله عليه وسلم في قتله حتى لا يكون تأليبًا أو

قتالًا أو تلاحم بين المسلمين واليهود، فأراد أن تكون عملية لقتله هو فقط. بخلاف مثلًا لما النبي صلى الله عليه وسلم قال لـ (حذيفة) لا تقتل أحد من المشركين في الأحزاب، لا تؤلب القوم علينا. وكان (حذيفة) قال كنت أستطيع أن أضرب (أبو سفيان) بسهم –لما رآه يصطلي ظهره بالنار– ويقتله، لكن تذكرت النبي صلى الله عليه وسلم قال –في المعنى– لا تقلب القوم ولا تهيجهم علينا، وهذا من رؤوس الكفر، وهذا من رؤوس الكفر، لكن هنا انظر.. توجيه، هنا النبي صلى الله عليه وسلم له مصلحة في ألا يقتل (أبو سفيان)، وهنا له مصلحة النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتل هذا اليهودي، فأشار أن يفعلوا ذلك. قلنا إن هذه أمور لا يفعلها آحاد الناس، ولابد أن يفعلوا كما فعل الصحابة في الالتزام بما قاله النبي صلى الله عليه وسلم. هذه كليات وقواعد في الشريعة لابد أن تُضبَط أصالة.

فصل: غَزْوَةُ بَنِي لِحْيَانٍ

ثُمَّ خَرَجَ صلى الله عليه وسلم بَعدَ قُرَيْظَةٍ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَذَلِكَ: فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنَ السَّنَةِ السَّادِسَةِ عَلَى الصَّحِيحِ قَاصِداً بَنِي لِحْيَانَ؛ ليأخذَ ثَارَ أصحاب الرَّجِيع الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهُم، فَسَارَ حَتَّى نَزَلَ بِلادَهُم في وادٍ يقالُ لَهُ: غُرَّان، – وَهُوَ: بَيْنَ أَمْجٍ وَعُسْفَانَ، فَوَجَدَهُمْ قَدْ تَحَصَّنُوا فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ، فَتَرَكَهُمْ، وركب في مِئَتَي فَارِسٍ حَتَّى نزلَ عُسْفَانَ، وَبَعَثَ فَارِسَيْنِ حَتَّى نَزَلَا كُرَاعَ الْغَمِيمِ، ثُمَّ كَرَّا رَاجِعَيْنِ، ثُمَّ قَفَلَ صلى الله عليه وسلم إِلَى المدينة.

- هنا أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن ينتقم ممن فعلوه بأصحاب الرجيع –القراء–، فذهب إليهم، لكنه عندما ذهب إليهم علموا بقدومهم، فدخلوا الجبال، قصدوا الجبال، فروا إلى الجبال. وتذكروا القصة عندما جاء الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم قال: إن عندنا إسلامًا فأت بعندك بمن يُعلم، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم، فخانوا بعد ذلك عضل والقارة لما

فعلوا ذلك، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم ستة من أصحابه، وعشرة في رواية أخرى كما بينا في القصة، فقتلوهم؛ وتبقى اثنين أسروهم في مكة، (خبيب) وغيره.

- **(فَسَارَ حَتَّى نَزَلَ بِلادَهُم في وادٍ يقالُ لَهُ: غُرَّان، – وَهُوَ: بَيْنَ أَمْجٍ وَعُسْفَانَ)** وهم لما وجدوهم قد تحصنوا في رؤوس الجبال لما علموا بمجئ النبي صلى الله عليه وسلم فتحصنوا فتركهم ورجع النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكن هناك قتالًا.

فصل: غَزْوَةُ الْغَابَةِ – أَوْ: ذِي قَرَد

ثُمَّ أغار بعد قدومه المدينة بليال عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ فِي بَنِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ غَطَفَانَ، عَلَى لِقَاحِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الَّتِي بِالغَابَةِ، فَاستَاقَهَا، وَقَتَلَ رَاعِيَهَا، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ غِفَارٍ، وَأَخَذُوا امْرَأَتَهُ.

فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ نَذَرَ بِهِم: سَلَمَةُ بنُ عَمْرِو بنِ الْأَكْوَعِ الْأَسْلَمِي رضي الله عنه، ثُمَّ انبعث في طلبهم ماشياً، وكان لا يُسْبَقُ، فَجَعَلَ يَرْمِيهِمْ بِالنَّبْلِ، ويقول:

خُذْهَا أَنَا ابْنُ الأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ

يعني: اللئام، واسترجع عامة مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِم.

ولما وقع الصَّرِيخُ فِي الْمَدِينَةِ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة من الفرسان، فلحقوا سَلَمَةَ بْنَ الأَكْوَعِ، وَاسْتَرْجَعَ اللقَاحَ، وَبَلَغَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ماء يُقَالُ لَهُ: ذُو قَرَد، فَنَحَر لقحةً مما استرجع، وأقام هناك يوماً وليلة، ثُمَّ رجع إلى المدينة.

وقُتِل في هذه الغزوة: الأخرم، وهو: محرز بن نضلة رضي الله عنه. قتله: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُيَيْنَةَ، وتحوّل على فرسه، فحمل على عبد الرحمن أبو قتادة، فقتله، واسترجع الفرس، وكانت لمحمود بن مسلمة. وأقبلت المرأة المأسورة على ناقة لرسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَقَدْ

نَذَرَتْ: إِنِ اللَّهُ أَنْجَاهَا عَلَيْهَا، لَتَنْحَرَنَّهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: [بِئْسَ مَا جَزَتْهَا، لَا نَذْرَ لابنِ آدَمَ فِيمَا لا يَمْلِكُ، وَلَا فِي مَعْصِيَةِ]. وأخذ ناقته.

وقد روى مسلم في صحيحه عن سلمة بن الأكوع في هذه القصَّةِ، قَالَ: فَرَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ، فَلَمْ نَلْبَثْ إِلَّا ثَلَاثَ لَيَالٍ، حَتَّى خَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ.

وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

- هنا غزوة ذي قرد، وذي قرد هو جبل أسود يقع على المدينة في الناحية الشمالية الشرقية، حوالي تقريبًا أربعين كيلومترا؛ أي مرحلة واحدة. وسميت الغزوة بذي قرد نسبة للجبل لأن النبي صلى الله عليه وسلم اتجه إلى هذا الجبل ليخلص الإبل من هذا الرجل الذي دخل وأخذ الإبل وقتل الراعي وأخذ امرأته وأخذ لقاح النبي صلى الله عليه وسلم وغيره.
- ثم عندما حدث ذلك أول من رآه (سلمة بن الأكوع)، و(سلمة بن الأكوع) أولًا كان سريعًا جدًا في العدو، في المشي، لدرجة أنه ممكن أن يسبق الخيل، وكان ماهر في النبل أصالة، وكان صحابي شجاعًا من الشجعان، عدَّاء لا يُسبَق، قال بعضهم في سرعته فعلًا كان من الممكن أن يسبق في الجري الخيل لو سار بجانبها. والقصة هذه حدثت أن مجموعة أخذوا النوق، وقتلوا الراعي الذي كان موجود على هذه الإبل من النبي صلى الله عليه وسلم ليرعاها صدقة للمسلمين، وأسروا امرأته أيضًا، فلما استصرخوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في المدينة، لكن (سلمة) كان قد وصل له الخبر، وكان أقرب إليهم.
- وحقيقة طبعًا قصته في مطاردتهم بديعة جدًا، لكن ليس المقام للتفصيل، لأنه هم كانوا خيَّالة؛ أي معهم خيل، وهو كان بدون خيل، وهو الذي كان يطاردهم، فكان يدركهم ويرميهم، يرمي واحد بالنبل ويقتله، فهم يرجعوا إليه، أرادوا يأتوا إليه، فلا يلحقونه، وهم معهم الخيل ولا يلحقونه، فيستديروا ويرجعوا، فيرجع هو خلفهم فيأخذ منهم واحد يضربه بالنبل فيقتله، وهكذا،

كأنه بيصطاد واحد ورا واحد، فانظر، بعضهم قالوا في هذه المسألة في هذا الوقت كان عمره عشرين سنة، وكان عنده الشجاعة والقوة والسرعة.

- **(ثُمَّ انبعث في طلبهم ماشياً)** انتبه،، على قدميه ليس راكبًا، وهم عندهم الخيل، **(وكان لا يُسْبَقُ)** –كما قال– من سرعته في الجري والعدو، **فَجَعَلَ يَرْمِيهِمْ بِالنَّبْلِ، ويقول: خُذْهَا أَنَا ابْنُ الأَكْوَعِ، وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ)** أي يوم اللئام، هم اللئام، أي يومكم الذي ستُقتلوا فيه، فكما قتلوا الراعي قتلهم، وقد قتلهم كلهم. واقتاد الإبل ورجع بها، ورجع بالمرأة التي كانت أسيرة أيضًا، واسترجع عامة ما كان في أيديهم، فحتى هم كانوا في فرارهم كلما يفروا منه يرمون متاعهم، يريدوا أن يتخلصوا من المتاع ليستطيعوا الجري أكثر، هم الذين معهم الخيل وهو يلاحقهم، فكانوا يرمون من أمتعتهم حتى يتخففوا. فكل ما كان معهم أخذه منهم.
- قال: **(ولما وقع الصَّرِيخُ فِي الْمَدِينَةِ)** أي علم النبي صلى الله عليه وسلم؛ أرسلوا من يصرخ في المدينة ليستنصر النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه. **(خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم)** ومن معه وصل إلى الجبل هذا **(في جماعة من الفرسان، فلحقوا سَلَمَةَ بْنَ الأَكْوَعِ، وَاسْتَرْجَعَ اللقَاحَ، وَبَلَغَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ماء يُقَالُ لَهُ: ذُو قَرَد)** وجلس فنحر لقاحًا مما معه أحد ليأكله وبات يومًا وليلة، ثم رجع إلى المدينة.
- ثم ذكر الحافظ أنه **(قُتِل في هذه الغزوة: الأخرم،** وهو صحابي جليل **وهو: محرز بن نضلة رضي الله عنه. قتله: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُيَيْنَةَ)**. و(محرز بن نضلة) كان الفارس الأول الذي لحق بهم؛ أول فارس لحق بهم، و(سلمة بن الأكوع) استوقفه وقال له: لا تذهب، انتظر حتى يأتي بقية الخيالة وتذهبوا معًا، فقال: تريد أن تحول بيني وبين الشهادة! فانطلق بخيله حتى جاء أمامهم فقتله (عبد الرحمن بن عيينة) فمات شهيدًا. قال: **(وتحوّل على فرسه)** تحول عنه: أي ركب على الفرس نفسه، **(فحمل على عبد الرحمن أبو قتادة، فقتله)** جاء (أبو قتادة الأنصاري) فقتل (عبد الرحمن بن عيينة). وكان من جملة الخيالة الذي جاؤوا مع النبي صلى الله عليه وسلم لحقوا بعد ذلك بـ (سلمة بن الأكوع).

- **(واسترجع الفرس، وكانت لمحمود بن مسلمة)** أي الفرس كان لصحابي آخر كانوا يقاتلون عليه، فاسترجع الفرس؛ أي أخذه بعدما قتل (عبد الرحمن بن عيينة). فـ (عبد الحمن بن عيينة) تحول عليه قتل (محرز بن نضلة) رضي الله عنه وتحول على الفرس، فجاء (أبو قتادة) فقتل (عبد الرحمن بن عيينه) وأخذ الفرس الذي يخص (محمود بن مسلمة). ولذلك من ضمن مناقب (سلمة) و(أبو قتادة) قال النبي صلى الله عليه وسلم: [خَيْرَ فُرْسَانِنَا اليومَ أَبُو قَتَادَةَ، وَخَيْرَ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ] فكان (أبو قتادة) أيضًا ماهر جدًا في الخيل. فأثنى النبي صلى الله عليه وسلم على (سلمة بن الأكوع) و(أبو قتادة).
- **(وأقبلت المرأة المأسورة على ناقة لرسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَقَدْ نَذَرَتْ: إِنِ اللَّهُ أَنْجَاهَا عَلَيْهَا، لَتَنْحَرَنَّهَا)** وجاءت المرأة التي كانت مأسورة على ناقة للنبي صلى الله عليه وسلم، فهي نذرت أن لو نجاها الله لتنحر الناقة، وهي ليست ناقتها! لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: [بِئْسَ مَا جَزَتْهَا] أي أنتِ ربنا نجاك على الناقة، فتُجزين الناقة بذبحها!! ثم أبطل نذرها لأنها تنذر على شيء ليس ملكها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: [لَا نَذْرَ لابنِ آدَمَ فِيمَا لا يَمْلِكُ، وَلَا فِي مَعْصِيَةٍ]. وهذه قاعدة في النذر بعد ذلك، لو نذرت شيء لا تملكه، لا يقع نذرك، أو لو نذرت بفعل معصية؛ واحد نذر مثلًا أنه يشرب الدخان أو يفعل المنكر، فهذا النذر لا ينعقد لأن لا نذر في معصية الله، ولا نذر في أن أحد ينذر مثلًا أنه سيأخذ كتابك، أو يأخذ سيارتك، أو يتصدق به، وهو أصلًا لا يملك! أو يذبح شاتك، وهذا لا يصح أيضًا.

فصل :غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَزَوَاجُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنْ جُوَيْرِيَةَ، وَقِصَّةُ الإِفْكِ

وَغَزَا صلى الله عليه وسلم بني المصطلق من خزاعة في شعبان منَ السَّنَةِ السَّادِسَةِ.

وقيل: كَانَتْ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ خَمْسٍ.

والأَوَّلُ أَصَح ، وهُوَ قَوْلُ ابن إسحاق وغيره.

واستعملَ عَلَى الْمَدِينَةِ: أَبَا ذَرٍّ.

وقيل: نُمَيْلَةَ بِنَ عَبْدِ اللهِ اللَّيْثِيَّ، فَأَغَارَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ غَارُونَ عَلَى مَاءٍ لَهُمْ يُسَمَّى: الْمُرَيْسِيعَ، وَهُوَ: مِنْ نَاحِيَةِ قُدَيْدٍ إِلَى السَّاحِلِ، فَقَتَلَ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ، وَسَبَى النِّسَاءَ وَالذُّرِّيَّةَ، وَكَانَ شِعَارُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ: "أَمِتْ أَمِتْ".

وكَانَ مِنَ السَّبِي: جُوَيْرِيَةُ بِنتُ الْحَارِثِ بْنُ أَبِي ضِرَارٍ مَلِكِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وقعت في سهم ثَابِتِ بنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، فَكَاتَبَهَا، فَأَدَّى عَنْهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وتزوجها، فَصَارَت أم المؤمنين، فأعتق المسلمون بسبب ذلك: مئة بَيْتٍ من بَنِي المُصْطَلِق قد أسلموا.

وفي مَرْجِعِهِ صلى الله عليه وسلم: قال الخبيثُ عَبْدُاللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنُ سَلُولَ: لَئِن رجعنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، يُعَرِّضُ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَبَلَّغَهَا زَيْدُ بنُ أَرْقَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وَجَاءَ عَبْدُ اللهِ بنُ أُبِي مُعْتَذِراً، ويحلف ما قال، فسكت عنه رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ عز وجل وجل تَصْدِيقَ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ فِي سُورَةِ الْمُنَافِقِينَ.

- هذه الغزوة غزوة بني المصطلق، وسميت ذلك لأن بني المصطلق هم الذين كانوا في الغزوة، أي هم معنيون بالغزوة التي حدث فيها القتال. وهي تسمى أيضًا "غزوة المريسيع".
- **(وَغَزَا صلى الله عليه وسلم بني المصطلق من خزاعة)** والمصطلق لقب لرجل اسمه (جذيمة بن سعد بن عمر بن ربيعة بن حارثة)، بطن من خزاعة.
- ما سبب الغزوة؟
  - أن بني المصطلق قد تحالفوا من جملة الذين تحالفوا مع قريش في أُحد، وتكالبوا معهم، واتفقوا على مقاتلة المسلمين في غزوة أحد، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعرض لهم وقتها.

- وكانوا هم أيضًا في طريق المسلمين إلى مكة– وكأن هذا تجهيز لما سيكون بعد ذلك في فتح مكة– وصاروا أعوانًا لقريش لأنهم كانوا في الطريق.
- وكأن النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يخلص مكة، أراد أن يخلص من طريقه الكفار الذين قد يؤثرون عليه في فتح مكة.

فهذه كانت أسباب جعلت النبي صلى الله عليه وسلم أن يغزوهم؛ كانوا يساعدون قريش في أُحد، وعلى الطريق إلى مكة، وكانوا تحالفوا معهم على النبي صلى الله عليه وسلم.

- ذكر الحافظ: **(وَغَزَا صلى الله عليه وسلم بني المصطلق من خزاعة في شعبان منَ السَّنَةِ السَّادِسَةِ. وقيل: كَانَتْ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ خَمْسٍ. والأَوَّلُ أَصَح، وهُوَ قَوْلُ ابن إسحاق وغيره)**، والصحيح هذا أنها وقعت في شعبان في السادسة، لأنه سيأتي معنا حادثة الإفك، وحادثة الإفك في الرجوع من هذه الغزوة، وفيها ذكرت (عائشة) –كما سيأتي– أنها لما حدثت القصة مع (صفوان بن المعطل): (أنه كان يعرفني قبل الحجاب). فبينت في القصة أن الحجاب قد نزل، والحجاب لما فُرِض، فُرِض في بناء النبي صلى الله عليه وسلم من (جويرية).
- فلذلك هناك خلاف بينهم على مسألة الوقت– سيأتي التفسير الآن سيذكره – بعضهم قالوا إنها كانت في السنة الخامسة من الهجرة، والسنة الخامسة تكون قبل غزوة الأحزاب، فغزوة الأحزاب كانت معنا في شوال من الخامسة، وبني المصطلق يقول أنها كانت في شعبان من السنة الخامسة أي قبل غزوة الأحزاب بشهرين، وهنا يوجد إشكال سيأتي بسبب (سعد بن معاذ) لأن (سعد) توفي بعد حكمه في بني قريظة– سيأتي الكلام عنها–. لكن كأنه يشير هنا الآن أن الغزوة إما كانت في شعبان في السنة الخامسة، وهذا اختاره بعض المؤرخين ومنهم (الذهبي) و(ابن القيم)، أي كانت قبل غزوة الأحزاب، لأن الأحزاب كانت في شوال، وهو قال هنا: **(في شعبان منَ السَّنَةِ السَّادِسَةِ. وقيل: كَانَتْ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ خَمْسٍ. والأَوَّلُ**

أَصَح)، إذًا (ابن كثير) يرجح أنها في في شعبان في السادسة وليست في الخامسة، وهذه سنبين لأن فيها إشكال– سيأتي معنا الكلام هنا.

- قال: **(واستعملَ عَلَى الْمَدِينَةِ: أَبَا ذَرٍّ. وقيل: نُمَيْلَةَ بِنَ عَبْدِ اللهِ اللَّيْثِيَّ، فَأَغَارَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ غَارُونَ عَلَى مَاءٍ لَهُمْ)** أي وهم غافلون، أي هم جالسين على ماء، ولم ينتظروا قدوم النبي صلى الله عليه وسلم، لم يكن يعلموا بقدومه، فجائهم على غفلة وهم على هذا الماء.
- **لكن انتبهوا**،، "جاءهم على غفلة"، وعندنا إشكال، أن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يقاتل قوم حتي يدعوهم، وهنا "جاءهم على غفلة"، هنا العلماء يقولون أنهم وصلهم الدعوة أولًا؛ أي وصلهم الدعوة قبل ذلك، فلما لم يستجيبوا غافلهم بعد ذلك. وإلا فالأصل أن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يغير على أحد قبل أن يدعوهم أولًا، وهنا ثبت أنه جاءهم على غفلة. فنقول هنا: لما باغتهم دعاهم إلى الإسلام فلم يجيبوه، فبدأهم بالقتال، أو يحتمل أنه باغتهم لأنهم قد وصلتهم الدعوة من قبل، على حسب.
- قال: **(مَاءٍ لَهُمْ يُسَمَّى: الْمُرَيْسِيعَ)** ماء لهم في مكان يقال له المريسيع. **(فَقَتَلَ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ، وَسَبَى النِّسَاءَ وَالذُّرِّيَّةَ)** أي قتل عددًا من الرجال، وسبي النساء والذرية.
- **(وَكَانَ شِعَارُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ: "أَمِتْ أَمِتْ")** أي كأنه كلمة السر، الشعار، وهي العلامة الصوتية.
- **(وكَانَ مِنَ السَّبِي: جُوَيْرِيَةُ بِنتُ الْحَارِثِ بْنُ أَبِي ضِرَارٍ مَلِكِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وقعت في سهم ثَابِتِ بنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، فَكَاتَبَهَا)** أي على مبلغ معين لو أدته يعتقها. فالنبي صلى الله عليه وسلم ذُكِر له من محاسنها وأنها بنت (الحارث) كبير القوم، وزوجها قتل. فالنبي صلى الله عليه وسلم أدى عنها وتزوجها. قال أنها جاءت للنبي صلى الله عليه وسلم وعرفته بنفسها، وأنها ابنة سيد بني المصطلق، وأنها في هذه المصيبة؛ أي كاتبت وأُسِرت، وكانت كبيرة بنت سيد بني المصطلق، فطلبت من النبي صلى الله عليه وسلم أن يعينها على المكاتبة، فقال: [هل لك فيما هو خير من ذلك؟ أوفي عنك وأتزوجك]. قالوا أن أكثر إمرأة

كانت بركة على قومها (جويرية) رضي الله عنها، لأنه لما تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم استحى الصحابة فيمن ملكوهم من السبي من النساء والذراري في هذه الغزوة، لأن أصبحت المرأة زوجة للنبي، فإكرامًا للنبي صلى الله عليه وسلم أعتق الصحابة مائة بيت من الذين كانوا جواري عندهم، أعتقوا هذه الجواري والذراري إكراما للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ما تزوج (جويرية)، فكانت بركة على قومها رضي الله عنها، **(فَصَارَت أم المؤمنين)**.

- قال الحافظ: **(فأعتق المسلمون بسبب ذلك: مئة بَيْتٍ من بَنِي المُصْطَلِق قد أسلموا)**، فهي أسلمت وأسلموا معها. فاستعظم الصحابة أن يكون قومها إرِقَّاء وإماء وهم أصهار النبي صلى الله عليه وسلم، لذلك قالت (عائشة): [لا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها] رضي الله عنها. بل والدها (الحارث بن أبي ضرار) عندما علم بهذه القصة تأثر جدًا بالعتق الذي حدث لـ (جويرية)، وبالعتق الذي حدث من بني قومه الذين أعتقوهم الصحابة، فجاء للنبي صلى الله عليه وسلم وأسلم، الله منَّ عليه بالإسلام، بل على إسلامه أيضًا أسلم عدد من بني المصطلق، وأُعتِق بسببها؛ فأبوها أسلم وكثير من أهلها، وأُعتِق الكثير أيضًا، فكانت أعظم البركة على قومها.
- ثم ذكر الحافظ المقولة الشهيرة التي ذكرها الله عز وجل على لسان الخبيث المنافق (عبد الله بن أبي بن سلول) رأس المنافقين عندما قال: **(لَئِن رجعنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، يُعَزِّضُ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم)**، يقصد بالأعز: هو ومن كانوا على شاكلته ومثله من المنافقين، ويُعَزِّض برسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما سمع هذا الكلام (زيد بن أرقم) جاء فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم، وجاء لخاله في رواية أخرى، وخاله أتى به إلى النبي وأخبره، فجاء (عبد الله بن أبي بن سلول) فكذَّب وحلف أنه ما قال، حتى قال (زيد بن أرقم): فَبِت ليلتي في همّ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم سكت، فكأنه كان كل الذي يهمه أن النبي يكذبه، فبات ليلة في همّ بسبب ذلك، حتى أنزل الله عز وجل الآيات، حتى النبي صلى الله عليه وسلم أتى بـ (زيد) وأسر في أذنه: (قد أنزل الله صدقك)، وهو

يتلوها، والصحابة يروون ذلك أنه نادى عليه وبشره: قد أنزل الله صدقك. حتى أن (زيد) قال: [فَكَذَّبَنِي رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وصَدَّقَهُ، فأصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ]. طبعًا، فالذي همه كله أن النبي يكذبه وهو صادق، هو الذي سمع فقط، ولكن الله عز وجل ينصر عباده ويؤيدهم، قال: {يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [المنافقون:8] فنزلت الآيات تصدق (زيد بن أرقم) وتكذب هذا المنافق.

- حتى انظر سبحان الله، هذا رأس المنافقين، ابنه (عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول) كان من أفضل شباب الأنصار، وكان بارًا جدًا بأبوه، وكان على طاعة وفضل، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يحبه، فلما سمع بقول أبيه وقف على باب المدينة قال: والله لا تدخلن حتى يأذن لك الأعز، أو كما جاء عنه: (والله لا تدخل المدينة حتى تعلن أنك أنت الأذل والنبي صلى الله عليه وسلم الأعز) يكلم من؟! أبوه، انظروا لهذا الإيمان، لا يخافون في الله لومة لائم، ما يهمه الآن، فطالما قد تجرأ على دين الله وعلى النبي صلى الله عليه وسلم، فالمُقَدَّم هو النبي صلى الله عليه وسلم. وقالوا لم يدخل حتى أقر، والنبي صلى الله عليه وسلم قد أذن، لأن لما علم حتى (عبد الله بن أبي) و(عمر)، وطبعًا (عمر) يسارع في ضرب العنق وقال للنبي صلى الله عليه وسلم أؤمر فلان حتى أقتله، فلما سمع (عبد الله بن عبد الله) جاء للنبي صلى الله عليه وسلم قال: يا رسول الله إن كنت آمر أن يقتله فأنا أقتله، حتى لا يقتله غيره ويحدث في صدر (عبد الله بن عبد الله بن سلول) أن هذا قاتل أبوه، مهما كان، [ولقد علمت الأنصار ليس في المدينة من هو أبر بوالده مني به]. فاستأذن النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتله، هو حتى أراد ألا يكون أحد غيره يقتله حتى لا ينظر إلى قاتل أبيه ويكون في صدره شيء. الدين فوق كل شيء، حبه للنبي صلى الله عليه وسلم ولدين الإسلام، فلا يهمه حتى في سبيل ذلك يضحي بأبوه وأمه وأولاده، وكل شيء، عزة الدين ورفعة الدين أهم شيء. وليس كالآن! المال ثم الذرية ثم الولد، والدين يأتي! لكن هنا الدين

كان عند هؤلاء هو المقدم في كل شيء، يضحون بكل شيء للدين، لرفعة الدين. لكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأذن بذلك، قال: أتريد أن يقولوا أن محمد يقتل أصحابه؟ فتوجد مصلحة شرعية في المسألة هذه، وهو طبعًا ترك (عبد الله بن أبي بن سلول) إلى أن مات، بل صلى عليه حتى، وتوجد قصة طبعًا في هذه المسألة، ولم يقتله مع أنه من ألد أعداء النبي صلى الله عليه وسلم ورأس المنافقين.

نقف عند **(حادثة الإفك)** لأنها ستحتاج إلى درس منفصل، لأن فيها فوائد عظيمة جدًا وكبيرة. نكتفي بهذا القدر.

جزاكم الله خيرًا، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.